تمامت الطالبة بتصحيح الملحوظات التي وجهت إليها أثناء المناقشة

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم العقيدة

موقف ابن تيمية من النصرانية

بحث مقدم

لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

إشراف

فضيلة الدكتور الأستاذ

عثمان عبد المنعم عيش

إعداد الطالبة:

مريم عبد الرحمن عبد الله زامل

المجلد الثاني

للعام الدراسي

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

في

عقيدة النصارى بألوهية روح القدس وإبطال ابن تيمية لها

أ- عقيدة النصارى بألوهية روح القدس، وأدلتهم على ذلك

١- مفهوم روح القدس في الكتاب المقدس.
٢- ألوهية روح القدس بين نفاتها ومثبتيها من النصارى.
٣- دور المجامع في تأييد عقيدة ألوهية روح القدس.
٤- جوهر العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس.
٥- أدلة المؤلهين لروح القدس من الكتاب المقدس وبطلانها.

ب- إبطال ابن تيمية لشبهات النصارى على عقيدتهم بألوهية روح القدس:

١- إبطال شبهاتهم من التوراة.
٢- إبطال شبهاتهم من الإنجيل.
٣- إبطال شبهاتهم من القرآن الكريم.

جـ- التعقيب:

١- الجذور التاريخية لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس.
٢- خصائص روح القدس في الكتاب المقدس، ودلالتها على بطلان ألوهيته.
٣- تناقض عقيدة ألوهية روح القدس مع العقل.
٤- العقيدة القرآنية الصحيحة في روح القدس.

الفصل الثالث

العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس
وإبطال ابن تيمية لها

أ - عقيدة النصارى بألوهية روح القدس وأدلتهم على ذلك :

١ - مفهوم روح القدس في الكتاب المقدس :

قبل أن نتكلم عن عقيدة النصارى بألوهية روح القدس ، نعرض بالدراسة لمفهوم الروح أو روح الله أو روح القدس في الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) .

فأما في أسفار العهد القديم فإن " الكلمة العبرية (رواه) تترجم عادة بلفظ روح . وتدل في معناها الأصلي على الريح ، ولكنها تستعمل أيضا في كثير من الأحيان بمعان أخرى ، قد يكون بعضها مشتقا من المعنى الأول ."[1]

وقد تأتي كلمة الروح في أسفار العهد القديم مجازا بمعان أخرى ، يذكرها سبينوزا ، ويستشهد عليها من نصوص الأسفار على النحو الآتي :

١ - نسمة أو نَفَس . " ليس في أفواهها نسمة "[2]

٢ - نفخ أو تنفّس . " ورجعت روحه اليه "[3] أي أنه بدأ في التنفس.

٣ - الشجاعة أو القوة . " ولم تبق بعد روح في انسان بسببكم "[4]

٤ - الحكمة . " فقال فرعون لعبيده : هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ ثم قال فرعون ليوسف : بعد ما أعلمك الله كل هذا ، ليس بصير وحكيم

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ص١٣٤ ، ١٣٥ . ترجمة وتقديم د. حسن حنفي مراجعة د . فؤاد زكريا .

(٢) مز ١٣٥ : ١٧ .

(٣) صموئيل الأول ٣٠ : ١٢ .

(٤) يشوع ٢ : ١١ .

مثلك ."(١)

٥ - رأي . "فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى "(٢) أى رأي آخر.

٦ - الارادة . "الى حيث تكون الروح لتسير تسير."(٣)

٧ - الفكر نفسه ،أو روح الانسان أو نفسه ."لأن مايحدث لبني البشر ، يحدث للبهيمة . وحادثة واحدة لهم . موت هذا كموت ذاك . ونسمة واحدة للكل . فليس للانسان مزية على البهيمة ؛ لأن كليهما باطل . يذهب كلاهما الى مكان واحد ،كان كلاهما من التراب ، والى التراب يعود كلاهما . من يعلم روح بني البشر؟ هل هي تصعد الى فوق ، وروح البهيمة هل هى تنزل الى أسفل الى الأرض؟ فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الانسان بأعماله."(٤)

٨ - قوة تفوق المعتاد . "وملأته من روح الله "(٥) أي بعقل ومهارة فوق المعتاد.

٩ - نفس الانسان . "نفخة الله فى أنفي"(٦) .

١٠ - شريعة موسى ؛ لأن هذه الشريعة كانت تعبر عن فكر الله . "أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه."(٧)

١١ - فكر الله . "روحك صالح يهديني فى أرض مستوية ."(٨) أى فكرك الذى

---

(١) سفر التكوين ٤١ : ٣٨-٣٩ .

(٢) سفر العدد ١٤ : ٢٤ .

(٣) سفر حزقيال ١ : ١٢ .

(٤) جامعة ٣ : ١٩-٢٢ .

(٥) سفر الخروج ٣١ : ٣ .

(٦) أيوب ٢٧ : ٣ .

(٧) اشعياء ٦٣ : ١١ .

(٨) مز ١٤٣ : ١٠ .

أوحيت به الينا سيقودنا الى الطريق المستقيم .

١٢ - مشاعر الله . " وروحي قائم فى وسطكم لا تخافوا ." (١)

ويقول سبينوزا بعد ذكر هذه المعاني المجازية لكلمة الروح فى أسفار التوراة :

" وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التى يرد فيها ذكر روح الله . فعبارة " روح الله " أو " روح يهوه " لا تعني فى بعض النصوص الا ريحا قوية جافة عاتية . كما نجد فى اشعياء " لأن روح الرب هبّ فيه " (٢) أى ريح مدمرة ، وكذلك فى سفر التكوين " وريح الله يرف على وجه المياه " (٣) أى ريح قوية للغاية ." (٤)

أما فى أسفار العهد الجديد فقد استعملت كلمة روح، أو روح الله ، أو ورح القدس ، بمعان قريبة من المعاني التى استعملت بها فى أسفار العهد القديم . ومن هذه المعاني ما يأتي :

١ - منزل الوحى الى الأنبياء والرسل بالالهام ، أو الظهور لهم شخصيا . (والالهام هو الواضح من النصوص) يقول بطرس :

" لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان . بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس." (٥)

---

(١) حجى ٢ : ٥ .

(٢) ٤٠ : ٧ .

(٣) ١ : ٢ .

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص١٣٨ .

(٥) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢١ .

وهو نفس المعنى الذى اعترف به المسيح -عليه السلام -عن الوحي فى قوله "لأن داود قال بالروح القدس ."(١)

٢ - المدد الالهى أو القوة المعنوية . يقول المسيح لتلاميذه :

" احذروا من الناس ؛ لأنهم سيسلمونكم الى مجالس، وفى مجامعهم يجلدونكم ، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم ، فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ؛ لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم ."(٢)

٣ - قوة الله . يقول الانجيل عن زكريا -عليه السلام - : " وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس ، وتنبأ قائلا ."(٣) أى من قوة الله الملهمة .

٤ - الالهام لغير الأنبياء والرسل . يقول لوقا ." وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان ، وهذا الرجل كان بارا تقيا ، ينتظر تعزية اسرائيل ، والروح القدس كان عليه . وكان قد أوحي اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت ، قبل أن يرى مسيح الرب ، فأتى بالروح الى الهيكل ."(٤)

٥ - محرك الناس وهاديهم . "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح فى البرية ."(٥)

---

(١) انجيل مرقس ١٢ : ٣٦ .

(٢) انجيل متى ١٠ : ١٧-٢٠ .

(٣) انجيل لوقا ١ : ٦٧ .

(٤) انجيل لوقا ٢ : ٢٥-٢٧ .

(٥) انجيل لوقا ٤ : ١ . وانظر هذه الاستعمالات لكلمة الروح لدى الدكتور أحمد حجازى السقافى كتابه أقانيم النصارى ص٤٤ ، ٤٥ .

أما كلمة القدس عند النصارى ، فهى تعني الصلاح والطهر. " . . . . انهـا تصف دائما الانسان الذى يتمم واجبه نحو الله بكل أمانة ، وبمنتهى الدقة . انهـا تصف الانسان ليس كما يظهر أمام زملائه من الناس ، ولكن كما يظهر أمام اللـه . ان كلمة (قدوس) هى التى تحمل معها أعظم كل أنواع الصلاح ، وهو الصلاح الطاهر فى نظر الله . "(١)

هذه هي الاستعمالات الحقيقية والمجازية لكلمتي الروح والقدس ، ولكلمات روح الله ، أو روح القدس فى العهد القديم والجديد ، ولكن النصارى لم يقفوا عند هذه الاستعمالات ، وما تدل عليه كلمات " روح الله أو روح القدس " من مجرد الدلالة على النسبة الى الله والاختصاص به على نحو ما يقال : بيت الله ، وجبل الله ، ولكنهم اعتبروا روح القدس هو الاقنوم الثالث من الأقانيم المكونة للحقيقة الالهية ، لا مجرد موجود روحاني ، وانتهى الأمر بالكثير منهم الى الاعتقاد بألوهيته كما سنرى فيما بعد .

◊◊

---

(١) وليم باركلى / شرح الرسالة الى العبرانيين ص١٢٧ تعريب القس جرجس هابيل .

٢ - ألوهية روح القدس بين نفاتها ومثبتيها من النصارى :

ولكن متى بدأ الاعتقاد بألوهية الروح القدس؟ وهل كان هذا الاعتقاد حقيقة مقررة عند النصارى جميعا أم كان هناك من لا يدين بها ؟

يدعي النصارى أنهم يأخذون عقيدتهم بألوهية روح القدس من أسفار العهد القديم، وأن أحد معاني الروح القدس فى هذه الأسفار هو الألوهية والقدرة على الخلق والايجاد . وفى ذلك يقول شارح انجيل يوحنا :

" كان لليهود ثلاث فكر رئيسة عن الروح هي :

الفكرة الأولى : إن الروح قوة جبارة كقوة الريح العاصفة .

الفكرة الثانية : إن الروح حياة . . . فهي مركز ، وجوهر الحياة ، والقوة المحركة الدافعة لوجود الانسان .

والفكرة الثالثة : إن الروح ليس أقل من ذات الجلال الالهي ، فجوهره ، ومصدره، وكيانه ، فوق مستوى البشر وكيانهم ، وحلول الروح على انسان ما معناه حلول الله ، بقوته ومجده وجلاله ، على هذا الانسان . "(١)

ولكننا إذا تعمقنا فى معرفة البدء التاريخي لهذه العقيدة عند أهل الكتاب، فإننا لا نجد لها ذكرا عند اليهود . فلم يكونوا يؤمنون بأن الروح القدس اله أو يمثّل وحدة من وحدات الحقيقة الالهية - كما يزعم النصارى فيما بعد - وإن كان النصارى يزعمون أنهم يرجعون فى اعتقادهم بألوهية روح القدس الى مصادرها الأولى من أسفار التوراة ، وهو زعم يكذبه ما قدمناه عن العالم اليهودى (سبينوزا) من استعمالات هذه الكلمة فى أسفار العهد القديم . فلم نر فى هذه الأسفار ما يدل على هذا المعنى المزعوم لكلمة الروح القدس. وفى نفس الوقت فسوف نرى فيما بعد إبطال ابن تيمية لمزاعم

---

(١) وليم باركلى جـ١ ص١١٦ .

النصارى في استمدادهم لعقيدتهم هذه من أسفار العهد القديم .

وقد أوردت دائرة المعارف الفرنسية ما يفيد عدم اعتقاد اليهود بألوهية روح القدس على عكس ما أصبح عليه الحال عند النصارى فيما بعد - أوردت في ذلك ما ملخصه :

" جاء لفظ روح الله ، ونفخة الله في التوراة ، ولم يقصد بها الا أصل القدرة الالهية ، أو طريقة تأثير تلك القدرة ، فجاء في التوراة أن الأرض في مبدأ تكونها حين كانت خالية خاوية مجللة بالظلمات كان روح الله يتحرك على مياهها ، فلما سوى الله الانسان من الطين نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا ، ثم سحب روحه منه فعاد طينا كما كان أولا ، ولكن الله أعاد اليه روحه ثانية ، ومن نفخة الله أو روحه نشأت جميع الكائنات الأرضية .(1)

وجاء في مواطن أخرى من التوراة ما يدل على أن روح الله كانت تعني في معرض آخر أصل حكمة الله وتنزهه ، ولم يرد في كتب اليهود ما يؤخذ منه أنهم يعتقدون بأن الروح القدس شخصية متميزة ، أو أنه أقنوم من الأقانيم المركبة لله كما هو عند النصارى .

فالاعتقاد بألوهية روح القدس لم يبدأ باليهود كما يزعم المؤلهون له من النصارى .. "(2)

ولكنها عقيدة نصرانية مستحدثة . فمتى بدأ ذلك في تاريخ النصرانية ؟

---

(1) اشارة الى النص الوارد في سفر الخليقة (التكوين) ١ : ١ ، ٢ .

(2) د . محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين جـ ٧ ص ٦٥٣ / ٦٥٥ باختصار وتلخيص .

"يعتقد (سباليوس) أن عصر تأليه روح القدس بدأ من يوم الخمسين[1] بعد قيامة المسيح حتى يومنا هذا ،لكن الكنيسة رفضت هذا القول وذلك لأن الروح القدس - حسب اعتقادها - موجود أزلي ."[2]

ويدّعي السوسينيون[3] "أن الكنيسة لم تعتقد ألوهية الروح القدس قبل المجمع القسطنطيني الذى شجب المكدونيين سنة ٣٨١م ."[4]

---

(١) أى بعد عشرة أيام من الصعود الأخير، حيث إنه بعد أن قام عيسى من الأموات -على زعمهم - مكث معهم مدة أربعين يوما ، ثم صعد مرة أخرى ، وبعد عشرة أيام من صعوده الأخير -كما يعتقدون - نزل عليهم الروح القدس.

(٢) جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا . ص٤٢٤ ترجمة القس منيس عبد النور . وانظر وكذلك القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص١٠٥ .

(٣) السوسينيانية :"جماعة دينية ،لا تقبل فكرة وجود الثالوث الأقدس،أوجدها ليليوس سوسنيوس فى القرن ١٦ ،ثم غذاها فوستوس سوسنيوس. تحوي العقيدة عناصر من المذهب الانساني العقلي ،وشيئا من مبادئ الاصلاح ، وتدعوا الى الايمان بصلاح الانسان مع قبول سلطة الكتاب المقدس وتفسيره الحرفي . ويرفض أتباعها قبول عقيدة الثالوث الأقدس، وهم يعترفون بالمسيح ،الاّ أنهم ينكرون ألوهيته ،ولا يرون الأسرار المقدسة الا رموزا روحية . والسوسينيانيون يختلفون فى العقائد مع الكنائس المصلحة الأخرى ،الاّأن ذلك خفف أحيانا من صلابة العقيدة والتمسك بها ،مع اكتسابهم قوة بنمو الحركة العقلية واستطاعت هذه الحركة بقيادة فوستوس أن تحصل على أكبر نجاح لها فى بولندا ، حيث تمركزت الحركة فى مدينة راكوف وهناك وضعت الأسس المنكرة للثالوث الأقدس.

وجمع فوستوس الذين شايعوه فى نكران الثالوث ، وشكل طائفة دعاها طائفة الاخوة البولنديين ، واهتم هؤلاء بالشؤون التهذيبية والاجتماعية ،الى أن أوقع الكاثوليك حرمانا عليهم سنة ١٦٢٨م ....
وتدعى السوسينيانية فى بعض الأحيان بجماعة الموحدين القديمة "
أنظر: محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص١٠٣٣ .

(٤) الشيخ عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٤٦٢ .

وهو ادعاء ليس له ما يبرره ، بل الواقع غير ذلك تماما حيث نرى أن " جميع معلمي الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى اعتقدوا ألوهية الروح القدس ، وقد جمع (ماربا سيليوس) شهادتهم بذلك في كلامه على الروح القدس ، وذكر أن اعتقاد ألوهيته في (الدسولجيا) وهي ترنيمة قديمة العهد تاريخ نظمها مجهول ."(١)

ومعنى ذلك أن الاعتقاد بألوهية روح القدس كان موجودا في الأوساط النصرانية منذ فجرها الأول ، ولم يبدأ الاعتقاد بها في المجامع - كما قيل - ولكن دور المجامع كان هو اعلانها وترسيخها ، وشجب الخارجين عليها . ومع ذلك فقد كان هناك من النصارى من لا يدين بهذه العقيدة ، بل يعتقد بمخلوقية روح القدس لا بالهيته . وكما سبق وأن نشأ خلاف في أمر المسيح نفسه ، فانقسم الناس بين مؤله للمسيح ، وبين منكر لهذه الألوهية ، كذلك نشأ خلاف في أمر الروح القدس ، وقد ظل الوضع - على مدى أعوام عديدة - متأرجحا بين مؤله للروح القدس ، ومميز له ، وقائل بأقنوميته ، وبين منكر لذلك ، مقر بمخلوقيته.

فكان هناك مقدنيوس (أسقف القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي) ويوسابيوس وأبولينا ريوس والآريوسيون . . . كان هؤلاء جميعا ينكرون لاهوت الروح القدس ويقولون : إن الروح القدس مخلوق محدث كسائر المخلوقات . ومن أقوالهم في ذلك : "إن الروح القدس انما هو مخلوق كالملائكة ، ولكنه أرفع درجة منهم "(٢)

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٤٦٢ .

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٤٦٢ ، وقد ورد هذا القول أيضا في تفسير الرازي المجلد العاشر جـ١٩ ص٢٢٤ / ٢٢٥ عند تفسيره لآية النحل الثانية (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) .

وان اعتقاد ألوهيته لا يقبله العقل .

ويستبعدون أن يكون الروح القدس مستعمل حقيقة . وفى ذلك يقول (ماراتونيوس) :

إن روح القدس مستعمل مجازا يكنى به عن أفعال الله ، ولم يسم روح القدس (الله). "(١)

وقال المكدونيون :

" لا ندرك ما هو الروح القدس فى الجوهر الالهى ، فلابد أن يكون مولودا أو غير مولود ، فاذا لم يكن مولودا فما الفرق بينه وبين الأب ، واذا كان مولودا فبماذا يمتاز عن الابن . "(٢)

وكان هناك على الطرف المقابل طوائف مسيحية أخرى ذهبت الى القول بألوهية روح القدس وشركته فى الثالوث المقدس لديهم ، وتنكر كونه مخلوقا . من هؤلاء :

١ - "ترتوليان (١٦٠-٢٤٥) الذى "كان يعتبر الروح القدس ذاتا مميزة .

وكان يقول :

الأب شئ والابن شئ وروح القدس شئ ، لكنه كان يضعه فى المرتبة الثالثة

وكان يقول :

ان الله أنتج الكلمة كما ينتج الجذر الساق والروح القدس نشأ من الكلمة كالثمرة تنشأ من الساق .

٢ - وكان أوريجين (١٧٥-٢٥٤) يعتبر روح القدس شخصا متميزا ، ولكنه كان يعتبره أحط من الابن ومخلوقاته . وكان يقول :

" ان الأب يعمل فى جميع المخلوقات ، ولكن الابن لا يعمل الا فى الكائنات العاقلة . ولا يعمل روح القدس الا فى القديسين دون غيرهم . فقدرة الأب أكبر

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٤٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص٤٦٢ : ٤٦٣ .

من قدرة الابن ، وقدرة الابن أكبر من قدرة الروح القدس ، وقدرة الروح القدس أكبر من قدرة القديسين .

٣ - وقال سان جيروم : ان (لاكتانس) (٢٥٠-٣٠٠) كان يهب للروح القدس شخصية متميزة . "

٤ - وكان (هِرْمَس) يرى أن الجزء الالهي في عيسى هو الروح القدس."

٥ - ودعا (تيموثاوس) بطريرك كنيسة الاسكندرية - مهد الأفلاطونية الحديثة - في القرن الرابع الميلادي الى ألوهية الروح القدس . واعتباره خالقا ."[1]

٦ - وقال (أثناسيوس) : إن "كلمة روح القدس استعملت اسما لله تعالى ، ونسب الى الروح مالا ينسب الاّ الى الله ، كتقديس الأنفس ، ومعرفة جميع الحقائق ، وغير ذلك . وقال :

من المحال أن نعتبر الروح القدس مخلوقا ؛ لأننا نجعله باعتباره كذلك شيئا غير مساو للأب والابن ، وبيّن أن القول بالمجاز في غير محله .

وقال في معرض ردّه على المكدونيين :

لا نسلم أن التوليد هو الواسطة الفريدة للانبثاق من الأب والابن وان كنا نسلّم بجهل الفرق بين التوليد والانبثاق من الأب والابن ...... لكن التوليد والانبثاق أبديان لا زمان ، ولا يأتيان بشيء من غير الجوهر..."

٧ - ويرى (توسوي) -الكاثوليكي الروماني -أن الروح القدس المنبثق من الأب

---

(١) أنظر : د . محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص٦٥٤/ ٦٥٥ .

والابن هو من نفس جوهرهما فهو معهما اله واحد .[1]

وتضاربت آراء النصارى واختلفت بين مؤيد لهذا ومعارض لذالك ، واشتدت فجوة الخلاف حتى كان عام (٣٦٠م) "فجاء أثاناز ، وأثار حربا على القائلين بعدم شخصية (أقنومية) الروح القدس ، وساعده جماعة من معاصريه اللاهوتيين من أمثال : غريغوار د ونازيانس ، وباريل الأكبر ، وديديم . واتفق الجميع على إثبات أن الروح القدس يؤلف باتحاده مع الأب والابن الثالوث الالهي ، وأنه يساويهما في الطبيعة ..."[2]

◊◊

(١) انظر في ذلك الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٤٦٢-٤٦٣ .

(٢) د . محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص٦٥٥ .

٣ - دور المجامع في تأييد عقيدة ألوهية روح القدس :

ثم كان مجمع القسطنطينية ، حيث كتب امبراطور القسطنطينية آنذاك (تذوس) الى بطريرك كنيسة الاسكندرية وأنطاكية وروميه ، وأسقف بيت المقدس أن أحضروا الى القسطنطينية ، فحضروا مع أساقفتهم الذين بلغوا مائة وخمسين أسقفا ، واجتمع بهم ، وكان ذلك سنة ٣٨١م . وانتهى الاجتماع بلعن مقدنيوس، وكل من يقول قوله ، وينحو منحاه ، وأثبتوا أن روح القدس خالق غير مخلوق ، إله حق ، وهو الرب المحيي المنبثق* من الأب ، وأن طبيعة الأب والابن جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، حيث أعلن بطريرك الاسكندرية في هذا المجمع مايلي :

قال : " ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته ، فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق ، فقد قلنا : إن روح الله مخلوق ، واذا قلنا : إن روح الله مخلوق ، قلنا : إن حياته مخلوقه ، واذا قلنا : إن حياته مخلوقه فقد زعمنا أنه غير حي ، واذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب

---

* أصل الانبثاق : الانفجار ، كالاندفاق والانصباب ، ونحو ذلك ، وبثق النهر بثقاً وبِثقاً وتبثاقا : كسر شطه لينبثق الماء .

وانبثق انفجر ، والسيل عليهم أقبل ولم يحتسبوه ، وبثق السيل موضع كذا ، أى خرقه وشقه فانبثق أي انفجر . انظر الفيروزأبادي : القاموس المحيط جـ٣ ص٢١٠ وكذلك : محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس جـ٦ ص٣٨٣ فصل الباء من باب القاف .

يقول ابن تيمية تعليقا على ذلك :

" فاقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيي انفجر من الأب واندفق منه . . .

إلى أن يقول : ومعلوم أن حياة الله التى هي صفته ليست منبثقة منه ، بل هي قائمة به لا تخرج عنه ألبتة ، وصفة لازمة له لا تتعلق بغيره . "

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١١٩ .

عليه اللعن .»[1]

وقد زيد في هذا المجمع اضافة على ماتقرر في وثيقة ايمانهم الصادرة عام ٣٢٥م مايلي :

« .... ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب ، ممجد ومسجود له وناطق في الأنبياء ».

ومرة أخرى فرض على هذا القرار فرضا على المسيحيين -كما فرض من قبل قرار تأليه المسيح - وعذب ولعن من خالفه ، وأصبحت الكلمة للقائلين بألوهية روح القدس، وقد أخذت جميع الفرق المسيحية المثلثة القديمة من ملكانية ونساطرة ويعاقبة - أخذت بهذه العقيدة . وهم متفقون على أن روح القدس هو روح الله ، وهو اله خالق محيي ، منبثق من الأب والابن ، وهو مع الاب والابن مسجود له ، وممجد وناطق في الأنبياء .[2] ويقولون :

ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم الثلاثة -بما فيهم الروح القدس- هي آلهة ، خالقة ، أزلية .[3]

وقد بقيت هذه الطوائف القديمة على عقيدتها هذه حتى ورثت آراءها الفرق المسيحية الحديثة من أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت ، وكلهم مجمعون على أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الأب والابن والروح القدس ، ومتفقون على تأليه كل أقنوم منها .

---

(١) د . أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى ص٩١ .
وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص١٣٣ ط٣ .

(٢) أنظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٥٣ ط٥ .

(٣) أنظر الشهرستاني : الملل والنحل جـ٢ ص٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ .

والعجيب فى أمر النصارى أنهم يقولون : "ان روح القدس لا يزال موجودا وهو ينزل على الآباء والقديسين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم كلما حزب أمر."[1]

بل لا يكاد ينقطع راهب فى صومعة متظاهرا بحب المسيح حتى تقول عنه الكنيسة إنه "مملوء من الروح القدس" وتمنحه لقب رسول أو قديس ، بل وتعد كلامه وحياً ملهماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)[2].

۞۞

---

(١) د . أحمد شلبى : المسيحية ص١٥٤ ط٥ .

(٢) سورة الكهف آية ٥ .

٤ - جوهر العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس :

هكذا استقر الأمر للقائلين بألوهية روح القدس ، وفي هذه العقيدة " يرى أصحاب الثالوث أن الروح القدس الذى يمثل عنصر الحياة في الثالوث المقدس، يعتبر أقنوما قائما بذاته ، وإلها مستقلا بنفسه ، فالثالوث المقدس عندهم ثلاثة أقانيم هي : الذات والنطق والحياة .

فالذات هو الله الأب ، والنطق أو الكلمة هو الله الابن ، والحياة هي الله الروح القدس. ذلك أن الذات والد النطق ، والكلمة مولودة من الذات ، والحياة منبثقة من الذات ." (١)

ويحتل الروح القدس المرتبة الثالثة بين الأقانيم الالهية عند المسيحيين حسبما جاء في قانون إيمانهم الذى اكتمل تقريره في مجمع القسطنطينية الأول - كما ذكرنا من قبل - " نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شئ . . . وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . . . ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب ، نسجد له ، ونمجده مع الأب والابن الناطق ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ." .

فهو " الله الأزلي ، وهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة ، وهو الخالق لكل شئ ، والقادر على كل شئ والحاضر في كل مكان ، وهو السرمدي غير المحدود ." (٢)

ومعنى ذلك : أن الروح المقدس - كما يعتقدون - " ليس هو مجرد تأثير

---

(١) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص١١٦ .

(٢) يسى منصور : رسالة التثليث والتوحيد ص٥٤ ومابعدها نقلا عن : محمد مجدى مرجان الله واحد أم ثالوث ص١١٦ .

أو صفة أو قوة ، بل هو ذات حقيقي ، وشخص حي ، وأقنوم متميز ، ولكنه غير منفصل ، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب ، وغير أقنوم الابن ، ومساو لهما في السلطان والمقام ومشترك وإياهما في جوهر واحد ، ولا هوت واحد ."(١)

وهذا يعني : "أن الله واحد في ثلاثة أقانيم يملك كل من هؤلاء الأقانيم الطبيعية الالهية بكاملها ."(٢)

وقد نشب في القرن التاسع الميلادي خلاف بين الطوائف المسيحية فيما يتعلق بالأقنوم الذى انبثق منه روح القدس . هل انبثق من الأب وحده أم من الاب والابن معا .

" فذهبت بعض الطوائف الى أن انبثاق روح القدس كان من الأب ، وذهب البعض الآخر الى أن انبثاقه كان من الأب والابن معا . وكان بطريرك كنيسة روما من القائلين بالرأي الثانى وهو أن روح القدس منبثق من الأب والابن معا ، وأصدر قرارا بذلك في مجمع القسطنطينية عام (٨٦٩م) .

أما بطريرك القسطنطينية فكان يرى الرأي الأول وهو أن الروح القدس منبثق من الأب وحده ، وأصدر قرارا بذلك في مجمع آخر في القسطنطينية سنة (٨٧٩م) وكان ذلك سببا في انقسام الكنيسة الأم إلى كنيستين : شرقية يونانية "الارثوذكس" وغربية لاتينية "الكاثوليك ."(٣)

---

(١) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص١١٦ وهو قول منقول على لسان الكاتب المسيحى يسى منصور .

(٢) الأب بولس الياس اليسوعي : يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٧٥، ٧٦ .

(٣) الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص١١٢ ط١ .

٥ - أدلة المؤلهين لروح القدس من الكتاب المقدس وبطلانها :

لقد وجد النصارى في كتابهم المقدس بعض التعبيرات التي اتخذوها متكئا لهم فيما حصل من انحراف في الاعتقاد الصحيح بروح القدس ، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فانهم يحاولون أن يؤوّلوا النصوص التي لا تخدمهم تأويلا يخرجها عن مضامينها ويصرفها عن ظاهرها فمثلا :

نجدهم يستدلون على ألوهية روح القدس بأدلة من العهدين لا تدل أقل دلالة على مرادهم ، وانما يحاولون اخضاع هذه الأدلة لمرادهم ومقصودهم - كما سيتضح لنا ذلك - ومن أشهر أدلتهم على ألوهية الروح القدس من العهد القديم ما جاء على لسان اشعياء من قوله :

(١) " . . . ثم سمعت صوت السيد قائلا مَنْ أُرسل ومَنْ يذهب من أجلنا ، فقلت: هاأنذا أرْسِلْني ، فقال : اذهب ، وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا تفهموا ، وابصروا ابصارا ولا تعرفوا "[1].

ووجه دلالة هذا الكلام - عندهم - أن قوله : " من أجلنا " اشارة الى الثلاثة : الأب والابن والروح القدس ، فالروح القدس شريك الأب والابن في الألوهية .

وجاء في أعمال الرسل على لسان بولس ما يفسر " السيد " في النص السابق بالروح القدس المتحدث بلسان الثالوث المقدس[2]، حيث يقول :

" . . . حسنا كلّم الروح القدس آباءنا باشعياء النبي قائلا : اذهب الى هذا الشعب ، وقل ستسمعون سمعا ولا تفهمون ، وستنظرون

---

(١) سفر اشعياء ٦ : ٨ ، ٩ .

(٢) حبيب سعيد : أديان العالم ص ٣١٠ ، ٣١١ .

نظرا ولا تبصرون . "[١]

والواقع أن نص سفر اشعياء لا يقتضي تفسير بولس له على نحو ما فسره بـه ، فالسيد هو الرب ، و (نا) في قوله : " من أجلنا " لضمير العظمة ، وليس لجمع الثالوث - كما يقولون - فاشعياء رسول، والمرسِل له ولغيره من الأنبياء هو الله .

(٢) ومما يستشهدون به ويتعسفون في تأويله من نصوص العهد القديم ، ما جاء في كلام الرب عن العهد الذى قطعه مع بيت اسرائيل :

" ها أيام تأتي يقول الرب ، واقطع مع بيت اسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم . يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام . يقول الرب . اجعل شريعتي في داخلهم ، واكتبها على قلوبهم ، وأكون لهم إلٰهاً ، وهم يكونون لي شعباً . . . "[٢]

هذا الكلام نسب في العهد الجديد الى الروح القدس - كما يروون - :[٣]

" ويشهد لنا الروح القدس أيضا ، لأنه بعد ماقال سابقا : هذا هو العهد الذى أعهده معهم بعد تلك الأيام . يقول الرب : اجعل نواميسي في قلوبهم ، واكتبها في أذهانهم . "[٤]

---

(١) ٢٨ : ٢٥، ٢٦ .

(٢) سفر ارميا : ٣١ : ٣١-٣٣ .

(٣) انظر علم اللاهوت النظامي ج ١ ص ٣٦٣ (المؤلف مجهول الاسم) .

(٤) رسالة بولس الى العبرانيين ١٠ : ١٥ و ١٦ .

ونلاحظ على رسالة بولس الى العبرانيين التى فسر بها نص العهد القديم السابق والتى يستشهد النصارى بهذا التفسير على ألوهية روح القدس - نلاحظ على تلك الرسالة أن ماجاء بها من إسناد القول الى الروح القدس فيه تعسف ؛ لأنه مسند في العهد القديم صراحة الى الرب . فكيف يدعى أن روح القدس هو الذى قال سابقا (أى في العهد القديم) : " هذا هو العهد الذى أعهده معهم بعد تلك الأيام"؟ ومن ثَم لا يحق لبولس مايزعمه من أن المراد بالرب الذى يسند اليه العهد القديم الكلام السابق هو الروح القدس .

(٣) بل يزوون أن الروح ذكر فى العهد القديم بما يدل على أنه هو الله .

من ذلك قولهم :

" يقول الرب : فاني معكم . . . وروحي قائم فى وسطكم "(١)

ويقولون فى دلالة هذه النصوص على ألوهية الروح القدس :

" لم يحدث فى الأسفار الخمسة مثل هذا الوعد بحضور روح الله مع شعبه ؛ ولذلك تعتبر هذه الآية تفسيرا لوعد الله بالوجود معهم ، فهو اذا سيكون معهم عن طريق روحه القدوس ، وعلى هذا فالعبارتان تتطابقان .

فإذا قلنا : "إنى معكم " تعني : إن الله موجود فى وسطهم . فالعبارة الثانية : " روحي قائم فى وسطكم " تحمل نفس المعنى ، وبالتالى فالروح هو الله نفسه . " (٢)

والواقع أن هاتين العبارتين ليستا متطابقتين ، بل هما متغايرتان ،

---

(١) حجى ٢ : ٥٩٤ .

(٢) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ ١ ص ٧٢ .

فكون الرب معهم بالتأييد ليس هو وجود روحه فيهم ، فالروح هنا هو الملاك جبريل ، واضافته الى الله لقربه واختصاصه ، وسوف نجد أن إضافة الروح الى الله سواء في الكتاب المقدس أو في القرآن إنما هي للاختصاص والتشريف ، وليس معناه أنه اله .

وهناك فرق واضح بين ياء المتكلم المؤكّدة بإنّ (فإنّي) ، وبين مايضاف الى ذلك الضمير وهو الروح (روحي) .

واذا كانت هاتان الجملتان متغايرتان - كما قلنا - فانهما متلازمتان ، حيث كان قيام الروح فيهم نتيجة لتأييد الله لهم بكونه معهم ، ومظهرا من مظاهر هذا التأييد الالهي . وليست الروح المضافة الى الله هي الله ، فالمضاف الى شيء لا يمكن أن يكون هو نفس ذلك الشيء بأي حال .

واذا تركنا العهد القديم ، وجئنا الى العهد الجديد ، فإننا نجد ما يستشهدون به على لاهوتية الروح القدس كثيراً ، وما يتأولونه أكثر .

ومن تلك الأدلة التي يستشهدون بها على لاهوتية روح القدس ، وأنه هو الله ، ماجاء في :

(١) انجيل (يوحنا) من قول المسيح :

"ستأتي ساعة ، وهي الآن حاضرة ، إذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق . . . لأن الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ."(١)

وليس في هذا مايدل على ألوهية الروح ، لأن النص السابق لم يقل : إن الروح اله ، وانما قال : إن الله روح ، يعني ليس جسدا . ومن ثَم فإن

---

(١) ٤ : ٢١ .

السجود الحقيقي له هو السجود الروحي ، وليس مجرد السجود البدني ، وفي السجود الروحي يكون الإخبات والتعبد الحقيقي .

- وكذلك ماجاء في أعمال الرسل في الاصحاح الخامس منه ، حين اختلس حنانيا جزءاً من ثمن الحقل الذى كان يملكه فباعه ، ووضع بقية الثمن لدى رسل المسيح ، فعرف ذلك بطرس ، وقال له معنفا :

" لماذا ملأ الشيطان قلبك ؟ لتكذب على الروح القدس ، وتختلس من ثمن الحقل ، أليس وهو باق كان يبقى لك ؟ ولما بيع ألم يكن في سلطانك ؟ فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟ أنت لم تكذب على الناس ، بل على الله ." (1)

ويقولون تعليقا على ذلك :

" الكذب على الروح القدس ، والكذب على الله ، عبارتان تقدمان معنى واحدا ، بحيث يمكن وضع الجملة الواحدة منهما بدلا من الأخرى ، وهذا مادعا الى توقيع مثل هذه العقوبة العنيفة على حنانيا وزوجته . ." (2)

ونقول :

ليس في التعبير بأن الكذب على الروح القدس كذب على الله مساواة بين الاثنين ، كما نقول في قوله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ، دون أن يدل ذلك على أن أحدهما هو الآخر .

وقصارى الأمر في مثل هذه التعبيرات : أن كلاً من الروح القدس والرسول مبلّغان عن الله ، فطاعتهما طاعة لله ، والكذب عليهما كذب على الله .

---

(1) فقرة ٣ ، ٤ .

(2) القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد ص ٨٩ .

(٣) ويقولون : اذا كان الروح القدس هو الله فهو الرب أيضا . ومما ورد في ذلك ماجاء على لسان بولس من قوله :

" وأما الرب فهو الروح ، وحيث روح الرب هناك حرية ، ونحن جميعا ناظرون مجد الرب بوجه مكشوف ، كما في مرآة نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد ، كما من الرب الروح ".(١)

نقول :

لو كان المقصود في هذا النص ربوبية الروح ، لأخبر بها عنه ، لكن التعبير جاء على العكس من ذلك ، فأخبر عن الرب بالروح وكما سبق أن ذكرنا فإن هذا يحمل على الروحانية التي هي ضد الجسمانية .

(٤) أما عن أزلية الروح القدس ، وسرمديته ، فيستشهدون عليها بما جاء على لسان بولس :

" فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي ."(٢)

(٥) ليس هذا فحسب ، بل إن روح القدس يحمل نفس الصفات التي يحملها الاله الأب ، فاذا كان الله (الأب) عالما بكل شئ ، فالروح القدس كذلك ، بل وأعلم من الله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومما يستشهدون به في هذا المجال ماجاء على لسان بولس من قوله :
فأعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله ،

---

(١) رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس ٢ : ١٧ ، ١٨ .

(٢) رسالة بولس الى العبرانيين ٩ : ١٤ .

لأن مَنْ مِنْ الناس يعرف أمور الانسان الا روح الانسان الذى فيه هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد الا روح الله ." (١)

هذا الكلام من بولس تصوير لعقيدته الباطلة التى أدخلها على المسيحية ، وليس كلاما مسندا الى الله أو الى المسيح ، ولا عجب أن يقول بولس هذا وأكثر منه عن الروح القدس ، وليس أدل على بطلان كلامه هنا من قوله أن روح القدس أعلم من الله أو أن له سلطانا على الله، فكلامه تصوير لعقيدته وليس دليلا، ولا ينبغي أن يكون دليلا لغيره على صحة تلك العقيدة .

(٦) ويستدلون كذلك على ألوهية روح القدس بألوهية المسيح من ذلك ماجاء فى انجيل متى :

"كل طبيعة وتجديف يغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ، ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له . . ." (٢)

ويقولون تعليقا على ذلك :

" يبدو أن كلمة "التجديف" فى ذاتها يصعب تطبيقها الا فى حالة إدراكنا أن روح القدس أقنوم إلهي ، له كيانه الشخصي ، وعمله الواضح . والتأكيد على أن التجديف على الروح خطية لا تقبل الغفران فى مقابل التجديف على ابن الانسان، إنما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك لاهوت الروح القدس ، مادمنا قد قبلنا لاهوت المسيح ." (٣)

---

(١) رسالة بولس الى أهل كورنثوس ٢ : ١٠ ، ١١ .

(٢) ١٢ : ٢٨-٣٢ .

(٣) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن بإله واحد جـ ١ ص ٧٢ .

ونتساءل : هل معنى هذا أن المسيح عندهم ليس بإله ، مادام الكلام في حقه يغفر ، ولا يعتبر تجديفا ؟

الواقع أن التجديف يكون في حق الإله ، وفي حق غيره من الملائكة والأنبياء ، فلا دلالة فيه على ألوهية روح القدس ، وكيف يفرق بين اللاهوتيين في زعمهم بأن يغفر الكلام في حق أحدهما ولا يغفر في حق الآخر ؟

ثم ان ألوهية المسيح عقيدة باطلة - كما قدمنا - فإذا كانوا يقيمون ألوهية روح القدس على أساسها فإنها هي الأخرى تكون باطلة ؛ لأن مايقوم على الباطل باطل مثله .

(٧) وكذلك ماجاء في انجيل يوحنا من قول المسيح :

" وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد "(١)

يقولون :

" ان كلمة (بارقليط) أو (المعزي) يمكن ترجمتها الى محامي أو مدافع .

أما كلمة (آخر) فيقصد بها الآخر من نفس النوع .

ومعنى ذلك :

أن البارقليط الآخر هو من نفس جوهر وطبيعة الأول ، والأول المقصود في هذه الفقرة هو ربنا يسوع المسيح . فإذا كان يسوع هو رب الكل ، والروح القدس هو المعادل الآخر الذي سيحل مكانه ، فلاشك أنه أيضا هو رب الكل وهو أقنوم إلهي هو الله . . . "(٢)

---

(١) ١٤ : ١٦ .

(٢) القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن بإله واحد ج ١ ص ١٠٦ .

ونقول : كيف يكون المسيح هو رب الكل في نفس الوقت الذي يكون فيه الروح القدس هو رب الكل أيضا . ثم إن في هذا القول الاستدلال على ألوهية روح القدس بألوهية المسيح ، فإذا كانت ألوهية المسيح باطلة -كما ذكرنا- كان ما أقيم عليها باطلا ، وليس تفسيرهم للمعزي أو الفارقليط بالروح تفسيرا صحيحا - كما سيأتي - وإذا كان النص السابق قد عبّر عن المعزي بالآخر ، فليس شرطا أن يدل هذا الوصف على التعادل بينه وبين المعزي الأول في الطبيعة بل في المهمة فكلاهما رسول "المسيح والروح" وهما يبلغان عن الله ، ومن ثَم ساغ التعبير بالمعزي الآخر هذا إذا صح القول بأن المقصود بالمعزي الآخر هنا هو روح القدس بينما الصحيح أن المعزي الآخر أو الفارقليط هو محمد صلى الله عليه وسلم -كما سبق- من أن الفارقليط تعني لغويا عندهم مايشتق من مادة الحمد .*

(٨) وجاء في البركة الرسولية - حسب تعبيرهم - على لسان بولس قوله :

" نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم ."(١)

ويقولون تعليقا على ذلك :

" لعل ما يثير الاهتمام بالأكثر هو الترتيب الذي وردت به هذه البركة ، فقد اعتدنا الاشارة إلى الثالوث الأقدس باسم الأب والابن والروح القدس على هذا الترتيب . فالأب الأول ، والابن الثاني ، والروح القدس الثالث في ثالوث الله .

---

* أنظر / صفحة ١٣٢ / ١٣٤ من هذه الرسالة .

(١) رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس ١٣ : ١٤ .

هذا الفكر فى التقديم والتأخير لا يتفق مع فكر الكتاب المقدس ؛ لأنه في تدبير الله للخلاص أرسل الأب ابنه والروح القدس[١] ، كما أرسل الابن أيضا الروح القدس[٢]. الاّ أن هذا لا يجب أن ينسينا تلك الحقيقة التى سبق الوصول اليها من أن الأقانيم متساوية في القدرة والمجد ."[٣]

ونحن نقول :

هذه البركة الرسولية المزعومة مبنية على عقيدة التثليث التى سيأتي إبطالها ، وليس فى الجمع فيها بين الله والمسيح والروح القدس مايدل على التساوي بينهم في درجة الألوهية المزعومة ، بل ولا في معاني البركة التى تكمن فى ذكرهم ، وانما هو جمع بين المرسِل ورسله ، ولكل منهم -بطبيعة الحال- حقيقته ودرجته الخاصة به ، واذا كانت المعاني الدينية تأتي من قبلهم ، وساغ الجمع بينهم بهذا الاعتبار ، فإنها تأتي من قبل كل منهم بحسب درجته -كما قلنا- على اختلاف مايكون بين المرسِل ورسله ، وليس على وحدة مزعومة بينهم فى الطبيعة والماهية .

(٩) وأما أنه نسب الى الروح القدس ما نسب الى الله -حسبما يدعون- فالأمثلة على ذلك كثيرة أيضا -كما يقولون- منها :

أ - قول بولس : "كل كتاب هو موحى به من الله "[٤]

وقال بطرس : " تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس."[٥]

---

(١) أنظر رسالة بولس الى أهل غلاطية ٤ : ٤-٦ .

(٢) أنظر انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦ .

(٣) القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص١١٩ .

(٤) رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس ٣ : ١٦ .

(٥) رسالة بطرس الثانية ١ : ٢٠، ٢١ .

ويقولون تعليقا على هذين النصين :

هانحن نرى في هذين النصين أن أولهما نسب الوحي الى الله ، والآخر نسبه الى الروح القدس .[١]

ب - ومنها ماجاء في الرسالة الى العبرانيين من قولهم :

"إن الله كلم الآباء بالأنبياء ".[٢]

وقولهم : " وإن الرب إله اسرائيل تكلم بفم أنبيائه القديسين ".[٣]

وقال بطرس عن الأنبياء : " باحثين أي وقت ،أو ما الوقت الـذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم ... ".[٤]

وقال بولس : " الذى في أجيال أخرى لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح . ".[٥]

ويقولون تعليقا على هذه النصوص :

إن " إلهام الأنبياء منسوب في هذه الآيات تارة الى الله ، وأخـرى الى الروح . ".[٦]

جـ - ومنها ماجاء في انجيل يوحنا :

" كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة ".[٧]

---

(١) علم اللاهوت النظامي جـ١ ص٣٦٤ (المؤلف مجهول الاسم) .

(٢) ١ : ١ .

(٣) انجيل لوقا ١ : ٦٨ - ٧٠ .

(٤) رسالة بطرس الأولى ١ : ١١ .

(٥) رسالة بولس الى أهل أفسس ٣ : ٥ .

(٦) علم اللاهوت النظامى جـ١ ص٣٦٤ (المؤلف مجهول الاسم) .

(٧) رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٩ .

وقال أيضا : " المولود من الروح هو روح "[١]

ثم قالوا : " في هذه الآيـة نسب الى الروح القدس ما نسب الى الله "[٢]
وهكذا أصبح الروح القدس بموجب هذه التعبيرات إلها وربا وأقنوما متميزا - كما يزعم النصارى - بعد أن كان مجرد ملك من الملائكة أو قوة روحانية إلهية - كما كانت عليه العقيدة النصرانية الصحيحة في أول الأمر - وليس فيما تقدم ما يدل على ذلك ، فالوحي من الله وهو تبليغ روح القدس الى أنبيائه . وقد ينسب الوحي مرة الى الله باعتباره مصدرا له ، والى روح القدس باعتباره مبلغا . وكذلك قد ينسب الفعل الواحد الى الروح القدس باعتباره سببا مباشرا ، والى الله باعتباره خالق الأسباب والمسببات ، ومانح قوة السببية في الموجودات . فليس في نسبة شيء من ذلك اليهما ما يدل على أن أحدهما هو الآخر .

وهكذا يتبين لنا أن كل ما استشهدوا به على عقيدتهم الباطلة بألوهية روح القدس لا دلالة فيه ، وانهم تعسفوا في تأويله حتى يدل على ما يزعمون ، وهو تعسّف ظاهر كما أوضحنا .

نقول كل هذا على فرض صحة ما ذكروه من هذه الأقوال ، وانها جاءت من الله أو على لسان جبريل والمسيح - عليهما السلام - فكيف وليس هناك دليل قاطع - كما قلنا من قبل - على صحة هذه الأقوال .

---

(١) انجيل يوحنا ٣ : ٦ .

(٢) علم اللاهوت النظامي جـ ١ ص ٢٦٤ (المؤلف مجهول الاسم) .

ب - ابطال ابن تيمية لشبهات النصارى على عقيدتهم بألوهية روح القدس.

يقيم ابن تيمية الأدلة على بطلان عقيدة النصارى بألوهية روح القدس وذلك من خلال رده على شبهاتهم التي يستدلون بها على تلك الألوهية ، وهي شبهات متداعية - كما سنرى - لا تثبت أمام النقد العلمي النزيه .

ويلخص ابن تيمية عقيدة النصارى بألوهية روح القدس بما يذكره عنهم من قولهم :

"إن الثلاثة هي أسماء لمسمى واحد : الوجود والنطق والحياة هي اله واحد ورب واحد وخالق واحد لم يزل ولا يزال حيا ناطقا .

فالذات عندنا - أي عند النصارى - : الأب الذى هو ابتداء الاثنين .

والنطق : الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل .

والحياة : هي الروح القدس . . ."(1)

" . . . . . وهذه الأسماء لم نسمه بها نحن معشر النصارى من ذات أنفسنا ، بل الله سمى لاهوته بها ، وأدلتنا على ذلك كثيرة ."(2)

ويقصد النصارى بتلك الأدلة ما أخذوه من نصوص التوراة والانجيل والقرآن مما يرون فيه - بزعمهم - الدلالة على ألوهية روح القدس من الكتب المقدسة ، وقد استعرضها ابن تيمية وأبطل دلالتها (المزعومة) وقد تناثرت هذه الشبهات والردود خلال صفحات كثيرة من كتاب الجواب الصحيح وفي مواضع متعددة ، وتحت عناوين مختلفة ، ويمكن تجميع تلك الشبهات والردود من مظانها في الكتاب المذكور وتنسيقها على النحو الآتي :-

---

(1) الجواب الصحيح جـ٢ ص١١٢ .

(2) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢١ .

١ - إبطال شبهاتهم من التوراة :

من الشبهات النقلية التى أوردها ابن تيمية على ألسنتهم - ما ينقلونه من التوراة دليلا على ألوهية روح القدس :-

أ - قولهم : قال الله تعالى على لسان بينه موسى مخاطبا بنى اسرائيل :-

" فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر* ظلمة،وروح الله يرف على وجه المياه ." (١)

ومعنى ذلك حسب اعتقادهم - أن روح الله " اشترك مع الله فى خلق العالم" (٢)

ويقولون - تعسفا - : "ان كلمة " الروح " فى الآية المذكورة تعني روح الذات الالهية ؛ الاله الثالث ، أقنوم الروح القدس" (٣)

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله : " هذا الدليل الذى استدللتم به موجود فى السفر الأول (سفر الخليقة) فى أوله ، لما ذكر الله أنه فى البدء خلق السموات والأرض ، وأنه كانت الأرض مغمورة بالماء ، وكانت روح الله ترف على الماء أخبر أنه كان الماء فوق التراب ، والهواء فوق الماء ، وروح الله هى الريح التى كانت فوق الماء . وهذا تفسير جميع الأمم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارى . (٤)

---

* الغمر المياه الكثيرة .

(١) سفر التكوين ١ : ١ ، ٢ .

(٢) أديان العالم / حبيب سعيد ص ٠ ١٣ .

(٣) أنظر الأرشيد باكون نجيب جرجس / تفسير الكتاب المقدس (سفر التكوين) ص ٥٠

(٤) أنظر ص ٤٣٠ من رسالتنا . وقد أكد لنا الدكتور الشيخ أحمد حجازى السقا فى كتابه أقانيم النصارى ص ٤٢ بأن العبارة كانت مكتوبة " ريح الله " إلاّ أن النصارى أبدلوها ب " روح الله " ليصلوا الى مبتغاهم .

ولفظ الكلمة العبرية " رُوّح " بضم الراء وتشديد الواو وهى الروح ، والريح تسمى روحا وجمعها أرواح ، ولم يرد بذلك أن حياة الله كانت ترف على الماء، فإن هذا لا يقوله عاقل ،لأن حياة الله صفة قائمة به لا تفارقه ، ولا تقوم بغيره ، فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره فضلا عن أن ترف على الماء ، والذى يرف على الماء جسم قائم بنفسه ، وهذا إخبار عن الريح التى كانت تتحرك فوق الماء."(١)

ب - ومن شبهاتهم ما ينقلونه على لسان داود النبى :

"لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى"(٢)

ويبطل ابن تيمية استدلالهم بهذه الشبهة فيقول :

" هذا دليل على أن روح القدس التى كانت فى المسيح من هذا الجنس (الموجود فى داود وغيره) فعلم أن روح القدس لا خصوصية للمسيح فيها ، بل هي وباتفاقهم أنها حلت فى داود وفى الحواريين وفى غيرهم وليس للمسيح خصوصية فى ذلك ، وإلاّ فيلزم على قولهم : إن روح القدس هى حياة الله ، ومن حلت فيه يكون لاهوتا ، يلزم على قولهم هذا أن يكون كل هؤلاء الذين حلت فيهم روح القدس فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح -عندهم- وهذا خلاف اجماع المسلمين واليهود والنصارى ، حيث إنهم متفقون على أن داود وغيره عباد لله عز وجل وإن كانت روح القدس فيهم . فكذلك المسيح عبد لله وإن كانت روح القدس فيه . فما ذكرتموه عن الأنبياء هو حجة عليكم لأهل الاسلام ولا حجة لكم."(٣)

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢٤ .

(٢) مزامير داود مزمور ٥١ : ١١ .

(٣) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢٤-١٢٥ بتصرف ، وانظر كذلك المرجع نفسه جـ٢ ص٦٨-٦٩ وص٢٠٢ / ٣٠٤ وكذلك جـ١ ص٢٥٥-٢٥٨ .

جـ - وكذلك من شبهاتهم مايتقلونه على لسان داود -عليه السلام -أيضا من قوله تعالى - حسب زعمهم-:-

" بكلمة الله تشددت السموات والأرض وبروح الله فاه جميع أفواههن "(١)

ويتولى ابن تيمية الرد عليهم فيقول :-

" هذه (العبارة) " وبروح فاه جميع أفواههن " سواء كانت حقا أو باطلا لا حجة لكم فيها ، لأنه إن أريد بها حياة الله فإثبات حياة الله حق ، وداود لم يسم حياة الله روح القدس -كما زعمتم - وإن أريد بها شيئا غير حياة الله ، لم تنفعكم ، فأنتم ادعيتم حياة الله روح القدس حتى قلتم مراده في الانجيل بقوله : "عمدوا الناس باسم الاب والابن والروح القدس" هو " حياة الله" وادعيتم أن الأنبياء سموه بذلك ، ولم تذكروا نقلا عن الأنبياء أنهم سموا حياته روح القدس بل ذكرتم عنهم مايوافق مافي القرآن أن روح القدس ليس المراد بها حياة الله ، ولو قدّر أن هذا اللفظ استعمل في هذا وهذا ،لم يتعين أن المسيح أراد بقوله : " روح القدس " حياة الله ، فكيف اذا لم يستعمل في كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حياة الله قط ."(٢)

د - ومما يستدلون به في عقيدتهم عن روح القدس ، ما ورد على لسان أيوب النبي من قوله :

" روح الله خلقني وهو يعلمني "(٣)

---

(١) مزامير داود ٣٣ : ٦ .

(٢) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢٧ .

(٣) سفر أيوب ٣٣ : ٤ والصيغة الواردة فيه هي : " روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني " .

ويقولون : إن روح الله خالق ، وحيث إن الاله خالق، إذن روح القدس اله.

ويبطل ابن تيمية شبهتهم هذه ، فيقول - موجها كلامه للنصارى - :

" قولكم هذا لا حجة فيه ، لأنكم ادعيتم أن الأنبياء سمت حياة الله روح القدس وهذا لم يقل روح القدس ، بل قال : روح الله ، وروح الله يراد بها الملك الذى هو روح اصطفاها فأحبها ، كما قال فى القرآن :-

(فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا .) (١)

فقد أخبر أنه أرسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا ، وتبين أنه رسوله ، فعلم أن المراد بالروح ملك ، وهو روح اصطفاها فأضافها إليه كما يضاف إليه الأعيان التى خصها بخصائص يحبها ، كقوله : (ناقة الله وسقياها) (٢)

وقوله : (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) (٣)

وقوله : (عينا يشرب بها عباد الله) (٤)

والمضاف الى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة ، وان كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقا مملوكا مضافا الى خالقه ومالكه ، لكن الاضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميّزُبها عن غيره حتى استحق الاضافة .

وكما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم : (بيت الله) و (ناقة الله) و (عباد الله) . ، كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها : (روح الله) ، . . .

واذا كان كذلك فهذا اللفظ إن كان ثابتا عن النبى وترجم ترجمة صحيحة فقد يكون معناه : إن الملك صورني فى بطن أمي وهو يعلمني ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) سورة مريم آية ١٧-١٩ .
(٢) سورة الشمس آية ١٣ .
(٣) سورة الحج آية ٢٦ .
(٤) سورة الانسان آية ٦ .

قال : (اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . . .) الحديث[1] ولا يجوز أن يريد به أن حياة الله خلقتني وتعلمني ، فإن الصفة لا تخلق ولا تعلّم ، وانما يخلق ويعلم الرب الموصوف الذى خلق الانسان من علق ، ولكن هو سبحانه يخلق بواسطة الملائكة فإن الملائكة رسل الله فى الخلق فجاز أن يضاف الفعل إلى الوسائط تارة وإلى الرب أخرى ، وهذا موجود فى الكتب الالهية فى غير موضع كما فى القرآن . (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها .)[2]

وفى موضع آخر : (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)[3]

وفى موضع ثالث : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)[4]

والجميع حق ، فإذا وجد لفظ له معنى فى كلام بعض الأنبياء ، ولم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم ، كان حمله على ذلك المعنى أولى من حمله على معنى يخالف كلامهم ، ولا يوجد فى كلامهم أن حياة الله تسمى روحا ، ولا أن صفات الله تخلق المخلوقات ."[5]

---

(١) رواه مسلم من حديث حذيفة بن اسيد الغفارى ج ٤ ص ٢٠٣٧ كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته حديث (٣) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٣) سورة الأنعام آية ٦١ .

(٤) سورة السجدة آية ١١ .

(٥) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٧ ١-١٢٩ .

٢ - إبطال شبهاتهم من الانجيـــل :-

تلك هي أدلتهم من التوراة على ألوهية روح القدس ، وتلك هي ردود ابن تيمية عليهم . ونراهم الآن يحاولون الاستدلال على ذلك أيضا بما ورد في الانجيل فيقولون :

إن مايدل على أقنومية الروح القدس وألوهيته وتميزه قول المسيح -عليه السلام- لتلاميذه الأطهار :

"اذهبوا الى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس الله واحد ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (1)

إن الروح القدس في هذا النص حقيقة تشكل أحد أقطاب الثالوث المسيحي، وهـــو كذلك على قدم المساواة مع القطبين الآخرين : الاب والابن، في أن الدخـــول في النصرانية يكون بعد تعميد الناس بهؤلاء الثلاثة معا ، فها هو المسيح - حسب قولهم - قد نص على أن روح القدس ومعه الأب والابن كلهم الله واحد ، لذا فـــإن روح القدس اله أيضا . حيث لم يقل بأسماء بل "باسم".

ويتولى ابن تيمية الرد على استدلالهم هذا فيقول :

"إن دليلكم هذا هو عمدتكم على ماتدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يـــدل على ذلك لا نصا ولا ظاهرا . فان لفظ روح القدس لم يستعمل قط في الكـــتب الالهية في معنى صفة من صفات الله ، ولم يسم أحد من الأنبياء حياة الله التي هـــي صفته روح القدس، ولا أرادوا ذلك ، وانما أرادوا بروح القدس ماينزله على الصديقيـــن والأنبياء من الوحي والهدى والتأييد . وهو يراد به الملك -كما قلنا - ويراد بـــه مايجعله في القلوب من الهدى والقوة ، ومنه قوله في بعض النبوات : وفي تلـــك

---

(1) انجيل متّى ٢٨ : ١٩ .

الأيام "أسكب من روحي على كل قديس" وفى زبور داود :
" روحك الصالح يهديني فى أرض مستقيمة " يوضح هذا أنهم قالوا فى أمانتهم :
" الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ." .
وذكروا أن ذلك فى الكتب المقدسة ، والذى فى الكتب المقدسة لا يكون الا حقا ، ولا ريب أن فيها مثل مافى القرآن ، وفى القرآن أن الله أرسل روحه الى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح -عليه السلام- قال تعالى :
(ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا . .)[1]
وهذا الروح هو الرسول ، كما قال : (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا)[2]
فالمسيح مخلوق من هذا الروح ، ومن أمه مريم كما قالوا فى الأمانة : "إنه تجسد من مريم ، ومن روح القدس" ، لكن اعتقدوا أن روح القدس التى خلق المسيح منها ومن مريم هى " حياة الله " ، وهذا ليس فى الكتب مايدل عليه ، بل الكتب كلها صريحة فى نقيض هذا ، وهو أيضا مناقض لقولهم : إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة وهو العلم ، ويلزم من ذلك أن يكون المسيح أقنومين : أقنوم الكلمة وأقنوم الحياة .
والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون : إن المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة لا أقنوم الحياة ، فتبين تناقضهم فى أمانتهم ، وتبين خطأهم فيما فسروا به كلام الأنبياء ، حيث إنهم حملوا كلام الأنبياء فى لفظ روح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه ، وتركوا حمله على المعنى الموجود فى كلامهم ، فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء ولا أرادوه به ، ويترك حمله على المعنى المعروف الذى يستعملونه فيه دائما . وهل هذا الا من فعل من يحرّف

(١) سورة التحريم آية ١٢ .
(٢) سورة مريم آية ١٩ .

كلام الأنبياء ويفتري الكذب عليهم ؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمد وهم باسم الأب الذى يريدون به فى لغتهم الرب ، والابن الذى يريدون به فى لغتهم المربّى ، وهو هنا المسيح ، والروح القدس الذى أيّد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك ، وبهذا فسّر هذا الكلام من فسّره من أكابر علمائهم ."(١)

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص١٣١ / ١٣٤ بتصرف قليل .
وانظر كذلك مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٤ .

٣ - ابطال شبهاتهم من القـــــرآن :-

ولم يكتف النصارى بالاستدلال على ألوهية الروح القدس من كتابهم المقدس، بل نراهم يلجأون الى القرآن الكريم ويتعسفون في فهم الآيات وبيان دلالتها علـــى مزاعمهم تعسفا شديدا . ومن ذلك استدلالهم -كما يقول ابن تيمية - بقوله تعالى : (ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ..)[1] الآية يقولون : أي بحياة الله .

ويرد ابن تيمية على استدلالهم هذا مبينا سوء فهمهم فيقول :

" قول الله هذا مما لا ريب فيه،ولا حجة لكم فيه ، بل هو حجة عليكم ، فإن الله أيّـــد المسيح عليه السلام بروح القدس ، كما ذكر ذلك في هذه الآية وفي غيرها[2]، وهـــذا ليس مختصا بالمسيح ، بل قد أيد غيره بذلك ، وقد ذكروا هم أنه قال تعالى علـــى لسان داود - عليه السلام - : " روحك القدس لا تنزعه مني "[3]

وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : ("اللهم أيده بروح القدس")[4]

وقال له أيضا : (روح القدس معك ما دمت تنافح[5] عن نبيه)[6]

---

(١) المائدة / ١١٠ .

(٢) أنظر سورة البقرة آية ٨٧ ، ٢٥٣ .

(٣) مز ٥٠ : ١١

(٤) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الشعر في المسجد جـ ١ ص١٢٢ / ١٢٣ .

(٥) ينافح : يدافع ويناضل "أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٦ ص١٦ ٤ كتـــاب فضائل الصحابة .

(٦) صحيح مسلم جـ ١٦ ص٤٨ / ٤٩ ٤ كتاب فضائل الصحابة وقد رواه مسلم بلفظ : "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله" والمقصود بروح القدس جبريل عليه السلام .

وقد روى مسلم عن البراء بن عازب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول لحسان بن ثابت : (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك) صحيح مسلم جـ ٦ ص١٦ ٤

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس كما حلت في جميع الأنبياء ، وروح القدس في هذه الآية وفي غيرها من الآيات المماثلة لم يرد منه الا جبريل - عليه السلام - وهذا باتفاق المفسرين ، بل هذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم ، ودليل هذا قوله تعالى : (وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل - قالوا : إنما أنت مفتر ، بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)(١) ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله، ولا أن اللفظ يدل على ذلك، ولا استعمل فيه، وذلك لأن قوله تعالى : (وأيدناه بروح القدس) يمتنع أن يراد بها حياة الله ، فإن حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره ، ولا تختص ببعض الموجودات دون غيره وأما عندهم فالمسيح هو الله الخالق ، فكيف يؤيد بغيره ، وأيضا فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة فلا يصح تأييده بها .

فتبين أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة في تفسير المتشابه من الكتب الالهية من جنس واحد ."(٢)

ويذكر ابن تيمية عن النصارى استدلالهم أيضا من القرآن الكريم على صدق دعواهم لألوهية الروح القدس وأنها حياة الله وذلك بقوله تعالى :
(ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..)(٣) الآية .

---

(١) سورة النحل آية ١٠١ ، ١٠٢ .
(٢) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٣٨ ، ١٤٠ بتصرف .
وأنظر كذلك مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٤ .
(٣) سورة التحريم / آية ١٢ .

حيث قالوا : إن المراد من "(روحنا)" حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى .

ويرد عليهم ابن تيمية مبينا فساد استدلالهم فيقول :

"إن قوله تعالى: (فنفخنا فيه من روحنا) هذا قدفسره قوله تعالى :

(فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا)[1]. فأخبر أنه رسول الله إليهـا وروحه ، وأنه تمثل لها بشراً ، فعلم أن روحه مخلوق مملوك لله تعالى ، ليس المراد حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى فاستدلالكم مردود وباطل"[2]

ويتساءل ابن تيمية ـ مستنكرا القول بألوهية روح القدس ـ قائلا :

مَنْ مِنْ الأنبياء قال : إنه لم يكن الله بلا روحه قط ، أو أن روحه صفة لله قديمة؟

وَمَنْ مِنْ الأنبياء سمى حياة الله روحه ؟ ومن الذى جعل لله روحا قديمة أزلية . ؟

وهل هذا الاّ افتراء على الأنبياء؟

فكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ماينزله الله علـى أنبيائه وأصفيائه من الوحي والهدى والتأييد ، فيقال :

روح الله ، كما يقال : نور الله وهدى الله ووحي الله . . . الخ فليست روح اللـه صفة قائمة به ولا بغيره ولكنها أمر بائن عنه .

ولم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة لله لا جوهرية ولا غير جوهرية ، ولا قديمـة ولا غير قديمة ولا أرادوا بذلك حياة الله ، ولا مايريده الانسـان

---

(١) سورة مريم / آية ١٧-١٩ .

(٢) الجواب الصحيح /جـ ٢ ص ١٤١ بتصرف قليل .

بقوله : " روحي "(١)

فتسمية حياة الله روحا وادعاء أن الأنبياء أرادوا ذلك هو افتراء على الله وعلى رسله .

وأيضا دعواكم أن روح القدس معناها روح الله الجوهرية (أي حياته القديمة الأزلية)، أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه وهو تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله ، وقد عدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه الى معنى لا يدل عليه اللفظ ألبتة ، بقولكم : إنها صفة لله قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها . "(٢)

يضاف الى ذلك :

أن " لفظ روح القدس قد جاء في حق غير المسيح - عندكم - حتى الحواريين عندكم يقولون : ان المسيح قال لهم : إن روح القدس تحل فيكم ، وتقولون أنتم عن القديسين : أن روح القدس تحل فيهم ، وأنها حلت كذلك في داود وغيره من الأنبياء ، بل وفي الصديقين كلهم . فإذا كان الابن وروح القدس يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت وجب أن يكون كل من الحواريين لاهوتا وناسوتا ، وكذلك الأنبياء فيكون النبي لاهوتا وناسوتا ، لأنه قد سمى عندكم ابن الله ونطقت فيه روح القدس ، لاسيما وأنتم قلتم في الأمانة : إنه روح ممجد ومسجود له وناطق في الأنبياء .

---

(١) " الانسان مركب من روح وبدن ، وفي بدنه بخار يخرج من القلب، ويسري في بدنه ، وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيه، فإذا قيل : روح الانسان فقد يراد بها الروح التي مع البدن ، وقد يراد بها البخار اللطيف الذي في البدن ، وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف البدن ويدخل منه . والله تبارك وتعالى - باجماع المسلمين واليهود والنصارى - ليس هو روحا وبدنا كالانسان ، بل هو سبحانه أحد صمد لاجوف له، ولا يدخل فيه شئ لا بخار ولا هواء مترددد وقد يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة والله تعالى حي له حياة لكن ليس روح القدس حياة الله " أنظر ابن تيمية الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٤٧ / ٢٤٨ .

(٢) هذا الكلام جمع من أماكن متفرقة في الجزء ٣ من كتاب الجواب الصحيح من ص٦٠ / ٦١ وكذلك ص٦٣ ، ١٨٢ .

وجماع القول : أن ما يوصف به المسيح - عندكم - من كونه ابن الله ، وكون روح القدس حلت فيه ، وكونه مسيحا ، كل ذلك موجود في حق غير المسيح عندكم ، فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ ، وانما يوجد اختصاصه بلفظ "الكلمة" وكونه تجسد من روح القدس ، وهذا هو الذي خصه به القرآن . قال تعالى : (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه)(1)

فهذا هو الذي خصه به القرآن وهو الذي خصته به الكتب المتقدمة "(2)

" وقولكم " : إن الروح خالقة والله الذي هو الأب خالق والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم .

فكما أن مريم أمه فالروح الخالقة حينئذ بمنزلة أبيه ، وأيضا : فمريم لها اتصال بالأب وبروح القدس وكلاهما أب للمسيح على ما ذكرتموه وهو باطل ."(3)

ثم قال :

" فتبين أن العارف كلما تدبر ما قالته الأنبياء ، وما قاله أهل البدع من النصارى وغيرهم لم يجد لهم في كلام الأنبياء (الا) ما يدل على (صحة) نقيض ضلالهم (لا) ما يدل على (صحة) ضلالهم ."(4)

---

(1) سورة النساء آية ١٧١ .

(2) هذا الجواب تم جمعه من جـ ٣ ص ١٩٦ / ١٩٨ وكذلك جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(3) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٥٦ / ٦١ بتصرف .

(4) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٤٨ .

ج - التعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة النصارى فى ألوهية روح القدس

بعد أن قدمنا ردود ابن تيمية على عقيدة النصارى فى روح القدس، نحب أن نضيف أن هذه العقيدة ليست عقيدة غير دينية صحيحة فحسب ، وإنما هى مستقاة من عقيدة لها جذورها التاريخية فى الوثنيات القديمة مما يؤكد بطلانها .
ولو ذهبنا نستقصى الجذور الأصلية لعقيدة روح القدس لوجدناها تتصل اتصالا وثيقا بعقيدة التثليث لدى المسيحيين ، وهى جزء منها ومكملة لها وبدونها لا يستقيم التثليث .

لذا فإن البحث عن الجذور الحقيقية لهذه العقيدة ما هو فى الحقيقة إلا بحث عن أصل عقيدة التثليث . وهذه لها مكانها من الرسالة . لكن قد جاء فى كتاب الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ما يفيد باعتقاد بعض الأمم القديمة بألوهية روح القدس وتصويره على هيئة طائر .

ومما جاء فى هذا الكتاب ما نصه :

"إن سكان الجزائر فى الأقيانوس عبدوا الهاً مثلث الأقانيم .
فيقولون : الإله الأب ، والإله الابن ، والإله روح القدس . ويصوّرون روح القدس بهيئة طير ."(١)

وعند الهنود : "أن الأقنوم الثالث هو فى صفته المظلمة (المهلك) ، وفى صفته الحسنة (المعيد) ويعبرون عنه بصورة حمامة ، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن

---

(١) ص١٦٩ نقلا من الأستاذ / محمد طاهر التنير عن كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٣١ .

الاعادة والخلق الجديد[1] وهو الروح الذى يرف على وجه الماء ....."[2]

" ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا . واذ كان يصلي انفتحت السماء ونـــزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة ."[3]

وقد ذكر (مالفير) فى كتابه المطبوع فى باريس عام ١٨٩٥م والذى ترجمـــه الى العربية (نخلة شفوات) عام ١٩١٢م بأنه قد ذكر فى الكتب الهندية الدينيـــة القديمة التى ترجمت الى اللغة الانجليزية عن عقيدة الهنود القدماء مايلي :

" نؤمن ب (سافسترى) (أى الشمس) اله ضابط الكل خالق السموات والأرض ، وبابنه الوحيد (آني) (أى النار) نور من نور مولود غير مخلوق مساوٍ للأب فى الجوهر، تجسد من (فايو) (أى الروح القدس) فى بطن مايا العذراء . ونؤمن ب (فايو) الروح المنبثق من الأب والابن الذى هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد ."[4]

---

(١) جاء فى الزبور فى المزمور ١٠٤ : ٣٠ مايفيد أن الروح يخلق ويجدد " ترســـل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض ." .

(٢) الأستاذ / محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٢١ .

(٣) انظر انجيل لوقا ٣ : ٢١-٢٢ .
وانظر كذلك مرقس ١ : ٩ ، ١٠ .
ومتى ٣ : ١٦ .

(٤) نقلا عن / ابراهيم سليمان الجبهان مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عـــن النصرانية والتبشير ص٤٨/ ٤٩ . وقد ذكر المؤلف أنه استقى هذا النـــص من كتاب المسيحية للدكتور احمد شلبى ، ولم يشر الى الصفحة التى أخذه منها، وقد فتشت عن النص فى كتاب الشلبى المذكور بطبعتيه (٥ ، ٦) فلم أجـــده، لكن وجدتــه فى كتاب (الله واحد أم ثالوث) لمحمد مجدى مرجان ص٨١ .
وكذلك في كتاب / محمد الغزالي : التعصب والتسامح بين المسيحيـــة والاسلام ص ١٠٠ ، ١٠١

وهى الصيغة ذاتها التى اتخذت فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م - كما سبق - تعبيرا عن العقيدة الايمانية بألوهية الأب والابن والروح القدس وجاء فى تاريخ البوذية أن "بوذا المخلص قد عمّد، وحين عمادته فى الماء، كان روح الله حاضرا، وهو لم يكن الاله العظيم فقط، بل وروح القدس الذى فيه صار تجسد كوتاما لما حلّ على العذراء مايا." (١) وهى العمادة عينها التى وردت فى الأناجيل فى حق عيسى - عليه السلام - حيث جاء فيها أن "يوحنا المعمدان عمد يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة، وهو لم يكن الاله العظيم فقط، بل والروح القدس الذى فيه تم تجسده عندما حلّ على العذراء مريم، فهو الأب والابن وروح القدس*." (٢)

وبعد .... فهذه هى الجذور الأصلية لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس، ولعل فى بياننا لها، وكيف أنها مستقاة بنصها من تلك الجذور التاريخية الوثنية - لعل فى ذلك مايدل على أنها ليست حقيقة دينية صحيحة، وانما هى تحريف للعقيدة المسيحية طرأ عليها من تأثرها الواضح بالعقائد الوثنية.

❖❖

---

(١) انظر بيل: تاريخ البوذية ص١٧٧ نقلا عن الاستاذ محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص١٥٣.

* اشارة الى ماجاء فى انجيل يوحنا (١: ٣٢، ٣٣).

(٢) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص١٥٣.

٢ - خصائص روح القدس في الكتاب المقدس ودلالتها على بطلان ألوهيته :

وإذا كان تصور المسيحيين لروح القدس على أنه إله - كما قدمنا - فقد رأينا أنه ليس هو التصور الوحيد له في المسيحية ، بل كان هناك المؤمنون بملائكيته المنكرون لألوهيته . وقد رأينا آنفا كذلك أن القول بألوهيته أثر من آثار الوثنيات القديمة في الديانة النصرانية ، وليست استشهادات النصارى على ألوهية روح القدس من الكتاب المقدس استشهادات باطلة فحسب - كما رأينا من قبل - بل على النقيض من هذا تزخر الأناجيل بتعبيرات متعددة تكشف عن خصائصه وأعماله بما ينقض القول بألوهيته ، وتؤكد العقيدة الصحيحة في روح القدس التي يعتقدها القائلون بأنه مخلوق وليس بإله ، والتي كانت موجودة قبل أن يستقر الأمر في العقيدة المسيحية على الاعتقاد بأقنوميته وألوهيته فالروح القدس يعبر عنه غالبا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بلفظ روح ، روح القدس ، روح الله روح الرب ، روح يسوع المسيح ... الخ[1] ولا تدل على مايزعمونه من ألوهية روح القدس ، وكونه أقنوما ثالثا في الثالوث المقدس. فمع تسليم صاحب اظهار الحق بترادف هذه الألفاظ - على زعمهم - فانه ينكر أن استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث، ويرى أن كل من له شعور ما بكتب العهدين يعرف أن هذه الألفاظ تستعمل في غير الأقنوم الثالث كثيرا . ويسوق الدليل تلو

---

(١) أنظر المزمور ٥١ : ١٠-١١ وأشعياء ٤٠ : ١٣ ، ونحميا ٩ : ٢٠ .
وانظر كذلك انجيل متى ٣ : ١٦ ، ومرقس ١ : ٧-٨ ، وأعمال الرسل ٥ : ٩ ، ورسالة بولس الى أهل فيلبي ٢ : ١ ، ١ : ١٩ . وغيرها كثير .

الآخر على صحة قوله ، ومن ذلك ما ورد في التوراة من قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال -عليه السلام- هكذا :

" فأعطي فيكم روحي "(١) . ففي هذا القول روح الله بمعنى النفس الانسانية الناطقة لا بمعنى الأقنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم .

وما جاء في رسالة يوحنا الأولى :

" نحن من الله ، فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ، من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال ."(٢)

فروح الحق هنا بمعنى الواعظ الحق الصادق ، لا بمعنى الأقنوم الثالث ، وروح الضلال بمعنى الواعظ المضل .(٣)

وقد ذكرنا في أول هذا الفصل استعمالات أسفار العهد القديم لكلمة روح القدس أو روح الله ، ولم نجد فيها أن هذه الكلمة استعملت بمعنى الألوهية . بل ان هناك علماء مسيحيين عاشوا حتى بعد كتابة آخر الأناجيل المعتمدة لديهم ، لم يكونوا يعتبرون بشكل من الأشكال كون الروح القدس الها أو أقنوما متميزا . منهم العالمان المسيحيان اللذان عاشا في القرن الثاني الميلادي وهما :

" جوستان (١٠٠-١٦٧م) ، وبتوفيل (١٢٠-١٨٠م) كانا يعتبران الروح القدس تارة كشكل خاص لمظهر الكلمة ، وتارة كصفة من صفات الله ، ولكنهما لم يعتبراه قط شخصا الهياً ." (٤)

---

(١) حزقيال ٣٧ : ١٤ .

(٢) ٤ : ٦

(٣) الشيخ رحمة الله الهندي جـ٢ ص٤٣٢-٤٣٤ بتصرف .

(٤) د . محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص٦٥٤ .

وأيضا فإن الأناجيل مليئة بتعبيرات كثيرة عن روح القدس ، وما تنسبه اليه من أوصاف وأعمال ومن خلال تلك التعبيرات عن روح القدس وما تنسبه اليه الأناجيل من الأوصاف والأعمال يمكننا أن نتعرف على العقيدة المسيحية الصحيحة فيه قبل أن يستقر الأمر عند المسيحيين على القول بربوبيته .

فالروح القدس في الأناجيل هو الروح التي جعلها الله في الانسان ، أو هو القوة الروحانية الفائقة التي يختص الله بها بعض الناس كالأنبياء والصالحين ، وتكون مصدر مايقومون به من أفعال خارقة ، وتعتبر بذلك مناط فضيلتهم على غيرهم ، أو هو الملك الذى ينزل بالوحي والالهام على الأنبياء والصالحين دون أن يظهر لهم بشخصه ، أو متمثلا في صور أخرى ، أو هو وحي الله وشريعته ، أو روح يسوع المسيح او المعزي الذى بشر به المسيح .... الخ .

فأما التعبير بروح القدس عن الروح الانساني ، فقد ورد في رسالة كورنثوس الأولى مانصه :

"كل خطية يفعلها الانسان هي خارجة عن الجسد ، لكن الذى يزني يخطئ الى جسده . أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله ."(٢)

---

(١) د . محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص٦٥٤ .

(٢) ٦ : ١٨-٢٠ .

وأما ماجاء في التعبير بروح القدس عن القوة الروحانية التي يختص الله بها بعض الناس كالأنبياء والصالحين ، وتكون مصدر أعمالهم الفائقة ، ومناط فضيلتهم على غيرهم من الناس - أما ماجاء من ذلك فمنه : قول المسيح - عليه السلام - كما في انجيل لوقا : "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس ، وكان يقتاد بالروح في البرية ."(١)

وجاء في ذلك أيضا : " ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل "(٢)

وورد أيضا في هذا المعنى عن زكريا - عليه السلام -:

" وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس "(٣) أي من قوة الله الملهمة .

" وامتلأت اليصابات من الروح القدس "(٤)

وقد ورد التعبير بروح القدس عن ملاك الرب الذى أرسله الله الى مريم ليبشرها بميلاد المسيح - عليه السلام - ومما جاء في ذلك :

" أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا ، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا : يايوسف ابن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ."(٥)

---

(١) ٤ : ١

(٢) انجيل لوقا ٤ : ١٤ .

(٣) انجيل لوقا ١ : ٦٧ .

(٤) انجيل لوقا ١ : ٤١ .

(٥) انجيل متى ١ : ١٨ - ٢٠ .

وكذلك يعبّر بروح القدس في الأناجيل عن المسيح نفسه ، ومما جاء في ذلك :

" لأني أعلم أن هذا يؤول الى خلاص بطلبتكم ، ومؤازرة روح يسوع المسيح "(١)

وروح القدس في الأناجيل أيضا هو ملك الوحي الذي ينزل بالوحي والالهام على الأنبياء ، وفي ذلك يقول بطرس :

" لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس ."(٢)

وهو نفس المعنى الذي اعترف به المسيح -عليه السلام- عن الوحي في قوله :

" .. لأن داود قال بالروح القدس ."(٣)

وقد جاءت الكلمة الأخيرة عن روح القدس في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م بأنه هو الناطق في الأنبياء . ونصها كما يلي :

" ... ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب ، ممجد ومسجود له وناطق في الأنبياء ."(٤)

وهذا الناطق في الأنبياء ما هو الا جبريل -عليه السلام- أمين الوحي ورسول الله الى رسله .(٥)

وعيسى -عليه السلام- من أولي العزم من الرسل ، وهو أحق بالتأييد

---

(١) رسالة بولس الى أهل فيلبي ١ : ١٩ .

(٢) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢١ .

(٣) انجيل مرقس ١٢ : ٣٦ .

(٤) انظر ص ٤٤٢ من هذا الفصل عند الكلام عن دور المجامع في تأييد عقيدة ألوهية روح القدس.

(٥) عبد الشكور محمد أمان : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ص١٢٧ (رسالة ماجستير) عام ١٣٩٦هـ.

من الله بروح القدس . قال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)[1].

وقد ينزل هذا الملَك بالالهام على الصالحين والبررة الأتقياء من غير النبيين كما نزل على رجل عرف بالتقوى والصلاح من أهل أورشليم يدعى سمعان ، وفي ذلك يقول الانجيل :

" وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان ، وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه ، وكان قد أوحي اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب فأتى بالروح الى الهيكل ."[2]

وملَك الوحي والالهام الذى يعبرون عنه بروح القدس قد يقتصر أمره على الوحي والالهام دون الظهور ، وقد يظهر بشخصه كما في الفصل الأول من انجيل لوقا ، حيث ورد فيه تفصيل لظهور الملك جبريل لمريم ، وتبشيره اياها بولد ، ومحاورتها في ذلك . ومنها : أنها سألته عن كيفية ذلك ، فقال لها : "الروح القدس يحل عليك ". وفي هذا الفصل من الانجيل نفسه أن اليصابات أم يحيى امتلأت من الروح القدس ، وبذلك حملت بيحيى بعد أن كانت عاقرا . قال لوقا :

" وفي الشهر السادس[3] أرسل الملاك جبريل من قبل الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود ، واسم العذراء

---

(١) سورة البقرة ٢٥٣ .

(٢) انجيل لوقا ٢ : ٢٥-٢٧ .

(٣) أى الشهر السادس من حمل اليصابات بيحيى .

مريم ، فلما دخل اليها الملاك قال : السلام عليك يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى أن يكون هذا السلام . فقال لها الملاك : لا تخافي يامريم ، فانك قد نلت نعمة عند الله وهاأنت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، وهذا سيكون عظيما ، وابن العليّ يدعى . وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه ، ويملك على آل يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء ، فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك ، وقال لها : إن الروح القدس يحلّ عليك ، وقوة العليّ تظللك ؛ ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله .

وهوذا اليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هاأنا أمة الرب ، فليكن لي بحسب قولك ، وانصرف الملاك من عندها . »[1]

ونحن نلحظ من خلال هذه النصوص أنها تدل على أن عيسى خلق بواسطة روح القدس وكان خلقه آية ، وأن يحيى خلق كذلك ، وكان خلقه آية من وجه آخر ، اذ كان أبوه شيخا كبيرا ، وأمه عاقرا ، ولكن الواسطة والسبب واحد ، وهو الملك المسمى بروح القدس .

" وما هذا الملك الا مخلوق خلقه الله ، واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيا من خلقه أو أمرا كونيا . »[2]

وقد يكون ظهور روح القدس باعتباره ملكا من الملائكة ظهورا رمزيا ، حيث يتمثل في

---

(١) ١ : ٢٦-٣٨ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٣٤ .

شخص مخلوق آخر كحمامة بيضاء ، أو ريح عاصفة ، أو ألسنة من اللهب . ومما جاء في ذلك : ما ذكره لوقا في انجيله :

" ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا ، وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة . . . "(١)

ومما ورد في هذا الشأن قولهم :

" ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت ، حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا . "(٢)

وقد جاء التعبير بروح القدس في الأناجيل عن شخص تنبأ بقدومه المسيح - عليه السلام - ليخلفه في تبليغ رسالة الله وعبرت عنه الأناجيل ب (المعزي) ومما جاء في ذلك :

" وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ، ويذكركم بكل ما قلته لكم . "(٣)

وليس للمسيح خصوصية في ذلك ، بل هو مساو لغيره في هذه الروح من ذلك ما جاء في كتبهم :

قال يسوع لتلاميذه : " إن أباكم السماوى يعطى روح القدس الذين يسألونه "(٤)

---

(١) ٣ : ٢١-٢٢ . وانظر كذلك انجيل مرقس ١ : ٩-١٣ ، وانجيل يوحنا ١ : ٣٢-٣٤ .
(٢) أعمال الرسل ٢ : ١-٤ .
(٣) انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦ وكذلك ١٥ : ٢٦-٢٧ .
(٤) انجيل لوقا ١١ : ١٣ .

وفى التوراة قال الله لموسى -عليه السلام - :

" اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التى عليك فيحملوا عنك ثقل هذا الشعب ففعل ، فأفاض عليهم من روحه فثبتوا لساعتهم ."[1]

وفي العهد القديم أن روح الله حلت على دانيال "[2]

وفى التوراة أيضاً أن موسى -عليه السلام - لما توفى امتلأ يوشع خادمه من الروح القدس ، لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه .[3]

فقد استوى المسيح مع من ذكرنا فى تشريفه بهذه الروح .[4]

ويظهر من تتبعنا لتلك التصورات التى ذكرناها هنا - ولما سبق أن ذكرناه فى بياننا لمفهوم روح القدس فى الكتاب المقدس أول هذا الفصل - يظهر من ذلك كله أن روح القدس فى كل هذه التعبيرات كائن مخلوق محدث ، فهو اما روح انسانى أو قوة روحانية الهية يخلقها الله فى الانسان ، أو ملاك يكون مصدرا للقوة أو للوحي أو للالهام أو للخوارق وهو فى كل ذلك لا يخرج عن كونه مخلوقا . فهو لا يوصف بأى أوصاف الهية ولا تسند اليه أعمال الهية كذلك ، وهذا أمر طبيعى ، وهذا هو التصور الصحيح لروح القدس.

وعلى هذا ينبغي حمل جميع نصوص الكتاب المقدس التى وردت بشأنه دون التعسف فى تأويلها بجعلها دالة على ألوهيته ، بينما هى فى الواقع لا تحمل هذه الدلالة -كما ذكرنا من قبل- بل ويتضمن الكتاب المقدس ما ينقضها كما رأينا هنا .

---

(١) سفر العدد ١١ : ١٦-١٨ .
(٢) سفر دانيال ٦ : ٣ .
(٣) سفر التثنية ٣٤ : ٩ .
(٤) أبو الفضل المالكى المسعودى : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل . (مخطوطة) ص٢٤ .

٣ - تناقض عقيدة ألوهية روح القدس مع العقـــل :-

اتضح لنا من خلال هذا الفصل بطلان مايراه النصارى من أن اعتقادهم بألوهية روح القدس اعتقاد ديني يرجعون فيه الى نصوص الكتاب المقدس، بـــل على العكس من هذا بينا كيف أن نصوص الكتاب المقدس انما تدل على نقيـــض ما يعتقدون ، وهو أن روح القدس مخلوق وليس باله ، وقد تعقب ابن تيميـــة -كما رأينا من قبل- شبهاتهم التي يستقونها من كتابهم المقدس فأبطل استدلالهم بها . وبهذا اتضح ماقلناه من أن هذه العقيدة ليست عقيدة دينية صحيحـــة كما يزعمون -بل اتضح لنا كيف أنها عقيدة مستقاة من المصادر الوثنية ليـــس بحقيقتها فقط ، بل وبالألفاظ التي تعبر عنها .

وفي هذا المقام نضيف الى ماقدمناه بيان تناقض هذه العقيدة مع العقـــل واستعصائها على الفهم، وأنها بتناقضها هذا لا ينبغي أن تكون عقيدة يعتقد هـــا المتدينون بها .

وليس القول بتناقض هذه العقيدة مع العقل هو قولنا فقط ، ولكنه اعـــتراف علمائهم بذلك وان كانوا يكابرون فلا يعدون ذلك مانعا من اعتقادهم بها كعقيـــدة ايمانية، وان استعصى عليهم فهمها أو ظهر لهم تناقضها مع العقل .

وبعد أن يحدثنا الأستاذ (يسى منصور)-المسيحي المتعصب- عن أزليـــة الروح القدس وسرمديته وتميزه في أقنوميته ، وأنه وحدة أقنومية غير أقنوم الأب ، وغير أقنوم الابن ، لكنه مساو لهما في السلطان والمقام ،ومشترك وايا هما في جوهر واحـــد، ولاهوت واحد . بعد هذا الشرح المستفيض عن لاهوت روح القدس، يعود فيقـــرر أن "هذا سر عظيم ، أعلنه الكتاب المقدس ويقبله العقـــل ، وان يكن فوق العقل".(1)

(١) كتاب رسالة التثليث والتوحيد ص٥٤ نقلا عن محمد مجدى مرجان/كتاب اللـــه واحد أم ثالوث ص١١٦/١١٧ .

وها هو القس وهيب عطا الله يعترف بتناقض عقيدة التجسد عموما سواء كانت تجسد الله في المسيح أو تجسد المسيح من الروح ، ويصف هذه العقيدة بأنها متناقضة عقلا وحسا ومع ذلك هم مطالبون بقبولها حتى ولو كانت غير معقولة .

يقول في ذلك :-

"إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا ."(1)

وهذان وغيرهما كثير ، صادقون في أقوالهم هذه ، وماداموا أنهم قد طوعوا نصوص العهد القديم والجديد ، بل وآيات القرآن الكريم -كما رأينا- حسبما تمليه عليهم أهواؤهم لتشهد لهم بأقنومية الروح القدس وألوهيته ، لا عجب بعد ذلك أن يؤمنوا بعقيدة ليست فائقة للادراك العقلي فقط بل مناقضة للعقل .

وليت الأمر توقف بهم عند هذا الحد ، بل انهم اعترفوا اعترافا تاما بعدم ادراكهم لمسألة انبثاق روح القدس ، وأنها عويصة جدا . . .

هذه المسألة التي رأينا كيف أنه ترتب عليها انقسام الكنيسة الأم جغرافيا وعقديا ، ولعن بعضهم البعض . وهذا كله راجع الى عدم وجود مصدر أصلي صحيح يستقون منه عقائدهم التي يعتقدونها . ومن أقوالهم في عدم ادراكهم لمسألة الانبثاق هذه ماجاء في كتاب علم اللاهوت النظامي من قولهم :-

"إنها (أي مسألة الانبثاق) فوق ادراكنا ، ولذلك يتعذر علينا تفسيرها . . . . . وبما أن هذه المسألة عويصة جدا ، ويتعذر على العقل البشري ادراكها ، فلا يليق

---

(1) كتاب طبيعة السيد المسيح ص١٨ نقلا عن الدكتور / أحمد شلبي / المسيحية ص١٣٩ ط٥ .

بكل من الشرقيين والغربيين أن يحكم الفريق الواحد منهم على الآخر بالا رتقة[1] لعدم موافقته اياه في مذهبه في مسألة الانبثاق ...»[2]

ويؤكدون اعترافهم هذا باعتراف آخر فيقولون :-

" وعندنا أن ما يهمنا هو اعتقاد أقنومية الروح ولاهوته ، ومساواته للأب والابن في الجوهر ، وان الجزم بالانبثاق هل هو من الأب وحده أو من الأب والابن معا ليس في طاقتنا ، لأنه من الأسرار غير المعلنة لنا بالوضوح ، ولذلك حكمنا في هذه المسألة انما هو من باب الترجيح .»[3]

واذا كانت هذه اعترافات المسيحيين بتناقض عقيدتهم هذه مع العقل والمنطق ، وأنها من أسرار ديانتهم التي لا يمكن معرفتها في الوقت الحاضر، ويرجئون ذلك الى يوم الكشف عن البصائر - كما يقول الدكتور احمد شلبي .

- نقول : اذا كانت هذه هي اعترافاتهم هم أنفسهم على ما يعتقدونه ، فمن باب أولى أن نجد من المسلمين من يؤكد هذا التناقض شاء المسيحيون أم أبوا .

وها هو الامام القرافي في أجوبته يخبرنا أن القول بتجسد الروح القدس يؤدي الى انقلاب الحقائق ، وانقلاب الحقائق محال لما فيه من التناقض . فيقول :-

" الروح القدس - عند النصارى - هو حياة الله تعالى - ، وتجسد المسيح منها يقتضي انقلاب الحقائق ، حيث يلزم أن تكون المعاني أجساما ، والصفات موصوفات، وفي هذا قلب للحقائق فإن الحياة معنى من المعاني كالارادة والعلم ، وصيرورة الحياة جسدا كصيرورة اللون رائحة ، والطعم حركة ، والأعراض أجساما ، وذلك

---

(1) أي الهرطقة .

(2) جـ ١ ص ٣١٢، ٣١٤ (المؤلف مجهول الاسم) .

(3) علم اللاهوت النظامي جـ ١ ص ٣٧٠ .

كله محال ، فالقول بتجسد الروح القدس محال ."[1]

لكن ما الذي حدا بالمسيحيين وألجأهم الى تأليه الروح القدس ، ولا سند لهم لا من العقل أو الدين .

سبق منا القول أن عقيدة تأليه روح القدس عقيدة دخيلة على الديانة المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله . والواقع الذى لا جدال فيه ،أن الذى قام بتثبيت هذه العقيدة لدى المسيحيين هو بولس وأشياعه ، حيث يدّعون أن عقيدة الخلاص من أدران الخطيئة هذه العقيدة - التى هى احدى دعائم دينهم - تحتم عليهم القول بألوهية روح القدس وقدرته على كل شئ ، وذلك لأنها تستلزم مقدسا ومحييا يخلق من الانسان انسانا آخر طاهرا مطهرا من الذنوب والآثام ، ولن يكون ذلك المقدس المحيى الخالق سوى روح القدس . وفى ذلك يقولون :

"إن عملية الخلاص تستلزم مقدسا ومحييا يخلق من الانسان الخاطئ انسانا جديدا فى البر وقداسة الحق ، ومقدسا يعيد للانسان الفاسد صورة القداسة المفقودة ، ومن يكون ذلك المقدس المحيى سوى كائن النهي قادر على كل شئ وهو الأقنوم الثالث فى اللاهوت أى روح القدس"[2]

والواقع أن هذه ليست العقيدة الباطلة الوحيدة التى أدخلها بولس على المسيحيين ، بل هى احدى أباطيله الكثيرة التى أفسد بها عقيدة النصارى بعد اعتناقه للنصرانية - كما رأينا - هذا من ناحية .

---

(١) الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة . بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص١٦٤ ط١ .

(٢) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص٢٧ ، ٢٨ .

ومن ناحية أخرى فإن الاعتقاد بالخطيئة الموروثة في بني آدم اعتقاد باطل ، فالخطيئة لا تورّث و (كل نفس بما كسبت رهينة)[1] ومن ثم يبطل ما يرتّبه النصارى على هذه العقيدة من الاعتقاد بضرورة خلاص بني آدم من هذه الخطيئة الموروثة عن طريق الروح القدس الاله أو عن طريق المسيح ، فالقول بألوهية روح القدس قول باطل ، لأنه يبني على عقيدة باطلة .

أما الدكتور أحمد شلبي فيرى أن : "المسيحيين انما قالوا بألوهية الروح القدس، لأنهم كانوا يريدون أن يدّعوا الصلة بالله ، وتلقي العلم منه ، فقالوا بألوهية الروح القدس وأنه ينزل عليهم ويمتلئون به ويعرفون بواسطته مالا يعرف البشر ، فأصبح الروح القدس بذلك ثالث الآلهة . ."[2]

وما فتئ هذا الروح - في زعمهم - حتى الآن يمد الكنيسة بالوحي ويقدم لها الارشاد في كل موقف وكل مشكلة عاصية ويدافع عنها وسيبقى كذلك الى الأبد وهو حي على الدوام .[3]

---

(١) سورة المدثر / آية ٣٨ .

(٢) المسيحية ص ١٣٠ ط ٥ .

(٣) يعلق الدكتور أحمد شلبي على تحريفهم هذا ، حيث يورد لنا التقاء الرئيس الأمريكي السابق ايزنهاور بالبابا في الفاتيكان عام (١٩٥٩ م) حيث إن البابا عندما أراد تحية الرئيس باللغة الانجليزية قرأها من رقعة لديه ، وكانت تحية قصيرة - يعلق الشلبي على هذا اللقاء وهذه التحية متهكما فيقول :- " ليت شعري لماذا لم يعلمه (أي البابا) روح القدس اللغة الانجليزية كما يقول لوقا بأن روح القدس علم في لحظات هؤلاء الرسل لغات لم يكونوا يعرفونها " مشيرا بذلك الى ماجاء في سفر أعمال الرسل (٢ : ١-٤) . أنظر (مقارنة الأديان) المسيحية ص ١٥٤ ط ٥ .

هذا بالاضافة الى أنه سبق وأن ذكرنا ادعاء المسيحيين نزول روح القدس على الحواريين والمسيحيين الأوائل بالتأييد والوحي ، وأنه هو المعزي الذي بشرهم المسيح بارسال الله له ليقوم معهم في هذه المهمة،وفي ذلك يقول يوحنا نقلا عن المسيح " وأما المعزي الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم ." (١)

وجاء في سفر أعمال الرسل : " ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة ، كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا ." (٢)

ومعنى هذا أنهم قالوا بألوهية روح القدس ليكون التأييد الذى يعتقدون أنهم يتلقونه منه تأييدا الهيا . وان كانوا في نفس الوقت يعترفون بأن تأييده لهم ، وتأثيره فيهم ، أمر فائق للعقل وان كان عليهم أن يؤمنوا به كعقيدة ايمانية.

جاء في كتاب علم اللاهوت النظامي :-

" ان الروح القدس ينير عقولنا ويرشدنا ويحثنا على كيفية لا نقدر أن ندركها مطلقا ، لأن تأثيره الالهي مقترن ومشترك مع عمل الارادة البشرية الحرة على كيفية تفوق ادراكنا ، وهو من أعمق أسرار الديانة المسيحية ." (٣)

---

(١) ١٤ : ٢٦ .

(٢) ٢ : ١-٤ .

(٣) علم اللاهوت النظامي جـ ١ ص ٣٧٩ .

وهكذا يؤمن المسيحيون بألوهية الروح القدس ، في الوقت الذى يقرون فيه بأنهم يؤمنون بشئ لا تدركه عقولهم، بل لا يدركون كيفية انبثاق الروح القدس من الأب والابن، ولا كيفية تأثيره فيهم ، وهو ما قدمناه من أن عقيدة القول بألوهية روح القدس عقيدة مناقضة للعقل ، ويعزّ على الادراك فهمها .

**

٤ - العقيدة القرآنية الصحيحة في روح القـــــدس :

قبل الكلام عن العقيدة الصحيحة في روح القدس ، كما يصورها القرآن ، نبين المعاني اللغوية لهذه الكلمة . ف(الروح) بالضم : النفس . وفي(التهذيب) قال أبو بكر الانباري : الروح والنفس واحد ، غير أن الروح مذكر ، والنفـــــس مؤنثة عند العرب . وفي التنزيل الحكيم :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)[1] .

وقال الفراء : "الروح هو الذي يعيش به الانسان ، لم يخبر الله تعالى به أحـــدا من خلقه ، ولم يعطِ علمه العباد .

ويسمى النفخ روحا ، لأنه ريح يخرج من الروح.[2] ومنه قول ذي الرمة[*] في نـــــار

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(٢) أنظر السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس جـ٢ ص١٤٧ فصل الراء من باب الحاء .

وانظر كذلك : ابن منظور : لسان العرب جـ٢ ص٤٥٩ دار صادر .

* ذو الرمة هو : غيلان بن عقبة العدوي المتوفى سنة ١١٧هـ وهو شاعـــر ولد بالدهناء ببادية اليمامة ، ومات بها . بدأ حياته الأدبية بالرجـــز ، ثم تحول الى الشعر . . . عشق البادية ، فسجل مشاهدها وظواهرهـــا في صورة حية مليئة بالبهجة والمشاعر يتفرد بها عن بقية الشعراء . وبرع فـــي التشبيه أكثر من غيره ، ولكنه لم يحسن المدح والهجاء والفخر فانحطـــت منزلته عن الفحول عند نقاد عصره ، ويكثر الغريب في شعره . . . وله ديـــوان مطبوع .

أنظر : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص٨٤٧ .

اقتدحها ، وأمر صاحبه بالنفخ فيها فقال :

فقلت له ارفعها اليك وأحيها *** بروحك واجعله لها قيتة قـــدرا.[1]

و "كلمة ريح من مادة (رِوَح) وأصلها : روح بكسر فسكون ، قلبت الواو يـــاء لوقوعها ساكنة بعد كسرة . وهي تجمع على رياح وأرياح باعتبار الحال وعلى أرواح باعتبار الأصل ."[2]

أما القدس فهو (الطهر) ، والقدس سيدنا جبريل -عليه السلام- كروح القدس. وفي الحديث (ان روح القدس نفث في روعي) يعني جبريل -عليه الســلام-؛ لأنه خلق من طهارة . وفي صفة* عيسى -عليه السلام- (وأيدناه بروح القدس)[3]

---

(١) معنى البيت: "ارفعها "أي النار ، " وأحيها بروحك "أي احيها بنفخــك ونفخ في النار نفخا قوتا ، واقتات لها كلاهما رفق بها . ثــم يقول : واجعل نفخك للنار قيتة . فيأمره بالرفق في النفخ القليل.
أنظر ديوان ذي الرمة . شرح الامام أبي نصر احمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي . برواية الامام أبي العباس ثعلب . حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح جـ٣ ص١٤٢٩ / ١٤٣٠ مؤسسة الايمان -بيروت- لبنان. وانظر كذلك : ابن منظور : لسان العرب جـ٢ ص٤٦٠ دار صادر.

(٢) ابن منظور : لسان العرب جـ٢ ص٤٥٥ .
وانظر كذلك : السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس جـ٢ ص١٤٨ فصل الراء من باب الحاء.

* أي جاء في حديث القرآن عن عيسى عليه السلام.

(٣) سورة البقرة آية ٨٧ ، ٢٥٣ .

معناه : روح الطهارة ، وهو جبريل -عليه السلام -."[1]

هذا هو المعنى اللغوى لروح القدس . واذا جئنا الى القرآن الكريم ، فإننا نجد كلمة الروح فيه قد استعملت في هذه المعاني المتقدمة في كتب اللغة،فقد وردت فيه بمعان عدة منها :

(١) بمعنى الوحي بوجه عام أو القرآن بوجه خاص .

(٢) بمعنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية .

(٣) بمعنى النصر والتأييد .

(٤) بمعنى جبريل عليه السلام .

فمن المعنى الأول : قوله تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره)[2]

وقوله : (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده)[3]

وقوله جل جلاله (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا)[4]

وقد سمي الوحي روحا ،"لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذى يحيا به جسد الانسان ."[5] قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها . كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون).[6]

---

(١) أنظر : الامام اللغوى السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس جـ ٤ ص٢١٣ فصل القاف من باب السين
وانظر كذلك : الفيروز أبادى : القاموس المحيط جـ ٢ ص٢٣٩ .

(٢) سورة النحل آية ٢ .

(٣) سورة غافر آية ١٥ .

(٤) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٥) أنظر : محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس جـ٢ ص١٤٧ فصل الراء من باب الحاء .

(٦) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ويقول الامام الرازى عند تفسيره لآية النحل الثانية (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) - يقول :

" اختلف الناس فى المراد بهذه الروح ، والصحيح : أن المراد من الروح هنا الوحى ، وهو كلام الله، ونظيره قوله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) ، وقوله : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) ...

ثم قال : والقرآن والوحي به تكمل المعارف الالهية ، والمكاشفات الربانية ، وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل ، والعقل به يكمل جوهر الروح ، والروح به يكمل حال الجسد . وعند هذا يظهر أن الروح الأصلي الحقيقى هو الوحى والقرآن ؛ لأنه به يحصل الخلاص من رقدة الجهالة ، ونوم الغفلة ، وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية الى أوج الملكية ، فظهر أن اطلاق لفظ الروح على الوحى فى غاية المناسبة والمشاكلة ." (1)

ومن المعنى الثانى للروح ، وهو القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية .

ففى قوله تعالى : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى) (2)

ومن هذه الآية يقول الامام الرازى :

" للمفسرين فى الروح المذكورة فى هذه الآية أقوال : أظهرها : ان المراد منه : الروح الذى هو سبب الحياة ." (3)

---

(1) الفخر الرازى (التفسير الكبير المجلد العاشر جـ ١٩ ص ٢٢٤ / ٢٢٥ ، وكذلك المجلد ١١ جـ ٢١ ص ٣٩ ، وكذلك المجلد ١٤ جـ ٢٧ ص ٤٥ / ٤٦ . وانظر كذلك : محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار المجلد الاول ص ٣٧٦ .

(2) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(3) الفخر الرازى : التفسير الكبير المجلد ١١ جـ ٢١ ص ٣٧ . وانظر كذلك الامام البيضاوى : تفسير القرآن الكريم ص ٢٤١ .

ويقول : " ونفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه ، كما قال تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى . . .) أى أحييته . . . ."[1]

أما مجيء الروح فى القرآن بمعنى النصر والتأييد ، ففى مثل قوله تعالى فى شأن المؤمنين المجاهدين : (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه)[2] أى بنصر وتأييد منه .

والمعنى الرابع لكلمة الروح هو جبريل -عليه السلام- وقد تعددت اسماؤه وصفاته وأعماله فى القرآن الكريم .

فمن أسمائه : (الروح) ، حيث عبّر عنه القرآن الكريم بكلمة الروح مجردة ، كما فى قوله تعالى : (تنزل الملائكة والروح فيها)[3]

وقوله جلّ جلاله : (تعرج الملائكة والروح اليه)[4]

حيث أجمع المفسرون على أن "المراد بالروح (فى هاتين الآيتين) هو الملك المسمى جبريل الذى ينزل على الأنبياء بالوحى والتأييد ، ومنه يستمدون الشرائع

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير المجلد ١١ جـ ٢٢ ص ٢١٨ .
وانظر كذلك الامام البيضاوى تفسير القرآن الكريم ص ٣٥٩ .

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢ .

(٣) سورة القدر آية ٤ .

(٤) سورة المعارج آية ٤ .

عن الله تعالى ."[1]

كما عبّر عنه القرآن بكلمة الروح مضافة الى لفظ القدس، قال تعالى :

(قل نزّله روح القدس من ربك بالحق)[2]

وقوله : (وأيدناه بروح القدس)[3]

وقوله : (اذ أيدتك بروح القدس)[4]

ويقول المفسرون فى ذلك :

" روح القدس جبريل -عليه السلام- أضيف الى القدس وهو الطهر ، كما يقال : حاتم الجود ، وزيد الخير، والمراد الروح المقدس.

أى أن جبريل نزل بالقرآن من ربك ليثبت الذين آمنوا . . ."[5]

---

(1) أنظر الفخر الرازى (التفسير الكبير) المجلد الثانى جـ٣ ص١٩٠/ ١٩١ والمجلد الثالث جـ٦ ص٢١٩ والمجلد ٦ جـ١١ ص١٣١/ ١٣٢، والمجلد ٢ جـ١٢ ص١٦٦ ، والمجلد ١١ جـ٢١ ص٤٠ ، والمجلد ١٦ جـ٣١ ص٢٤/ ٢٥ ، والمجلد ١٦ جـ٣٢ ص٣٤.
وأنظر كذلك : محمد رشيد رضا : تفسير المنار المجلد الأول ، والمجلد السابع ص٢٤٤.
وانظر كذلك : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ٦ ص٣٦٣، والزمخشرى : الكشاف جـ٢ ص٥٠٠، وابن كثير فى تفسيره جـ٣ ص٣٤٧ والبيضاوى فى تفسيره ص٣٨٣ وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٤٩٩، ٥١٥.

(2) سورة النحل / آية ١٠٢.

(3) سورة البقرة آية ٨٧، ٢٥٣.

(4) سورة المائدة / آية ١١٠.

(5) الفخر الرازى (التفسير الكبير) المجلد العاشر جـ٢٠ ص١١٨، وكذلك الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. جـ١ ص٢٩٤،
وانظر كذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٧ ص٢٨٤/ ٢٨٥.

وقد روى مسلم في صحيحه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت : (ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله)(١)

وروى أيضا عن البراء بن عازب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك)(٢).

وقد تضاف كلمة (روح) الى ضمير المعظمة ، كما في قوله تعالى حين نزل جبريل الى مريم بالبشارة بعيسى . قال تعالى :

(فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)(٣)

وقال جلّ جلاله : (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..)(٤) الآية .

وقال تعالى أيضا : (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا)(٥)

يقول الرازي :

" اختلف المفسرون في هذا الروح . فقال الأكثرون : انه جبريل -عليه السلام- . وقال أبو مسلم : انه الروح الذي تصوّر في بطنها بشرا . والأول أقرب؛

---

(١) صحيح مسلم جـ ١٦ ص ٤٨/٤٩ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١٦ ص ٤٦ .

(٣) سورة مريم / آية ١٧ .

(٤) سورة التحريم / آية ١٢ .

(٥) سورة الأنبياء / آية ٩١ .

لأن جبريل -عليه السلام- يسمى روحا .

قال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك)(١)

وسماه الله تعالى بروحه على المجاز ، محبة له ، وتقريبا . كما تقول لحبيبك روحى ....."(٢)

ويقول الزمخشرى عند تفسيره لقوله تعالى : (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا)(٣) معناه :

" وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل -عليه السلام- ؛ لأنه نفخ فى جيب درعها ، فوصل النفخ الى جوفها ."(٤)

وكما تعددت أسماء جبريل -عليه السلام- تعددت صفاته ، حيث وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة . فهو أمين الله على وحيه ، كما قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : (نزل به الروح الأمين على قلبك)(٥)

وهو رسول الله الى أنبيائه ورسله ، المنفذ لأوامره صاحب القوة والدرجة المكينة عند الله . قال تعالى :

(انه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين ...)(٦)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ / ١٩٤ .

(٢) (التفسير الكبير) المجلد الحادى عشر جـ ٢١ ص ١٩٧ .
وانظر كذلك الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جـ ٢ ص ٥٠٥ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٩١ .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جـ ٢ ص ٥٨٣ .

(٥) سورة الشعراء آية ١٩٣ / ١٩٤ .

(٦) سورة التكوير / آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات - :

" يعني أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ،أى ملك شريف ،حسن الخلق ، بهيّ المنظر. وهو جبريل عليه الصلاة والسلام ...

(مطاع ثمّ) أى فى السموات يعني ليس هو من أفناد[1] الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة .

(أمين) صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدا . ان الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكى (جبريل) ، كما زكى عبده ورسوله البشرى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : (وما صاحبكم بمجنون)[2] "[3]

ويقول صاحب الكشاف أيضا :

" ذى قوة كقوله تعالى : (شديد القوى ذو مرة) . ولمّا كانت حال المكانة على حسب حال الممكّن ، قال : (عند ذى العرش) ، ليدل على عظم منزلته ومكانته .

(ثمّ) اشارة الى الظرف المذكور ، أعني (عند ذى العرش) على أنه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين ، يصدرون عن أمره، ويرجعون الى رأيه .

وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبريل وفضله على الملائكة .

---

(١) الفِند بالكسر هو المنفرد من الجبال والجمع أفناد ، والفند النوع يقال جاءوا أفنادا أى أنواعا مختلفة والمقصود هنا (عامة) .
أنظر : الزبيدى / تاج العروس جـ٢ ص٤٥٤ فصل الفاء من باب الدال .

(٢) سورة التكوير / آية ٢٢ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٤٧٩-٤٨٠ .

وقرئ (ثم) تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة ."[١]

أما وظائف جبريل وأعماله فهي عديدة وعظيمة فهو المكلّف بنزول الوحي على الأنبياء ، وهو السفير بين الله وبين أنبيائه ورسله كما قال تعالى :

(نزل به الروح الأمين على قلبك)[٢]

وقال تعالى : (قل نزّله روح القدس من ربك بالحق)[٣]

وقال تعالى : (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ..[٤] الآية

قال الامام الرازي -عند شرحه لآية البقرة ٩٧-:

"الها في (انه) تعود على جبريل ، والثانية تعود على القرآن ، وان لم يجر له ذكر كالمعلوم ، كقوله : (ماترك على ظهرها من دابة)[٥] يعني الأرض."[٦] و

"اضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه ، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شئ من صفاته."[٧]

ومن أعماله أيضا : نزوله بالبشارة على مريم ، يبشرها بعيسى -عليه السلام- .

قال تعالى على لسان جبريل : (إنما أنا رسول ربك ، لأهب لك غلاما زكيا)[٨]

---

(١) الزمخشري جـ ٤ ص٢٢٤ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٣ / ١٩٤ .

(٣) سورة النحل آية ١٠٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٥) سورة فاطر آية ٤٥ .

(٦) التفسير الكبير المجلد الثاني جـ٣ ص٢١٢ .

(٧) البيضاوي : تفسير القرآن الكريم ص٣٩ .

(٨) سورة مريم / آية ١٩ .

"أى انما أنا رسول من استعذت به ، لأكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع".[1]
ومن أعماله كذلك : اهلاك الأمم ، حيث أنه "اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود ، وحملها على جناحه ، ورفعها الى السماء ، ثم قلبها ، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أقل من رجعة الطرف..."[2]

وقد تراءى جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فى صورته الحقيقية التى خلقه الله فيها مرتين : مرة حين استوى له فى الأفق الأعلى عند سدرة المنتهى ، ومرة رآه وهو فى الأرض حين فترعنه الوحي فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل .
وكان له ستمائة جناح . كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
(رأيت جبريل له ستمائة جناح)[3] هذا بالاضافة الى أنه كان يتمثل له فى صورة انسان فى بعض الأحايين ، حيث نزل مرة فى صورة " دحية بن خليفة الكلبى"[*] [4]

---

(١) الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جـ٢ ص٥٠٥ .
(٢) المرجع السابق جـ٤ ص٢٨ .
(٣) صحيح البخارى جـ١ ص٤ باب "كيف كان بدء الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم" .
* روى ذلك النسائى بسند صحيح من حديث ابن عمر .
(٤) أنظر ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص٢٢٠ قدم لها وعلق عليها وضبطها : طه عبد الرؤوف سعد .

كما نزل في صورة شخص شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثـــر السفر ، ولا يعرفه من الصحابة أحد ، وأخذ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلــم عن الايمان ، والاسلام ، والاحسان ، وعن أشراط الساعة . والصحابة يسمعـــون، كما جاء في حديث الايمان والاسلام(١)

هذه هي العقيدة الصحيحة في جبريل -عليه السلام - ، وفيها يتضـــح لنا أنه مهما بلغ من الصفات والمنزلة العظيمة عند الله ، فما هو الا مخلوق لله عــز وجل ، وأنه مهما بلغ من القوة ، فانما يستمد قوته من الله تعالى وهو عبد مأمـــور ينفذ ما أمره الله به، قال تعالى على لسان جبريل مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم: (وما نتنزل الا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا . . . .)(٢) الآية .

ليس هو ابن اله ، ولا يمثل أقنوما ثالثا من أقانيم الوحدة الالهية كما يزعم النصارى ، فذلك كله من غلو النصارى في عقيدتهم ، وانحرافهم فيها عن خط التوحيد الـــذى كانت تمثل فيه العقيدة النصرانية الصحيحة حلقة من حلقاته المتصلة منذ آدم -عليه السلام - الى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .



---

(١) أنظر صحيح البخارى / كتاب الايمان / الباب السابع والثلاثون باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلـــم الساعة وبيان النبى صلى الله عليه وسلم له . جـ١ ص١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة مريم آية ٦٤ .

الفصل الرابع

في

عقيدة النصارى بالتثليث وإبطال ابن تيمية لها

أ- تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى، وأدلتهم عليها:

١- التوحيد في النصرانية الصحيحة قبل انحرافها.
٢- النصرانية من التوحيد إلى التثليث.
٣- دور المجامع والأناجيل في تثبيت عقيدة التثليث.
٤- جوهر التثليث وخصائصه عند الفرق النصرانية.
٥- أدلة النصارى على عقيدة التثليث وبطلانها.

ب- إبطال ابن تيمية لعقيدة التثليث:

١- إبطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالتوراة.
٢- إبطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالأناجيل.
٣- إبطاله لاستدلال النصارى على عقيدة التثليث بالعقل وبيان تناقضها.
٤- إبطاله لدعوى النصارى للتوحيد مع قولهم بالتثليث.

جـ- التعقيب:

١- الجذور التاريخية لعقيدة التثليث النصرانية.
٢- البطلان العقلي لعقيدة التثليث.
٣- دلالة الكتاب المقدس على التوحيد.
٤- إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث.

(الفصل الرابع)

عقيدة النصارى بالتثليث وابطال ابن تيمية لها

أ ـ تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى، وأدلتهم عليها :

١ ـ التوحيد في النصرانية الصحيحة قبل انحرافها :

إن التوحيد هو دين الله الى البشر ، ويهتدي اليه أصحاب الفطرة السليمة ، والعقول الواعية (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين).[1]

لذا كان شعار الانبياء والمرسلين جميعا الى قومهم واحد . ألا وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، وافراده بهذه العبادة . قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون .) (٢)

وبهذا جاءت الانبياء تترا الى أقوامهم . يقول كل منهم الى قومه : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) .[٣]

والديانة المسيحية ـ كأى دين سماوى ـ جاءت تدعو قبل تحريفها الى توحيد الله ، وعبادته وحده ، ونفي الشريك عنه . فقد جاء عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل بالتوحيد الخالص ، فدعاهم الى عبادة الله وحده ، ونهاهم عن اتخاذ شريك معه .

وكان أول ماتكلم به عيسى ـ عليه السلام ـ وهو في مهده هو اثبات عبوديته لله تعالى ، حيث أجاب قومه الذين أنكروا على أمه حملها به ـ بما حكاه الله عنه في محكم تنزيله :

(قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ....)

---

(١) صحيح مسلم / باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . جـ ٤ ص ٢١٩٧ الحديث رقم ٢٨٦٥ .

(٢) سورة الانبياء / آية ٢٥ .

(٣) سورة الاعراف / آية ٥٩ .

ثم ختم اجابته لهم بقوله : (وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .) (١)

وقد افادت كتب التفاسير أن آية (وان الله ربي وربكم ..) جاءت على لسان عيسى - عليه السلام - وهي عطف على قوله: (اني عبد الله آتاني الكتاب) . كأنه قال: اني عبد الله ، وان الله ربي وربكم فاعبدوه .

وقال وهب بن منبّه : عهد اليهم حين أخبرهم عن بعثه ومولده ونعته: أن الله ربي وربكم . أى كلنا عبيد الله. (٢)

ويقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية :

" أى ومما أمر به عيسى - عليه السلام - قومه ، وهو في مهده أن أخبرهم اذ ذاك أن الله ربه وربهم ، وأمرهم بعبادته فقال: (فاعبدوه هذا صراط مستقيم.) (٣)

وقد بقى عيسى - عليه السلام - على اقراره بالتوحيد ، ودعوته له مذ كان في المهد الى أن صار نبيا ينادى قومه بقوله:

(يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) (٤)

وقوله مخاطبا بني اسرائيل :

(ومصدقا لما بين يدىّ من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم و جئتكم

---

(١) سورة مريم / آية ٣٦ .
(٢) انظر الفخر الرازى : التفسير الكبير ، المجلد ١١ جـ ٢١ ص ٢٢٠ .
(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٣ ص ١٢٠ .
(٤) سورة المائدة / آية ٧٢ .

بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(1)

بل حتى في يوم الحشر ، حيث أخبر الله - سبحانه وتعالى - بأنه سوف يسأل -وهو أعلم - عيسى عليه السلام ، في ذلك اليوم ، عما أحدثه قومه من تأليهه ، وتأليه أمه ، وهل هو الذى طلب من قومه ذلك ، فيجيبه عليه السلام بأنه مادعاهم الا الى توحيد الله - عزّ وجلّ - وعبادته وحده

قال تعالى : (وإذْ قَالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مريمَ أأَنتَ قلتَ للناسِ اتخِذُونى وأمي إلـهيْنِ مِن دُونِ اللهِ . قال سبحانَك مايكونُ لِي أنْ أقولَ ماليس لي بحقٍ إن كنتُ قلتُه فقد عَلِمتَه تعلمُ مافي نفسي ولا أعلمُ مافي نفسِك إنك أنت علاّمُ الغيوب ماقلتُ لهم إلاّ ماأمرتني به أنِ اعبدوا اللهَ ربي وربَكم وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شيْءٍ شهيد .)(2)

فدعوة عيسى - عليه السلام - كانت دعوة توحيد ، مثلها في ذلك مثل دعوة بقية الأنبياء والرسل جميعا ، من لدن نوح ، حتى خاتم الانبياء والمرسلين . ومع أن القرآن يعتبر أوثق مصدر لبيان عقيدة النصرانية الأولى كما جاء بها الانجيل ، وكما كان عليها المسيح -عليه السلام - والصالحون من أتباعه — مع ذلك ، ومع انحراف النصارى بعد ذلك عن التوحيد وقولهم بالتثليث ، فقد تضمنت أناجيلهم التي كتبوها جُملاً تدل على عقيدة التوحيد التي كان عليها عيسى -عليه السلام -وحواريوه ، وكذلك تضمن العهد القديم من دلائل التوحيد نصوصا كثيرة خلافا لما حاوله النصارى من استشهادهم بنصوص العهد القديم أيضا على التثليث .

وسوف نذكر بعض نصوص العهدين الدالة على التوحيد في أواخر هذا الفصل (3) مما له دلالته على أن النصرانية في حقيقتها الأولى كانت ديانة توحيد ، بل بقيت دلائل هذا التوحيد في كتبها ظاهرة حتى الان .

---

(1) سورة آل عمران / آية ٥٠ ، ٥١

(2) سورة المائدة / آية ١١٦ ، ١١٧

(3) انظر صفحة ٥٨١ - ٥٨٥ من هذه الرسالة .

٢ ـ النصرانية من التوحيد الى التثليث :

ولكن النصرانية بدأت تنحرف عن خط التوحيد الى عقيدة التثليث ، وذلك عند الجمهور الاعظم من النصارى .

وفي بياننا لمسيرة النصرانية بين التوحيد والتثليث ، ينبغي أن نشير هنا الى مافصّلنا القول فيه سابقا ، من بقاء عقيدة التوحيد عند بعض الأفراد ، والفرق ، والكنائس ، منذ المسيحية الأولى ، حتى وقتنا الحاضر ، وان ظل الموحدون منذ ذلك الحين موضع الحرمان والاضطهاد من الأغلبية المسيحية المثلثة . وقد ذكرنا من قبل أن عقيدة التوحيد ظاهرة في انجيل برنابا الحواري ، الذى ينكر ألوهية المسيح ، وكذلك عند أبيون وفرقته ، فقد تضمن انجيله النص على التوحيد ، وهو من الأناجيل غير المعتمدة ، وقد بقيت فرقته على ذلك حتى انقرضت في القرن الرابع . وأريوس الذى أعلن التوحيد ، واضطهد بسببه ، في مجمع نقية وظل كذلك هو واتباعه ، موضع الاضطهاد من الحكام ، والقساوسة المتسلطين بسبب عقيدته التوحيدية ، وقد ذكرنا من قبل كذلك أنّ خط الدعوة الى التوحيد ، ضمّ (أوريجانوس) الذى أعلن عدم تعدّد الاله ، وعدم تجزئته ، فحكم عليه بالحرمان ، وأحرقت كتبه . و(بولس) الشمشاطي بطريرك أنطاكية ، الذى أعلن وحدة الجوهر الالهي ، وأنه أقنوم. وطائفة الموحدين ، في بولونيا ، التي كانت موضع الاضطهاد بسبب توحيدها. وكذلك المصلح الأسباني (سرفينوس) الذى أحرق حيا عام (١٥٥٣م) بسبب اعلانه التوحيد ، وانكار التثليث . ولا يزال في الوقت الحاضر توجد بعض الكنائس التي تعلن التوحيد ، وتنكر التثليث ، في هولندا ، وانجلترا ، والمانيا والولايات المتحدة الامريكية [1] .

---

(١) انظر ص ٢٨٤ / ٢٨٥ من هذه الرسالة .

(٥٠٨)

ومن هذا العرض الموجز يتضح لنا أن التوحيد كان عقيدة النصرانية في عهدها الأول ، وظل كذلك عبر هذه القرون في قلوب القلة القليلة التي بقيت متمسكة بالعقيدة الصحيحة منكرة لهذا الانحراف الذي طرأ على المسيحية فأدخل عليها القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس باعتبارهما أقنومين من الأقانيم الثلاثة التي تشكل الثالوث المقدس عندهم .

٣ - دور الأناجيل والمجامع في تثبيت عقيدة التثليث :

ولقد بدأ هذا الانحراف عن خط التوحيد منذ حياة المسيح -عليه السلام- فكان هناك مَنْ ادعى بنوته لله ، ومَنْ ألّهه . ولهذا وجدنا برنابا يعلن على لسان المسيح براءته مِنْ دعوى الألوهية ، ومن القائلين بألوهيته ، مؤكدا عبوديته لله -تعالى- وبشريته حيث يروي عن عيسى -عليه السلام- قوله :

"اني أقشعرّ ؛ لأن العالم سيدعونني الها ، وعليّ أن أقدّم لأجل هذا حسابا ، لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته اني رجل فانٍ كسائر الناس."(1)

وجاء في الفصل الثالث والخمسين من انجيله قول المسيح -عليه السلام- :

"ليكن ملعونا كل من يدرج في أقوالي أني ابن الله."(2)

وحين نعت الاسرائيليون عيسى -عليه السلام- بأنه اله ، اشتاط غضبا ، ووصف ناعتيه بالضلال والمروق عن الدين . قال لهم :

"... . لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الاسرائيليون ؛ لأنكم دعوتموني الهكم وأنا انسان ."(3)

ويستمر عيسى -عليه السلام- في تبرئة نفسه من دعوى الألوهية التي ألصقوها به فيقول :

"أشهد أمام السماء ، وأُشْهِد كل شئ على الأرض ، أني برئ من كل ما قد قلتم ؛ لأني انسان مولود من امرأة فانية بشرية ، وعرضة لحكم الله ، مكابد شقاء الأكل والمنام ، وشقاء البرد والحر كسائر البشر ."(4)

---

(1) انجيل برنابا ٥٢ : ١٠-١٢ .

(2) فقرة ٣٥ .

(3) انجيل برنابا ٩٣ : ٢ .

(4) المرجع السابق ٩٣ : ٩-١٠ .

وقد بكى المسيح -عليه السلام- طويلا ، وحين استكثر عليه برنابا ذلك ، ذكر له السبب الذى ألجأه للبكاء فقال :

" . . . . لأنه لولم يدعني الناس الها لكنت عاينت هنا الله ، كما يعاين في الجنة ، ولكنت أمنتُ خشية يوم الدين ، بيد أن الله يعلم أني برئ ؛ لأنه لم يخطر لى فى بال أن أحسب أكثر من عبد فقير .

بل أقول : انني لولم أدع الها لكنت حملت الى الجنة عندما انصرف من العالم ، أما الآن فلا أذهب الى هناك حتى الدينونة ، فترى اذا كان يحق لى البكاء " .(١)

ولا ننسى دور بولس فى هذا الشأن ، حيث تضمنت رسائله الأربع عشرة التى كتبها بين سنتي ٥٤م ، ٦٥م عقيدة القول بألوهية المسيح ، وألوهية روح القدس ، وهى احدى أركان الثالوث المقدس فى العقيدة النصرانية .

فقد جاء فى الاصحاح الأول من رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس من قوله : "أنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح الذى سيثبتكم أيضا الى النهاية بلا لوم فى يوم ربنا يسوع المسيح . أمين هو الله الذى به دعيتم الى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا ."(٢)

وجاء أيضا على لسانه : "ربنا يسوع المسيح "(٣)

وقال أيضا : "لكن لنا اله واحد الأب ، الذى منه جميع الأشياء ، ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به ."(٤)

---

(١) انجيل برنابا ١١٢ : ٩-١٢ .

(٢) فقرة ٧-٩ .

(٣) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٤ .

(٤) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٨ : ٦ .

وورد في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس عن الروح القدس قوله : " وأمـــا الرب فهو الروح ... "(1)

وجاء أيضا قوله :

" فكم بالحري يكون دم المسيح الذى بروح أزلي قدّم نفسه لله . "(2)

لقد فصّلنا القول من قبل في دور بولس الخطير في انحراف المسيحية بما لا نريد اعادته هنا .(3)

ولكننا قصدنا بما ذكرناه هنا أن نقرر أن انحراف المسيحية عن خط التوحيـــد جاء بشكل واضح على يد بولس منذ العقود الأولى بعد رفع المسيح ؛ ولهـــذا انتشر القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس بين المسيحيين ، وظهر ذلـك في الأناجيل التى كتبت خلال هذه الفترة . وقد فهم الناس هذه الأناجيل حسبما شاع بينهم من عقائد حتى أنهم أوّلوا من نصوصها مالا يدل على عقائدهم حـــتى يجعلوها دالة على تلك العقائد ، وبهذا تكون عقائدهم ـ كما يريدون لهـــا ـ عقائد دينية مستمدة من نصوص كتابهم المقدس ، وليست انحرافات باطلة ، أو أثــرا لتأثيرات وثنية قديمة كما يتوهمون .

وأيا كان الأمر ، فقد جاءت المجامع لتثبت عقيدة النصارى القائلين بألوهيـــة المسيح ، والقائلين بألوهية روح القدس ، فجاء اعلان العقيدة الأولى بصفة رسمية في مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) ، وجاء اعلان العقيدة الثانية في مجمع القسطنطينية الأول سنة (٣٨١م) . وبذلك تأصلت ألوهية الثالوث المقدس في المجامع المسكونية،

---

(1) ٢ : ١٧ .
(2) رسالة بولس الى العبرانيين ٩ : ١٤ .
(3) راجع ص ٢٨٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

فلم تعد مجرد عقيدة يدور حولها الخلاف ، ولكنها أصبحت عقائد رسمية يدين لها الخاصة والعامة ومفروضة من قبل السلطان والبطارقة ، ويحكم على من يخالفها بالاضطهاد والحرمان .

وقد ذكرنا - فيما سبق - أن مجمع نيقية المنعقد عام (٣٢٥م) للقطع في خلاف البطارقة في شأن المسيح هل هو إله أم مجرد بشر رسول - ذكرنا أنهم قد انتهوا فيه الى تأليه المسيح ، وأنه إله حق من إله حق ، ومساوٍ لله في الطبيعة والجوهر . ولم يتعرضوا - في هذا المجمع - لتأليه روح القدس اطلاقا . حتى قامت دعوة جديدة تدعو إلى تأليه روح القدس ، وأنه رب خالق محيي مميت ، وأنه مع الأب والابن يمثّلون الأسرة الالهية الكاملة ، والكل (اله واحد) ، ويتزعم هذه الدعوة المؤلّهة لروح القدس بطريرك كنيسة الاسكندرية . وكان على الطرف المقابل أسقف القسطنطينية آنذاك (مقدنيوس) الذى يرى أن روح القدس مخلوق غير إله . وانتهى الأمر بهم بالدعوة الى عقد اجتماع لحسم هذا الخلاف بين الطرفين ، وكان ذلك عام (٣٨١م) في مدينة القسطنطينية ، حيث عقد المجمع وتمخضت قراراته عن الآتي :

(١) لعن مقدنيوس ، وكل من يقول مقالته .

(٢) اثبات أن روح القدس خالق غير مخلوق اله حق ، وأنه مع الأب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة .

وزادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا في مجمع نيقية قولهم :

" ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المميت المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والابن مسجود له وممجد وناطق في الأنبياء ."

وجاء في قرارات مجمع خلقيدونية المنعقد عام (٤٥١م) على شاطئ البسفور الأسيوى : "أن روح القدس إله ، وأن الأب والابن وروح القدس إله واحد ، بطبيعة واحدة ، وأقانيم ثلاثة ."[1]

وهكذا أصبح التثليث عقيدة ثابتة ، ومعلنة رسميا ، واعتنقتها الجماهير ، وذلك عندما تدخلت عصا السلطان ، وجبروته في فرضها على الناس ، وبالتالي أصبح هذا التثليث هو عقيدة الفرق المسيحية على اختلاف مذاهبهم ومنازعهم ، من نساطرة ، ويعاقبة ، وملكانية . فهم مجمعون على القول بالتثليث ، ومتفقون على أن "أقنوم الأب هو الذات ، وأقنوم الابن هو الكلمة وهي العلم ، وأقنوم الروح القدس هو الحياة ، وأنها لم تزل فائضة من الأب ."[2] ولكل واحد منهم حقيقة ذاتية .

وتبنت آراءهم الفرق المسيحية الحديثة (الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت) حيث أجمعت هذه الفرق على اعتقاد التثليث كعقيدة أساسية للديانة المسيحية ، وأعلنت أن كل منكر لهذا الثالوث هو كافر ؛ لأنه - في نظرهم - قد جرّد الله عن المحبة والسعادة ، حيث زعموا أن وحدانية الله المطلقة كفر ، وانتقاص للذات الالهية ، وأن التثليث هو الكمال لوجود المحبة والسعادة بين أفراد الأسرة الالهية[1] تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

◆◆

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٣ ص٢٢/ ٣٢ .
وكذلك ابن قيم الجوزية : اغاثة اللهفان جـ٢ ص٢٧/ ٢٧٧ .

(٢) سعد بن كونه اليهودى : تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص٥٢ .

(٣) أنظر : محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص١٧ ، ١٨ .

٤ - جوهر التثليث وخصائصه في العقيدة النصرانية :

وبعد أن عرضنا فيما تقدّم مسيرة العقيدة النصرانية في الله تعالى - من التوحيد الى التثليث ، نعرض هنا لبيان طبيعة الثالوث المقدس عند النصارى ، وطبيعة عمل كل واحد من أفراده ، والعلاقة القائمة بينهم . فهذا البيان يصوّر لنا جوهر العقيدة النصرانية في التثليث قبل أن نتناولها بالرد والابطال .

" يعلن الكتاب المقدس في العهد الجديد -كما يقول النصارى - عن أن الاله الواحد قائم في ثلاثة أقانيم هي :

(١) الأب (الله) الأقنوم الأول .

(٢) الابن (يسوع المسيح) الأقنوم الثاني .

(٣) الروح القدس الأقنوم الثالث .

وأن الثلاثة أقانيم في وحدة كاملة هي الاله الواحد الثالوث القدوس ، وهم : الله الأب ، وصورته ، وروحه ."(١)

ويقولون

" وكما تشهد الأناجيل بوحدة الأقنوم الأول (الله / الأب) ، فانها كذلك تشهد بوحدة الأقنوم الثاني (يسوع المسيح / الابن) ، ووحدة الأقنوم الثالث (الروح القدس) ."(٢)

وهذا الثالوث قائم على ألوهية المسيح ، وألوهية روح القدس ، وتأليفهما مع الله الحقيقة الالهية - حسبما يعتقدون - "الأب والابن والروح القدس ، الواحد."

---

(١) د . هاني رزق : يسوع المسيح في ناسوته ولا هوته ص٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص٢٢٤ / ٢٢٥ .

وقد رأينا من قبل[1] كيف أن عقيدة النصارى في ألوهية المسيح تقوم على أساس ما اتصف به في الأناجيل - كما يقولون - من الصفات والأعمال التي هي من صفات الله تعالى وأفعاله - وكذلك ما تضمنته من توجيه العبادة اليه كما توجه الى الله، وأنه لهذا كله كان ايمان النصارى بألوهية المسيح كأحد الأقانيم الثلاثة ، وهو في نفس الوقت يكشف عن طبيعة هذا الأقنوم ، وعمله وخصائصه ، كما يتمثل في عقيدة التثليث عندهم .

أما ألوهية الروح القدس ، فقد رأينا[2] كيف أنهم يقيمونها على مثل ما أقاموا عليه ألوهية المسيح من نصوص الأناجيل التي تصفه بما وصف به الله من خصائص الألوهية ، وتسند اليه ما أسند الى الله من أعمالها (أي الألوهية) .

فكما ثبتت ألوهية المسيح عند النصارى بما أسند اليه من هذه الصفات والأعمال ، فكذلك ثبتت ألوهية روح القدس عندهم بما أسند اليه منها . وهذان الأقنومان يمثلان مع أقنوم الأب (الله) حقيقة الثالوث المقدس.

ويعتقد النصارى : أن العلاقة بين الأقانيم الثلاثة هي علاقة ترابط في كيان واحد ، وعلاقة اتحاد ، ومشاركة ومساواة في الطبيعة الالهية . يقولون :

"ان الأقانيم وان كانت ثلاثة في أقنوميتها ، وشخصيتها ليس لها سوى طبيعة الهية واحدة . وكل واحد من الأقانيم يملك الطبيعة الكاملة ."[3]

فمعنى هذا : أن الألوهية الكاملة ثلاثة أيضا ؛ لأن الأقانيم ثلاثة ، ولكل واحد منها الطبيعة الالهية الكاملة كما يقولون .

---

(١) أنظر ص ٣٠٠ : ٣٠٢ من هذه الرسالة .

(٢) أنظر ص ٤٤٧ : ٤٥٨ من هذه الرسالة .

(٣) الأب بولس الياس اليسوعي : يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٧٨ .

ومن اعلان ذات الله الواحد فى أقانيم ثلاثة يقول القس الياس مقار :

" وهذه الوحدانية الجامعة هي المعروفة فى الكتاب باسم : " الأب والابن والروح القدس " وقد التزم بها المسيحيون كإعلان عن الاله الواحد ذي الثلاثة أقانيم ، وليست كتجليّات ، أو مظاهر فى ذات الاله الواحد . . "(١)

و " بعد أن قام أصحاب الثالوث بتقسيم الله الى ثلاثة أقسام ، وبعد أن قاموا بجعل الله الواحد ثلاثة آلهة ، قاموا بتوزيع الأعمال والوظائف الالهية بين هذه الآلهة الثلاثة ، فأعطوا لكل إله منها مجموعة من الأعمال والوظائف ومنحوه بعض الخصائص والميزات التى يختصّ بها وحده ولا يشاركه فيها الالهان الآخران ، فلكل اله عمل واختصاص محدد ، ولكل أقنوم صفات وخصائص مقصورة عليه ، لا يشاركه فيها ولا يتمتع بها معه الأقنومان الآخران .

فمثلا الله الأب جعلوه مصدر العدل .

والله الابن جعلوه مصدر الرحمة .

والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة .

فمن يريد العدل فليتجه الى الأب ، ومن يرجو الرحمة فليتوسل الى الابن ، ومن يطلب النعمة فليبتهل الى الروح القدس .

والله الأب ينسب اليه الخلق والتبني والدعوة ، أما الله الابن فينسب اليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب ، أما الله الروح القدس فينسب اليه منح الميلاد الثاني ، والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس . . . . "(٢)

ونتساءل ماذا يحدث لو طُلب من أحد الآلهة مالا يدخل في اختصاصه ألاَ يقف عاجزا أمام هذا الطلب ؟ فأي إله هــذا ؟ !!!

---

(١) ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٠

(٢) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٢٧ - ٢٨

٥ - أدلة النصارى على عقيدة التثليث وبطلانهـــا :

يحاول المسيحيون هنا أن يدللوا على عقيدة التثليث من التـــوراة، لكنهم يخفقون ، حيث لا يجدون النصوص الصريحة التي تسعفهم في تثبيـــت عقيدتهم هذه ، فيلجأون الى القول بأن التثليث يظهر ضمنيا في العهد القديم ، بينما يظهر واضحا في العهد الجديد . وفي ذلك يقول القس بوطر ما ملخصه :

" لا توجد للنصارى أدلة صريحة من التوراة تدل على عقيدة التثليث لديهـــم ، وانما يفهم ضمنيا منها ، فقد جاءت ألفاظ في التوراة مثل "كلمة الله ، حكمة الله ، روح القدس . . . ." ولم يعلم من نزلت اليهم التوراة ما تكنّه هذه الكلمـــات من المعاني ؛ لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه ايضاحهـــا على وجه الكمال والتفصيل . ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الانجيل يقـــف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير الى أقانيم في اللاهوت . . . . .

وان المسمى بكلمة الله ، والمسمى بروح الله في التوراة هما المسيح والروح القدس ، المذكوران في الانجيل ، ولكل واحد منهما نسبة سرية أزلية الى اللـــه تفوق الادراك ." (١)

أما هذه النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث من العهـــد القديم . فمنها ما ورد في سفر التكوين في الاصحاح الأول منه : " في البدء خلـــق الله السموات والأرض " (٢)

ويقولون في بيان وجه الاستدلال بهذا النص :

---

(١) رسالة الأصول والفروع ص٤٣ ، ٤٥ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى : المسيحيـــة ص١٢٧ ط٥ .

(٢) فقرة (١)

"ان اسم الله (ألوهيم*) في الأصل العبراني بصيغة الجمع ، وهكذا هو حيثما ورد." (١)

ويقول القس الياس مقار :

"ان لفظ ألوهيم الذي ورد في العهد القديم ألفي مرة ، يشير بجلاء الى التثليث في شخص الله ، التثليث الذي اتضح بالتدريج في الاعلانات الالهية عن الله الواحد الأحد ، حتى أشرق نوره تماما في العهد الجديد." (٢)

كما يستدلون كذلك بقول الله تعالى : " نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا." (٣)

---

* " يوجد في العهد القديم باللغة العبرية ثلاث مترادفات رئيسية لاسم الجلالة ، وهي : ألوهيم ، ويهوه ، وأدوناي . فالاسم الأول مستعمل كثيرا في الاصحاح الأول من سفر التكوين ، ويكثر استعماله في مزامير (٤٢-٧٢) تلك المزامير التي سميت بمزامير ألوهيم ....

ويدل هذا الاسم على صفة الله كالخالق العظيم ، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود ... غير أن هذه الكلمات الثلاث لا ترد في الترجمة العربية بصيغتها العبرانية ، انما تستعمل بدلا منها ألفاظ مثل : الله ويهوه ، والرب أو السيد ". أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧ .

(١) أنظر : جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا ص٢٤٥ ،
وانظر كذلك : حبيب سعيد : أديان العالم ص٣٠٨ .

(٢) ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص٦٩ .

(٣) سفر التكوين ١ : ٢٦ .

" وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا " (١)

وما جاء في قصة برج بابل من قول الرب :

" هلمّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض " (٢)

وما ورد في اشعياء : " من أرسل ومن يذهب من أجلنا " (٣)

ويقولون في بيان وجه الاستدلال بهذه النصوص :

" صيغة المتكلم (الجمع) التي وردت في الآيات المشار اليها سابقا ، لا يمكن تفسيرها الا في ضوء عقيدة الثالوث .....

ولسنا نزعم اختلافا ، أو نقحم التثليث قسرا في تفسير هذه الآيات ، ولكن الشواهد والتأمل المتأني لابدّ أن يكشفا عن مبلغ صدق هذا الرأي . " (٤)

والواقع أن التعبير في النص بلفظ الله أو ألوهيم ليس فيه مايدل على التثليث لا ضمنا ولا استتارا ، بل كل مايدل عليه النص : أن الله جلّ جلاله في بدء عمارة الكون خلق السموات والأرض . ونعلم أن لفظ الجلالة (الله) لا يطلق إلاّ على الذات الالهية وهو الله - سبحانه - فقط .

وأنا لنعجب من تعسفهم وشططهم في تأويل النصوص ، فأين صيغة الجمع في هذا اللفظ ؟ !

بل إن صاحب قاموس الكتاب المقدس لم يشر إلى أن هذا اللفظ (ألوهيم) يدل على الجمع ، بل قال : " يدل هذا الاسم على صفة الله ، كالخالق العظيم ، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود . " (٥)

---

(١) سفر التكوين ٣ : ٢٢ .

(٢) سفر التكوين ١١ : ٧ .

(٣) ٦ : ٨ .

(٤) القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد . جـ ١ ص ٥٠ .

(٥) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١٠٧ .

ويقول أيضا عند تعريفه للفظ الجلالة هذا :

" . . . اسم الاله خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم لجميع العوالم ، والواهب لكل المواهب الحسنة ، وهو أزلي غير متغيّر في وجوده ، وحكمته وقدرته وقداسته وعدله . . . "(1)

ثم ان هذا اللفظ وان قصد به الجمع - كما يزعمون - فهو - كما ذكرنا - للتعظيم ، وليس فيه دلالة على التثليث .

أما النصوص الأربعة الأخرى التي استدلوا بها ، والتي ذكروا أن صيغة الجمع في ضمير المتكلم هي التي استخلصوا منها عقيدة الثالوث ، فهي لا تدل على مرادهم ، حيث إن هناك آيات كثيرة في التوراة أسند الكلام فيها الى الله تعالى بصيغة المفرد ، فما عساهم قائلون بشأنها ياترى ؟ . من هذه الآيات :

ما أسند الى الله - تعالى - في مخاطبته لآدم : " هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . "(2)

وفي مخاطبته بني اسرائيل عن طريق نبيّه موسى - عليه السلام - :

" وتعلمون أنّي أنا الرب الهكم "(3)

فهل " أنّي " ، و " أنا " تعني الجمع أيضا ؟ !

الواقع أن التعبير بصيغة الجمع عن العظمة حتى ولو كانت بشرية أمر مألوف في كل لغة ، فيعبر بها عن نفسه المتكلم المعظّم لها دون أن يقتضي ذلك تعددا

---

(1) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص١٠٧ .

(2) سفر التكوين ٣ : ١١ .

(3) سفر الخروج ١٦ : ١٢ .

في ذاته ، فإذا كان ذلك كذلك بالنسبة للبشر فكيف لا يكون إذا كان التعبير بصيغة الجمع عن العظمة الالهية ؟!

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" كان من أسباب نزول آية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات)[1]: احتجاج النصارى بما تشابه عليهم ، كقوله : (انا) و(نحن)[*] ، وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظّم الذى له أعوان ، لم يرد به أن الآلهة ثلاثة ، فتأويل هذا الذى هو تفسيره يعلمه الراسخون ، ويفرقون بين ماقيل فيه : (اياى) وماقيل فيه (إنا) لدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه ، اذ كانوا رسله ، وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ، ولهذا لا يقول : فايانا فاعبدوا ، ولا ايانا فارهبوا ، بل متى جاء الأمر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص ، واذا ذكر الأفعال التى يرسل فيها الملائكة قال : (انا فتحنا لك فتحا مبينا)[2] (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه)[3] (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق)[4] ونحو ذلك ."[5]

ومن أدلتهم كذلك التى يستدلون بها فى إثبات الثالوث من العهد القديم ما ورد فى المزمور (٨٩) .

" ... لأنه مَنْ فى السماء يعادل الرب ، مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله ، إله

---

(١) سورة آل عمران / آية ٧ .

(*) أنظر الآلوسى : روح المعانى جـ ٣ ص ٥٧ والفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد الرابع جـ ٧ ص ١٦٧ .

(٢) سورة الفتح / آية ١ .

(٣) سورة القيامة / آية ١٨ .

(٤) سورة القصص / آية ٣ .

(٥) مجموع الفتاوى المجلد ١٣ مقدمة التفسير ص ١٤ .

مهوب جدا في مؤمرة القديسين ، ومخوف عند جميع الذين حوله ."(١)

ووجه استدلالهم بهذا الدليل مايذكرونه من أن :

"هذا القول يشير الى أن الرب والله أقنومان ، وفي ذات الوقت إلـٰـه واحد ، إذ هم واحد ، إذ لو كان الرب والله أقنوما واحداً ، لكان القول يصاغ في هذه الصورة : " من يشبه الرب بين أبنا ئه " أو " من يشبه الله بين أبنائه " ، لكن جاء القول بهذه الصورة :" من يشبه الرب بين أبناء اللـه " ليشير بذلك الى أن الرب والله أقنومان في الاله الواحد ، لذلك جاءت الأقوال في العهد القديم : بأن الاله هو الله ، وأن الرب هو الاله ، وأن الله هو الرب ، وذلك لأنّ سرّ الاله الواحد الثالوث القدوس كان مخفيا ومستترًا ، وقد أعلن في العهد الجديد : " الذى هو الله (الآب) ، والابن الرب يسوع المسيح ، والروح القدس ، ثالوث قدوس ، إله واحد ...

لذلك كان القول القائل : " من يشبه الرب بين أبنا الله " يكون في هذه الصورة في العهد الجديد : " من يشبه الرب يسوع المسيح بين أبناء الله الآب . " (٢)

والواقع أن المغايرة بين لفظي الرب والله لا موجب لها ، فمدلولهما واحد من حيث الذات ، وان اختلفا في المعنى . فدلّ الأول على المربّي، ودلّ الثاني على المستحق للعبادة ، ومن ثم جاز الإخبار بأحدهما عن الآخر ، أو استعمالهما معا في نص واحد ، للدلالة على ذات الله الخالق. فمن التعسّف الظاهر أن تحمل كلمة الرب في النص السابق ، وفي غيره من نصوص التوراة على المسيح عليه السلام - لأنه لم يكن موضع حديث التوراة كما يدّعي النصارى أخيراً . ومن ثَمّ كان من التعسّف

---

(١) ٦ - ٧

(٢) د . هاني رزق / يسوع المسيح (ناسوته ولاهوته) ص ١١٧ .

الظاهر استخلاص التعبير عن الأقانيم المتعددة في الذات الالهية كما يعتقدون من مثل هذه النصوص .

وفي نفس الوقت ، فإنه ينبغي علينا ألاّ نغفل عن عدم دقة الترجمة بنصوص التوراة ، وهو احتمال وارد ، بل ومؤكّد . ومن ثَمّ فلا ينبغي التمسك بحرفية هذه الترجمة كدليل سابق على عقيدة لاحقة ، ودلالته على تلك العقيدة باطلة - كما رأينا - فلا هي تطابقها ، بل ولا تتضمنها أو تستلزمها كما يزعمون .

ويقول النصارى كذلك في استدلالهم على تثليثهم من العهد القديم :

لقد أشارت المزامير الى أقنومية الروح القدس ، حيث جاء فيها على لسان داود مناجيا ربه : "لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني ."[1]

ويقولون : وبمقابلة هذا النص مع ما ورد في الأناجيل من أن "الله روح "[2]، " والرب روح "[3] يتضح لنا ألوهية الروح ، كما اتضحت لنا ألوهية الابن قبل ذلك .

وأرى أنه كلام كثير الغلط ، وظاهر التكلف والشطط .

وقد أبطلنا سابقا أن يكون كلّ من المسيح أو الروح القدس ربّا ، أو الهـا . ومن ثم ينهدم بذلك الركن الأساسي في التثليث . وقد تبين لنا أن التعبير عن الرب الاله بالروح لا يقتضي كون الروح ربّا والها ؛ لأن التعبير عن الرب بالروح يعني تجسده فقط ، ولهذا لا يكون الروح ربّا ولا الها معبودا . واذا كان داود قد طلب من الله ألاّ ينزع منه روح القدس فلا يعني ذلك أكثر من أنه يطلب من الله أن يبقي فيه تأييده له ، وألاّ ينزع منه قوته الروحانية المقدسة التي وهبها اياه ،

---

(١) ٥١ : ١١ .

(٢) انجيل يوحنا ٤ : ٤ وكذلك أعمال الرسل ٥ : ٣ .

(٣) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٣ : ١٧ ، ١٨ ،
وكذلك أعمال الرسل ٥ : ٩ .

أو الوحي الذى أنزله الله عليه ، أو ألاّ يفرّق بينه وبين جبريل ملك الوحي على اختلاف المعاني التي يدل عليها روح القدس - كما سبق أن ذكرنا - والتي خصّ الله بها الأنبياء ، ليس فقط كما تدل عليه آيات القرآن ، بل كما تدل عليه نصوص الأناجيل .

ومهما تعسّف النصارى في استخلاص التثليث من نصوص التوراة ، فانهم لن يجدوا سبيلا الى صحة ذلك الحكم . فمن الحقائق البديهية أن اليهودية ديانة توحيد بغض النظر عما شاب هذا التوحيد من شوائب التشبيه . ودلالات التوراة على التوحيد أكثر من أن تذكر . منها :

ماجاء في سفر اشعياء : " قبلي لم يصوّر اله ، وبعدي لا يكون ."(1) ومنها :
" الرب الهنا ربّ واحد " (2)

وكذلك ماجاء في سفر الخروج :
" أنا الرب الهك لا يكون لك آلهة أخرى أمامي " (3)

ومنها ماجاء في نحميا النبي حيث يخاطب الله الواحد بقوله :
" أنت هو الرب وحدك " (4)

فكيف يمكن للنصارى أن يستدلوا على التثليث بنصوص كتاب هذه بعض دلالاته الواضحة على التوحيد .

---

(1) ٤٣ : ١٠ .
(2) سفر التثنية ٦ : ٤ .
(3) ٢٠ : ٢-٣ .
(4) ٩ : ٦ .

أمّا استشهادات النصارى على التثليث من الأناجيل فهي كثيرة فقد أخذوا من هذه الشواهد مجموعتين من الآيات كأدلة لإثبات عقيدة التثليث هما :

المجموعة الأولى : الآيات التي ذكر فيها الأب والابن والروح القدس معا .

المجموعة الثانية : الآيات التي تثبت ألوهية كل واحد منهم على حده .

وسوف نهمل هنا ذكر شيء من هذه المجموعة الأخيرة (الثانية) ، حيث سبق لنا إبطال استدلالهم بها على ألوهية المسيح أو ألوهية روح القدس في الفصلين السابقين .

ونكتفي بالمجموعة الأولى ، وهي الأدلة التي يستدلون بها نصا على عقيدتهم في التثليث من العهد الجديد . ومنها ما جاء في (متّى) من قول المسيح -على زعمهم - لتلاميذه :

(١) "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس."(١)

وفي بعض التراجم اضافة "اله واحد" لهذه العبارة المذكورة .

ورغم أن ابن تيمية قد تناول دليلهم هذا بالابطال -كما سيأتي(٢)- فاننا نضيف الى ما كتبه اضافة جديدة تظهر بطلان الاستشهاد بهذا النص على التثليث -على فرض صحة صدوره عن السيد المسيح- .

فتكاد تخلو الأناجيل الثلاثة من هذه العبارة ، فهو الانجيل الوحيد الذي ذكرها ، ولو كانت فعلا وصية عيسى لحوارييه لأثبتها يوحنا في انجيله ، وهو الحواري المقرب ، والتلميذ الحبيب ، ولمّا لم يذكرها يوحنا في انجيله كان ذلك دليلا على أنها ليست من قول المسيح فلا يعتد بها .

---

(١) ٢٨ : ١٩ .

(٢) وكما سبق . انظر ص ٤٦٥ من هذه الرسالة .

وهي على فرض صحتها، فإنها قابلة للتأويل، بما يتناسب مع نصوص الوحدانيـة، التي زخرت بها الأناجيل، حيث التوحيد فيها ظاهر جلي، والتثليث خفي غير بيّن .

وقد وجدنا الامام القرطبي - رحمه الله - قد أوضح لنا ما المراد بهـذا الدليل الذي اعتمد عليه دعاة الثالوث في اعتقادهم بالتثليث فيقول - مخاطبا النصارى -:

"إن هذا القول : "عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس" لا حجـة لكم فيه ، إذ ليس بنص قاطع ، بل هو مما أنتم فيه متشابه ، فإنه يحتمل أن يكـون مراده به :

عمدوهم على بركة هذا القول ، كما يقول القائل : كُلْ على اسم الله ، وامشِ على اسم الله ، أي على بركة اسم الله ، ولم يعين الأب والابن من هما ، ولا ما المعنى المراد بهما ، فلعله أراد بالأب هنا الملك، الذي نفخ في مريم أمه الروح ، إذ نفخـه سبب علوق أمه وحبلها به ، وأراد بالابن نفسه ، إذ خلقه الله تعالى من نفخـة الملك ، فالنفخة له بمثابة النطفة في حق غيره .

ثم لا يبعد أيضا في التأويل - إن صح عن عيسى عليه السلام أنه كان يطلـق على الله لفظ الأب - أن يكون مراده به : أنه ذو حفظ له ، وذو رحمة وحنان عليـه، وعلى عباده الصالحين ، فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم ، وهم له في القيـام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار . . ."(١)

كما وإن صاحب الفارق قد أدلى بدلوه في هذا الدليل أيضا في ذيـل

---

(١) الامام القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام تحقيـق الدكتور أحمد حجازي السقا . ص٦٤ / ٦٩ بتصرف .

فارقه ، وأثبت أن هذه الوصية الحاقية ، وهي من مفتريات مترجم انجيل (متّى) .
وأنه على فرض صحة ورودها على لسان المسيح - كما يدّعون - فليس المقصود منها تثليث الاله ، وانما الايمان بالله رب الكائنات وموجدها ، وبعيسى كلمته التي ألقاها الى مريم ، وجبريل عليه السلام أمين الوحي لجميع أنبيائه . فيقول :

" ان أساس التعميد بالتثليث مبني على هذه الوصية "عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس" فقط . . . وان هذه الوصية وحدها تكفينا بأن هذه الأناجيل مصنعة ؛ لأن يحيى - عليه السلام - صرّح بأن المسيح سيعمدكم بروح القدس ، ولم يذكر التثليث ، وكذلك (متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا) اتفقوا وصرحوا في أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط ، والمترجم المختلس لانجيل (متّى) افترى وذيّل ترجمته بقوله :

إن المسيح قبل الرفع أوصى التلاميذ أن "يعمدوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس ."[1]

فتبيّن ببداهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية[2] من المترجم ، والا فلا يتصوّر أن (متّى) يروى روايتين مختلفتين بانجيله عن المسيح في آن واحد .

---

(١) متى ٢٨ : ١٩ .
(٢) قد أثبت الحاقية هذه الجملة أيضا العالم والمؤرخ الكنسي الدكتور آدولف هرنك . أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين في كتابه تاريخ العقيدة جـ١ص٧٩ واعتبرها دخيلة على انجيل (متّى) وأعزى ذلك لعدة أسباب منها :
(١) أنه لم يرد الا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح ، وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .
(٢) ان صفة التثليث هذه (التي تتكلم عن : الأب والابن والروح القدس) =

وعلى فرض صحة رواية المترجم فهي ليست تثليثا للإله ، بل انما المقصد منها ظاهر وهو قوله : "عمدوا الأمم باسم الأب" أي لقنوا الأمم المتنصرة بأن يؤمنوا بواجب الوجود والموجد لكل موجود. وقوله : "والابن" أي وأن يؤمنوا أيضا بعيسى رسول الله وكلمته . وقوله "روح القدس" أي وأن يؤمنوا بجبريل أمين الوحي لكافة الأنبياء ، والمبشر للعذراء بحملها بعيسى صلوات الله عليه . ولا نزاع في جبريل بأنه "روح القدس" ، ولا خلاف في الأنبياء والرسل والأبرار بأنهم أبناء الله ، أي أصفياء الله ، كما ثبت ذلك في التوراة والزبور والأسفار والانجيل.(١)

وهذا توجيه وجيه لا يحتمل غيره ؛ لأنه موافق لسنن الله في أنبيائه وخلقه منذ خلق الدنيا الى يومنا هذا ..."(٢)

(٢) كما جاء في رسالة يوحنا الأولى - وهي من ضمن الرسائل المقدسة لدى المسيحيين ومثبتة في كتابهم المقدس - في زعمهم - مانصه :

"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الأب ، والكلمة ، والروح القدس . وهؤلاء الثلاثة هم واحد ."(٣)

= غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا .
أنظر المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٦١ .

(١) أنظر ص ٤٠٧ / ٤١٠ من هذه الرسالة .

(٢) هو عبد الرحمن بك باجه جي زاده حين ردّه على رسالة أبحاث المجتهدين المطبوعة في ذيل الفارق ص٥٦ / ٥٧ .

(٣) ٥ : ٧ .

وهذه العبارة أيضا ثبت أنها إلحاقية كسابقتها باعتراف علماء النصارى ، حيث اتفق "المحققون من علماء النصارى من أمثال كريسباخ وشولز وآدم كلارك ، بل وحتى المتعصبون منهم مثل : هورن ، وجامعو تفسير هنري واسكات هؤلاء جميعا اتفقوا على أن عبارة "فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة هم : الأب والكلمة والروح ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ". إلحاقية واجبة الترك ، وأن المصلح الكنسي (مارتن لوثر) حين ترجم العهد الجديد الى اللغة الألمانية لم يأخذ هذه العبارة في الاعتبار" (١)

(٣) وجاء على لسان بولس من قوله :

" نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢)

ويكفينا في فساد هذه العبارة وبطلانها ورودها على لسان رجل (يهودى) طالما اضطهد المسيحيين وعذبهم بسبب مسيحيتهم ، وكان له دور بارز في المسيحية الحالية (المحرفة) وتحويلها من ديانة توحيد الى تثليث . وعيسى لم يأتِ قومه الا بانجيل واحد ، لم يأتهم برسالة الى أهل كورنثوس حتى يمكن اعتبار هذا القول حجة في عقيدة هي أساس دينهم وعمدته .

تلك هي الأدلة النقلية للمسيحيين على عقيدتهم في التثليث ، وقد ناقشناها على فرض صحتها أو صحة نقلها وترجمتها .

وسوف نرى فيما بعد كيف أن ابن تيمية يذكر أدلة أخرى عندهم ويعقب عليهم

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٣٩٤/٣٩٩ بتصرف كثير .

(٢) رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس ١٣ : ١٤ .

فيها بالنقد والابطال نوردها في حينها ، وفي موضعها .

" ويلاحظ أنهم لم يعتمدوا في اثبات تلك العقيدة على أى دليل عقلي بل كان اعتمادهم على ماعندهم من نقل يحمّلونه من أثقال المعاني ما تنبوء به العبارات ، ولا تحتمله أبعد الاشارات - كما رأينا - وأنهم اذا حاولوا أن يربطوا قضية التثليث بالعقل ، حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها في تصوره ، ويدركون تمام الادراك أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور ."(١)

وفي احدى محاولاتهم للاستدلال على عقيدة التثليث بالعقل قد وجدنا لبعض قسوستهم ، وعلمائهم من حاول أن يستدل على هذه العقيدة بدليل عقلي يضحك الثكلى ، ويدلّ على خفة عقول هؤلاء القوم . من هؤلاء :

القس بولس الياس اليسوعي ، حيث يعلل استشهاد النصارى العقلي لعقيدة التثليث أنهم - بزعمه - يقولون بالتثليث ؛ لأن كنه الله ، وحقيقته تفرض فيه التثليث ، حيث ان القول بالوحدانية المطلقة لله - تعالى - هو انتقاص له ، بينما القول بالتثليث هو كمال للذات الالهية ، وذلك لأنه بدون التثليث لا يبقى لله الآ ذاته ليحبها .. وتنزيها لله عن محبة الذات وجد الثالوث ؛ وذلك لتتبادل أفراده المحبة والسعادة . يقول :

" اذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا الآ القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ، ولا يمكن الآ أن يكون محبة ، ليكون سعيدا . فالمحبة هي مصدر سعادة الله ، وهي تفترض شخصين على الأقل يتحابان ، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، بحيث يندفع المحب الى هبة الذات لمن يحب ، هبة تكون فيها سعادتهما ، فلأجل أن يكون

---

(١) الشيخ محمد ابو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٠٥ ط ٣ .

الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ، ومنتهى رغباته، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس ، فالحب اذن هو ما يجعل الله ثالوثا وواحدا معا ."[1]

نقول :

فكرة أن الله محبة فكرة باطلة ، فالله هو الكامل المتصف بجميع الصفات ولو فرض أنه محبة فلا مانع أن يحب ذاته ، فهو منتهى الكمال ودلائل حبه واحسانه ظاهرة لجميع خلقه المستحقين لها وليس للمسيح ميزة حتى يكون هو المحبوب الوحيد ثم يكون أحد أقطاب ثالوثهم الالهي كما يدّعون .

وبنفس الرأي - تقريبا - يدلى القس توفيق جيّد فيقول :

" ان الوحدانية دون الثالوث تجعل الله فى الأزل بدون موضوع للمحبة ، فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه ، وبعبارة أخرى بدون الثالوث ، أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومي لا يبقى لله فى أزليته سوى ذاته ليحبها ، وتنزيها لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الالهي نحو الأقنوم الآخر ."[2]

ويقول - الشماس الذى أسلم - محمد مجدى مرجان تعليقا على هذه التصورات الخرافية :

" هذا هو تصور دعاة الثالوث لله ذى الجلال ، التصور الذى يجعل الله الغني محتاجا الى شخص آخر يبثه عواطفه ، وينشئ معه علاقات تنزل بالله الى

---

(١) أنظر كتاب يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٩٧ بتصرف قليل .

(٢) سر الأزل ص١٧ نقلا عن : محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص٨١ .

مستوى مخلوقاته ، علاقات نربأ بأنفسنا عن ذكرها ، ويعفّ فكرنا عن تصورها حيث يلد الله ابنا يحتكر محبته ، وحنانه ، ويحجبها عن بقية خلقه ، وابنائه . ثم ينتج عن هذه العلاقة العاطفية ، الحسية بين الأب والابن ثمرة هي الروح القدس . يكتمل بها أفراد الثالوث الالهي .(١) فتعالى الله عمّا يقوله الجاهلون ، بل هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(٢)

وبمناسبة الحديث عن التثليث نورد قصة طريفة ، ذكرها الشيخ رحمة الله الهندى في كتابه / اظهار الحق ، مؤدّاها :

أنّ أحد القساوسة تولّى تنشئة ثلاثة من الصبية ، في أحد الأديرة ، وعلّمهم كافة العقائد المسيحية ، وخاصة عقيدة التثليث . ثمّ حضر يوما أحد أصدقاء القسيس ، وسأله عن حال الصبية الثلاثة ، ومدى المامهم بالعقائد المسيحية ، فاستدعى القسيس أحدهم ، وسأله أمام صديقه الزائر عن عقيدة التثليث ، فقال : انك علّمتني أنّ الآلهة ثلاثة ، أحدهم الذى في السماء ، والثاني الذى تولّد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذى نزل في صورة حمامة (عند التعميد) على الاله الثاني ، بعد ما صار ابن ثلاثين سنة . فغضب منه القسيس وطرده ، ثم طلب الثاني منهم ، وسأله فأجاب : انك علّمتني أنّ الآلهة كانوا ثلاثة ، وصلب واحد منهم ، فالباقي الهان ، فغضب عليه القسيس أيضا ، وطرده ، ثمّ استدعى الثالث ، وكان أذكى الثلاثة ، وحريصا في حفظ العقائد ، وسأله ، فقال :

---

(١) الله واحد أم ثالوث / ص ٢٠

(٢) سورة الاخلاص / آية ٣ ، ٤

يا مولاى ، حفظت ماعلمتنى حفظا جيدا ، وفهمت بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، والآلهة ثلاثة صلب واحد منهم ، فمات الكل : لأنهم واحد ، ولا اله الآن .....»[1]

ومعلوم أن موقف التلميذ الثالث هو بعينه موقف معظم المثقفين الغربيين الآن .

❖❖

---

(1) جـ ١ ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ .

ب - إبطال ابن تيمية لعقيدة التثليث :

سبق أن ذكرنا أن النصارى يستدلون على عقيدتهم في التثليث بما ورد في كتابهم المقدس من أدلة أفادت بمضمون بعضها ، وصريح البعض الآخر ، استناد عقيدة التثليث الى أسس دينية صحيحة - كما يدعون - وهي العقيدة التي تعتبر أساس عقائدهم ، ودعامة ايمانهم ...

وقد رددنا من قبل على بعض تلك الأدلة . وفي هذا المقام نورد إبطال ابن تيمية لما نقله عنهم من أدلة ، وهي ردود - كما سنرى - من القوة بمكان .

١ - إبطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالتوراة :

فمن تلك الأدلة ما أورده عنهم من استشهاداتهم بنصوص التوراة ، حيث قالوا : إنه جاء في السفر الثاني من التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام : "أنا اله ابراهيم ، واله اسحاق ، واله يعقوب ."(١) فلم يقل - والكلام للنصارى - أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ، بل كرر اسم الاله ثلاث مرات . وذلك لتحقق مسألة الثلاثة أقانيم في لاهوته .

ويرد ابن تيمية على استدلالهم هذا بما يبطله ويجعله حجة عليهم لا لهم ، مبينا لهم أن الاحتجاج بهذا النص على الأقانيم الثلاثة احتجاج فاسد ، فيقول :

إنه لو أريد بلفظ الاله أقنوم الوجود ، وبلفظ الاله مرة ثانية أقنوم الكلمة ، وبالثالث أقنوم الحياة ، لكان الأقنوم الأول اله ابراهيم ، والأقنوم الثاني اله اسحاق ، والأقنوم الثالث اله يعقوب . فيكون كل من الأقانيم الثلاثة اله أحد الأنبياء الثلاثة ، والأقنومان ليسا بالهين له . وهذا كفر عندهم ، وعند جميع أهل الملل .

---

(١) سفر الخروج ٣ : ٦ .

وأيضا فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون : اله واحد .

ثم يقول ابن تيمية في معرض الرد عليهم ، وابطال أخذهم بعقيدة التثليث من مجرد تكرار اسم الاله ثلاث مرات في النص السابق .

- يقول في ذلك :

"انه يقال : ان الله ربّ العالمين ، وربّ السموات ، وربّ الأرض ، وربّ العرش ورب كل شيء ، فيلزم أن يكون ربّ كل شيء . ويقال : اله موسى ، واله محمد . مع قولنا : اله ابراهيم واسحاق . أفتراه أثبت الهين : أحدهما : الهه ، والآخر : اله الثلاثة ؟!

ثم ان العطف يكون تارة لتغاير الذوات ، وتارة لتغاير الصفات ، كقوله تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى ، والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى .)(1)

فالذى خلق هو الذى قدّر وأخرج . فقوله فى التوراة : اله ابراهيم ، واله اسحاق ، واله يعقوب هو من هذا الباب ، ولا يختص هذا بثلاثة ، بل يقال : في الاثنين والأربعة والخمسة بحسب مايقصد المتكلم ذكره من الصفات . وفى هذا من الفائدة ماليس فى قوله : اله ابراهيم واسحاق ويعقوب. فانه لو قيل ذلك لم يفد الا أنه معبود الثلاثة ..."(2)

ثم يقول ابن تيمية لهم أيضا :"ان كان هذا التكرار لا يقتضي الا إثبات اله واحد ، فلا حجة لكم فيه لو قال : أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب . وان كان

---

(1) سورة الأعلى / آية ١-٥ .

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص٢٣٩/ ٢٤١ بتصرف قليل .

يقتضي إثبات ثلاثة آلهة ، فقد أثبتم ثلاثة آلهة ، وأنتم تقولون : لا نثبت إلاّ إلهاً واحداً ، وان كان المعنى : أنه إله واحد موصوف بأنه معبود ابراهيم ، ومعبود اسحاق ، ومعبود يعقوب ، فلا حجة لكم فيه على التثليث والأقانيم ، حيث تجعلون الأقنوم اسماً للذات مع أن صفة الذات واحدة . فالتعدد في الصفات لا في الذات ، ولا يمكن أن تتحد صفة دون أخرى ، ولا دون الذات ، فيمتنع اتحاد أقنوم ، وحلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر ."(1)

وقد استشهد النصارى أيضا من أسفار العهد العتيق -كما ذكر ذلك ابن تيمية- بما يرون أنه يؤيد عقيدتهم في التثليث ، حيث يزعمون أن نبيّ الله اشعياء قد شهد بتحقق الثالوث ، وحدانية جوهره ، وذلك في قوله : " رب القوات" ، وفي قوله : " رب السموات والأرض "(2)

ويقولون : إنّ مثل هذا القول ، قد حفلت به التوراة والمزامير ، وان اليهود أنفسهم يقرأون هذه الأقوال ، ولا ينكرون منها كلمة واحدة ، ولكنهم لا يعرفون لها تأويلاً ، بسبب قسوة قلوبهم ، وانهم (أي اليهود) إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزّان أمامهم ، ويقول كلاما عبرانيا هذا تفسيره ، ولا يجحدونه :

" نقدسك ، ونعظمك ، ونثلث لك ، تقديسا مثلثا ، كالمكتوب على لسان نبيك اشعياء ." ويردّ عليه الجميع صارخين مجاوبين :

" قدوس ، قدوس ، قدوس ، ربّ القوات ، وربّ السموات والأرض" .

والنصارى يقولون (كما يذكر ذلك عنهم ابن تيمية) :

لأجل هذا البيان الواضح الذى قاله الله في التوراة ، وفي كتب الأنبياء

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص ٢٤٦

(2) اشعياء ٦ : ٠٣

تجعل ثلاثة الأقانيم جوهرا واحدا ، طبيعة واحدة ،الها واحدا ، أبا واحدا ، خالقا واحدا ، وهو ما يعبرون عنه بقولهم : أب وابن وروح قدس.(١)

ويردّ ابن تيمية على قولهم هذا مفنّداً مزاعمهم فيقول :

" ان ماجاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام من تسميته اسم الرب عند اضافته الى مخلوق آخر ، فهو من نمط تسميته اسم الاله ، وهذا لا يقتضي تعدد الارباب والآلهة ، ولا يقتضي جعلهم اثنين أو أربعة إذا ذكر اللفظ مرتين أو أربعة ؛ فكذلك اذا كان ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة ، وهم أيضا لا يقولون بثلاثة أرباب ، وثلاثة آلهة تدل على نقيض قولهم ، بل هم يزعمون أنهم انما يثبتون الها واحدا ، ولكنهم يتناقضون فيصرّحون بثلاثة آلهة ، ويقولون هم اله واحد . والكتب (أى كتب العهد القديم) لا تدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه"(٢)

أمّا مايذكره النصارى فى هذا المقام من اعتراف اليهود بصحة هذه النصوص السابقة والموجودة فى كتبهم ، ودعواهم أنهم لا يعرفون لها تأويلا ، ـأمّا مايذكرونه من ذلك فان ابن تيمية يبطله بقوله :

" ان أرادوا بالتأويل تفسيرها ، ومايدل عليه لفظها ، فهذا ظاهر لا يخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم ، ولكن النصارى ادعوا مالا يدل عليه اللفظ ، فهذا انما يحتاج اليه ان أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ ـانما يحتاج اليه ـان كان يحتاج اليه ـإذا كان ظاهره معنى باطلا لا يجوز ارادته . وليس ماذكر هنا من هذا الباب ، بل الكتب الالهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين ، ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة الا من اتبع هواه

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص٢٤١ بتصرف .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٢٤٢ .

بغير هدى من الله ، وقال قولا مختلفا يؤفك عنه من أفك ."(١)

ويستشهد ابن تيمية على صحة ماذكره ، من أن تعدد الاضافات بالنسبة للشخص الواحد لا يؤدي الى وجوب التعدد في حقيقة ذلك الشخص ، - يستشهد على ذلك بما تجرى عليه اللغة ، فمثل هذا يجرى في سائر الكلام "فيقال : هذا أمير البلد الفلاني ، وأمير البلد الفلاني ، وأمير البلد الفلاني . وهو أمير واحد . ويقال : هذا رسول الى الأميين ، ورسول الى أهل الكتاب ، ورسول الى الجن والانس ، وهو رسول واحد."(٢)

وأما قولهم : ان اليهود كانوا يردّون على الحزان بقولهم : قدوس ، قدوس، قدوس . عندما يقف أمامهم يقرأ التوراة ويقول :

" نقدسك ، ونعظمك ، ونثلث لك . تقديسا مثلثا ، كالمكتوب على لسان نبيك اشعيا ." وقولهم مجاوبين :

" قدوس ، قدوس ، قدوس ، ربّ القوات ، ورب السموات والأرض "

- أما قولهم هذا ، واستدلالهم به على وجود التثليث في اليهودية ، فيبطله ابن تيمية بقوله : " هذا الكلام صريح في أن المثلّث هو نفس التقديس لا نفس الاله المقدس . وكذلك قولهم : " قدوس ، قدوس ، قدوس " قدّسوه ثلاث مرات ، فإنه قال : " نقدسك ، ونعظمك ، ونثلث لك تقديسا مثلثا " فنصب التثليث على المصدر الذى ينصب بفعل التقديس ، فقال : نقدسك تقديسا مثلثا ، كما تقول : سبّحتك تسبيحا مثلثا أى سبحتك ثلاث مرات . وقال نثلث لك : أى نثلث تقديسا لك ، لم يقل أنت ثلاثة ، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدّسون التقديس المثلث ، وهم

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص٢٤٢ / ٢٤٣ .
(٢) المرجع السابق نفسه جـ٢ ص٢٤٣ .

يثلثون له . وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاثة آلهة ، ولا ثلاثة أقانيم ... ولهذا قالوا مجاوبين : قدوس ، قدوس ، قدوس " فيقدسونه ثلاث مرات ."(١)

وقد قال النصارى -كما ذكرنا من قبل- توضيحا لقيام عقيدتهم في التثليث على أساس ما ذكروه من نصوص التوراة . قالوا : انه لأجل هذا البيان الواضح -أي الواضح في تقرير عقيدة التثليث بزعمهم- الذى قاله الله في التوراة ، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة الأقانيم : جوهرا واحدا ، الهاً واحداً ، ربا واحدا ، خالقا واحدا ، وهو الذى نقول : أب وابن وروح قدس .

ويرد عليهم ابن تيمية في ادعائهم الباطل قول أنبياء الله بالتثليث فيقول :

" ان في التوراة والكتب الالهية من اثبات وحدانية الله ، ونفي تعدد الآلهة ، ونفي الالهية عما سواه ما هو صريح في ابطال قول النصارى ونحوهم ، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظا ولا معنى ، حيث يجعلون الأقنوم اسما للذات مع الصفة ، والذات واحدة ، والتعدد في الصفات لا في الذات ....

وانهم يقولون : إنما نثبت الها واحدا ، ثم يقولون في أمانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ما هو صريح بإثبات ثلاثة آلهة ، فينقضون كلامهم بعضه ببعض ، ويقولون من الأقوال المتناقضة ما يعلم بطلانه كل عاقل ....

وقولهم : وهو الذى نقوله : "أب وابن وروح قدس" هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداء ، ولا علموه بالعقل ، ثم عبروا عنه بذلك ، بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الأناجيل : إن المسيح عليه الصلاة والسلام أمر أن يعمدوا

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص٢٤٣/ ٢٤٤ .

الناس بها ، وحينئذ فالواجب اذا كان المسيح قالها أن ينظر ما أراد بها ، وينظر سائر ألفاظه ومعانيها ، فيفسّر كلامه بلغته التى تكلم بها تفسيرا يناسب سائر كلامه ."(١)

٢ - ابطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالأناجيل :

واستمرارا لابطال ابن تيمية لما يزعمه النصارى من قيام عقيدتهم فى التثليث على أسس دينية من الكتاب المقدس - استمرارا لذلك يناقشهم ابن تيمية فيما يذكرونه على ذلك من نصوص الأناجيل فيبطلها ، كما سبق وأبطل استدلالهم بما نقلوه من نصوص التوراة ورسائل الأنبياء . ومن ذلك ابطاله لاستشهادهم على التثليث بما ذكرناه من قبل مما ورد فى انجيل (متّى) : "عمدوا الناس باسم الاب والابن والروح القدس اله واحد". يبطل ابن تيمية استشهادهم هذا بقوله :

" هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة ، وليس فيه شئ يدل على ذلك لا نصا ولا ظاهرا ، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط فى الكتب الإلهية فى معنى صفة من صفات الله ، ودعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى فى غاية الكذب على المسيح ، وهو حمل اللفظ على مالم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا ، فأي تحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا ؟!

وكذلك روح القدس لم يستعملها الأنبياء فى حياة الله ، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله ولا صفته ، وانما أرادوا بذلك ما ينزله على الصدّيقين والأنبياء ."(٢)

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٤٦/٢٤ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص١٣١ / ١٣٤ بتصرف كثير .
وانظر كذلك المرجع نفسه جـ٣ ص١٦١ / ١٦٣ .

وقد استبان لابن تيمية من تحليله لهذا النص في الانجيل ، وتحقيق القول في معناه أن النصارى كما يقول :

حملوا كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه ، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم ، وليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلا لا سمعية ولا عقلية ، وانه ليس لقولهم بالتثليث، وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي ولا عقلي ، وانهم ممن قيل فيهم :

(لوكنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير)(١)

وممن قيل فيهم (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام، بل هم أضل سبيلا)(٢) وفعلهم هذا ليس الا فعل من يحرف كلام الأنبياء ، ويفتري عليهم بالكذب .. وانهم انما ضلوا بعدولهم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره ، الى ما تأولوه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه لا نصا ولا ظاهرا ، فعدلوا عن المحكم* ، واتبعوا المتشابه* ، (ابتغاء الفتنة ،

---

(١) سورة الملك / آية ١٠ .

(٢) سورة الفرقان / آية ٤٤ .

* معنى المحكم : تقول : حاكمت وحكمت وأحكمت بمعنى رددت ، ومنعت ، والحاكم يمنع الظالم عن الظلم .. وفي حديث النخعي : أحكم اليتيم كما تحكم ولدك . أي امنعه عن الفساد . وقال جرير : احكموا سفهاءكم ، أي امنعوهم ، وبناء محكم أي وثيق يمنع من تعرض له ، وسميت الحكمة حكمة ، لأنها تمنع عما لا ينبغي .

أما المتشابه : فهو أن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما . هذا في اللغة .

أما في الشرع فنقول : اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى ، فإما أن يكون محتملا لغير ذلك المعنى ، واما أن لا يكون فإذا كان اللفظ موضوعا لمعنى =

وابتغاء تأويله)[1] وخالفوا بتأويلهم هذا صريح المعقول ، وصحيح المنقول .

بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذى يريدون به في لغتهم الرب ، و (باسم) الابن الذى يريدون به في لغتهم المربى . وهو هنا المسيح .

و (باسم) روح القدس ، الذى أيد الله به المسيح ، من الملك والوحي وغير ذلك .

فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه الى معنى لا يدل عليه اللفظ ألبتة . وبهذا فسر هذا الكلام من فسره من أكابر علمائهم[2]

= ولا يكون محتملاً لغيره فهذا هو النص ، وأما إن كان محتملا لغيره ، فلا يخلو إما أن يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر ، واما أن لا يكون كذلك ، بل يكون احتماله لهما على السواء ، فان كان احتماله لأحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة الى الراجح ظاهرا ، وبالنسبة الى المرجوح مؤولا ، وأما ان كان احتماله لهما على السوية كان اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا ، وبالنسبة الى كل واحد منهما على التعيين مجملا ، فقد خرج من التقسيم الذى ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون نصا ، أو ظاهرا ، أو مؤولا ، أو مشتركا ، أو مجملا ، أما النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح ، إلا أن النص راجح مانع من الغير ، والظاهر راجح غير مانع من الغير . فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم .

وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة ، وان لم يكن راجحا ، لكنه غير مرجوح ، والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد ، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه .

أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٤ جـ٧ ص١٨٠ / ١٨١ .

(١) سورة آل عمران / آية ٧ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١٣١-١٣٤ بتصرف وكذلك المرجع نفسه جـ٣ ص١٦١ / ١٦٤ .

٣ - ابطاله لاستدلال النصارى على عقيدة التثليث بالعقل ، وبيان تناقضها :

وكما نقل ابن تيمية ما استشهد به النصارى من نصوص نقلية ، ثم أبطله ، فكذلك ينقل عن النصارى ما يبررون به الثالوث تبريرا عقليا ثم يبطله .

وفي ذلك يقول :

" ان قولهم " أب وابن وروح قدس " وأنها ثلاثة أقانيم ، انما يعنون بــــه : أن الله شئ حي ناطق . وذلك لأنهم لما رأوا حدوث الاشياء ، علموا أن شيئــا غيرها أحدثها ، إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها ؛ لما فيه من التضاد والتقلـــب فقالوا : إنه شئ لا كالأشياء المخلوقة ، إذ هو الخالق لكل شئ ، وذلك لينفـــوا عنه العدم كما يزعمون .

ورأوا أن الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين : شئ حي ، وشئ غير حي ، فوصفـــوه بأجلهما ، وقالوا : هو شئ حي ؛ لينفوا عنه الموت .

ثم رأوا أن الحي ينقسم إلى قسمين ، حي ناطق وحي غير ناطق ، فوصفـــــوه بأفضل القسمين . وقالوا : هو شئ حي ناطق ؛ لينفوا عنه الجهل .

ثم يقولون : والثلاثة أسماء هي اله واحد ، مسمى واحد ، ورب واحـــــد ، وخالق واحد . شئ حي ناطق . أي الذات والنطق والحياة ...." (١)

والواقع أن هذا التعليل لعقيدة التثليث تعليل باطل - كما يقول ابن تيميـــة - فـ " ليس الأمر كما ادعيتموه أيها النصارى ، فإنكم تقولون : إن هذا القول : " أب وابن وروح قدس " ، فكان أصل قولكم هو ما تذكرونه من أنه تلقي من الشرع المنزل ، لا أنكـــم أثبتم الحياة والنطق بمعقولكم ، ثم عبّرتم عنها بهذه العبارات ...

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩٠ بتصرف قليل .

وانظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الثالث من التفسير المجلد ١١ ص٣٦١-٣٦٢ .

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تعقل إلا صفة قائمة بموصوف ، ولا يعلم موصوف بالحياة والنطق الا وهو مشار اليه ، بل ما هو جسم كالانسان .

ولو كان الأمر كذلك (أى اثبات وجود الله وحياته ونطقه) لما احتجتم الى هذه العبارة "أب وابن وروح قدس"، ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة ، بل معلوم عندكم وعند سائر أهل الملل أن الله موجود حي عليم قدير متكلم ، لا تختص صفاته بثلاثة ، ولا يعبرون عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك ، وهو لفظ الأب والابن وروح القدس ، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسرتموها به في لغة أحد من الأمم ، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبّر بهذه الألفاظ عما ذكرتموه من المعاني ، بل إثبات ما ادعيتموه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعتموه ، لم يدل عليه شرع ولا عقل ."(١)

" فدعواكم : أنا إنما قلنا : "أب وابن وروح قدس" لتصحيح القول بأن الله حي ناطق ، كذب ظاهر . وأنتم تعلمون أنه كذب .

وتصحيح القول بأن الله حي متكلم لا يتوقّف على هذه العبارة ، بل يمكن تصحيح ذلك بالأدلة الشرعية والسمعية والعقلية ، والتعبير عنه بالعبارات المبيّنة ، كما يقوله المسلمون وغيرهم ، بدون قولنا : أب وابن وروح قدس".(٢)

ويستمر ابن تيمية في الرد على النصارى مبينا اختلافهم فيما بينهم حول تفسير عبارة انجيل (متّى) ، فيقول :

"ان النصارى المقرّين بأن هذه العبارة "أب وابن وروح قدس" في الانجيل المأخوذ

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩١ بتصرف قليل ، وكذلك المرجع نفسه جـ ٣ ص١٥٩ .
وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى المجلد ١٧ الجزء الرابع من التفسير ص٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٩٤ .

عن المسيح مختلفون فى تفسير هذا الكلام فكثير منهم يقول :

الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو الحياة .

ومنهم من يقول : الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هـو القدرة .

وبعضهم يقول : الأب هو الجواد ، والابن هو الحكيم ، وروح القدس هـو القادر.

ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم ، فيقولون : موجود ، حي ، عالم .

أو : موجود ، عالم ، قادر.

ومنهم من يقول : موجود ، حي ، حكيم .

ومنهم من يقول : قائم بنفسه ، حي ، حكيم ." (١)

ويذكر ابن تيمية أنه قد رأى كل هذه التفاسير فى كتبهم . ثم يقـول :

" فعلم بذلك أن أصل قولهم : الأب والابن وروح القدس لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجود حي ناطق الذى علموه أولا بالعقل ، وانما كان تفسيرا لشئ شرعى ." (٢)

ويقول ابن تيمية ردّا على قولهم : "انهم لمّا رأوا حدوث الأشياء علمـوا أن غيرها أحدثها . . . الخ " ـ يقول فى ذلك :

"إن كان المتكلم بها طائفة معينة من النصارى ، فيقال لهم : إن القـول : بالأب والابن وروح القدس موجود عند النصارى قبل وجودكم ، وقبل نظركم هذا ، واستدلالكم ، فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩٤ بتصرف قليل .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٩٥ وأنظر كذلك المرجع نفسه جـ٣ ص١٦٧-١٦٨ .

وان كان المراد به أن جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام ، نظروا واستدلوا ، حتى قالوا ذلك (أب وابن وروح قدس) ، فهذا كذب بيّن . فإن هذا الكلام يقول النصارى إنهم تلقوه عن الانجيل ، وان المسيح -عليه السلام- قال : "عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس ."

والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهذا النظر الموجب لهذا القول ، ولا جعل المسيح هذا القول موقوفا عندهم على هذا البحث ، فعلم أن جعلهم هذا القول ناشئا عن هذا البحث قول باطل ، يعلمون هم بطلانه .

ثم إن هذا القول "عمدوا الناس . . . الخ " ان كان المسيح لم يقله ، فلا يجوز أن يقال . ولو عني به معنى صحيحا ، فإن هذه العبارة انما يفهم منها عند الاطلاق المعاني الباطلة .

وان كان المسيح قاله ، فقد علمنا أن المسيح -عليه السلام- وغيره من الأنبياء- صلوات الله عليهم- معصومون لا يقولون إلا الحق ، واذا قالوا قولا ، فلابدّ له من معنى صحيح ، ويمتنع أن يريدوا بقولهم مايمتنع بطلانه بسمع أو عقل .

فإذا كانت المعقول ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعته النصارى في المسيح ، علم أن المسيح لم يرد معنى باطلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول . بل إن صحت هذه العبارة عن المسيح (المعصوم) -عليه الصلاة والسلام- فإنه أراد بذلك مايناسب سائر كلامه . وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب أبا وتسمية عباده أبناء .(1)

والمراد بالأب : الرب المربّي الرحيم . والمراد بالابن عبده المسيح الذي

---

(1) أنظر ص ٤٠٧ ، ٤١٥ من هذه الرسالة .

رباه . فان تربية الله لعبده ، أكمل من تربية الوالدة لولدها .

وأما روح القدس ، فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم ، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ، بل روح القدس عندهم تحل في ابراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين . والقرآن قد شهد أن الله أيد المسيح بروح القدس ، كما قال تعالى : (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)(1)

وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل ، وقد يراد بها الوحي والهدى والتأييد الذى ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته ، وقد يكونان متلازمين ، فإن الملك ينزل بالوحي ، والوحي ينزل به الملك ، والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى ، كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها .)(2)

واذا كان روح القدس معروفا في كلام الأنبياء والمتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحي عباده ، سواء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر أو وحيا وتأييدا مع الملك ، وبدون الملك ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به ، فإن قال : "عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس" مراده : مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله ، وبالملك الذى أنزل عليه الوحي الذى جاء به ، فيكون ذلك أمراً لهم بالايمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله . وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول .

---

(1) سورة البقرة آية ٨٧ ، ٢٥٣ .
(2) سورة التوبة / آية ٤٠ .

فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذى يوافق سائر ألفاظ الكتب التى عندهم ، ويوافق القرآن والعقل ، أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول .

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ، ولا هو من التأويل الذى هو صرف الكلام عن ظاهره الى مايخالف ظاهره ، بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة فى خطاب المسيح ، وخطاب سائر الأنبياء .»[1]

ثم يذكر ابن تيمية تضاربهم فى تفسير الثالوث ، وبطلان استنادهم فيه الى العقل والنقل . فيقول :

«ان قولهم : بالأقانيم مع بطلانه فى العقل والشرع ، لم ينطق به عندهم كتاب ، ولم يوجد هذا اللفظ فى شئ من كتب الأنبياء التى بأيديهم ، ولا فى كلام الحواريين ، بل هى لفظة ابتدعوها . ويقال : إنها رومية . وقد قيل : الأقنوم فى لغتهم معناه : الأصل ، ولهذا يضطربون فى تفسير الأقانيم . تارة يقولون : أشخاص ، وتارة خواص ، وتارة صفات ، وتارة جواهر ، وتارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معا . وهذا تفسير حذاقهم .»[2]

فتبيّن أنه ليس معهم فى التثليث لا حجة سمعية ولا عقلية ، بل هو باطل شرعا وعقلا ، والعقل الصريح يجزم أن الله (ليس كمثله شئ)[3].

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩٠-٩٩ بتصرف كثير واختصار .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص١٠٠ . وانظر كذلك المرجع نفسه جـ٣ ص١٦٤ .

(٣) سورة الشورى / آية ١١ .

والواقع أنّ القول بالتثليث يجمع النقائض ، كما يذكر ذلك ابن تيمية ويحاجج ابن تيمية النصارى في عقيدتهم بالتثليث ، من خلال نصوص أمانتهم ، حيث يقول - موجها كلامه لهم - :

" أنتم الذين سمّيتم نطق الله ابنا ، وقلتم : سمّيناه ابنا ، لأنه تولّد منه ، كما يتولّد الكلام من العقل ، فكان ينبغي أيضا أن تسموا حياته ابنا ؛ لأنها منبثقة منه ، ومتولّدة عنه أيضا ....

وقلتم : انّه مولود من الله ، وانّه قديم أزلي ، وأنتم تعترفون بأن أحدا من الأنبياء لم يسم علم الله ، وكلامه ، ولا حكمته مولودا منه ..

والذى يعقله الخلق في المولود الذى يولد من غيره ، كما يتولّد العلم، والكلام من نفس الانسان أنّه حادث فيه ، أو منفصل عنه ، لا يعقل أنّه قائم به ، وأنّه متولّد منه قديم أزلي .

ثمّ قلتم في أمانتكم : انّه (أى المسيح) تجسّم* من روح القدس، أو منه ومن مريم . وهو انما تجسّم - عندكم - من الكلمة التي سمّيتموها الابن دون روح القدس . وان كان تجسّم من روح القدس فيكون هو روح القدس ، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن .

ثمّ تقولون : " هو كلمة الله وروحه ." فيكون حينئذ أقنومين ، أقنوم الكلمة ، وأقنوم الروح ، وانما هو عندكم أقنوم واحد (أقنوم الكلمة فقط) . فهذا تناقض ، وحيرة . تجعلونه الابن الذى هو الكلمة ، وهو أقنوم الكلمة فقط .

وتقولون : تجسّم من روح القدس . ولا تقولون انّه تجسّم من الكلمة .

وتقولون هو كلمة الله وروحه ، والكلمة والروح أقنومان . ولا تقولون انّه أقنومان ، بل أقنوم واحد ." (١)

---

* تجسّم ، وتجسّد كلاهما بمعنى واحد . فالجسم أصله في اللغة الجسد وهو قول أبي زيد والاصمعي وغيرهما من أهل اللغة . انظر الرازى في مختار الصحاح ص ١٠٣ ، ١٠٤ وانظر ايضا ابن تيمية في الجواب الصحيح جـ٣ ص ١٥٢ ، ١٥٣ وما بعدهما ، حيث بيّن ذلك لغة ، كما بيّنه اصطلاحا .

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٣ ص ١٦١ / ١٦٢ .

" ولمّا كان قول النصارى في التثليث متناقضا في نفسه لا حقيقة له ، صار مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج الى دليل ، وإن كانت الأدلة تظهر فساده . ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك ، وهو أن مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده ، فإنه غير معقول.

وقالوا : ان النصارى ناقضت في اللفظ وأحالت في المعنى ، فلا يجوز أن يعتقد مايدعون انتحاله لتناقضه." (١)

ومن مظاهر هذا التناقض " أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة . وهذا لا يصح اعتقاده ؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة ، مع اعتقاده فيه أنه واحد ؛ لأن ذلك متضاد . وإذا كان ذلك كذلك ، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة ، أو أنه واحد . وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادّعى أن الواحد ثلاثة ، وأن الثلاثة واحد ؛ لأن ذلك لا يعقل . وهو كمن ادّعى في الشيء أنه موجود معدوم ، أو قديم محدث ، أو في الجسم أنه قائم قاعد ، متحرك ساكن . وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه الى دلالة (لأنه من البدهيات) .

وإذا قال النصارى : إنه أحديّ الذات ثلاثيّ الصفات . قيل : لو اقتصرتم على قولكم : إنه واحد وله صفات متعددة لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين ، بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث ." (٢)

" ووصفهم الأقانيم الثلاثة بأنها جوهر واحد ، إنما ينبيء أنها جملة ، وليس هذا مما يذهبون اليه ، ولا يعتقدونه ، ولا يجعلون له معنى ، لأنهم لا يعطون

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص١٦٦ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص١٦٦/١٦٧ .

حقيقة التثليث ، فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة ، ولا حقيقة التوحيد ، فيثبتون القديم واحدا ليس باثنين ولا أكثر من ذلك . واذا كان ذلك كذلك ، فما قالوه هو شيء لا يعقل ، ولا يصح اعتقاده ، ويمكن أن يعارضوا على قولهم بكل حال ."(١)

" واذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهرا واحدا ، فلِمَ لا يجوز أن تكون ثلاثة آلهة جوهرا واحدا ، وثلاثة فاعلين جوهراً واحدا ، وثلاثة أغيار جوهرا واحدا ، وثلاثة أشياء جوهرا واحدا ، وثلاثة قادرين جوهرا واحدا ، وكل ثلاثة أشياء جوهرا واحدا ؟ !

وكل مايجري هذا المجرى من المعارضة فلا يجدون فصلا ."(٢) أي هذا الكلام لازم لهم لا ينفصلون عنه .

ويقول النصارى : "كل من اعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة ، أو ثلاثة أشخاص مركبة ، أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير ، والتبعيض ، والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره ."(٣)

فيردّ عليهم ابن تيمية مبينا تناقضهم في ذلك ، فيقول لهم :

" وأنتم أيضا تلعنون من قال : إن المسيح ليس هو اله حق من اله حق ، ولا هو مساو الأب في الجوهر ، ومن قال : إنه ليس بخالق ، ومن قال : إنه ليس بجالس عن يمين أبيه ، ومن قال أيضا : إن روح القدس ليس برب حق محيي ، ومن قال : إنه ليس ثلاثة أقانيم .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٣ ص١٦٨ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص١٦٨ / ١٦٩ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص١٣٨ . وانظر كذلك المرجع نفسه ص١٧٧ .

وتلعنون أيضا مع قولكم : إنه الخالق ، مَنْ قال : إنه الأب ، والأب هو الخالق ، فتلعنون من قال : هو الأب الخالق ، ومن قال : ليس هو الخالق ، فتجمعون بين النقيضين : فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث ، ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر ، وتجمعون بذلك بين قولين متناقضين ، أحدهما حق ، والآخر باطل . . .

وكل قول يتضمن جمع النقيضين (اثبات الشئ ونفيه) ، أو رفع النقيضين (الاثبات والنفي) فهو باطل ."(١)

ومن مظاهر تناقضهم أيضا : " زعمهم أن كلمة (ابن الله) التي يفسرونها بعلمه أو حكمته ، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته ، وأنها صفة له قديمة أزلية ، لم يزل ولا يزال موصوفا بها . ويقولون - مع ذلك - : ان الكلمة مولودة منه ، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه ، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه . وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه ، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم ، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته ، يقال : إنها ابنه وولده ومتولد عنه ، ونحو ذلك . فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه ، وان لم يكن كذلك ، فلا يكون علمه ابنه ، ولا ولده ، ولا متولدا عنه .. . . . فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ ، وأنهم مخالفون للكتب الالهية كلها ، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات ، ومخالفون لجميع لغات الآدميين ، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم . . ."(٢)

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص١٧٧-٧٨ بتصرف .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص١٨٢ / ١٨٣ بتصرف وانظر كذلك المرجع نفسه جـ٣ ص٢٩١ .

ويقول النصارى : "الموجود إما جوهر ، واما عرض ، فالقائم بذاته هو الجوهر، والقائم بغيره هو العرض .

ثم يقولون : إنه موجود حي ناطق ، له حياة ونطق ."(١)

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله :

" حياته ونطقه ، إما جوهر واما عرض . وليس جوهرا : لأن الجوهر قائم بنفسه . والحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما ، بل بغيرهما ، فهما من الأعراض، فتعيّن أنه عندهم جوهر تقوم به الأعراض ، مع قولهم : إنه جوهر لا يقبل عرضا .

وان قيل أرادوا بقولهم : "لا يقبل عرضا " ما كان حادثا . قيل : فهذا ينقض تقسيمهم الموجود الى جوهر وعرض . فإن المعنى القديم الذى يقوم به ليس جوهرا ، وليس حادثا . فإن كان عرضا فقد قام به العرض وقبله ، وان لم يكن عرضا ، بطل التقسيم .

فتبيّن من هذا أنهم يقال لهم : أنتم قلتم : انه شئ حي ناطق ، وقلتم : هو ثلاثة أقانيم ، وقلتم : المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة ، وقلتم فى الأمانة :

" نؤمن باله واحد أب ضابط الكل ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، اله حق من اله حق من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر .

ثم قلتم : ان الرب جوهر لا يقبل عرضا . وقلتم : إن الذى يشغل حيّزا أو يقبل عرضا هو الجوهر الكثيف . وأمّا الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضا ولا يشغل حيزا ، مثل : جوهر النفس وجوهر العقل ، وما يجري هذا المجرى من الجواهر

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص٢٢٤/ ٢٢٥ .

اللطيفة ، وبعد أن صرحتم بأن الرب جوهر لا يقبل عرضا . قلتم : ليس في الوجود شيء إلا وهو إما جوهر ، وإما عرض ، فإن كان قائما بنفسه غير محتاج في وجوده إلى غيره ، فهو الجوهر ، وإن كان مفتقرا في وجوده إلى غيره لا قوام له بنفسه فهو العرض .

فيقال لكم : الابن القديم الأزلي الموجود من جوهر أبيه ، الذى هو مولود غير مخلوق ، الذى تجسّد ونزل هل هو جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره ؟

فإن قلتم : هو جوهر ، فقد صرحتم بإثبات جوهرين ، الأب جوهر والابن جوهر ، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرا ثالثا ، فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بأنفسها . وحينئذ فيبطل قولهم : إنه الله واحد ، وانه أحديّ الذات ، ثلاثي الصفات . وانه واحد بالجوهر ، ثلاثة بالأقنوم ، إذ كنتم قد صرحتم -على هذا التقدير - باثبات ثلاثة جواهر .

وإن قلتم : بل الابن القديم الأزلي ، الذى هو الكلمة التى هي العلم والحكمة ، عرض قائم بجوهر الأب ، ليس جوهرا ثانياً . فقد صرّحتم بأن الربّ جوهر تقوم به الأعراض ، وقد أنكرتم هذا فى كلامكم . وقلتم : هو جوهر لا تقوم به الأعراض ، وقلتم : إن من المخلوقات جواهر لا تقوم بها الأعراض ، فالخالق أولى . وهذا تناقض بيّن . . . »(1)

ويقول ابن تيمية -بيانا لسبب هذا التناقض- : إنهم يلفقون عقيدتهم من مصادر متعددة ، بحيث يبدو فيها وضوح التضارب والتناقض بين أجزائها فيقول :

" وسبب ذلك : أنهم ركّبوا لهم اعتقادا ، بعضه من نصوص الأنبياء المحكمة

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص٢٢٤ / ٢٢٥ بتصرف قليل .

كقولهم : الاله الواحد ، وبعضه من متشابه كلامهم ، كلفظ الابن وروح القدس، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين كقولهم : جوهر لا تقوم به الصفات[1]، فجاءت عقيدتهم ملفقة .

٤ • ابطال ابن تيمية لدعوى النصارى للتوحيد مع قولهم بالتثليث :

ورغم أن النصارى يقولون بالتثليث ، الا أنهم يدّعون التوحيد وأن هذا الثالوث يؤلف الها واحدا . وينقدهم ابن تيمية من خلال نص عقيدة ايمانهم ، ويثبت أنهم مثلثون لا موحدون ، وأنهم يثبتون ثلاثة آلهة منفصلة تنطبق على كل واحد منها صفة الألوهية . ويثبت أن دعواهم للتوحيد دعوى باطلة ، وأنهم متناقضون في ذلك تناقضا بيّنا .

فالنصارى يقولون : إن الثلاثة الأب والابن وروح القدس أسماء ، وهي إله واحد ، وربّ واحد ، وخالق واحد ، ومسمى واحد ، لم يزل ولا يزال حياً ناطقاً . أي الذات والنطق والحياة .

فالذات عندهم : الأب ، الذي هو ابتداء الاثنين ، والنطق : الابن، الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل ، والحياة : هي الروح القدس.[2] وقد ناقشهم ابن تيمية في دعواهم هذه ، وردّ عليهم . فقال :

"إن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة ، فإنه (هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص٢٢٧ .

(٢) أنظر المرجع السابق جـ٢ ص١١٢/١١٥ .

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عمّا يشركون . هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[1] ..... الى آخر الآيات الكثيرة في هذا الشأن .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة* .)[2]

واذا كانت أسماء الله كثيرة ومتعددة فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل . وأي شئ زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل .

أما قولهم : الأب الذى هو ابتداء الاثنين ، والابن : النطق ،الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل فكلام باطل . بل هو من أعظم الكفر وأشده استحالة ؛ فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولاً وآخراً ، لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا ، لم يصر حيا بعد أن لم يكن حيا ، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما ....

---

(١) سورة الحشر / آية ٢٢-٢٤ .

* وهذا معناه في أشهر قولي العلماء ، وأصحهما ، أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، والا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك .

(٢) أنظر صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٠٨ ، ١٠٩ كتاب الدعوات / باب لله مائة اسم غير واحد .

وانظر كذلك صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٦٢ / ٢٠٦٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة/ والاستغفار باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها الحديث رقم ٥ ، ٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

أما تسمية حياة الله (روح القدس) ، فهو أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزّلة ، فإطلاق روح القدس على حياة الله انما هو من تبديلهم وتحريفهم ..."(١)

ثم يقول : "ان أمانتكم التى وضعها أكابركم بحضرة (قسطنطين) ، وهى عقيدة ايمانكم التى جعلتموها أصل دينكم ، تناقض ماتدّعونه من أن الاله واحد ، وتبيّن أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه . وهذان أمران معروفان فى دينكم :

(١) تناقضكم فى ادعائكم أن الثلاثة واحد .

(٢) واظهاركم فى المناظرة خلاف ما تقولونه من أصل ايمانكم .

فإن الأمانة التى اتفق عليها جماهير النصارى ، يقولون فيها :

" نؤمن بإله واحد ، أب ضابط للكل ، خالق السموات والأرض ، كل مايرى وما لايرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق مساو للأب فى الجوهر ... وبروح القدس ، الرب المحيى ، المنبثق من الأب ، الذى هو مع الأب والابن مسجود له ، وممجد ناطق فى الأنبياء ...."(٢)

" فهذا تصريح بالثلاثة أرباب ، وأن الابن اله حق من اله حق ، ومع تصريحكم بثلاثة أرباب ، وتصريحكم بأن هذا اله حق من اله حق ، تقولون : ان ذلك اله واحد ، وهذا تصريح بتعدد الآلهة ، مع القول باله واحد . ولو لم تذكروا مايقتضى أنه جوهر آخر ، لأمكن أن يحمل كلامكم على عطف الصفة ، لكن كان يكون كلامكم أعظم كفرا . فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس الاله الواحد الأب خالق مايرى ومالا يرى ، وهذا من أعظم كفركم مع أن هذا حقيقة قولكم ، فانكم تقولون : "المسيح هو الله ،

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١١٢/١١٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص١١٦-١٢٠ باختصار وتلخيص .

وتقولون : هو ابن الله ." . . ، وهذا أيضا من تناقضكم ،فانه ان كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبّر بالابن عن الصفة أو غيرها ،فإن الأب هو الذات ليست هي الصفة . . .

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم : وبرب واحد يسوع المسيح عطف الصفة ، وأن هذا هو الأب . . . والعطف لتغاير الصفة ،فلو كان المراد بالابن نفس الأب لكان هذا خلاف مذهبهم ، ويكونون قد جعلوه الهاً من نفسه ،فقالوا : إلهان ،بل ثلاثة ، وهو واحد ، فهذا لو أرادوه لكان أعظم من الكفر ، بل قالوا : برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد،المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور، اله حق من اله حق ، ومن جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، فصّرحوا بأنه رب ، وأنه إله حق ، من اله حق ، وصرحوا باله ثان مع الاله الأول . وقالوا مع ذلك : إنه مولود من الأب قبل كل الدهور ، وأنه مولود غير مخلوق ، فامتنع أن يريدوا بذلك الناسوت ،فإن الناسوت مخلوق .

ثم قالوا : مساوٍ الأب في الجوهر ،فاقتضى هذا أن يكون المولود الذى هو الكلمة جوهرا ،وأنه مساو الأب في الجوهر . والمساوِي ليس هو المساوَى . وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان مساو الجوهر الأول ، وهو صريح باثبات الهين . وتقولون مع ذلك : إنه اله واحد ،جوهر واحد . . .

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذى جعلتموه الرب المحيى أنه منبثق من الأب مسجود له ممجد ، ناطق في الأنبياء ،فإن كان المنبثق ربا حيا ،فهذا اثبات إله ثالث ، وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة ،وفي كل منهما من الكفر والتناقض مالا يخفى . ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً له ،والمسجود له هو الاله المعبود ، وهذا تصريح بالسجود لاله ثالث مع ما فيه من التناقض ، ثم جعلتموه ناطقاً في الأنبياء ، وهذا تصريح بحلول هذا الأقنوم الثالث بجميع

الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبي مركباً من لاهوت وناسوت ، وانه اله تام ، وانسان تام ، كما قلتم في المسيح ، إذ لا فرق بين حلول الكلمة ، وحلول روح القدس ، فكلاهما أقنوم . وأيضا فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى ، وحلول الصفة دون الذات ، فيلزم الاله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي ، ويكون كل نبي هو رب العالمين ، ويقال مع ذلك هو ابنه ، وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم مالا يخفى ، وهذا لازم للنصارى لزوما لا محيد عنه".(1)

ويتتبع ابن تيمية تبرير النصارى للتثليث حيث يذكر أنهم قالوا : "قد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا : "أب وابن وروح قدس" عبادة ثلاثة آلهة ، بل اله واحد ، كما لا يلزمنا إذا قلنا : الانسان ونطقه وروحه ثلاثة أناس ، بل انسان واحد ، ولا إذا قلنا : لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلاثة نيران ، ولا إذا قلنا : قرص الشمس ، وضوء الشمس ، وشعاع الشمس ، ثلاثة شموس ."(2) أي لا يلزمهم التثليث في كل ما مرّ ، بل الانسان هو الانسان بنطقه وروحه ، والنار هي النار بضوئها وحرارتها ، وقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه . لكن شيخ الاسلام ردّ عليهم بقوله :

"إنكم صرحتم بتعدد الآلهة الأرباب في عقيدة ايمانكم وفي استدلالكم ، وغير ذلك من كلامكم ، فليس ذلكم شيئا ألزمكم الناس به ، بل أنتم تصرّحون بذلك كما تقدم من قولكم : "نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق مايرى ومالا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ الأب في الجوهر

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص٢٤٩ / ٢٥١ .

(2) المرجع السابق جـ٢ ص ٢٤٨ .

وبروح القدس الرب المحي ، المنبثق من الأب ، الذى معه الأب مسجود لـه وممجّـد ." (١)

أمّا " تمثيلكم الثالوث بالانسان ، ونطقه ، وروحه ، فهو تمثيل باطـل. فإن أردتم بالروح حياته ، فليس هذا هو مفهوم الروح ، وان أردتم الروح التي تفارق بدنه بالموت ، وتسمى النفس الناطقة ، فهذه جوهر قائم بنفسه ، ليست عرضا من أعراضه . وحينئذ فيلزم أن تكون روح الله جوهراً قائما بنفسه ، مع جوهر آخر نظير بدن الانسان . ويكون الرب - سبحانه وتعالى - مركبا من بدن وروح كالانسان . وليس هذا قول أهل الملل ، لا المسلمين ولا اليهود ، ولا النصارى . فتبيّن أن تمثيلكم هذا باطل ."(٢)

ثم إن حرّ النار وضوءها القائم بها ، ليس نارا من نار ، ولا جوهرا من جوهر ، ولا هو مساوٍ النار والشمس في الجوهر ، وكذلك نطق الانسان ليس هو إنسانا من انسان ، ولا هو مساوٍ الانسان في الجوهر ، وكذلك الشمس وضوءها القائم بها ، وشعاعها القائم بها ليس شمسا ، ولا جوهراً قائما بنفسه . وأنتم قلتم : "إله حق من إله حق" وقلتم في روح القدس: " إنه ربّ ممجد ، مسجود له " . فأثبتم ثلاثة أرباب ." (٣)

وهكذا يبيّن ابن تيمية أن النصارى " قد ضلّوا في عقيدتهم بالتثليث ضلالاً بعد ضلال . ضلّوا أولاً حيث جعلوا مراد المسيح وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب . ثم ضلّوا ثانياً ، حيث جعلوا الصفة خالقا وربا . ثم ضلّوا ثالثاً حيث جعلوا الصفة تتحد ببشر ، هو عيسى ، ويسمى المسيح ، ويكون هو الخالق ربّ العالمين . فضلّوا في التثليث ضلالاً مثلثاً ، حيث أثبتوا ثلاث صفات دون غيرها ، وجعلوها جواهر وأربابا ، ثم قالوا : هي اله واحد "(٤) .

وهكذا يبطل ابن تيمية استدلالات النصارى على عقيدتهم بالتثليث داحضا مافيها من الأباطيل ، وسوء الفهم ، ومبيناً أنه لاحجة لهم في كل ما احتجوا به ، بل عامة مايحتجون به من نصوص الانبياء ، ومن المعقول هو نفسه حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم . كما نقلنا عنه آنفا .

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٥٤ بتصرف قليل .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

جـ - تعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة التثليث النصرانية :

هذه هي عقيدة التثليث عند النصارى ، وهذه هي استشهاداتهم على مايزعمونه من صحة تلك العقيدة نقلا وعقلا .

وبعد هذا الذى قدمناه من ابن تيمية في ابطال هذه العقيدة ، يتبيّن لنا فساد ما تستند اليه تلك العقيدة ، سواء من الناحية العقلية أو النقلية .

والواقع أنها عقيدة ليس لها من سند ديني ، أو عقلي ، وانما هي مستقاة ومأخوذة من المصادر الخارجية التي اتصل بها المسيحيون ، بما تحمله تلك المصادر من موروثات وثنية ، أو ثقافية قديمة .

فالثالوث ليس بدعا في المسيحية ، ولكنه يمتد بجذور عميقة في أرض الوثنية القديمة ، في الهند ، ومصر ، وافريقية ، حيث أخذه النصارى من الامم السابقة عليهم والتي اختلطت بهم فيما بعد ، وانتشرت المسيحية بين صفوفها ، وبطبيعة الحال فان الاختلاط بين المسيحيين وبين تلك الامم قد أثمر ثمرته ، وأينع حصاده ، وهو انتقال التصورات الدينية عند تلك الأمم الى تصور المسيحيين للعقائد والشعائر المسيحية . وكان هذا التقارب بين العقيدة المسيحية ، - في صورتها المحرّفة - وبين عقائد تلك الامم سببا من أسباب قبولهم لها - كما ذكرنا من قبل - .

فالعقيدة المسيحية بعد هذا التلوّث بلون المصادر الأجنبية والامتزاج بمفاهيمها ، أصبحت أمرا مقبولا لدى هذه الامم ، غير بعيد عن فكرها ومشاعرها .

لانقول هذا تجنيا وادعاء ، وانما نقوله بعد الدراسة والتمحيص لتلك العقائد ، والمقارنة بينها وبين العقيدة المسيحية في وضعها الجديد ، وتبيّن مدى تأثير تلك العقائد فيها .

ونقوله كذلك بعد الدراسة للتلاحم العميق الذى كان بين الأمم المسيحية وبين أصحاب تلك العقائد من الأمم المجاورة والتى انتشرت فيما بينهم .

" لقد كان موضوع تعدد الآلهة يكاد يكون عاماً فى جميع الثقافات القديمة قال به المصريون القدماء ، وقال به الآشوريون،والبابليون،والفرس ،والهنود والصينيون واليونان على اختلاف فى عدد الآلهة،ومكانتهم،واختلاف فى تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر . . . .

أما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدد الذى بولغ فيه أحيانا.ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال ، تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ،والتى لا يزال لها بقايا فى عالمنا الحاضر.

وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به،ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية وتسجد لهما الجماهير،وينجب الزوجان ، ويعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد ، فتسجد له الجماهير أيضا ، ويتم بذلك الثالوث .

تلك هى الفكرة الأولى للتثليث ،ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة ،وأصبح الثالوث معبودا معروفا لكثير من الأمم ." (١)

فالتثليث عقيدة وثنية ، نقلها الوثنيون المتنصرون الى النصرانية . وكونها عقيدة وثنية قد وضحه ، وبينه بجلاء علماء أوربا بالتفصيل ، وأتوا عليها بالشواهد الكثيرة .

وفى بحثنا هذا نذكر طرفا من الوثنيات المثلثة التى نراها قد أثرت بتصوراتها فى العقيدة المسيحية .

---

(١) الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص١٣٠ / ١٣١ .

" ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث ، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد ، حيث كانوا يدينون بتعدد الآلهة ، ولكنهم نظّموا هؤلاء الآلهة فجعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر ، كل مجموعة ثلاثة ، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة ، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء ، فإله الأرض ، فإله البحر . أما المجموعة الثانية ، فإله القمر ، وإله الشمس ، وإله العدالة والتشريع."(١)

وأيضا كان التثليث معروفا عند قدماء الهنود ، وكانوا قبل المسيح بآلاف السنين، حيث نرى " أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث (أى القول بأن الاله ذو ثلاثة أقانيم) ويسمون هذا التعليم بلغتهم " ترى مورتي " وهى عبارة مركبة من كلمتين، بلغتهم السنسكريتية " ترى " ومعناها : ثلاثة ، و " مورتي " ومعناها هيئات أو أقانيم . وهى . برهما و فشنو وسيفا، ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة، فهي إله واحد "(٢)

ويشرح دوان - حين كلامه عن الثالوث البرهمي - معنى هذه الأقانيم عند الهنود، فيقول : " إن الهنود يرمزون الى الأقانيم بثلاثة أحرف هى : " أ . و . م " وانهم يصفون هذا الثالوث المقدس بأنه غير منقسم، في الجوهر، ولا في الفعل، ولا في الاتحاد بقولهم : " برهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ، ولا يزال خلاقاً إلهياً وهو " الأب " . وفشنو يمثّل مبادئ حماية وحفظ الأشياء المكوّنة، وهو " الابن " المنبثق والمتحول عن اللاهوتيه ، وسيفا هو المهلك والمبيد، والمبدئ والمعيد، وهو " الروح القدس " ويدعون كرشنا الرب المخلّص، والروح العظيم الذى ولد منه (فشنو) الإله الذى ظهر بالناسوت على الأرض، ليخلص الناس، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التى هى الاله

(١) د . ابراهيم مدكور / تاريخ الفلسفة ص٦ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى المسيحية ص١٣١ ط٥ .
(٢) دوان : خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى ص٣٦٦ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٩ .

الواحد وأنهم ـ أى الهنود ـ يرمزون للأقنوم الثالث بصورة حمامة "[1] كالنصارى تماما.[2]

وجاء في كتاب "الباجافاتا بورانا" وهو من الكتب الهندية المقدسة أن كاهنا توجه الى الآلهة برهما وفشنو وسيفا سألهم جميعا : أيكم الاله بحق ؟ فأجابه الآلهة الثلاثة جميعا قائلين :-

" اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة . فإن الاله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وملاشاة*، ولكنه في حقيقته واحد ، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا أو عبد الواحد الأعلى"[3]

ونظير هذا القول ماجاء في العهد الجديد على لسان يوحنا (اللاهوتي) : " ان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد ."[4]

---

(١) دوان : خرافات التوراة ومايماثلها في الأديان الأخرى ص٣٦٦ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٢٠، ٢١ بتصرف .

(٢) أنظر انجيل متّى ٣ : ١٦ ، وانجيل مرقس ١ : ١٠ وانجيل لوقا ٣ : ٢٢ وانجيل يوحنا ١ : ٣٢ .

* أطلقت هذه الكلمة على القوة المستترة التي تلاشي الكائنات واحدا بعد الآخر وتدمرها . (أنظر محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ٢ ص١٥٥) .

(٣) محمد فريد وجدى دائرة معارف القرن العشرين جـ٢ ص١٥٥ .

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٦-٩ .

" وكما نجد عند اليهود ثالوثا مؤلفا من برهما وفشنووسيفا ، نجد كذلك عند البوذيين ثالوثا ، فإنهم يقولون : ان بوذا إله له ثلاثة أقانيم . كما يقول الهنود، ورمزهم "أ . و . م "(١)

أما عن التثليث عند الصينيين فقد جاء في كتاب " خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى " مانصه :

" وأنصار لا وكومتذا (الفيلسوف الصيني المشهور) وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة (٦٠٤) يدعون (شيعة تاوو) ويعبدون الها مثلث الأقانيم . وأساس فلسفته اللاهوتية أن (تاوو) وهو العقل الأزلي انبثق منه واحد ، ومن هذا الواحد انبثق ثان ومن الثاني انبثق ثالث ، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء . وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس ، لأن قائله وثني "(٢) أي ليس نصرانيا ، حتى يكون القول بالتثليث عقيدة جديدة لم يسبق اليها النصارى ، بل هي عقيدة قلدوا فيها الوثنيين .

ولقد كان التثليث معروفا أيضا عند المصريين القدماء " قد قامت مدرسة الاسكندرية عقب انشاء مدينة الاسكندرية سنة (٣٣١ ق.م.) ، وورثت حضارات مختلفة ، وقام بها علماء مصريون ، وساميون ، ويونان ، ورومان . وعرفت اليهودية طريقها اليها ، كما انسابت اليها أفكار وثنية كثيرة ، وأصبحت مدينة الاسكندرية بعد الفتح الاغريقي مركزا لحياة مصر الدينية ، بل أصبحت مركز الحياة الدينية للعالم الهلليني كافة " فأقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم المكرّس لعبادة ثالوث من الآلهة كان يمثّل احدى عمليات اتحاد الآلهة

---

(١) محمد طاهر التنير العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص٢٤ .

(الثيوكرازيا) مطبقة على الأخص على آلهة بلاد الاغريق ومصر.

وكان هذا الثالوث يتكون من الرب سيرابيس (أوزيريس + أبيس) ، والربة ايزيس ، والرب الطفل حورس . وبطريقة أو بأخرى كانت المطابقة بين أي واحد من هذه الثلاث للرب الواحد . . . وكان كل واحد منها هو الآخر ، كانت ثلاثة آلهة ، ولكنها أيضا اله واحد ." (١)

" وقد انتشرت عبادة سيرابيس انتشارا عظيما في جميع أقطار العالم المتمدين في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ، ترى فيها أعجب الطلائع والظواهر المؤذنة بعادات وطرق العبادة التي قدّر لها أن تتسلط على العالم الأوربي طوال الحقبة المسيحية . . . . . على أن الطقوس والصيغ الاصطلاحية التي اتخذتها المسيحية ، والتي مابرحت ترتديها الى يومنا هذا في كثير من الأقطار ، قد نسجت ولا مراء في عقائد ومعابد جوبيتر سيرابيس وايزيس التي انتشرت عند ذلك من الاسكندرية الى كافة أصقاع العالم المتمدين في عصر الثيوكرازيا (اتحاد الآلهة) في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ." (٢) وهؤلاء الثلاثة (الأب والأم والابن) يمثّلون العائلة الالهية عند قدماء المصريين .

" وقد استمرت مدرسة الاسكندرية هذه تباشر مكانتها الثقافية حتى ميلاد المسيح ، وبعد ميلاد المسيح ، ومن أشهر علمائها :

أفلوطين (٢٠٥-٢٧٠) وعلى يده كان تجديد مذهب أفلاطون حتى عرف مذهب (أفلوطين) (٣) بالأفلاطونية الحديثة . وخلاصة مذهب أفلوطين :

أن في قمة الوجود يوجد "الواحد" أو "الأول" وهو جوهر كامل فياض ، وفيضه

---

(١) هـ . ج . ولز / معالم تاريخ الانسانية جـ٢ ص٤٦٧ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٤٦٩ .

(٣) في المرجع "أفلاطون" والصحيح "أفلوطين" حسب سياق الكلام .

يحدث شيئا غيره هو "العقل" وهو شبيه به ، وهو كذلك مبدأ الوجود ، وهو يفيض بدوره ، فيحدث صورة منه هي "النفس" وتفيض النفس ، فتصدر عنها الكواكب والبشر . أو بعبارة سهلة موجزة : "ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة ، الأول ، العقل ، النفس." (١)

وقريب منه قول القس (بولس سباط) الذى يطلق على (الله) لفظ العقل المجرد ، وعلى عيسى (الابن) لفظ العقل العاقل ، وعلى (الروح القدس) لفظ العقل المعقول . (٢)

وجاء في تاريخ العالم مانصه :

"كانت عقيدة التثليث حقيقة أساسية عند (أوغسطين) - الذى نشأ على فلسفة الأفلاطونية الجديدة - وكانت نظرته برمتها الى الأشياء تقوم على فكرة "الأب الذى تصدر عنه جميع الكائنات ، والابن الذى منه تكتسب جميع الكائنات حياتها ، والروح القدس الذى به ترتّب كل الأشياء ترتيبا متناسقا أكمل تناسق". وليس هذا الا ثالوث الأصل الأول والكلمة "اللوغوس" وروح الكون . وهو الثالوث الذى قالت به الأفلاطونية الجديدة ." (٣)

وقد اقتبس المسيحيون ثالوثهم من الثالوث المصرى هذا "بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحى ." (٤)

---

(١) H.G.Wells- Ashort history of the world P. 169
نقلا عن كتاب الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص١٣٢ / ١٣٣ بتصرف .

(٢) ابراهيم سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص٥٨ .

(٣) السيرجون . أ . هامرتن : تاريخ العالم المجلد الرابع ص٣٦٩ / ٣٧٠ أشرف على ترجمته العربية / قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر .

(٤) د . سامى جبره / في رحاب المعبود توت ص٢٤ نقلا عن الدكتور احمد شلبى / المسيحية ص١٧٣ .

"بيد أن نمو النزعة نحو التقشف والنسك جعل القساوسة ذوي الانحرافات الجنسية ينفرون من اشتمال الثالوث الالهي على امرأة ، وأحلوا محلها عضوا غير ملموس هو الروح القدس." (١)

وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعليم الدين بقولهم : "ان الأول خلق الثاني ، وهما خلقا الثالث ، وبذلك تم الثالوث المقدس." (٢)

ولقد اعترف القس (الياس مقار) "بأن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث ، وأن الهنود كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث ، وهذا انما يدل على شيوع هذه العقيدة في العالم ، تلك العقيدة التي جعلت العالم يقبل على النصرانية حينما صاغها اليهود على مثالها ؛ لأنها لا تتصادم أساسا مع عقائد آبائهم وأجدادهم ." (٣)

ومع اعتراف النصارى بأن العالم قديما كان يعرف عقيدة التثليث ، فهم يقولون : ان هناك مغايرة تامة بين عقيدة التثليث عندهم ، وبين عقيدة التثليث في العالم . (٤)

وقد حاول أحد اليسوعيين أن يفرّق بين الثالوث البرهمي والثالوث المسيحي فقال : ان ثالوث البراهمة وأمثالهم نجس ، وثالوث النصارى مقدس". (٥) وهي محاولة غير تامة وغير مجدية .

---

(١) د . عصام الدين حنفي ناصف : المسيح في مفهوم معاصر ص٥٦ .

(٢) د وان : خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى ص٣٧٤ نقلا عن كتاب الأستاذ محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٢٦ .

(٣) الدكتور أحمد حجازى السقا : أقانيم النصارى ص٨٨ .

(٤) المرجع السابق ص٨٧ .

(٥) الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج٦ ص٨٩ .

ويقول الدكتور أحمد حجازى السقا :

"اننا نسلّم لهم بهذه المغايرة ؛ لأن الذى يقتبس فكرة غيره ليضع فيها مبادئ دعوته قد لا يسلم من أن يضيف شيئا أو ينقص شيئا ، ولكننا لا نعفيهم من القول : بأن عقيدة التثليث التى كانت منتشرة فى العالم هى التى ذكّرتهم حين أرادوا قصر النبوة عليهم أن يجعلوا الاله الواحد الذى أخبر عنه موسى وعيسى ، والابن الذى أخبر عنه داود ، والروح القدس الذى أخبر عنه عيسى ، أن يجعلوا الكل الها واحدا . . ."[1]

هذه لمحة عابرة عن وجود التثليث فى الأمم القديمة وانتقاله الى العقيدة النصرانية ، لم نرد أن نطيل القول بذكر صور التثليث فى جميع الوثنيات ، والمذاهب السابقة على النصرانية ، فقد ألّفت فى ذلك الكتب المطولة[2]. وفيما ذكرناه كفاية فى الدلالة على ما أردناه من التقاء النصارى بالأمم السابقة ، وتأثرهم بعقائد تلك الأمم .

ومن العجيب أن النصارى يعترفون بوجود عقيدة التثليث فى الأمم السابقة ، ولكن بعضهم يرى أن وجود هذه العقيدة فى تلك الأمم وفى النصرانية لا يدل على تأثر النصرانية لما فى الأمم السابقة كما نقول ، ولكن يدل على فطريتها ووحدة مصدرها فى تلك الديانات جميعا . يقول حبيب سعيد :

"عقيدة التثليث منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديما وحديثا ففى ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ، ولكل مستعمرة من مستعمراتهم

---

(١) أقانيم النصارى ص٨٧ ، ٨٨ .

(٢) من أمثال : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير ، وكذلك : تاريخ العالم : للسيرجون . أ . هامرتن ومعالم تاريخ الانسانية هـ . ج . ولز ، وقصة الحضارة : وول ديورانت . . . الخ .

ثالوث . وثالوث المصريين أوزيريس وايزيس وحورس ، وثالوث الهنود بوذا وبرهما وفشنو ، وعند الصينيين ثالوث يعبرون عنه بمثلث متساوى الأضلاع والزوايا .

هذا الثالوث لم يأخذه المسيحيون عن الوثنيين ، غير أن عقيدة الثالوث في المسيحية وغيرها مستقاة من مصدر واحد ، مثل عقيدة وجود اله أو عبادة اله . فليس من أمة بلا معبود أو عبادة . ووجود هذه العقيدة عند غير المسيحيين ليس إلّا للدلالة على أن مصدرها واحد هو الله نفسه .. "(١)

والواقع أن هذا كلام غير مسلّم به فقد أقمنا في أول هذا الفصل الأدلة القاطعة على أن المسيحية في أول أمرها وعلى نحو ما جاء بها المسيح كانت ديانة توحيد . فإذا وجدناها قد انحرفت فيما بعد عن خط التوحيد ، وأصبحت ديانة تثليث ، ووجدنا أن التثليث فيها يشبه ما كان في الوثنيات القديمة ، فإن ذلك يدل بالضرورة على تأثرها بتلك الوثنيات التي كانت موجودة في المناطق المجاورة لمهد المسيحية ، والتي انتشر منها دعاتها فيما بعد .

ويعترف مؤرخو الحضارة الغربية من المسيحيين أنفسهم بأن رجال المسيحية الأوائل انحرفوا بالدين ، وأدخلوا عليه تلك التصورات الوثنية ، وقبلوا كثيرا من مظاهرها ، ورأوا أن ذلك أدعى الى قبول الوثنيين للدخول في المسيحية . ولا ننسى في هذا دور قسطنطين الامبراطور الوثني .

يقول (دارير الأمريكي) في كتابه (الدين والعلم) :

" ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحفلون

---

(١) أديان العالم ص٣٠٤ ، ٣٠٥ .

بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام . . . وكذلك كان قسطنطين . . فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيّد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا في آخر عمره (سنة ٣٣٧م) . . . .

إن الجماعة النصرانية ، وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولّت قسطنطين الملك ، لكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد ، تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء . . . .

وإن هذا الامبراطور الذي كان عبداً للدنيا ، والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا ، رأى لمصلحته الشخصية ، ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوحّدهما ، ويؤلف بينهما ، حتى أن النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة . ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعّمت ولقّمت بالعقائد الوثنية القديمة ! وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها ." (١)

ويقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظافرة في مجمع نيقية - وهي العقيدة الرسمية في أعظم امبراطورية في العالم - مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل (أي المسيحية الأولى) ، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا ." (٢)

وهكذا يتبين لنا بوضوح الجذور التاريخية لعقيدة التثليث في الديانة النصرانية وأنها ليست عقيدة دينية صحيحة .

---

(١) نقلا عن أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) نقلا عن : الشيخ محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ص ١٢٤ .

٢ - البطلان العقلي لعقيدة التثليث :

ومع ماذكرناه في هذا الفصل من ابطالات لعقيدة التثليث ، ومع ماأوضحناه كذلك من بيان جذورها التاريخية في الوثنيات القديمة ،الأمر الذى انتهى بنا الى القول -آنفا- بأن هذه العقيدة لا تقوم على أسس دينية صحيحة - مع ذلك كله فقد وجدنا أن جميع فرق النصارى وكنائسهم قد انتهوا الى القول بالتثليث ،وأنه ركن أساسى من أركان دينهم يجب قبوله كحقيقة لا هوتية ، وأنه سمة وعلامة يحملها على جبينه كل داخل الى ملكوت الله - في زعمهم- وأن كل من لا يؤمن به ويعتقده يعتبر مارقا مستحقا للّعن والطرد من رحمة الكنيسة،ومحروماًمن دخول الفردوس.

ومن العجيب أنهم مع ايمانهم بهذه العقيدة - رغم بطلانها - يقرّون بأنها فوق طاقة العقل البشري ، وفوق إدراكه . وأنه من الصعب عليهم أن يحاولوا فهم هذا الأمر بعقولهم القاصرة ، وأن كل مايمكنهم ايضاحه حول كيفية وجود ذات الله في ثلاثة أقانيم أن كلا منهم ممتاز عن الآخر في الأقنومية لا في الجوهر ، فهم جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، واله واحد ، ولكل واحد منهم صفات اللاهوت... .

وقد حاول علماؤهم وفلاسفتهم مرارا وتكرارا ايضاح ثالوث الوحدانية هذا فلم يفلحوا ، لأن ذلك فوق طاقة عقولهم ، وصرحوا بأنه سرّ من الأسرار الالهية يستحيل فهمه وادراكه ، ولا يجوز لهم أن يتفلسفوا في تفكيك هذا السر أو تحليله ، أو يلصقوا به أفكارا من عندياتهم ، وكل من يحاول ادراك هذا السر الثالوثي فهو كمن يحاول أن يضع مياه المحيطات كلها في كفه . يقول الدكتور دونالديمارى :

" لو واجهنا الحقائق بانصاف لتحتم علينا القول بأن عقيدة التثليث لا يمكن تفسيرها بل يجب قبولها كحقيقة لا هوتية ." (١)

---

(١) مدخل في علم اللاهوت (عقائد أساسية) ص٣٢ .

وقد يتكفّل المستقبل بايضاح سرّ الثالوث هذا وبيانه بواسطة النور الالهـــي ، وذلك يوم الكشف عن البصائر لكل مافي السموات والأرض ، أمام الحضرة الالهيـــة . كما يزعمون .(١)

وانا لنعجب اذا كان هذا هو حال علمائهم ، ورجال الدين منهم فما هـــو ياترى حال بسطائهم وعامتهم ، اذا ماحاولوا أن يفهموا عقائدهم .

وكفى فسادا بعقيدة يؤدي اعتقادها الى المحال باعتراف أصحابها .

والواقع أن هناك فرقا بين مايحكم العقل باستحالته كالتثليث ، وبيـــن مالا يستطيع العقل ادراكه ، وعقيدة التثليث مما أثبت العقل تناقضها مع الحسّ والمنطق . هذا التناقض الذى يبدو فيما يأتي :

أولا : يبدو تناقضهم واضحا بين ما أثبتوه في أمانتهم ، وبين ما يعتقدونـــه ، حيث اتفقوا على أن الأب والابن وروح القدس اله واحد . أي أن الباري جوهر واحد ثلاثة أقانيم . بينما الأمانة التى اتفقوا عليها أوضحوا فيها أن ذات الابن غير ذات الأب وهما معا غير الروح القدس . وبذلك خالفوا مايعتقدونه من أنهم اله واحـــد في ثلاثة أقانيم ، وتناقضوا ، حيث جعلوا جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة ، فأثبتوا بذلك تربيعا لا تثليثا . وفي ذلك يقول أبوعبيدة الخزرجي مخاطبا النصارى :

" قد اتفقتم على أن أقانيم : الأب والابن والروح القدس غير مختلفة ، بـــل هي أقنوم واحد ، فإذا كان هذا فالأب هو الابن وهما مع الروح القدس الكل شـــئ واحد . وقلتم : وهذا توحيد .

---

(١) أنظر علم اللاهوت النظامى / (المؤلف مجهول الاسم) جـ١ ص١٠٣ .
وكذلك / القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص٧ .

فلم خصصتم المسيح بالابن ولم تقولوا هو الأب ، وقد قلتم : ان الأب والابن والروح القدس شئ واحد ؟ ثم جعلتم جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة، فهؤلاء اذن أربعة ، وقد بطل التثليث وصار تربيعا ، فإن أبيتم إلا ثلاثة فقد جعلتم نفي العدد واثباته سواء وكابرتم المعقول ." (١)

وبنفس الرأي يورد ابن كمونة* -على لسان مخالفي النصارى - بطلانا عقليا على التثليث فيقول : " لمخالفي النصارى أن يقولوا : إن هذه الأقانيم التي ذكرتموها ، إن كان مرادكم بها ذوات ثلاثة قائمة بأنفسها فبرهان الوحدانية يبطله، وهو أيضا على خلاف معتقدكم في التوحيد . وان كان مقصودكم أنها صفات ، أو أحدها ذات والباقيتان صفتان ، فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوما رابعا ؟ وكذا سائر ما يوصف به الله تعالى أقانيم ؟ فإن قالوا : قدرته هي علمه ، قلنا : وحياته أيضا هي علمه ، فلم أفردتموها أقنوما ؟

. . . . ولو كان المراد بقولكم : "ان الباري سبحانه جوهر واحد ثلاثة أقانيم": أنه ذات عالمة حية ، أو ذات عاقلة لنفسها ، وذات معقولة لها ، فما قلتموه في أمانتكم التي اتفقتم عليها ينافي ذلك ، فان فيها تحقيقا أن الابن ذات غير ذات الأب ، وان ذات الابن هي التي نزلت وصعدت دون الأب . . . . . .
فجميع مذاهبكم باطلة ." (٢)

---

(١) مقاطع الصلبان ص٨٦ تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي .

* ابن كمونة هو : سعد بن منصور بن كمونة (٥١٢١٥-١٢٨٥) بغدادي ، من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود الذين دخلوا في الاسلام . أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهاجم المسلمون داره في بغداد عقب صلاة الجمعة ليقتلوه لكنه تمكن من الهرب . أنظر الدكتور عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٤/ ٢٥ .

(٢) سعد بن منصور بن كمونة اليهودي : تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص٥٤، ٥٦ .

ثانيا : يتناقض النصارى في عقيدة التثليث ، اذ يقصرون الصفات الالهية على اثنين (الحياة والنطق) ، وان البارى تعالى ذات حية ناطقة ، وان الحياة والنطق وان كانا غيره في الشخصية فهما هو في الجوهرية . فنقول لهم :

"اذا كان الحيي له حياة ونطق ، فأخبرونا عنه ، أتقولون : انه قادر عزيز ، أم عاجز ذليل ؟ فإن قلتم : لا ، بل هو قادر عزيز ، قلنا : فأثبتوا له قدرة وعزة ، كما أثبتّم له حياة وحكمة .

فان قلتم : لا يلزمنا ذلك ؛ لأنه قادر بنفسه ، عزيز بنفسه . قلنا لكم : وكذلك فقولوا : إنه حي بنفسه ، وناطق بنفسه ، ولابدّ لكم مع ذلك من إبطال التثليث ، أو إثبات التخميس ، والا فما الفرق ، وهيهات من فرق ."(1)

ثالثا : يدّعي النصارى أن العدد ثلاثة هو أكمل الأعداد ، لجمعه بين الزوج والفرد ، لذا صاروا الى القول بالتثليث دون غيره من الأعداد . وهو من سفه القول الذى اعتادوا عليه ، وذلك لأن :

أ - "البارى لا يوصف بكمال ولا تمام من باب الاضافة ، لأن ذلك لا يقع الا على ما فيه نقص .

---

(1) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٢ ص٣٥٢ / ٣٥٣ . والقائل هو الحسن ابن أيوب . وهو عالم مسيحى ، أسلم على بصيرة بعد أن خَبر كتب المسلمين ومقالاتهم ، وقد أرسل اليه أخوه علي بن أيوب رسالة يسأله فيها عن سبب اسلامه ، فردّ عليه برسالة يبيّن له فيها ذلك ، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى ، وصحة دين الاسلام ، وقد نقل ابن تيمية نص رسالته فى كتابه الجواب الصحيح جـ٢ من ص٣١٣ الى ٣٦٠ .

ب - ولأن قولهم أن الثلاثة هي أكمل الأعداد مناقض لقولهم : ان الثلاثة واحد ،
والواحد ثلاثة ، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو
فيها ، (وهي جامعة له ولغيره ، بل ولا هي بعض ، فالكل ليس هو الجزء ،
والجزء ليس هو الكل ، والفرد جزء للثلاثة ، والثلاثة كل للفرد وللزوج معا .
فالفرد غير الثلاثة ، والثلاثة غير الفرد ، والعدد مركّب من واحد يراد به
الفرد وواحد كذلك وواحد كذلك الى نهاية العدد المنطوق به . فالعدد
ليس الواحد ، والواحد ليس هو العدد ، لكن العدد مركّب من الآحاد التي
هي الأفراد ، وهكذا كل مركّب من أجزاء ، فذلك المركب ليس هو جزء من
أجزائه كالكلام الذي هو مركّب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبّر عنه ؛
فالكلام ليس هو الحرف ، والحرف ليس هو الكلام .

جـ - ولأن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتمّ من الثلاثة ، لأنه يجمع اما زوجا وزوجا ،
واما زوجا وزوجا وفردا ، واما أكثر من ذلك .
وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع الا زوجا
وفردا فقط .
فيلزمهم أن يقولوا : ان ربهم أعداد لا تتناهى ، أو أنه أكثر الأعداد ، وهذا
أيضا ممتنع ومحال لو قالوه .
ثم ان الزوج والفرد نجده في الاثنين ، لأن الاثنين عدد يجمع فردا وفردا ،
وهو زوج مع ذلك ، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين .

د - ولأن كل عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث ،
والمعدود لم يوجد قط الا في ذي عدد ، والعدد لم يوجد قط الا في معدود ،
والواحد ليس عددا .»[1]

---

(١) ابن حزم / الفصل في الملل والاهواء والنحل / المجلد الأول جـ ١ ص ٥٢ ، ٥٣ .

رابعا : يتناقض النصارى فى جمعهم بين التوحيد والتثليث ، وحملهم اياهما على المعنى الحقيقى . وذلك سفسطة محضة ، لأنه اذا وجد التثليث الحقيقي وجدت الكثرة الحقيقية ، ومع وجودهما يختفي التوحيد الحقيقي ، والا لزم اجتماع النقيضين ، واجتماع النقيضين محال .

فقائل التثليث لا يكون موحدا لله تعالى توحيدا حقيقيا ، وذلك لأن التثليث الحقيقي ممتنع فى ذات الله تعالى .

وكيف وان الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح ، وهو الواحد ، وان الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأسا ، وان الواحد الحقيقي جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل يلزم كون الجزء كلاً ، والكل جزءا ، وان هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التى تكون عين هذا الجزء . . . وهلم جرا .

وكون الشئ مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا ، وان هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها ، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة ، وهو محال .

ثم إنه لو وجد فى ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي - كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الموجبات يلزم أن لا يكون لله حقيقة محصلة ، بل يكون مركبا اعتباريا ، فإن التركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء ، فإن الحجر الموضوع بجنب الانسان لا يحصل منهما أحدية ، ولا افتقار بين الواجبات ، لأنه من خواص الممكنات ، فالواجب لا يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا فى المجموع ، فإذا لم تفتقر بعض الأجزاء الى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أن يكون الله فى الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر

في تحققه الى تحقق كل واحد من أجزائه ، والجزء غير الكل بالبداهة . فكل مركّب مفتقر الى غيره ، وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون الله ممكنا لذاتـه . وهذا باطل .

وعلى ذلك اذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم ، فالأمر الذى حصل به هـذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أولا يكون ، فعلى الشقّ الأول لم يكن جميـع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم ، وهو خلاف ماتقرر عندهم أن كل أقنوم من هـذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشقّ الثاني فالموصوف به يكون موصوفـا بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

ولو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميز غير الوجـوب الذاتي ، لأنه مشترك بينهم ، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهـم مركبا من جزأين ، وكل مركّب ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته.[1]

و "اذا علمت بالبراهين العقلية القطعية أن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله، فلو وجد قول من الأقوال المسيحية دالاً بحسب الظاهر على التثليث يجب تأويلـه ؛ لأنه لا يخلو امّا أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة النقول . وامّـا أن نتركهما ، وامّا أن نرجّح النقل على العقل ، وامّا أن نرجح العقل على النقـل . والأول باطل قطعا ، والاّ يلزم كون الشيء الواحد ممتنعا ، وغير ممتنع في نفس الأمـر . والثاني أيضا محال ، والاّ يلزم ارتفاع النقيضين . والثالث أيضا لا يجوز ؛ لأن العقـل أصل النقل ، فان ثبوت النقل موقوف على وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسـلا للرسل . . . فالقدح في العقل قدح في العقل والنقل معا ، فلم يبق الآن نقطـع

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٥٨٣/٥٨٦ .

بصحة العقل ، ونشتغل بتأويل النقل ، والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل ."[1]

وهكذا يتضح لنا بطلان عقيدة التثليث عقلا بما تستلزمه من هذه المحالات والنقائض ، كما اتضح بطلانها نقلا بفساد الأدلة التي استند اليها أصحابها فيها . وكان على أصحاب هذه العقيدة ألا يلغوا عقولهم أمام دعوى الايمان والتسليم . فالعقيدة التي لا تكون عن اقتناع وفهم لا تكون لها قيمتها الدينية ، ولا يكون لها تأثيرها في حياة صاحبها .

والدين الصحيح يوجّه خطابه الى الكيان الانساني كله بعقله ووجدانه ، فليس هو مجرد مشاعر ذاتية ينفعل بها وجدان المرء ، ولكنه أيضا حقائق معقولة يدركها فكره .

وهكذا فإننا نجد الخطاب القرآني في أمر العقيدة يتوجّه الى عقول المؤمنين وقلوبهم . يتوجه الى عقولهم بالاقناع والدليل ، حيث يطالب المخالفين له بالبرهان على صحة عقائدهم (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[2] ، ويندد بتقليدهم لآبائهم في تلك العقائد (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)[3] ، ويهيب بهم قائلا : (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ...)[4] الآية ، ويتوّج عرضه للعقائد التي يدعو الناس الى الايمان بها بقول الله لهم : (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[5] ، (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[6] ، ولا يسمح أن يكون

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٥٩٠/٥٩١ .

(٢) سورة البقرة / آية ١١١ .

(٣) سورة البقرة / آية ١٧٠ .

(٤) سورة سبأ / آية ٤٦ .

(٥) سورة الرعد / آية ٤ .

(٦) سورة الرعد / آية ٣ .

الايمان بعقائدهم وليد تسلط فكري (لا اكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ)[1].

ومع ذلك كله ، فإن خطاب الوجدان البشري له مكانه في القرآن الكريم ليحرك المشاعر حتى تنفعل بهذه العقائد التي يقتنع بها العقول والقلوب معا .

أمّا أن يأتي رجال الدين في النصرانية المحرّفة ليبتدعوا عقيدة التثليث بكل ما تتضمنه من محالات ، ونقائض عقلية ، ويطالبوا الناس - مع تسليمهم باستحالة فهمها - بالايمان بها دون محاولة لتعقّلها ، فذلك مسلك لا يتفق مع الدين ولا مع المنطق السليم .

◊◊

---

(١) سورة البقرة / آية ٢٥٦ .

٣ - دلالة الكتاب المقدس على التوحيد :

وهذا كتاب المسيحيين - المقدس - بعهديه القديم والجديد، رغم مااعتراه من تحريف،وتبديل - كما رأينا ، وأثبتنا - فليس كثير من نصوصه غير دال على التثليث إذا فهم على وجهه الصحيح فقط ، بل هو مليء - كما بيّنا من قبل* - بالنصوص التي تدل على وحدانية الله تعالى ، وتنزّهه عن مشابهة مخلوقاته . وقد أبقى الله فيه عقيدة التوحيد خالصة كما جاءت على لسان موسى وعيسى - عليهما السلام - لتكون حجة على النصارى ، وخزياً لهم ، يوم تبيضّ وجوه ، وتسودّ وجوه .

وسنذكر هنا بعض النصوص من أسفار العهد القديم ، ونثنّيها بالنصوص من أسفار العهد الجديد ، وكلها ناطقة بالتوحيد الخالص لله تعالى ، ونفي الشبيه عنه . من ذلك ما جاء في سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام من قوله :

" الرب هو الاله في السماء من فوق ، وعلى الارض من أسفل ، ليس سواه "(١)

كما يسجل لنا السفر نفسه ، العظات الأخيرة ، التي ألقاها موسى عليه السلام في أواخر حياته . ومما جاء في تلك العظات :

" اسمع يااسرائيل ، الرب الهنا ربّ واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك ."(٢)

وجاء على لسان (نحميا) النبي مخاطبا الله تعالى بقوله :
" أنت هو الرب وحدك ."(٣)

ويخاطب داود ربّ العزة والجلالة بقوله :"لانك عظيم أنت وصانع عجايب

---

* انظر ص ٥٢٤ من هذه الرسالة .
(١) ٤ : ٣٩ .
(٢) ٦ : ٤ وانظر السفر نفسه ٦ : ١٣-١٥ ، وكذلك سفر الخروج ٣٤ : ١٤ .
(٣) سفر نحميا ٩ : ٦ .

أنت الله وحدك ." (١)

ويناجي (أرمياء) ربّه قائلا :

" لا مثل لك يا ربّ ،عظيم أنت ، وعظيم اسمك في الجبروت ." (٢)

أما (حزقيال) فيقول :

" أنت هو الا له وحدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السماء والأرض " (٣)

ويقرر (ملاخي) النبي أن الا له الخالق واحد فيقول :

" أليس اله واحد خلقنا ." (٤)

وجاء في سفر اشعياء قول الله تعالى عن نفسه مبينا للناس وحدانيته وأزليته فيقول :-

" أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا اله غيرى ." (٥)

وجاء فيه أيضا :

" انى أنا الله وليس غيرى اله ، وليس لى شبه" (٦)

واذا تركنا أسفار العهد القديم جانبا ، بعد أن أوردنا قليلا من كثير ما يدل فيها على وحدانية الله تعالى ، نعرّج على الأناجيل ، ورسائل الرسل ، ورغم

---

(١) مزمور ٨٦ : ١٠ .

(٢) سفر أرمياء ١٠ : ٦ .

(٣) سفر أشعياء ٣٧ : ١٦ .

(٤) سفر ملاخي ٢ : ١٠ .

(٥) ٤٤ : ٦ .

(٦) ٤٠ : ١٨ وانظر كذلك السفر نفسه ٤٥ : ٢١ ، ٢٢ .

مافيها من تحريف ،بل تبديل ،فإننا نجد فيها أيضا مايؤكد وحدانية الله تعالى ، الأمر الذى يثبت لنا بالضرورة أن الديانة المسيحية الصحيحة ماهي الآ دعـــوة الى الوحدانية ،وحدانية الله التي هى عماد كل دعوة سماوية ، وأساس كل ديـــن الهي . من تلك النصوص ما رواه (متّى) عن عيسى -عليه السلام - من قوله :

"ان أباكم واحد فى السموات "[1]

وماجاء فى مرقس على لسان المسيح من قوله :

"الرب الهنا اله واحد ، وليس آخر سواه"[2]

وما ورد فى مرقس أيضا على لسان يسوع رداً على سؤال سائل له : أيـــة وصية هى أول الوصايا التى ينبغي للمرء أن يسير عليها ، ويستنير بها ،فأجـــاب يسوع :

"إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد".

وكأن السائل قد استحسن الجواب من عيسى -عليه السلام - فردّ عليـــه معبّرا عن هذا الاستحسان ،ومؤكدا وحدانية الله تعالى ،حيث قال :

"جيدا يا معلم ،بالحق قلت ؛ لأنه الله واحد ، وليس آخر سواه"[3]

والحدث ذاته يتكرر فى انجيلي (متّى) و (لوقا)[4] ، حيث يؤكد فيهمـــا المسيح -عليه السلام - أن مدار نجاة العبد هو توحيد الله وعبادته سبحانه، وافراده بتلك العبادة .

---

(١) ٢٣ : ٨ .

(٢) ١٢ : ٣٠-٣١ .

(٣) ١٢ : ٢٩، ٣٢ .

(٤) انظر انجيل متّى ٢٢ : ٣٥-٣٧ وانظر انجيل لوقا ١٠ : ٢٥-٢٨ .

كما وان المسيح -عليه السلام - قد ردّ على ابليس -اللعين - حين حاول غوايته ، طالبا منه السجود لغير الله والاشراك به ، - ردّ عليه بقوله :

" قد كتب : للرب الهك تسجد ، وإياه وحده تعبد ." (١)

ويناجي المسيح -عليه السلام - ربّه قائلا :

" هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ." (٢)

وفي الانجيل أيضا على لسان عيسى -عليه السلام - :

" لا تدعوا لكم أبا على الأرض ؛ لأن أباكم واحد الذي في السموات ." (٣)

هذه هي رسالة المسيح الحقّة ، وهذه هي الديانة المسيحية المنّزلة من لدن العلي القدير ، وهي تدعو الى وحدانية الله ، وتقديسه ، وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته وافراده ، وعدم إشراك أحد معه في العبادة ، ووصفه بكل صفات الصلاح والكمال . لا يشركه فيها رسول أو ملاك .

وكان على النصارى ألاّ يناقضوا أنفسهم ، فيجمعوا في كتبهم بين هذه النصوص الدالة على التوحيد ، والنصوص الأخرى الدالة على التثليث ، فذلك تناقض غير مفهوم في منطق الايمان ، إذ كيف يجمعون بين الايمان بصحة بعض النصوص ، والايمان بصحة نصوص أخرى ، تثبت نقيض ما أثبتته الأولى .

وكان عليهم كذلك أن يفهموا النصوص المتضمنة لوصف الله بالأبوة ، ووصف

---

(١) أنظر انجيل متّى ٤ : ١٠ ، وانجيل لوقا ٤ : ٩ .

(٢) أنظر انجيل يوحنا ١٧ : ٢ .

(٣) انجيل متّى ٢٣ : ٩ .

(٥٨٥)

المسيح بالبنوة ، والمتضمنة كذلك لأوصاف الروح القدس - مما يستشهدون به على التثليث - كان عليهم أن يفهموا هذه النصوص على ضوء دلالة النصوص الأخرى على التوحيد . وبهذا يؤمنون بالكتاب كله ، ويجمعون بين دلالات نصوصه دون تناقض . ولو فعلوا ذلك لما انحرفوا بالنصرانية من طريق التوحيد الصحيح ، الى طريق التثليث الباطل .

٤ - ابطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث :

قدّمنا إبطال ابن تيمية لعقيدة التثليث وهو يسير فيه مع هدي القرآن الكريم ، حيث أبطل القرآن تلك العقيدة في العديد من آياته كقوله تعالى :

(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا .)(1)

يقول الرازي -عند تفسيره لقوله تعالى : (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ..) - :

" المعنى : ولا تقولوا - والخطاب للنصارى - إن الله سبحانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم ، أو لا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون : إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة ، والدليل عليه قوله تعالى : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله . . .)

قال الفراء : ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله : (سيقولون ثلاثة) ، وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوهم كونهما الهين .

ثم يقول :

" واعلم أن مذهب النصارى مجهول جدا ، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة ، إلا أنهم وان سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات ، بدليل أنهم يجوّزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها ، والا لما جوزوا

---

(1) سورة النساء / آية ١٧١ .

أن تحلّ في الغير ، وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى ، فهم وان كانوا يسمّونها بالصفات الا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة ، قائمة بأنفسها ، وذلك محض الكفر .فلهذا قال تعالى : (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا) ...

ثم أكّد التوحيد بقوله : (انما الله اله واحد) ، ثم نزّه نفسه عن الولد بقوله : (سبحانه أن يكون له ولد) أي سبحانه مايكون له ولد .

ثم قال تعالى : (له مافي السموات وما في الأرض) ...

واعلم أنّه سبحانه في كل موضع نزّه نفسه عن الولد ، ذكر كونه ملكا ومالكا لما في السموات والأرض ، فقال في سورة مريم : (ان كلّ من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا .) (1)

والمعنى : من كان مالكا لكل السموات والأرض ، ولكل ما فيهما كان مالكا لعيسى ولمريم - عليهما السلام - لأنهما كانا في السموات والأرض ، وماكانا أعظم من غيرهما في الذات والصفات . واذا كان مالكا لما هوأعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى ، واذا كانا مملوكين له ، فكيف يعقل مع هذا توهّم كونهما له ولدا ، وزوجة . ثم قال (وكفى بالله وكيلا) . والمعنى أنّ الله سبحانه كاف في تدبير المخلوقات ، وفي حفظ المحدثات ، فلا حاجة معه الى القول باثبات اله آخر وهو اشارة الى ما يذكره المتكلمون من أنه سبحانه لما كان عالما بجميع المعلومات ، قادرا على كل المقدورات ، كان كافيا في الالهية ، ولو فرضنا الها آخر معه لكان معطلا لا فائدة منه ، وذلك نقص ، والناقص لا يكون الها .

---

(1) آية ٩٣ .

وبالجملة فلا نرى مذهبا في الدنيا أشد ركاكة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى ..."(١)

وقال تعالى أيضا في إبطال عقيدة التثليث :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم .)(٢)

يقول الرازي :

" في تفسير قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان :

الطريق الأول :

قول بعض المفسرين ، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله تعالى ومريم(٣) وعيسى آلهة ثلاثة . والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح : (أأنت قلت

---

(١) التفسير الكبير المجلد السادس جـ ١١ ص ١١٨-١١٩ بتصرف .
وانظر كذلك تفسير البيضاوي ص ١٤٢ .
وانظر كذلك تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٨١ .

(٢) سورة المائدة / آية ٧٣ .

(٣) الاعتقاد بألوهية مريم كواحد من الآلهة الثلاثة هو رأي بعض النصارى ، وقد حكى الطبري أن ذلك كان قول النصارى قبل أن يفترقوا الى فرق تقول بالأقانيم الثلاثة " الأب والابن والروح القدس" . أنظر ابن جرير الطبري في تفسيره المجلد الرابع جـ ٦ ص ٢٠٢ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ومنهم -أي النصارى- من يجعل مريم الها مع الله ، كما جعل المسيح الها . فان قالوا بذلك ، جعلوا لله صاحبة وولدا ، وجعلوا المسيح بن مريم وأمه الهين من دون الله ، كما فعل ذلك من فعله منهم . فإنهم يعبدون مريم ، ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ، ويجعلونها الها =

للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله .) . فقوله : (ثالث ثلاثة) ، أي أحد ثلاثة آلهة ، أو واحد من ثلاثة آلهة . والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم : (وما من اله الاّ اله واحد) . وعلى هذا التقدير ففي الآية اضمار إلاّ أنه حذف ذكر الآلهة ، لأن ذلك معلوم من مذاهبهم . . .

الطريق الثاني :

ان المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون : جوهر واحد ، ثلاثة أقانيم : "أب وابن وروح القدس" ، وهذه الثلاثة اله واحد ، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة .

وعنوا بالأب : الذات ، وبالابن : الكلمة ، وبالروح : الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة ، وقالوا : إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر ، واختلاط الماء باللبن . وزعموا: أن الأب اله ، والابن اله ، والروح اله ، والكل اله واحد .

واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل ، فإن الثلاثة لا تكون واحدا ، والواحد لا يكون ثلاثة ، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا ، وأظهر بطلانا من مقالة النصارى ."[1]

= كما يجعلون المسيح الٰها ، فيقولون :

يا والدة الاله ، اغفري لنا وارحمينا . . . ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبونه من الله عز وجل ." أنظر الجواب الصحيح جـ ٣ ص ١٩٣ .

(١) التفسير الكبير المجلد السادس جـ ١٢ ص ٦٤ .

ويقول القرطبى :

"قوله : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة. وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية ،لأنهم يقولون : أب وابن وروح القدس ،اله واحد ، ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم،وانما يمتنعون من العبارة وهى لازمة لهم . وماكان هكذا صح أن يحكي بالعبارة اللازمة ، وذلك أنهم يقولون : ان الابن اله ، والأب اله ، وروح القدس اله . فأكفرهم الله بقولهم هذا ، وقوله : (ومامن إله إلّا اله واحد) أى أن الاله لا يتعدد . وقوله تعالى : (وان لم ينتهوا) أى يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .)[1]

وقال البيضاوى :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) ،أى أحد ثلاثة وهو حكاية عمّا قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد . (ومامن اله الآ اله واحد) ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة -من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات -إلّا اله واحد ، موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة . (ومن) زائدة للاستغراق . (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحّدوا ، (ليمسّن الذين) بقوا منهم على الكفر ، العذاب والنكال . . ."[2]

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيقول -عند تفسيره لهذه الآية-:

"أكّد تعالى بالقسم أيضا كفر الذين قالوا : ان الله الذى هو خالق السموات والأرض ، ومابينهما ، ثالث أقانيم ثلاثة ، وهى "الأب والابن وروح القدس".

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٦ ص٢٤٩ / ٢٥٠ .

(٢) أنظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير البيضاوى) ص١٥٦ .

قال ابن جرير : وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكانية والنسطورية . كانوا فيما بلغنا يقولون :

الاله القديم جوهر واحد ، يعمّ ثلاثة أقانيم : أبا والدا غير مولود ، وابنا مولودا غير والد ، وزوجا متتبعة بينهما . أ . هـ . (١)

أما النصارى المتأخرون فالذى نعرفه منهم وعنهم أنهم يقولون بالثلاثة الأقانيم ، وبأن كل واحد منها عين الآخر . فالأب عين الابن ، وعين روح القدس . ولما كان المسيح هو الابن ، كان عين الأب ، وروح القدس أيضا ...

قال تعالى رداً عليهم : (ومامن إله الآ الله واحد) أى قالوا قولهم هذا بلا رويّة ولا بصيرة . والحال أنه ليس في الوجود ثلاثة آلهة ، ولا اثنان ، ولا أكثر من ذلك . لا يوجد الآ اله واحد ، متصف بالوحدانية . وهو الله الذى لا تركيب فى ذاته ولا تعدد . وهذه العبارة أشد تأكيدا لنفي تعدد الاله من عبارة : لا اله الآ الله واحد ؛ لأن (من) بعد (ما) تفيد استغراق النفى ، وشموله لكل نوع من أنواع المتعدد ، وكل فرد من أفراده . فليس ثَم تعدد ذوات وأعيان ، ولا تعدد أجناس وأنواع ، ولا تعدد جزئيات أو أجزاء . (٢)

هذا هو إبطال القرآن لعقيدة التثليث . ومن العجيب بعد هذه الأدلة الدالة على تكفيرهم ، وبعد التوضيح لحكم القرآن على إبطال التثليث أن نجد بعض المسيحيين يتشدق ويدفعه الغي والمكابرة الى الزعم بأن هذا التثليث الذى يتمسّكون به كعقيدة جوهرية أساسية فى ديانتهم المحرّفة - يزعمون أنه موجود فى القرآن ، ويحاولون أن يستدلوا على ذلك بأدلة يتعسفون فى تأويلها تعسّفا يفضى بهم الى الحضيض يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ، المجلد ٤ جـ ٦ ص ٢٠٢ .

(٢) تفسير المنار : جـ ٦ ص ٤٨٣ / ٤٨٤ .

ونرى واحدا من هؤلاء المتشددين وهو القس باسيلوس* اسحاق يذكر شدة الشبه بين البسملة الاسلامية (بسم الله الرحمن الرحيم) ، بالبسملة المسيحية "بسم الأب والابن والروح القدس" فيقول :

"أن البسملة الاسلامية وهي : بسم الله الرحمن الرحيم ، تؤيد التثليث فالله هو الأب ، والرحمن هو الابن ، والرحيم هو الروح القدس."[1]

ويشاركه في هذا الرأي المؤرخ المسيحي / حبيب سعيد[2]

وهو ادعاء باطل ؛ لأن لفظ الجلالة (الله) علَم على الذات الالهية ، والرحمن والرحيم صفتان له .

ويتولى الشيخ القرافي في أجوبته الرد على هذا المدعي ، وعلى أمثاله فيقول :

" وأما ما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم ، فتفسيركم له غلط وتحريف ؛ كما فعلتم في الانجيل ، لأن (الله) تعالى عندنا في البسملة معناه : الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال ، والرحمن والرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والاحسان الصادرين عن قدرته . فالرحمن معناه : المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله . والرحيم معناه : المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله .

---

* (٣٣٠-٣٧٩) أحد آباء الكنيسة اليونانية المشهورين ، مطران قيصرية الجديدة من أعمال كبادوكيا ، كتب معظم ، القانون المطول والمختصر لرهبنة الباسليين . أسهم في معارضة الآريوسية ، وتوطيد دعائم الأرثوذكسية .
أنظر : محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص٣١٢ .

(١) كتاب الحق ص١٢٢ ومابعدها نقلا عن / محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص٥٣ .

(٢) أديان العالم ص٣٠٥ .

وأما النطق والحياة ، فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم ، بل هو تحريف منهم للقرآن . واذا بطل المستند في الأناجيل والقرآن حرم هذا الاطلاق . فاطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى ، وليس هو عندكم ، فكنتم عصاة بهذا الاطلاق ."[1]

وللاستاذ محمد مجدى مرجان رأى آخر في الرد على ادعاء هذا القمص ، حيث يقول :

" نحن اذا تابعنا هذا الرأى فانه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث ، بل أيضا على التسبيع ، ووجود سبعة آلهة ، وليس ثلاثة . وذلك بما ورد في أول سورة (غافر) : (حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول . . . .)[2] الآية

بل يمكن أن يجرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلها ، وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر[3] التي جاء بها سبعة عشر اسما من أسمائه الحسنى . . . "[4]

ويتمادى القمص باسيليوس في ادعائه هذا ، ويأتي ببعض الألفاظ الدارجة ، ويطوعها لأهوائه ، ويحمّلها فوق ما تحتمل رغبة منه في الصاق تهمة التثليث بها ، وهي بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف . يقول :

" ان القسم المغلّظ الذى يقسمه المسلم قائلا : والله العظيم ثلاثة . فإننا

---

(١) ص٤٧ ، ٤٨ بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق .

(٢) آية ١-٣ .

(٣) آية ٢٢-٢٤ .

(٤) الله واحد أم ثالوث / ص٥٣ ، ٥٤ .

يقسم بالأب والابن والروح القدس. واذا طلّق المسلم زوجته طلقة بائنة فإنه يطلقها ثلاثة ،أى يطلقها باسم الأب والابن والروح القدس. . ." (١)

ثم بعد تخرصاته هذه وهرطقاته ، وادعاء اعتناق الاسلام لعقيدة التثليث -بعد ذلك- يقرر عدم فهمه وادراكه لحقيقة الثالوث فيقول :

" أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق ادراكنا ، ولكن عدم ادراكه لا يبطله . . . ." (٢)

وكفى دليلا على فساد هذه العقيدة وتفاهتها وبطلانها عدم فهم أصحابها ومعتنقيها لها .

أما ماذكره القمص عن العدد (ثلاثة) فيما يتعلق بالقسم أو الطلاق فلا علاقة له بعقيدة التثليث ، وانما هو ربط لتغليظ القسم بعدد مراته ،أو تحديد للحكم المترتّب على استنفاد الرجل لعدد مرات الطلاق .

وهذه كلها أحكام فقهية لا علاقة لها بالعقيدة .

ويشرع كاتب ثالوثي آخر فى محاولة لاثبات الثالوث ، والبرهنة عليه من القرآن ، ولكن بطريقة أخرى مغايرة لطريقة القمص باسيلوس . ذلكم هو الأستاذ " يسى منصور) فى رسالته التثليث والتوحيد ص٥٠١ ومابعدها . حيث يقول :

"إن الاسلام يذكر حوالي تسعا وتسعين اسما لله ،أى أن صفات الله الحسنى نحو تسع وتسعين صفة . وهذه الصفات متباينة ومختلفة تناقض إحداها الأخرى ، بحيث لا يمكن التوفيق بينها فى الذات الواحدة إلّا إذا آمنّا بالتثليث . فمن أسماء الله الحسنى :

الضار المنتقم ، ومنها العفو الرؤوف ، ومنها القدوس البار .

---

(١) نقلا عن محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥٥ .

ويستطرد الكاتب متسائلا : كيف يكون الله منتقما وغافرا معا ....؟

فالمنتقم يدل على انتقامه من المذنب انتقاما بلا تساهل ،أما الغفور فيدل على تبريره للمذنب تبريرا شاملا . ويضيف قائلا :

انه لا يمكن التوفيق بين هذه الصفات المتناقضة الا بالقول بالتثليث ."[1]

ويعلق الأستاذ محمد مجدى مرجان على قول يسى منصور هذا بقوله -متهكما -:

"يعنى كاتبنا (الألمعي!) أن نقوم بتوزيع أسماء وصفات الله الحسنى على أفراد الثالوث الالهي ، بحيث يكون لكل أقنوم أو اله من آلهة الثالوث عدة أسماء وصفات متوافقة مع بعضها ، وان اختلفت مع أسماء وصفات الاله الآخر . فيكون الله الأب مثلا هو الضار المنتقم ، ويكون الله الابن هو العفو الرؤوف الغفور، ويكون الله الروح القدس هو القدوس البار .

وهذا هو عين مذهب الثنوية الذي كان منتشرا في بلاد الفرس القديمة ابان الوثنية . والذى كان يقسم الآلهة الى قسمين متعارضين كل اله منها يحمل صفة مناقضة لصفة الاله الآخر . فهذا اله الخير ، وذاك اله الشر ... وهذا اله الحرب ، وذاك اله السلام ... وهكذا .

فقد جانبه التوفيق ، وأخفق من حيث أراد النجاح ، وهوى من حيث أراد الارتقاء ."[2]

ومن حيث المبدأ فالاسلام يبطل التثليث -كما قدمنا - بحجج كثيرة ، ويكفّر النصارى باعتقادهم اياه . فكيف يقال : ان التثليث يمكن أخذه من القرآن ، بينما

---

(١) نقلا عن محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص٥٧ ، ٥٨ .

(٢) الله واحد أم ثالوث ص٥٧ / ٥٩ بتصرف كثير.

أن معظم آيات القرآن الكريم انما جاءت لتأصيل التوحيد في مواجهة الوثنية والثنوية والتثليث ، وغيرها من العقائد الباطلة ؟!

ولا أدري كيف يدل تعدّد أسماء الله الحسنى على التثليث ، وهي ليست ثلاثة أسماء ، بل يبلغ مجموعها عشرات الأسماء ، كما هو معروف . ؟

والواقع أن عقيدة الاسلام فيما يتعلق بأفعال الله : أنه سبحانه وتعالى فاعل مختار . أي أنه مريد لأفعاله ، لا تصدر عنه بالايجاب . ولهذا تعددت أفعاله تبعا لارادته ، فلم يكن ذا فعل واحد ، أو ذا أفعال لها وجه واحد - كما هي العقيدة الثنوية في أنها تقصر الخير على اله ، والشر على اله آخر - ، فهو خالق كل شئ في هذا الوجود ، وهو الفعّال لما يريد ، يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويقبض ويبسط ، ويعاقب ويغفر ، ويعزّ ويذلّ . . . وكل ذلك منه سبحانه وتعالى خير وحكمة .

وهكذا تتعدد أفعاله ، وتتعدد صفاته ، وتتعدد أسماؤه . ولا محالة في أن تجمع الذات الالهية بينها جميعا مهما كان بينها من تناقض ، مادام فعله سبحانه وتعالى لا يجمع بين النقيضين في موضوع واحد ، تتم فيه شروط التناقض .

فأي محال في أن يغفر لهذا ، ويعاقب هذا ؟ بل وأي محال في أن يعاقب انسانا ، ثم يغفر له بعد ذلك ، ويدخله الجنة ؟

وهكذا يمكننا أن نفهم تعدد أسماء الله الحسنى على اختلاف ما بينها وأن نفهم تعدد أفعاله على اختلاف ما بينها ، مادام الفعلان المتناقضان لا يتحدان موضوعا ، أو محمولا ، أو زمانا ، أو مكانا . . الخ أي لا يتحدان في النسبة الحكمية بين موضوع الفعل ومحموله .

فالله الفاعل المختار واحد ، يفعل بإرادته كل فعل تقتضيه حكمته ، وليس ذاتا موجبة لأفعال معينة . وكمالات الفاعل المختار على هذا النحو تبدو في تعدد أسمائه وأفعاله ، وليس في هذا التعدد مايوجب توزيعها على آلهة متعددة ، أو على آلهة مختلفة ، لا الهين اثنين ، ولا آلهة ثلاثة ، ولا أكثر من ذلك . وقيامها بالذات الواحدة أمر مفهوم على نحو ما قدمنا . وهذا هو مقتضى الكمال الالهي ومقتضى التوحيد .

❖

الفصل الخامس
في
عقيدة النصارى بالصلب والفداء
وإبطال ابن تيمية لها

أ- عقيدة النصارى بالصلب والفداء وأدلتهم عليها:

١- خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء.
٢- إدخال بولس لعقيدة الصلب والفداء في النصرانية.
٣- تقرير عقيدة الصلب والفداء في المجامع.
٤- معارضة بعض النصارى لعقيدة الصلب والفداء.
٥- آراء الفرق النصرانية في عقيدة الصلب والفداء.
٦- أدلة النصارى على عقيدة الصلب والفداء وبطلانها.

ب- إبطال ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى:

أولاً: بطلانها لعدم الوثاقة التاريخية لرواية حادثة الصلب.
ثانيًا: تناقض النصارى في جمعهم بين عقيدة صلب المسيح وألوهيته.
ثالثًا: بطلان عقيدة الصلب والفداء لبطلان عقيدة الخطيئة الموروثة.
رابعًا: بطلان عقيدة الصلب لما فيها من تناقضات.

جـ- تعقيب:

١- الجذور التاريخية لعقيدة الصلب والفداء.
٢- بطلان الأسس التي تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء.
٣- تناقض روايات الأناجيل لحادثة الصلب.
٤- موقف الإسلام من قضية الصلب والفداء.

((الفصل الخامس))

◊◊

عقيدة النصارى بالصلب والفداء
وابطال ابن تيمية لهما

◊◊◊

أ - عقيدة النصارى بالصلب والفداء وأدلتهم عليها :

يعتقد النصارى " أنّه بسبب خطيئة آدم استحقّ المسيح الصلب ، تكفيرا عن تلك الخطيئة ، ويعتقدون أنّ آدم مسؤول عن كل من تحدّر منه مسؤولية ربّ العائلة عن أفراد عائلته .

ويعتقدون أنّ عصيان آدم لربه تسبّب في القطيعة بينهما ، وبات يحنّ الى ما فقده من نعيم ، ولكنه لا يملك وسيلة للتكفير ، لأنّه مخلوق حقير . (1) وعندما أراد الله أن يتدارك الانسان البائس، أرسل ابنه الوحيد الى نجدته ، وهو المسيح الذى أخذ يقدّم نفسه وسيطا بين الله والناس ، ولهذا تجسّد ، وتألم ، ومات (فداء للبشرية من خطيئتها الموروثة) ، ولولا المعصية والخطيئة لما كان من موجب لموته . " (2)

هذه عقيدة النصارى في الصلب والفداء . وقبل أن نعرض بالتفصيل لبدء ظهور هذه العقيدة عندهم ، وكيفية تقريرها في المجامع (المقدسة !) وشرح تفصيل الخلاف بين الفرق المسيحية فيما وقع عليه الصلب من طبيعتي المسيح الالهية ، والبشرية - في نظرهم - قبل أن نقوم بذلك ، لابدّ وأن نمرّ بتلك الحقبة التاريخية الاولى التي

---

(1) هذه العبارة غير لائقة في حقّ الانبياء .

(2) انظر : الاب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٩٨ بتصرف .

كانت فيها النصرانية الاولى خالية من تلك العقيدة ، ومن كل ما سـواها من العقائد الباطلة ، مستقيمة على طريق التوحيد الصحيح .

١ - خلو النصرانية الاولى من عقيدة الصلب والفداء :

قلنا سابقا : انّ عيسى - عليه السلام - ابتدأ دعوته في قومه بني اسرائيل ؛ ليردهم عن غيّهم ، وتماديهم في البعد عن الله ، وعما جاء به موسى - عليه السلام - وافراطهم في الماديات، حيث لم يرسل الآ الى خراف بني اسرائيل الضالة .

وكانت دعوته - كما نعلم ، وكما أثبتنا ذلك - تدعو الى وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنّ عيسى مجرد رسول ، حيث جاء على لسانه :
" هذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته . "(١)

لكن المتتبع لروايات الاناجيل ، وما جاء في كتاب الله الكريم ، يرى رفض بني اسرائيل لدعوته ، وانكارهم لرسالته ، والنيل منه ، ومحاولة قتله . الآ أنّ الله نجّاه من كيدهم - كما سنرى - الامر الذى اضطره الى صرف دعوته عنهم الى الامم المقيمة بينهم ، والمجاورة لهم .

والامر الذى لابدّ من ايضاحه ، هو أنّ المسيحيين الاوائل لم يكونوا على علم ودراية بما سيؤول اليه أمر المسيح ومن ثمّ فلم يكن لديهم فكرة عن صلب المسيح كفارة لخطيئة آدم الموروثة في البشر ، وانما هذه العقيدة قد تبنّتها الكنيسة بعد حادث الصلب .

---

(١) انجيل يوحنا ١٧ : ٣

يقول الكاتب المسيحي -الذى أسلم -عبد الأحد داود :

"إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي (وهو خطيئة آدم ، وغضب الله على الجنس البشري بسببها) ظل مكتوما عن كل الأنبياء السابقين ، ولم تكتشفه إلاّ الكنيسة بعد حادثة الصلب ." (١)

لم يكن الحواريون إذن في بدء دعوتهم يجدون في النصوص المقدسة ، ولا في كتب الأحبار مايشير من قريب أو بعيد الى صلب المسيح ، وتعذيبه على خشبة الصليب كما يزعم بولس . يؤكد ذلك المؤرخ المسيحي شارل جنيبير فيقول :

" ولنلاحظ هنا أمرا هاما : ذلك أن الاثني عشر أنفسهم لا شك قد تملكتهم الحيرة في بدء دعوتهم ، عندما نظروا في النصوص المقدسة ، وفي كتب الأحبار الحديثة ، فلم يجدوا كلمة واحدة تشير الى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيبا شائنا ، بل قرأوا على العكس من ذلك سطورا تبعث فيهم الرعب "لعن الله كل انسان يشنق بالغابة (٢) ..." (٣)

ثم يقول :

"إن موت عيسى فى نظر الاثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية ، أما عند بولس فنعم ، وفي عقيدته : أن المسيح مات من أجل خطايا البشر." (٤)

---

(١) الانجيل والصليب ص٧ بتصرف .

(٢) إشارة الى النص الوارد فى التوراة سفر التثنية (٢١ : ٢٣" ... لأن المعلق ملعون من الله ".

(٣) المسيحية / نشأتها وتطورها ص٩١ .

(٤) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

٢ - ادخال بولس لعقيدة الصلب والفداء في النصرانية :

وحقا إن الذى يحمل وزر التبني لهذه العقيدة هو بولس اليهودي الذى تأثر بالفلسفة الاغريقية ، وعقائد الهنود تأثراً كبيراً انعكس على تعاليم المسيح التى أخذ يبشر بها عندما اختلق قصة دخوله المسيحية .

ولقد كان الصلب وسفك الدم هو ماعزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئا سواه . وهو يقرر ذلك فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس حيث يقول :

"إني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الآ يسوع المسيح واياه مصلوبا ." (١)

ولقد كان ذلك هو ماقبله بولس ، وانجيله - حسب تعبيره - الذي ذهب يبشر به .

"أعرفكم أيها الأخوة بالانجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه ... فإننى سلمت اليكم فى الأول ماقبلته أنا أيضا : أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ." (٢)

ويذكر (ول ديورانت) أن سبب إدخال بولس لعقيدة الصلب والفداء ضمن معتقدات النصارى ، انما يرجع الى تأثره بالفلسفة الأفلاطونية ، وكذلك بالسّنة اليهودية والوثنية ، سنة التضحية والفداء تكفيرا عن خطايا البشر . يقول :

" ولقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له الآ أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح ، وكانت العوامل التى أوحت اليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى : انقباض نفسه ، وندمه ، والصورة التى استحال إليها المسيح فى خياله . ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم ، واعتبارهما

---

(١) ٢ : ٢ .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ١-٣ .

شراً وخبثاً . ولعله تذكر السّنة اليهودية ، والوثنية . سنة التضحية الفدائية ، للتكفير عن خطايا الناس .

أما هذه الأسس فأهمها :

أن كل ابن انثى يرث خطيئة آدم ، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلّا موت ابن الله ، ليكفر بموته عن خطيئته . وتلك فكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود ... "(١)

وها هو أحد كبار علماء المسيحيين والباحثين يعترف بأن بولس قد نقل إلى المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته ، وأنه هو الذى قال : بأن المسيح ابن الله نزل ليقدّم نفسه قرباناً ، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . يقول في ذلك (ولز) :

"بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة ، وهو لم ير عيسى ولا سمعه ، وكان اسمه في الأصل (شاول) ، وكان من مضطهدي المسيحيين ، ثم اعتنق المسيحية فجأة ، وغيّر اسمه إلى بولس ، وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم . ومن ذلك قوله :

"إن المسيح ابن الله ، نزل ليصلب ، ويفدي البشرية ،(٢) وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية ... "(٣)

ويقول المسيو (أرنست دى بولس) الألماني . في كتابه (النصرانية الحقة)

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ من المجلد الثالث رقم (١١) ص٢٦٣ / ٢٦٤ .

(٢) أنظر رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ : ٢٢-٢٥ .

(٣) نقلا عن : المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٢٦١ .

ما معناه :

" إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ، ومخترعات بولس ، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح ، لا من أصول النصرانية ." (١)

وهذا اعتراف آخر صريح ، من أسقف مسيحي ، يعلن في جرأة وصراحة أن بولس هو الذي ابتدع فكرة الصلب والفداء هذه ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب (لوقا) لواء الدعاية لها . يقول هذا الأسقف :

" ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة ، هي فكرة رفق الله بالبشر . وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على انجيل لوقا ." (٢)

وهكذا فقد " تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروّج لها في رسائله - تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلّا بعد رفع المسيح بأكثر من عشرين عاما ." (٣)

والحقيقة أن " نظرية بولس في سفك دم المسيح ، ليس لها من أساس في

---

(١) نقلا عن / عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٢ .

(٢) هو الأب بولس الياس الخوري في كتابه / يسوع المسيح . نقلا عن المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص٤٧/٤٨ .

(٣) المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص١٩١ .

تعاليم المسيح ، وتلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه (ولم يكن بولس واحدا منهم) ، حيث يبني بولس نظريته هذه على أساس يرفضه المسيح رفضا تاما ، ذلك أن بولس يقول : "إن كان بالناموس برّ فالمسيح إذن مات بلا سبب ."(١)

فإذا رجعنا إلى مايقوله المسيح عن الناموس لوجدنا فيه البرّ الذى لا ينكر . فهو يقول : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل ."(٢)

ويؤكد الانجيل على لسان المسيح ان البر هو العمل الصالح قولاوفعلا .
" الانسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والانسان الشرير ، من الكنز الشرير ، يخرج الشرور . ولكنى أقول لكم إن كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر ، وبكلامك تدان ."(٣)

لكنه بولس الذى اعترف صراحة بعجزه عن الفكاك من أسر خطاياه الجسدية ، التى تقوده الى الشقاء :

" لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه ، فاياه أفعل . . . إنى أعلم أنه ليس ساكن فيّ أى ليس فى جسدى شئ صالح ، لأن الارادة حاضرة عندى . وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . . ."(٤)

---

(١) غلاطيه ٢ : ٢١ .
(٢) انجيل متّى ٥ : ١٧ .
(٣) " " ١٢ : ٣٥-٣٧ .
(٤) رسالة بولس الى أهل رومية ٧ : ١٥ ،١٨ .

وهو بولس الذى جعل المسيح لعنة بصلبه ، وذلك كنتيجة حتمية لنظريته في القتل ، وسفك الدم .

" المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة من أجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علّق على خشبة " (١)

٣ - تقرير عقيدة الصلب والفداء في المجامع :

وأيّا ما كان الأمر فقد دخلت عقيدة الصلب والفداء فى المسيحية على يد بولس ، ثم انتشرت بين الناس وظهرت فى الأناجيل التى كتبت فيما بعد ، وإذا كان الخلاف حولها ظل باقيا خلال القرون الأولى إلا أنها تقررت فيما بعد في المجامع ، حتى أصبحت هى العقيدة التى يعتقدها الغالبية العظمى من المسيحيين ، والتى تدين بها الفرق الثلاث الكبرى على اختلاف ما بينها فى تصورها لهذه العقيدة . فقد جاء فى الوثيقة الايمانية التى اتخذت فى مجمع نيقية عام (٣٢٥م) مايدل على إيمان المسيحيين واعتقادهم بصلب المسيح كعقيدة مسلمة ، وأن صلبه هو أحد أركان المسيحية ، وأساس هام من أسس ديانتهم . حيث جاء فى قرار هذا المجمع مايلى :-

" نؤمن بإله واحد ، أب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور ، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق ، مساو الأب فى الجوهر الذى به كان كل شئ ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء

---

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ١٣ .

وتجسّد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنّس (صار انسانا) وصلب على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث - كما فى الكتب - وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الأب ..." (١)

إذن عقيدة الصلب كانت جزءاً من قرارات مجمع نيقية وهذه القرارات كانت موضع خلاف بين الأغلبية ، ولا سيما حول ألوهية المسيح أو كونه ابن الله الوحيد .

ومما لا شك فيه أن إنكار ألوهية المسيح يقتضي إنكار عقيدة الصلب لأن الصلب والفداء مبنيان على كون المسيح ابن الله ، أو كونه ناسوتا قد تجسد فيه الله ليصلب فداء للبشرية من خطيئة آدم ، فإذا بطل الأساس بطلت فكرة الفداء .

٤ - معارضة بعض النصارى لعقيدة الصلب والفداء :

وفى الحقيقة ان الواقع هو كذلك ، فالنصارى ليسوا متّفقين على صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة البشر . فمسألة صلب المسيح وقتله لم تكن عند المسيحيين مسألة جماعية متفق عليها ، بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفي صلب المسيح وقتله . يقول ابن تيمية فى هذا الشأن :

" والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ، ولم يشهد أحد منهم صلبه ، فإن الذى صلب إنما صلبه اليهود ، ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً ، وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح . وقد قيل : إنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ، ولكنهم كذبوا وشبّهوا على الناس ، والأول هو المشهور ، وعليه جمهور الناس". (٢)

---

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ١١ وكذلك جميع كتب الفرق والأديان .

(٢) مجموع الفتاوى (مقدمة التفسير) ج ١٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ط ١ .
وانظر كذلك للمؤلف نفسه الجواب الصحيح ج ١ ص ٣١٣ .

ويقول أيضا : "ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما صلب الذى شبه بالمسيح كما أخبر به في القرآن ، وان الذين أخبروا بصلبه كانوا قد أخبروا بظاهر الأمر ،فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح أو تعمدوا الكذب "(١)

ومن النصارى من لم يسلّم بوجه من الوجوه أن المسيح سمّر فعلا ، ومات على الصليب . وهذا مقرر فى تاريخهم "موسهيم" الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الانجيلية .

يقول المسيو "أرد وارسيوس" ـ العالم المشهور بمعارضة المسلمين ـ فى كتابه "عقيدة المسلمين ":

"إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه ،ويقول : بأنه ألقى شبهه على غيره ، فغلط اليهود فيه ، وظنوا أنهم قتلوه . وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية منهم : الباسليديون : كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناى تماماً ، وألقى شبه سيمون عليه ، ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه (اليهود) الغالطين ....

ومنهم السيرنتيون فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتب الحواريين ، واذا كلامه نفس كلام الباسيليديين . وقد صرّح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى أنه يهوذا ."(٢)

ويقول عوض سمعان فى كتابه (قضية الغفران فى المسيحية) : إنه "على الرغم من الأدلة الواضحة التى تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنّا إلّا أن بعض

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ١ ص٣٦٧ .

(٢) ص٩٤ نقلا عن عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨١ .

الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال : مرقيون ، وستروس ، وريفان ، وهولتزمان ، ينكرون هذه الحقيقة ." (١)

وتحت عنوان " تاريخ انكار موت المسيح وأسبابه" قال عوض سمعان في كتابه المذكور:

" ظهر في القرن الثاني للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم " الغنوسيين" (٢) أقبلوا على فحص تعاليم المسيحية ، فأنكروا صلب المسيح ، وقالوا : ان سمعان القيرواني رضي أن يصلب عوضا عن المسيح ! لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح ، وترك سمعان يصلب عوضا عنه ." (٣)

---

(١) ص ٨١٢ نقلا عن محمود بن الشريف / الأديان في القرآن ص ٢١٦ .

(٢) الغنوسية أو الغنوصية هي شيعة دينية فلسفية متعددة الصور. نشأت في العصر الهيلينستي . ومعناها (المعرفة) .

وأساسها : أن الخلاص يتم بالمعرفة ، أكثر مما يتم بالايمان والأعمال الخيرة .

ويقول الغنوسيون بالثنائية ، أي بالتمييز بين الخير والشر المعتبرين عنصرين أساسيين للوجود .

وقد تأثرت بالغنوسية بعض الفرق اليهودية مثل : الاسينيين الذين رفضوا فكرة الاله العادل ، واستبدلوا بها الحكمة الالهية .

وكان للغنوسية أيضا أثرها في المسيحية .

أنظر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥٨ .

وأيضا : د . يوسف كرم /تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٤ .

(٣) ص ٨٩ نقلا عن محمود بن الشريف / الأديان في القرآن ص ٢١٦ .

٥ - آراء الفرق النصرانية في عقيدة الصلب والفداء :

وأيّا كان السبب الذى رفض فيه هؤلاء عقيدة الصلب والفداء - عقديا وتاريخيا - فقد أصبحت هذه العقيدة بحكم إقرارها فى المجامع عقيدة الفرق النصرانية الكبرى ، ورغم أن قصة الصلب والفداء قد تقررت فى المجامع - كما قلنا - ورغم كتابتها فى الأناجيل فإنها موضع خلاف بين الفرق المسيحية فيما يتعلق بتصورها ، وتقرير الجزء الذى وقع عليه الصلب فى المسيح - حسب اعتقادهم - هل هو اللاهوت أو الناسوت أو هما معا :

فالملكانية يقولون : إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي ، وهو قديم أزلى من قديم أزلى ، ولقد ولدت مريم - عليها السلام - إلٰها أزليا .

ويقولون : إن القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا .

أما اليعقوبية فإنها لما اعتقدت أن المسيح جوهر من جوهرين ، وهو إلٰه، وهو المولود . قالوا : إن مريم ولدت إلٰها .

وكذلك قالوا : إن القتل وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين ، وقالوا : ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد .

والنسطورية يخالفون فى القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعا . ويقولون :

إن القتل والصلب وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ؛ لأن الإله لا تحله الآلام .(1)

---

(1) الشهرستانى / الملل والنحل جـ٢ ص٦٢-٦٧ . وانظر كذلك :
الامام الرازى / التفسير الكبير المجلد ٦ جـ١١ ص١٠٣ .
وانظر كذلك ابن تيمية الجواب الصحيح جـ٣ ص٤٢-٤٩ .
وكذلك القلقشندى / صبح الأعشى ص٢٧٦ / ٢٨١ .

أما الفرق النصرانية الحديثة ، فلا خلاف بينها في الايمان بعقيدة الصلب والفداء ، لما جاء عنها في الأناجيل ، ولا قرار المجامع لها ، ولأنها في واقع الأمر امتداد تاريخي لتلك الفرق القديمة ، على نحو ما أسلفنا من قبل . ومن ثم فإن تصور هذه الفرق الحديثة لتلك العقيدة هو نفس التصور الذى أسلفناه عند أصولها التاريخية من الفرق القديمة .(١)

٦ - أدلة النصارى على عقيدة الصلب والفداء وبطلانها :

قدمنا أن المسيحيين يعتبرون الصلب والفداء أصل من أصول النصرانية المحرفة ، وحجر الأساس فيها ، وأنه ما كان للنصرانية أن توجد أصلا لو لم يرتفع صليب الرب يسوع - على حدّ قولهم - . بل لم يكن ممكنا - في اعتقادهم - أن يستعلن التجسد الالٰهي الآ بواسطة الصليب ، لأن الذى حقق لهم أن ابن الله - كما يقولون - أخذ جسدا حقيقيا مساويا له تماما هو موته على الصليب . فابن الله - على زعمهم - تجسّد ليصل إلى الصليب بسهولة ، ويتمكن من الموت عليه .(٢)

ويقوم اعتقاد النصارى بالصلب والفداء - كما يقولون - على أسس نصّية من كتبهم ، وعلى أسس عقلية فلسفية مرتبطة بعقائدهم الدينية .

أما الأسس النصية التي يستدلون بها على عقيدتهم بالصلب والفداء ، فهي :

---

(١) أنظر ص ١٨٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٢) أنظر الأب متّى المسكين / الصليب المقدس ص١٨ ، ٢٧ .
وانظر كذلك / جون ستوت / المسيحية في جوهرها ص١٣٧ تعريب نجيب غالي .

أولا من العهد القديم :

يدعي النصارى أن التوراة ، وأسفار العهد القديم قد امتلأت بما يفيد موت المسيح فداء عن خطايا البشر . "إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب "[(١)] . ويعللون ذلك بما جاء في الأناجيل ،من ضرورة الرجوع الى أسفار العهد القديم ، فهي خير معين - كما يزعمون - لتبيان صدق ما هم عليه من معتقدات بشأن المسيح . من ذلك ماجاء في انجيل (يوحنا) من قول المسيح لليهود : " فتشوا الكتب ... وهي تشهد لي "[(٢)]

يقول شارح انجيل يوحنا عند تعليقه على قول المسيح هذا :

" والكتب التي يشير إليها الرب هنا هي أسفار التوراة الموجودة عندهم ، وكانوا يعتبرونها واسطة للحياة الأبدية ، على أساس حفظهم الوصايا الموجودة بها . ويقول لهم المسيح : " ولا تريدون أن تأتوا الىّ لتكون لكم حياة " أي مالم تؤمنوا أني أنا الشخص الذي تتكلم عنه هذه الكتب فلن تنالوا الحياة الأبدية . "[(٣)]

ويقولون (أي النصارى) : قد قال عيسى عليه السلام - موضحا أن موسى والأنبياء كتبوا عنه - : " لابدّ أن يتم جميع ما هو مكتوب عنّي في ناموس موسى والأنبياء والمزامير . "[(٤)]

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٥ : ٣ .

(٢) ٥ : ٣٩ .

(٣) هو هلال أمين موسى ص٨٢ .

(٤) انظر انجيل لوقا ٢٤ : ٤٤ .

ثم قال : " هكذا هو مكتوب ، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث ، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم ." (١)

ولما ابتدأ الرسل يبشرون بالانجيل أثبتوا -كما يزعمون- من العهد القديم لاهوته ، وتجسده ، وموته ذبيحة عن الخطيئة .

ومنذ فجر التاريخ -كما يقولون- " كان الانسان في حيرة ، يفتش عن الذبيحة ، وكان اسحاق -حسب اعتقادهم أنه هو الذبيحة- يعبّر عن حيرة البشرية ، وعجزها ، عندما تحدث إلى أبيه ابراهيم متسائلا : " هوذا النار والحطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني " (٢)

ويقولون عند شرح هذه الفقرة من سفر التكوين :

" ومن العجيب أن جواب ابراهيم -عليه السلام- لم يكن مجرد عبارة عابرة ، وانما يرى فيها المؤمن إلهاما الهيا ، ونبوة حققها الله ، إذ أعدّ لذاته بالفعل خروفا حقيقيا للمحرقة ." (٣)

غير أن هذا الكبش أو الخروف -كما يزعمون- لم يكن في حقيقة الأمر إلّا رمز لحمل الله الذي يرفع خطايا العالم ، فما كان الله ليعتمد على إحدى مخلوقاته ليفتدي بها الانسان . فالخلاص الثمين هو من صنعه ، وكان لابدّ وأن يتممه

---

(١) انجيل لوقا ٢٤ : ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) سفر التكوين ٢٢ : ٧ ، ٨ .

(٣) الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر التكوين ص٢٦٣ .

على حساب نفسه ، حتى يتزكى الله في قضائه ، ويكون كاملا في كل شيء . . . وكان لا بدّ لله في ملء الزمان أن يهيئ لهذه الذبيحة الأزلية جسداً يليق بها ، وأن يتحد ذلك الجسد باللاهوت اتحادا أبديا . . . "عالمين أنكم قد افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء ، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس ، دم المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم ."(١)

وهكذا فإن يسوع المسيح - كما يقولون - هو الذبيح العظيم الذي قدمه الأب ليفدي به العالمين ، فهو ذبيح عظيم في أزليته وألوهيته ، وفي محبته أيضا .

لقد صوره الوحي بكبش ممسك في الغابة بقرنيه ، ولقد كانت الذبائح تمسك وتقيد حتى لا تفرّ هاربة . أما يسوع فقد أمسك منذ الأزل في غابة البشرية طوعا . كانت هناك قيود عجيبة من المحبة هي التي أمسكته ، وطوقته مع البشرية الساقطة .(٢) "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"(٣) " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم ."(٤)

لذا فإن كتّاب الأناجيل ، وسائر أسفار العهد الجديد ، لن يجدوا صعوبة - كما يزعمون - في معرفة أن المسيح هو الذبيحة التي فدى الله بها البشر من خطاياهم . ويقولون : إن ما ورد في العهد القديم من نصوص تشير الى الفداء هي أساس لعقيدة موت المسيح تكفيراً عن خطيئة البشر .

---

(١) رسالة بطرس الأولى ١ : ٢٠ .
(٢) الدكتور فؤاد بولس / علامة الصليب ص ٢٧ / ٣٠ .
(٣) انجيل يوحنا ١٥ : ١٣ .
(٤) انجيل يوحنا ١ : ٢٩ .

وعلينا أن نفرق فى هذا المقام بين مايذكر فى العهد القديم وبين تعقيبات شرّاح العهد الجديد واستنتاجاتهم من نصوص العهد القديم، مايدل على صلب المسيح فداء للبشرية ، فليس لهم أن يتمحّلوا ويتمحّلوا فى تأويل نصوص العهد القديم ، ماشاء لهم الهوى ، فيحمّلوا هذه النصوص مالا تحتمل من البشارة بصلب المسيح .

وماقيل هنا من بشارة موسى والأنبياء بعيسى -عليه السلام- وأن عيسى -عليه السلام كان يلفت نظر اليهود ليعرفوا صدقه من هذه البشائر ، فذلك حق ، فقد بشر موسى بعيسى -عليهما السلام- واذا كانت تلك البشائر قد تضمنت ذكرماينزل بعيسى من الآلام فلاشئ فيه ، فكل نبى يتحمل من الآلام والمصائب فى سبيل الدعوة مايفوق ماذكروه مما تضمنته نصوص التوراة ، فهذه سنة الأنبياء، غير أنه لا ينبغي لشراح الأناجيل أن يأخذوا من ذلك أن موسى -عليه السلام- بشر بصلبه وفدائه للبشرية . أما النص السابق الذى تضمن كتابة أسفار العهد القديم -صراحة- للبشارة بصلب المسيح وقيامته من الأموات بعد ثلاث ... الخ فالواقع أن لا وجود لهذا الكلام في أى سفر من تلك الأسفار . فليس صحيحا ماأجرى على لسان المسيح ، ولو فرضنا -جدلا- وجوده فيها فليس لهذه الأسفار من الصحة ما يستوجب وقوع تنبؤاتها .

وبغض النظر عن كون الذبيح اسماعيل أو اسحاق ،فإن كلمته فى سؤال أبيه عن الذبيحة بعد أن رأى النار والمحرقة لا تعني أكثر من دلالتها عن السؤال عن هذه الذبيحة ، وجواب ابراهيم -عليه السلام- أن ذلك متروك لله -عز وجل- على أمل أن يرسل اليه هذه الذبيحة . فأى ذكر صريح أو رمزي فى هذه الكلام للمسيح أو غيره . وكيف تفسّر نصوص سابقة بحوادث تالية بعد هذه النصوص بقرون على فرض وقوع هذه الحوادث .

أما ماذكرناه بعد ذلك من استنتاجات كتّاب الأناجيل والرسائل من نصوص

التوراة التي ذكرناها مايشر بالمسيح ؛ فليست له قيمة في هذا المقام ، مادامت هذه النصوص لا تساعدهم على أفهامهم السقيمة فيها .

ومن نصوص العهد القديم التي يستدل بها النصارى[1] على موت المسيح فداء عن الخطيئة ماجاء في اشعياء حيث يقول : " قالت الكتب : " رجل ضربات يعرف كيف يتحمل الضعف ؛ لأن وجهه قد أقصى بعيدا ، احتقر ولم يعتد به ، خطايانا حملها ، وتألم من أجلنا ، ونحن حسبناه مصابا ومضروبا ومذلولا ، جرح لأجل خطايانا ، سحق لأجل آثامنا . . . "[2] ثم يقول الكتاب أيضا :

" كلنا كغنم ضللنا ، وحاد الانسان عن طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا ، أسلمه لأجل خطايانا ، سيق كشاة للذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه . . . "[3]

وجاء في انجيل متّى مايؤكد ذلك : " لكي يتم ماقيل باشعياء النبي القائل: هو أخذ أسقامنا ، وحمل أمراضنا . "[4]

---

(١) انظر القديس اثناسيوس الرسولي / تجسد الكلمة ص١٠٥/١٠٦ .
وانظر كذلك الأب متّى المسكين / مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص١٣١/١٣٢ .

(٢) ٥٣ : ٣-٥ .

(٣) سفر أشعياء ٥٣ : ٦-٨ .

(٤) ٨ : ١٧ .

لم نجد في سفر اشعياء عن هذا الذى تضمن هذا السفر البشارة به أى ذكر لاسم المسيح أو رمز اليه فيه ، ولوفرضت صحة ما ورد فيه ، فلماذا لا تكون البشارة فيه باشعياء نفسه ، وبما سيتحمله هو من الآلام في سبيل الدعوة . ويكفي في بطلان ما تضمنته نصوص أشعياء ما تحتويه تلك النصوص من الكلام على الحلول والاتحاد مما لا يمكن أن يكون كلاما لله . ومع ذلك كله فإذا قرأنا في اشعياء قبل هذا الكلام الذى يستشهدون به على بشارته بعيسى وصلبه ، فإننا نجد وصف الرب لهذا الذى تجرى به البشارة في هذا السفر بقوله : " هوذا عبدى يعقل يتعالى ... "(١)

فهل يوافق النصارى على وصف المسيح بالعبودية لله تعالى ، وهو عندهم اله أزلي ، أبدى ، مساو الأب في الجوهر ...

ومما استدل به النصارى أيضا على صلب المسيح ما وعد الله به آدم حال سقوطه بفادٍ ، وليس الفادى -كما يقولون- إلا من دعي في العهد القديم بـ" نسل المرأة " ... فقد جاء في سفر التكوين : "إن نسل المرأة يسحق رأس الحية ."(٢)

"أى أن مولودا من امرأة سيغلب الشيطان ويبيده ، والاشارة في ذلك الى المسيح الغالب العظيم للشيطان ."(٣)

ويقولون عند شرح هذا النص: "أمّا نسل المرأة الذى يسحق رأس الحيّة ، فهو الرب يسوع المسيح الذى داس الشيطان وقهره وأذلّه ، فقد انتصر عليه

---

(١) ٥٣ : ١٣ .

(٢) سفر التكوين ٣ : ١٥ .

(٣) علم اللاهوت النظامى جـ٣ ص٧٦٢ .

في التجارب التي جرّبه بها[1] ، وفي الفخاخ التي نصبها له عن طريق اليهـــود ، وأخيرا كسر شوكته ، وسحقه بموته على الصليب ، حيث خلص البشرية بدمه ، وأخـذ الأسرى من يد الشيطان عدوهم ."[2]

ويقولون تأكيدا لذلك : "ان لوقا انتهى في سلسلة نسب المسيح الـــى آدم[3] وما ذلك إلاّ ليبيّن أنه المخلص الذى وعد به آدم وحواء ليسحق رأس الحيـــة. كما قال عن ولادته من امرأة "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امـــرأة، مولودا تحت الناموس"[4]

وقوله : "من امرأة" ترديد لقول الله لحواء : "بين نسلك ونسلها"[5] أى النســل الذى يأتي من امرأة بدون رجل ؛ لأن المسيح ولد من عذراء."[6]

نقول :

وأى إشارة فى هذا الذى ذكروه ، أو عبارة ، تدل على صلب المسيح ؟ ولو صح ما نسب إلى الله ، وأنه قاله لآدم ، وأن المقصود بنسل المرأة هو عيســـى ، فليس فيه إلاّ إشارة لانتصاره على الشيطان ، فيما عرّضه الشيطان له من تجارب ، سيما

---

(١) انجيل متّى ٤ .
(٢) الارشيد ياكون / نجيب جرجس / شرح سفر التكوين ص٦٠١ .
(٣) انجيل لوقا : ٣ : ٢٣-٣٨ .
(٤) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٤ : ٤ .
(٥) سفر التكوين ٣ : ١٥ .
(٦) الارشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر التكوين ص٦٠١ .

وأن بولس قد قال عنه : " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم ،اشترك هو أيضا كذلك فيهما ؛ لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت . أي ابليس ."(١)

أما مايقال من انتصار المسيح على الشيطان ، وأخذه البشرية من أسره عن طريق الصلب فداء لهم ، فلا يدل عليه نص الكلام ، وهو قائم على أساس فكرة هي موضع الابطال في اجمالها وتفصيلها - كما سيأتي - وهي فكرة الخطيئة الموروثة في البشرية من آدم عليه السلام .

وكما أن العهد القديم لم يغفل عن نبوات موت المسيح - كما يزعم النصارى - فداء عن الخطايا ، فهو - على حدّ قولهم - لم يغفل أيضا عن نبوات موته على الصليب . فـ" لم يكن الصليب إلاّ مذبحا فريدا ،قدمت عليه تلك الذبيحة الأزلية التي كانت لأهميتها العظمى موضوع نبوة الأنبياء ،ورؤى الحالمين ،وحين أتى ملء الزمان تمت هذه الذبيحة بكل دقائقها وتفاصيلها في المكان والزمان المعينين."(٢)

وقد تنبأ بذلك موسى والأنبياء الذين بعده ، فقد جاء في سفر التثنية " وتكون حياتك معلقة قدامك ،ولا تأمن على حياتك ."(٣)

وقال داود في مزموره الثاني والعشرين مانصه :

" الهي الهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي ، أحاطت بي ثيران كثيرة أقوياء ،باشان اكتنفني ،فغروا عليّ أفواههم ، كأسد مفترس مزمجر ، كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي ، صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط أمعائي ، يبست مثل

---

(١) الرسالة إلى العبرانيين ٢ : ١٤ .

(٢) الدكتور فؤاد بولس / علامة الصليب ص٣٣ .

(٣) ٢٨ : ٦٦ .

شققة قوتي ، ولصق لساني بحنكي ؛ . . . لأنه قد أحاطت بي كلاب ، جماعة من الأشرار اكتنفتني ، ثقبوا يديّ ورجليّ ، أحصوا كل عظامي ، وهم ينظرون ويتفرسون فيّ ، يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقترعون ." (١)

فالموت الذي يرفع المرء الى فوق ، وتثقب فيه اليدان والرجلان لا يمكن أن يكون إلاّ موت على الصليب كما يقولون . (٢)

ولا نجد في كلام موسى ، ولا في كلام داود ذكر للمسيح ولا لصلبه . ولو صح ما نسب الى موسى مما ذكرناه آنفا ، فليس - كما قلنا من قبل - إلاّ تنبؤا بما يلاقيه كل نبي من المتاعب والآلام في دعوته . وما جاء في مزمور داود فهو على لسان داود في خطابه لربه ، وحتى لو فرض أنه جرى على لسان عيسى - عليه السلام - وهم يحاولون صلبه بعض ما حفظه من كلام داود "الهي ، الهي ، لماذا تركتني ؟" فأي دلالة في هذا على أن داود بشّر بصلب المسيح ، وأنه سيقول هذا الكلام عند صلبه ؟ !

وجاء في اشعياء : "أنه سكب للموت نفسه ، وأحصي مع أثمة" (٣) ، ويقابله ما جاء في انجيل لوقا على لسان المسيح : "لأني أقول لكم : إنه ينبغي أن يتم فيّ أيضا هذا المكتوب ، وأحصي مع أثمة . . ." (٤)

وهذه الأقوال - كما يقولون - كافية لاثبات ما حدث ، وغيرها كثير .

---

(١) فقرة ١٢ ، ١-١٨ .

(٢) أنظر القديس اثناسيوس الرسولي / تجسد الكلمة ص١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) ٥٣ : ١٢ .

(٤) ٢٢ : ٣٧ .

ونحن نقول : ليس فيها مايكفى فى ذكر ماحدث للمسيح ، على نحو مايصورونه عليه ، فكل مافيها من ذكر المسيح أنه سيحصى اسمه ضمن الأثمة معتبرا كأنه واحد منهم ، ولا يمكن أن يكون أعداؤه ينظرون إليه إلّا على هذا النحو . لكنّ نظرتهم اليه على هذا النحو، وعداؤهم له ، ومحاولتهم قتله أو صلبه كل ذلك شيء ، وصلبه بالفعل فداء للبشرية شيء آخر ، وهو الذى نقول انما استشهدوا به من نصوص العهد القديم - حتى ولو فرضت صحة هذه النصوص - ليس فيها دلالة عليه .

ثانيا من العهد الجديد :

يستدل النصارى على عقيدتهم بالصلب والفداء من العهد الجديد ، حيث تأثرت الأناجيل جميعها بنظرية بولس فى سفك دم المسيح فدية عن كثيرين ، وقد جاء فى انجيلى (مرقس ولوقا) مايدل على تنبؤ المسيح لتلاميذه بالآمه ، ورفضه من قومه ، حيث بيّن لهم : "كيف هو مكتوب عن ابن الانسان أن يتألم كثيرا ويرذل ."[1] . وجاء فى انجيل (لوقا) مايدل على نفس المعنى من قول المسيح لتلاميذه أيضا : "ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الانسان ولا ترون . . . ولكنه ينبغي أولا أن يتألم كثيرا ويرفض من هذا الجيل ."[2]

ثم تطوّر هذا التنبؤ حتى صار تنبؤا بصلب المسيح ، كما ذكر ذلك (متّى) فى انجيله على لسان المسيح : "هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الانسان يسلّم

---

(١) انجيل مرقس ٩ : ١١-١٣ .

(٢) . ١٧ : ٢٢-٢٥ .

الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه الى الأمم ؛ لكي يهزأوا به ، ويجلدوه ، ويصلبوه .»[1] وهو الانجيل الوحيد الذى نسب الى المسيح تنبؤه بالقتل صلبا .[2]

وقد امتلأت الأناجيل ، وكافة أسفار العهد الجديد بنصوص صريحة تقرر صلب المسيح نفسه فدية عن خطيئة البشر . من ذلك ماجاء في انجيل (مرقس): «لأن ابن الانسان أيضا لم يأت لِيُخدَم ، بل لِيَخدُم ، وليبذل نفسه ، فدية عن كثيرين .»[3]

وجاء في رسالة (بولس) الى أهل رومية من قوله : «عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ؛ ليبطل جسد الخطية ، كي لا نعود نستعبد أيضا للخطية .»[4] . وقال أيضا : « والذى فيه لنا الفداء بدمه .»[5] ويقول القديس بطرس : «الذى حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة ، لكي نموت عن الخطايا ، فنحيا للبر الذى بجلدته شفيتم .»[6]

---

(١) ٢٠ : ١٨ ، ١٩ .

(٢) جون فنتون / تفسير انجيل متّى ص٣٢٣ نقلا عن المهندس احمد عبدالوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٩٨ .

(٣) ١٠ : ٤٥ .

(٤) ٦ : ٦ . وانظر كذلك انجيل يوحنا ٣ : ١٧ ، والرسالة الى أهل غلاطية ٦ : ١٤ ، والرسالة الى العبرانيين ٩ : ١٥ ... وغيرها كثير جدا .

(٥) رسالة بولس الى أهل أفسس ١ : ٧ .

(٦) رسالة بطرس الأولى ٢ : ٢٤ .

والى جانب ماتضمنته الأناجيل من تنبوء المسيح بصلبه ، ومن تقرير هذه الأناجيل أن هذا الصلب فدية للبشر - الى جانب ذلك روت الأناجيل قصة صلب المسيح - كما يعتقدون - على اختلاف فيما بينها في رواياتها لأحداث تلك القصة ، الأمر الذي سنتناوله فيما بعد بالتحليل والنقد . ومن أمثلة ذلك ما رواه (مرقس) في انجيله من قوله : " وكان الفصح ، وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه . . . ثم إن يهوذا الاسخريوطي واحدا من الاثني عشر، مضى الى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم، ولما سمعوا فرحوا ، ووعدوه أن يعطوه فضة ، وكان يطلب كيف يسلّمه في فرصة . . . ولما كان المساء (لليوم الأول من أيام الفطير جاء (أي المسيح) ، مع الاثني عشر (حواريا) ، وفيما هم متكئون يأكلون ، قال يسوع : الحق أقول لكم : إن واحدا منكم يسلمني . الآكل معي . فابتدأوا يحزنون ، ويقولون له واحداً فواحداً . هل أنا ؟ وآخر : هل أنا ؟ فأجاب ، وقال لهم : هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصفحة . إن ابن الانسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلّم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد . . . . "(١)

وبعد أن صلى وأخذ يضرع الى الله أن يجيز عنه كأس الردى والهلاك ، ومعه بعض تلاميذه . ذكر مرقس ماجرى بعد ذلك ، فقال : " وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير ، بسيوف وعصي ، من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، فألقوا أيديهم عليه ، وأمسكوه . . . فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة ، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة . وكان رؤساء الكهنة

---

(١) ١٤ : ١ - ٢١ .

والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه ، فلم يجدوا ؛ لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ، ولم تتفق شهاداتهم ، ثم قام قوم ، وشهدوا عليه زورا ، قائلين : نحن سمعناه يقول : إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي ، وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق ، فقام رئيس الكهنة في الوسط ، وسأل يسوع قائلا : أما تجيب بشيء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أما هو فكان ساكتا ، ولم يجب بشيء ، فسأله رئيس الكهنة أيضا ، وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو . . . فمزق رئيس الكهنة ثيابه ، وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود ، قد سمعتم التجاديف . ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت ، فابتدأ قوم يبصقون عليه ، ويغطون وجهه ، ويلكمونه ، ويقولون له : تنبأ ، وكان الخدام يلطمونه ." (1)

" وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله ، فأوثقوا يسوع ، ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس . فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟ فأجاب ، وقال له : أنت تقول ، وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً . فسأله بيلاطس أيضا قائلا : أما تجيب بشيء ؟ انظر ، كم يشهدون عليك ؟ فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس . وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه في الفتنة الذين الفتنة فعلوا قتلا ، فصرخ الجميع ، وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل معهم ، فأجابهم بيلاطس قائلا : أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة

---

(1) ١٤ : ٤٣-٦٥ .

كانوا قد أسلموه حسدا ، فهيّج رؤساء الكهنة الجمع ،لكي يطلق لهم بالحري باراباس . فأجاب بيلاطس أيضا ، وقال لهم : فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود ؟ فصرخوا أيضا : اصلبه . فقال لهم بيلاطس : وأى شر عمل ؟ فازدادوا جدا صراخا : اصلبه . فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع مايرضيهم ، أطلق لهم باراباس ،وأسلم يسوع ،بعد ماجلده ليصلب. . . وكانت الساعة الثالثة فصلبوه . . . وكان المجتازون يجدّفون عليه ،وهم يهزّون رؤوسهم قائلين : آها ياناقض الهيكل ، وبانيه في ثلاثة أيام ،خلّص نفسك ،وانزل عن الصليب . . . وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : الوى ،الوى ،لما شبقتني . . . واسلم الروح"[1]

وتعقيبا على ماذكرناه هنا ، نقرر أن قصة الصلب هذه تداولتها الأناجيل الأربعة في صور مختلفة . وسوف نتناول هذه القصة بالدراسة التحليلية المقارنة فيما بعد ، حيث ننتهي فيها الى تقرير بطلانها ، نظرا لما تضمنتمرواياتهذه القصة من تناقضات ،ومحالات .

أما ماتضمنته الأناجيل من تنبوء المسيح بما يحدث له من الآلام ،فإنما يجري فيه مجرى غيره من الأنبياء،فيما يتحمّلونه ،ومايتنبؤون به . فليس للمسيح خصوصية في ذلك حتى يؤوّل هذا التنبوء بالآلام التى قد يتعرض لها كل نبي ورسول الى صلبه فداء عن خطيئة البشر ،فهذا مالا يقوله عاقل . وقد أكّد (لوقا)فيانجيله -على لسان المسيح من قوله لتلاميذه -صحة ماذهبنا إليه ،حيث جاء فيه : "من لا يحمل صليبه ، ويأتي ورائي ،فلايقدر أن يكون لي تلميذا ."[2]

---

(١) انجيل مرقس ١٥ : ١-٣٧ .

(٢) ١٤ : ٢٦ .

فهذا القول لو صح على لسان المسيح لابدّ وأن يؤوّل بأن مراده -عليه السلام- حثهم، وتحريضهم على الدعوة إلى دين الله، والمجاهدة في سبيل الله، بحيث لا تأخذهم في الله لومة لائم. والمراد بالصليب: آلة القتل.[1] فكأن المسيح يقول: ليتبعني كل واحد منكم، وآلة موته على كتفه، وكفنه على عاتقه، مستقتلا في سبيل الله، مؤثرا ماعند الله على الحياة الدنيا. فهو من قبيل قوله تعالى في القرآن العظيم: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة."[2]

ويدل على ذلك أمره لتلاميذه[3] بأن يبيعوا ثيابهم، ويشتروا سيوفا.[4]

وغاية القول: إننا لا نجد فيما استشهد به النصارى من نصوص العهد القديم على صلب المسيح شاهداً على ذلك. أما نصوص العهد الجديد، فمعلوم أنها كتبت بعد رفع المسيح -عليه السلام-، وبعد أن روّج بولس لعقيدة الصلب والفداء.

وإذا كان النصارى يأخذون من نصوص العهد القديم مايدل على أن عقيدتهم في صلب المسيح عقيدة دينية، يرجعون فيها الى أسفارهم المقدسة، فإن ذلك

---

(١) الصليب المعروف عند النصارى الآن لم يكن في عهد المسيح، وإنما حدث في زمان الملك قسطنطين لرؤيا رآها في المنام، حسبما تذكر مصادرهم التاريخية. أنظر سعيد بن البطريق / نظم الجوهر نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٣ ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة التوبة / آية ١١١.

(٣) انجيل لوقا ٢٢: ٣٦.

(٤) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٧١/ ٧٢.

لا يعني أنها عقيدة صحيحة . فهناك فرق بين وجودها في كتبهم الدينية ، وبين كونها صحيحة من الناحية التاريخية ، ومن ناحية الأسس الدينية التي تقوم عليها . وفي تعقيبنا على هذا الفصل ، وفيما سنورده من نقد لهذه العقيدة على لسان ابن تيمية ، أو من نقدنا ، ونقد العلماء الآخرين لها ، مايكفي في بيان بطلانها ، وبطلان ماتقوم عليه من شبهات واهية .

ثالثا : الأساس العقلي الفلسفي الذى بنى عليه المسيحيون عقيدتهم في الصلب والفداء . هو : أن الصلب والفداء إنما كان فداء لخطايا بني آدم ، تخليصا لهم من أدران ذنب أبيهم الذى علق بهم ، حيث يربطون منشأ هذه العقيدة بحدث أزلي ، وهو توارث الخطيئة من آدم . ولن يكفّر هذه الخطيئة المتوارثة إلّا دم زكي طاهر ، لم يفعل صاحبه إثما ، وليس هذا لأى أحد من البشر ، بل لابن الاله . وطبيعي أن الدم لا يكون إلّا بموت . وهكذا قتل المسيح ، وصلب ، وكان هو الوحيد صاحب هذا الدم الزكي ؛ لأنه لم يفعل خطيئة . وبداية القصة من سفر التكوين ، حيث جاء في هذا السفر مايلي :

"وأخذ الرب الاله آدم ، ووضعه في جنة عدن ؛ ليعملها ، ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت." (١) "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها ، وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ." (٢) يقول بولس :

" من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم ، وبالخطيئة

---

(١) ٢ : ١٥-١٧ .

(٢) سفر التكوين ٣ : ٦ .

الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ،إذ أخطأ الجميع." (١)

وبناء على هذا يرى المسيحيون "أن الخطيئة الأولى لم تقتصر على آدم وحواء، بل امتدت بحكم التناسل من ذات الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مرّ الأجيال ، فجلبت الدمار على البشر أجمعين ، وأن كل ما نحسّ به نحن البشر من شك أو نزوع إلى الفتنة وما إليها من الدس والوقيعة والرياء والخديعة ،أصول الجرائم وأسسها كلها منحدرة من مصدر واحد هو الأبوان الأولان ."(٢)

وهكذا يرى النصارى أن خطيئة آدم وزوجته أفقدتهما حياة الاستقامة، وأصبحا خاطئين قبل أن ينجبا نسلا ، ولذلك ولد البشر جميعا منهما خطاة وتحملوا تبعة وزرهما .

فما العمل وما الحل اذن ؟

يقول بولس : "لا توجد مغفرة بدون سفك دم " (٣)

وسرعان ما يخرجون من حيرتهم ويضعون حلاً لمشكلتهم هذه فيقولون : "إن خطيئة آدم لا تشترى إلاّ بدم زكي نفيس ، وهذا الدم لا يكون دم إنسان من البشر،ذلك أن البشر ملوثون ، ودماءهم نجسة ، كذلك ليس دم حيوان من الحيوانات التى تموّن الوثنيون واليهود ذبحها كفارة عن ذنوبهم ، وذلك أن الحيوان لم يشترك فى خطيئة آدم . (٤)

---

(١) رسالة بولس الى أهل رومية ٥ : ١٢
(٢) محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم إله ص ١٤٣
(٣) الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ٢٢
(٤) تقرر التوراة أن الحية وهى حيوان، هى التى حرضت حواء على الأكل من الشجرة المحرمة (تك ٣ : ١-٦) وفى الحقيقة : أن الشيطان تمثل لهما فى شكل حيّة . (عبد الأحد داود / الانجيل والصليب ص٦) .

كذلك ليس دم ملاك ، لأن الملائكة ليس لهم دم ، وبالتالي لا يصلحون للفداء . وإذاً فلابد أن يكون الدم إلهيا طاهرا ، ولكن في نفس الوقت يمثل البشرية ، فهو دم طاهر ، ولا طاهر إلا الله ، ويمثل الانسان ..." (1)

فلا حل إذن إلا بنظرية التجسد (2) حيث يرسل الله ابنه الوحيد ليحل - كما يعتقدون - في جسد العذراء مريم ، ثم يولد بالجسد انسانا ذا لحم ودم ، ولكنه الله نفسه فيفتدي به البشرية من خطيئة آدم أبي البشر .

يقول بولس :

" لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني " (3) فغاية التجسد الأولية اذن هي الفداء ، وهي التكفير عن معاصي البشر ، ومصالحتهم مع الله عن طريق الطاعة والمحبة ." ولا شيء غير الحب - حسب اعتقادهم - هو الذي حدا بالله

---

(1) محمد مجدي مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١١٦ .

(2) التجسد هو : حلول الاله وعمله في شخص انسان ما ، والمسيحيون يقولون : ان الله سبحانه قد تواجد بين البشر في شخص عيسى بطريقة خاصة فذة ، وفي صورة آدمية حقيقة ، وبهذا يصبح المسيح إلها وانسانا في نفس الوقت (عبد الصمد شرف الدين / حول أسطورة تجسد الاله / طبعة جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٨هـ ص ٢) .

(3) غلاطية ٤ : ٤-٥
وكذلك افسس ٥ : ١
وانظر كذلك يوحنا ٣ : ١٦ .

الأب على ارسال ابنه الوحيد الى أرض البشر ليفتديهم ويخلصهم من آثامهم التى ورثوها . وهو (أى صلب المسيح) أجمل وأنصع شهادة على حب الله الأب السماوى للانسان "[1] إذ أنه -على حد تعبير بولس-: "لم يدخر ابنه الوحيد ، بل أسلمه الى الموت لأجل خطايانا "[2]

إذن نظرية المسيحية هى صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، يقول القس بولس الياس :

"إن موت المسيح وبالتالى سر الفداء ، يمثل نقطة الدائرة من الدين المسيحى ، لقد تم مفعول الوساطة بموت المسيح، وسفكه دمه الذى به كفّر عن خطايانا وأرضى الله أباه"[3]

وهناك أساس عقلي آخر بنى عليه المسيحيون عقيدتهم فى الصلب والفداء حيث يدّعون أن "من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها ، وألّا يترك المذنب دون عقاب وإلّا لم يكن عادلا .

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر . ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلّا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل انسان ، وأن يعيش كما يعيش الانسان ، ثم يصلب ظلما بعد أن يلطموه

---

(١) الأب بولس الياس اليسوعى / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٩٥/١٠٦
(٢) رسالة بولس الى أهل رومية ٨ : ٣٢ .
(٣) الأب بولس الياس اليسوعى / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٩٩ بتصرف .

على وجهه ويسخروا منه ويضفروا له اكليلا من الشوك ويبصقوا فى وجهه، كل ذلك ليكفر عن خطيئة البشر من ذنب لم يقترفه هو ولا هم ."(١)

فالمخرج فى نظرهم للتوفيق بين عدل الله ورحمته لا يكون الا بالكفارة حيث أن الصفتين متغايرتان ومتعارضتان ، ولا يمكن التوفيق بينهما إلا بصلب المسيح فداء للبشر .

إذن كان لابدّ من صلب المسيح وقد كان -كما يعتقدون - وهذا هو ما تقتضيه العقيدة ويقتضيه العقل فى نظرهم .

على هذه الأسس الدينية والعقلية يبني النصارى عقيدتهم فى الصلب والفداء باعتبارها عقيدة دينية مستقاة من كتابهم المقدس ، ويشهد لها النظر العقلى الصحيح -كما يزعمون - .

وسوف نتناول هذه العقيدة وما بنيت عليها من أسس بالنقد والابطال ، سواء فيما نورده عن ابن تيمية من ذلك فى الفقرة التالية ، أو ما نورده فيما بعد فى التعقيب الأخير .

◊◊

---

(١) عبد الأحد داود / الانجيل والصليب ص ٦-٧ .

ب ـ ابطال ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى :

هذه هي عقيدة الصلب والفداء ، كما يعتقدها النصارى في حقيقتها وأسسها الدينية ، والعقلية عندهم ، وابن تيمية يتناول هذه العقيدة بالرد والابطال من أوجه متعددة :

أولا : بطلانها لعدم الوثاقة التاريخية لرواية حادثة الصلب:

فهي عقيدة باطلة ، لأنها تقوم على أساس ما رواه كتّاب الأناجيل عن حادثة الصلب ، وهم لم يشهدوا أخبار تلك القصة ، بل ولم يشهد الحواريون أنفسهم ذلك ، لأنّ نصوص أناجيلهم التي عليها معوّلهم قد ذكرت أنّ المأخوذ للقتل كان في نفر قليل من أصحابه ولمّا قبض عليه ولّوا هاربين ، مذعورين ، ومن تبعه منهم ـ وهو بطرس ـ أنكر معرفته به لدى الوالي الروماني ، وآخر ترك ازاره ، وهرب عريانا لا يلوى على شيء . فهؤلاء أصحابه ، وأتباعه ، لم يحضر أحد منهم صلبه ـ كما يزعمون ـ بشهادة الاناجيل .

ورواية صلب من يزعمون أنه المسيح انما هي رواية مأخوذة عن اليهود الذين شهدوها (وهم أعداء المسيح) ، ومن ثمّ فهي قصة تفقد وثاقتها التاريخية ، ولاأمان من تواطؤ رواتها على الكذب ، ايهاما انهم ظفروا بعدوّهم (المسيح) ، وانهم بلغوا أمانيهم . أو اختلاط الأمر عليهم ، واشتباه المسيح بغيره فيما وقع من الصلب ، فكيف تكون تلك القصة وهي بهذه المثابة من ضعف السند ، وقبول الخطأ في روايتها ـ كيف تكون أساسا لعقيدة تقوم عليها النصرانية على نحو ماذكرنا .

يقول ابن تيمية :

" وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه ، وقد قام الدليل على أنّ المصلوب لم يكن هو المسيح ـ عليه السلام ـ بل شبهه ، وهم ظنوا أنّه المسيح ، وأنّ الاناجيل التي

بأيدى أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح ، وعندهم أنها مأخوذة عن الاربعة (مرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، ومتّى) ولم يكن في هؤلاء من شهد صلب المسيح ، ولا من الحواريين ، بل ولا في اتباعه من شهد الصلب وانما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود . فمن الناس من يقول: انهم علموا أنّ المصلوب غيره ، وتعمدوا الكذب في أنّهم صلبوه ، وشبّه صلبه على من أخبروهم ...

ومنهم من يقول : بل اشتبه على الذين صلبوه ، وهو قول أكثر الناس ويقولون : انّ قوله تعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى شبّه للناس الذين أخبرهم أولئك اليهود بصلبه ، وهم شرط أعوان الظلمة ، ولم يكونوا خلقا كثيرا يمتنع تواطؤهم على الكذب "(١)

ثانيا : تناقض النصارى في جمعهم بين عقيدة صلب المسيح وألوهيته :

وعقيدة الصلب والفداء باطلة في نظر ابن تيمية ؛ لما فيها من التناقض مع عقيدتهم في المسيح ، فهو يلزمهم بمقتضى تلك العقيدة أنّهم يجمعون بينها وبين ما يناقضها ، فاذا كانوا يؤمنون بأنّ المسيح اله حقّ من اله حق كما تنصّ عليه أمانتهم ، فكيف يجمعون بين ذلك وبين القول بأنّ الاله الحقّ صلب ، وقتل ، ولحقته الاهانات الشنيعة . انّ ذلك يتناقض مع مقتضى الالوهية . يقول ابن تيمية - موجها كلامه للنصارى - : " انكم قلتم في أمانتكم عن المسيح : أنّه اله حقّ من اله حقّ ، من جوهر أبيه ، الذى هو مساو الاب في الجوهر . الذى نزل ، وتجسّد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنّس ، وصلب ، وتألم."

---

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص٣١٣ وكذلك جـ٢ ص١٤ وكذلك جـ٢ص٢٨٣ بتصرف

اقتضى ذلك أن يكون الاله الحقّ المساوى للاب في الجوهر ، صلب وتألم ، فيكون اللاهوت مصلوبا ، متألما . وهذا تقرّ به طوائف منكم ، وطوائف تنكره ، لكن مقتضى أمانتكم هو الاول ، أنّ اللاهوت صلب وتألم ، وهذا لا يمكن أن يقال ."(١)

ثالثا : بطلان عقيدة الصلب والفداء ببطلان عقيدة الخطيئة الموروثة :

واذا كان النصارى يقيمون عقيدة الصلب على أساس من ايمانهم بفداء المسيح للبشرية ، من الخطيئة الموروثة ، فانّ ابن تيمية ينقض هذا الاساس ، وبذلك ينتقض زعم النصارى بصلب المسيح من أجل الفداء .

(أ) فالنصارى يدينون بوراثة أبناء آدم لخطيئة أبيهم ، تلك الخطيئة التي لم يتب منها آدم كما يزعمون ، والتي دنّسته ، ودنّست ذريته من بعده ، وكانت سببا في تسليط الشيطان على أرواح هؤلاء الذرية ، ليحبسهم في محبسه ... الى غير ذلك من الاوهام التي يدين بها النصارى .

والواقع أنّ آدم ـ عليه السلام ـ وان كان قد أذنب ، الاّ أنّه تاب ، فتاب الله عليه . ومن ثمّ لم يورّث أبناءه خطيئته ، لو فرض أنّ الخطايا يرثها الابناء عن الآباء .

يقول ابن تيمية :

" ... لقد تاب الله على آدم ، واجتباه ، وهداه . قال تعالى : (وعصى آدم ربّه فغوى ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى .)(٢)
وقال تعالى : (فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)(٣)

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص ١١٨/ ١١٩ بتصرف قليل . وكذلك جـ٣ ص ٤٢/ ٤٩ ، ١١١

(٢) سورة طـه / آية ١٢١/ ١٢٢

(٣) سورة البقرة / آية ٣٧

وليس عند أهل الكتاب فى كتبهم ماينفي توبته ، وإنما قد يقول قائلهم :
إنا لا نعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته ، وعدم العلم بشيء ليس علما بعدمه ،
وعدم وجود الشيء فى كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون فى كتاب آخر ..."(1)

(ب) ويستنكر ابن تيمية القول بوراثة بني آدم لخطيئة أبيهم حتى ولو لم يتب منها ولا سيما الأنبياء عليهم السلام . الذين أكرمهم الله عز وجل والذين لا يعقل أن يتسلط الشيطان على أرواحهم فيحبسها في محبسه -كما يزعمون - وإذا كان الله عز وجل لم يؤاخذهم بذنوب آبائهم فكيف يؤاخذهم بذنب أبيهم الأول . يقول ابن تيمية :

" وسواء تاب آدم ، أو لم يتب فكيف يجوز أن يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين فى حبس الشيطان فى جهنم بذنبه ؟ وإبراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله الله فى جهنم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم ، مع أنه كان نبيا ؟ ونوح -عليه السلام - قد مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى عبادة الله وحده ، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين ، فكيف يكون فى جهنم فى حبس الشيطان لأجل ذنب آدم ؟ وموسى بن عمران كلمه الله تكليما ، وأظهر على يديه من البراهين ، والآيات مالم يظهر مثله على يدي المسيح ، وقتل نفسا لم يؤمر بقتلها ، فغفر الله له ذلك ، وله من المنزلة عند الله والكرامة مالا يقدر قدره ، فكيف يكون فى جهنم فى حبس الشيطان ."(2)

---

(1) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٦٤ .

(2) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٦٥ وكذلك جـ ١ ص ٣٢١ .

" . . . فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء ، والتي لا تصلح أن تضاف الى أجهل الملوك وأظلمهم ، فكيف يدّعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل ، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الانسان بتعلم مالا يقدر على تعلمه ، وفيه صلاح معاشه ومعاده ، ويجعلون مثل هذا موجبا لتكذيب كتابه ورسله ، والاصرار على تبديل الكتاب الأول ، وتكذيب الكتاب الآخر ، وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى وعيسى وسائر الأنبياء والرسل ؟ ." (١)

(جـ) يرى ابن تيمية أنه لامناسبة بين الصلب الذى هو فى نفسه من أعظم الذنوب وبين فداء البشرية ، بل ويرى أن تصور النصارى لعقيدتهم فيه نسبة الظلم الى الله عز وجل حيث أخّر فكاك أرواح البشرية من حبس الشيطان إلى عهد المسيح، فلماذا لم يردّ الشيطان عن ظلمه للبشرية منذ البداية وفي ذلك يتساءل ابن تيمية مستنكرا :

"أي مناسبة بين الصلب الذى هو من أعظم الذنوب ، سواء صلبوا المسيح ، أو المشبه به ، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان ؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا، والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم ، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم . فلماذا أخّر منعه من ظلمهم إلى زمن المسيح ؟ وهو سبحانه ولي المؤمنين ، وناصرهم ، ومؤيدهم وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم ، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان . فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم ، ويجعل

---

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص٢١٦/٢١ .

أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قدّر أن الشيطان كان قادرا على ذلك ، وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأوليائه ، وسقوط التكليف عنهم ، واستحقاقهم كرامته واحسانه وجنته بحكم وعده ، ومقتضى حكمته - يجعله مسلطا على حبسهم في جهنم ؟! وان قالوا : الرب عز وجل ماكان يقدر على تخليصهم من الشيطان ، مع علمه بأنه ظالم معتدٍ عليهم بعد الموت إلّا بأن يحتال عليه بإخفاء نفسه ليتمكن منه - كما يزعمون - فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، وجعل الرب سبحانه عاجزا ، كما جعلوه أولا ظالما فيه من التناقض مايقتضي عظيم جهلهم الذى جعلوا به الرب جاهلا ، فإنهم يقولون :

إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل ، كما احتال الشيطان على آدم بالحيلة ، فاختفى منه لئلا يعلم أنه ناسوت الاله ، وناسوت الاله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره .

فلما أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه في جهنم كسائر من مضى ، وهو لم يعمل خطيئة، استحق الشيطان أن يأخذه الرب ، ويخلص الذرية من حبسه ، وهذا تجهيل منهم للرب سبحانه وتعالى عما يقولون ، مع تعجيزه وتظليمه ، فإنه إن كان هو سلط الشيطان على بني آدم كما يقولون . فلافرق بين ناسوت المسيح وغيره ، إذ الجميع بني آدم ، وأيضا فإذا قدر أن الناسوت دفع الشيطان عن نفسه بحق ، فإنهم يقولون : إنه دخل الجحيم وأخرج منه ذرية آدم . فيقال : إن كان تسلط الشيطان على حبسهم فى الجحيم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم ، لم يجز اخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب ، وان كانوا مظلومين مع الشيطان وجب تخليصهم قبل

صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك ، فليس في مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره ، وإن قالوا : إنه كان بدون تسلطهم على صلبه عاجزا عن دفعه ، فهو مع تسلطه على صلبه أعجز وأعجز ،" (١)

رابعا : بطلان عقيدة الصلب والفداء لما فيها من تناقضات :

ويستفيض ابن تيمية في ذكر وجوه الابطال التي يوجهها الى عقيدة النصارى في وراثة أبناء آدم الخطيئة وصلب المسيح فداء لأرواحهم من آثار تلك الخطيئة ، وما يسندونه الى الله عز وجل من احتياله على الشيطان بحلوله في ناسوت المسيح الذي لم يفعل خطيئة حتى إذا أراد الشيطان أن يحبس روحه في محبسه كما فعل مع بقية بني آدم عاقبه الله عز وجل لأنه أراد أن يحبس روح المسيح الذي لم يفعل خطيئة وكان في عقابه له عادلا - يفيض ابن تيمية في ذكر الوجوه التي تبطل هذه العقائد بما بينها من تناقضات وما تستلزمه في حق الله عز وجل من المحالات ، وفي ذلك يقول :

" والنصارى يقولون : إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعا انما مكّن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة ابليس ، قالوا : فأخفى نفسه عن ابليس لئلا يعلم ، ومكن أعداءه من أخذه وضربه ، والبصاق في وجهه ، ووضع الشوك على رأسه وصلبه ، وأظهر الجزع من الموت وصار يقول :

يا الٰهي لم سلطت أعدائي عليّ ليخفي بذلك عن ابليس ، فلا يعرف ابليس أنه الله أو ابن الله ، ويريد ابليس أن يأخذ روحه الى الجحيم كما أخذ أرواح نوح ،

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص٣٦٦/٣٦٧ .

وابراهيم ، وموسى وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين .

فيحتج عليه الرب ، حينئذ ويقول بماذا استحللت يا ابليس أن تأخذ روحي ؟ فيقول له ابليس : بخطيئتك. فيقول ناسوتي : لا خطيئة له كتواسيت الأنبياء ، فإنه كان لهم خطايا استحقوا بها أن تأخذ أرواحهم الى جهنم ، وأنا لا خطيئة لي ، قالوا : فلما أقام الله الحجة على ابليس جاز للرب حينئذ أن يأخذ ابليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من إن هابهم الى الجحيم ، وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم الى الله ما يطول وصفه ، فمن هذا قوله : فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحا ماقدحه فيه أحد ، وذلك من وجوه :

الوجه الأول :

أن يقال ابليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره ، وإن كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم ، وهم قالوا : إنما أخذهم بذنب آدم .

الوجه الثاني :

أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين ، وكلهم بالنسبة إلى آدم سواء ، وهم أيضا يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين ، فكيف جاز تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ، ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح ؟

الوجه الثالث :

أن يقال أخذ ابليس لذرية آدم وإدخالهم جهنم . اما أن يكون ظلما من ابليس . واما أن يكون عدلا . فإن كان عدلا فلا لوم على ابليس ، ولا يجوز أن يحتال

عليه ليمتنع من العدل الذى يستحقه بل يجب تمكينه من المتقدمين والمتأخرين . وإن كان ظلما فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح ؟ فإن قيل : لم يقدر فقد نسبوه إلى العجز . وإن قيل : قدر على دفع ظلم ابليس ولم يفعله، فلا فرق بين دفعه فى زمان دون زمان ، ولوجاز ذلك جاز فى كل زمان ، وإن امتنع امتنع فى كل زمان .

الوجه الرابع :

إن ابليس ان كان معذورا قبل المسيح فلاحاجة إلى عقوبته ولا يلام عليه . وان لم يكن معذورا استحق العقوبة ولا حاجة أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه .

الوجه الخامس:

إنه بتقدير أنه لم يقم عليه حجة قبل الصلب فلم يقم عليه بالصلب فإنه يمكنه أن يقول: أنا ماعلمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب ، وأنت يا رب قد أذنت لى أن آخذ جميع ذرية آدم، فأوديهم الى الجحيم ، وهذا واحد منهم ، وما علمت أنك أو ابنك اتحد به ، ولو علمت ذلك لعظمته فأنا معذور فى ذلك فلايجوز أن تظلمني.

الوجه السادس :

أن نقول أن ابليس يقول حينئذ يا رب فهذا الناسوت الواحد أخطأت فى أخذ روحه لكن سائر بنى آدم الذين بعده لى أن أحبس أرواحهم فى جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح ، إما بذنب أبيهم ، وإما بخطايا هم أنفسهم ، وحينئذ فإن كان مايقوله النصارى حقا فلا حجة لله على ابليس .

الوجه السابع :

أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بني آدم على ذنوبهم هي إلى الله أو إلى ابليس ؟ فهل يقول عاقل إن ابليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم، ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله له في ذلك ... ؟ وهل هذا القول إلا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئا من ذلك، ولا عاقب الله أحدا على ذنب ؟ ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس، ولهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل، ولا عن أحد من الحواريين، ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس، وكان رأسهم ماني نصرانيا مجوسيا، فالنسب بين النصارى، والمجوس، بل وسائر المشركين نسب معروف .

الوجه الثامن :

أن يقال إبليس عاقب بني آدم، وأدخلهم جهنم باذن الله أو بغير اذنه ؟ إن قالوا باذنه فلا ذنب له، ولا يستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع، وإن كان بغير إذنه فهل جاز في عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز ؟ فإن جاز ذلك في زمان جاز في جميع الأزمنة، وإن لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة، فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده .

الوجه التاسع :

أن يقال هل كان الله قادرا على منع ابليس وعقوبته بدون هذه الحيلة ؟ وكان ذلك عدلا منه لو فعله أم لا ؟ فإن كان ذلك مقدورا له، وهو عدل منه لم يحتج

أن يحتال على ابليس ولا يصلب نفسه أو ابنه ،ثم إن كان هذا العدل واجبا عليه وجب منع ابليس ، وإن لم يكن واجبا جاز تمكينه في كل زمان،فلا فرق بين زمان وزمان ،وإن قيل : لم يكن قادرا على منع ابليس فهو تعجيز للرب على منع ابليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول الثنوية الذين يقولون : لم يكن يقدر النور أن يمنع العالم من الشر ،ومن جنس قول ديمقراطيس* والمنانين* الذين يقولون : لم يكن واجب الوجود الذي يمنع النفس عن ملابسة الهيولى** بل تعلقت النفس بها بغير اختياره .

<u>الوجه العاشر:</u>

إن مافعله به الكفار اليهود الذين صلبوه قد كان طاعة لله أو معصية؟

---

* فيلسوف يوناني عاش حوالي (٤٦٠-٣٧٠ ق م.) قال : إن كل كائن مركب من ذرات متجانسة في طبيعتها ،لكنها مختلفة حجما وشكلا وثقلا . وغاية الحياة عنده هي السعادة متحققة بضبط أهواء النفس. يعتبر كمؤسس للفلسفة المادية .

أنظر . محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص٨٣٧ وكذلك منجد الأعلام ص٢٩٦.

* هم أتباع ماني بن فاتك ،ثنوي ،مجوسي أحدث دينا ،ودعا اليه ،وزعم أن صانع العالم اثنان، أحدهما فاعل الخير ، وهو نور. وثانيهما فاعل الشر ، وهو ظلمة . وهما قديمان لم يزالا ،ولن يزالا . وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير. . أنظر الشهرستاني / الملل والنحل ج٢ص٨١ .

** الهيولى : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة . وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم ،قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ،محل للصورتين الجسمية والنوعية . أنظر الجرجاني في تعريفاته ص٢٧٩ . وأنظر كذلك المعجم الفلسفي ص١٣٦، ٢٠٨.

فإن كان طاعة لله : استحق اليهود الذين صلبوه،أن يثيبهم ويكرمهم على طاعته ، كما يثيب سائر المطيعين له ، والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثماً - وهم من شر الخلق - وهم يستحلون دمهم ولعنتهم،الا يستحلونه من غيرهم ، بل يبالغون في طلب اليهود ، وعقوبتهم في آخر صومهم الأيام التي تشبه أيام الصليب .

وان كان أولئك اليهود عصاة لله ، فهل كان قادرا على منعهم من هذه المعصية أم لا ؟ فإن لم يكن قادرا ، لم يكن قادرا على منع ابليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل ، وان كان قادرا على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع ابليس بدون هذه الحيلة. وان كان حسنا منه تمكينهم من هذه المعصية، كان حسنا منه تمكين ابليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل،فلا حاجة إلى الحيلة عليه .

الوجه الحادي عشر:

وهو اما أن نقول في الظلم كما تقول الجهمية المجبرة[1] الذين يقولون يفعل مايشاء بلا حكمة ولا سبب ولا مراعاة ، واما أن يقال بقول القدرية[2]: انه يجب

(١) الجهمية المجبرة ، اتباع جهم بن صفوان ، الذي قال بالاجبار والاضطرار الى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وقد ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم ابن أحوز المازني بمرو ، في آخر ملك بني أمية . انظر الشهرستاني / الملل والنحل جـ ١ ص ٨٦ .
وكذلك عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني / الفرق بين الفرق / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢١١ .

(٢) هي فرقة المعتزلة الذين يزعمون أن الناس هم الذين يقدرون على اكسابهم ، وانه ليس لله عز وجل في اكسابهم ، ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير ، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية . أنظر عبد القاهر بن طاهر البغدادي الإسفراييني الفرق بين الفرق ص ١١٤ / ١١٥ .
وكذلك الشهرستاني / الملل والنحل جـ ١ ص ٥٤ .

عليه العدل الذى يجب على المخلوقين .

وأمّا أن يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوقين . فهذه أقوال الناس الثلاثة .

فإن قيل بالأول : (انه يفعل بلا سبب) جاز أن يسلط ابليس على جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعا بلا ذنب ولا حاجة حينئذ الى الحيلة على ابليس .

وان قيل بالثانى : (يجب عليه العدل) فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمره غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الآمر والمأمور جميعا .

وأما تسليطه للآمر على عقوبة المأمور فليس من العدل ، وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل .

وان قيل : بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه ، قيل فحينئذ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين ، فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتيال عليه .

وان قيل : انما يستحق أخذهم بخطاياهم ، قيل : فله أن يأخذ الأولين والآخرين .

وان قيل : هل لما طلب أخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب ؟ قيل : هذا إن كان ذنبا فهو أخف ذنوبه فإنه لم يعلم أنه ناسوت الاله ، فإذا استحق الرجل أن يسترقّ أولاد غيره ، فطلب رجلا ليسترقه ، لظنه أنه منهم ، ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنبا يمنع استرقاق الباقين .

وان قيل بالثالث (إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين ، بل من عدله أن لا ينقص أحداً من حسناته ولا يعاقبه إلّا بذنبه) لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم ، ولم يجز أن يعاقب الانبياء الذين ليس لهم ذنب إلّا ذنب

تبرءوا منه بذنب غيرهم بأن الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب ، فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة ، فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصراً على الذنب مع أن هذا تقدير باطل ، ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم ، مع أن هذا تقدير باطل ، فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك .

فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم ، بل من هو من الكفار ؟

الوجه الثاني عشر :

إن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم ابليس فهلّا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على ابليس فيمنعه من ظلم من تقدم ، فإن المنع من الشر الكثير أولى من المنع من الشر القليل ، أتراه ما كان يعلم أن ابليس يعمل هذا الشر كله ، فهذا تجهيل له ، أو كان يعترف ويعجز عن دفعه ، فهذا تعجيز له . ثم ما الفرق بين زمان وزمان ؟ أم كان ترك منعه عدلا منه فهو عدل في كل زمان ؟

واعلم أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً ، وكلما تصور العاقل مذهبهم ، وتصور لوازمه ، تبيّن له فساده . لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الايمان بكتابه ورسوله ودينه ، لكونه سبحانه عدلا لا يأمر الناس بما يعجزون عنه ، وهو سبحانه لم يأمرهم إلا بما يقدرون عليه ، وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من بني آدم ".[1]

---

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص٢١٦ / ٢٢١ .

وليس لنا من تعقيب على هذه الوجوه المستفيضة التي ذكرها ابن تيميـــة في إبطال عقيدة النصارى في الصلب والفداء ، وإبطال تصورهم لكيفية هـــذا الفداء ، وإبطال الأسس التي تقوم عليها تلك العقيدة ، فقد كانت حجج ابن تيمية - كما رأينا - حججاً بالغة في إبطال هذه العقيدة من جميع تلك الوجوه .



جـ - تعقيـــــــــب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة الصلب والفداء :

عقيدة صلب المسيح مقرونة بفكرة الفداء والخطيئة الأولى هي عقيدة وثنية محضة تمتد جذورها الى مئات السنين قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- تماما كغيرها من العقائد النصرانية الأخرى التي سبق الكلام عنها في الفصول السابقة واللاحقة .

ويذكر الفرد لوازي بأنّ المسيحية تأثرت وتفاعلت بالديانات الوثنية السريّة المنتشرة آنئذ في الامبراطورية الرومانية ، وبلدان الشرق الأدنى،لا سيما في مصر وسوريا وبلاد فارس فرنجيه * ، حيث كانت طقوس العبادة تمثل على المسرح موت الآلهة، وبعثهم، تشجيعا للراغبين في الانتساب الى تلك الديانات ، والطامعين في البقاء والخلود ...". (1)

---

* فريجيا (phrygie) اقليم قديم بوسط آسيا الصغرى بين بحر ايجه والبحر الأسود ، قدم الفريجيون من أوربا ، واستقروا هناك حوالي عام ١٢٠٠ ق .م . ثم احتلها الفرس سنة ٥٤٦ق .م . ثم الرومان سنة ١٣٣م ، بشّر فيها بولس بالمسيحية . أنظر: منجد الأعلام ص٥٢٧ ط٢٦ . وأنظر كذلك محمد شفيق غربال الموسوعة العربية الميسرة ص١٢٩٧ .

(1) L.De Grandma is on, Jesus- Chrisl,t.2/p.5/9

وكذلك J.lagrange/Attis et le christian is me R.B 1616. p. 449 .

نقلا عن الأب بولس الياس /يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص١٣٢ .

ويؤكد ذلك المؤرخ المسيحي ول ديورانت حيث يذكر أن المسيحيين في بلاد اليونان الذين آمنوا بالمسيح، ولم يروه، قد آمنوا به كما آمنوا بآلهتهم المنقذة، التي ماتت لتفتدي بموتها بني الانسان، حيث كانت هذه العقيدة منتشرة منذ زمن بعيد في مصر وآسيه الصغرى وبلاد اليونان .

يقول في ذلك :

" لقد كانت مصر وآسيه الصغرى ، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة، من زمن بعيد ، تؤمن بأوزيريس ، وأوتيس ، وديونيشس ، التي ماتت لتفتدي بموتها بني الانسان ، وكانت ألقاب مثل : سوتر " المنقذ " واليوتريوس " المنجي " تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ كريوس " الرب " الذى سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية ـ السورية على ديونيشس الميت المفتدى ، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية ، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين " (١)

" ويحترم النصارى أوزيريس ، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة " (٢) .

وقد أسهب جميع علماء مقارنة الأديان والمهتمون بالتاريخ القديم، في الحديث عن عقيدة الصلب والفداء، وعن أصولها ، وكانوا جميعا متقاربي الآراء في بيان جذور هذه العقيدة ، وكيفية وصولها للديانة المسيحية المحرفة . من هؤلاء صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية الذى كان عبارة عن خلاصة إطلاعه على ما يقرب

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ رقم ١١ ص٢٦٤ .

(٢) الخرافات / موری ص٣٨٤ نقلا عن كتاب العقائد الوثنية ص٤٤ .

من أربعين كتابا أجنبيا فى مقارنة الأديان وفى التاريخ القديم . حيث جمع الشيء الكثير مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين المختلفي النحل،والأمكنة فى العقائد ، ولو حاولنا التوسع فى سرد ماذكره فى هذا المقام لطال بنا القول ، ولكن سأقتصر فى فصلنا هذا على بعض ماذكره ،مما يكفي فى المعرفة بجذور هذه العقيدة . فنقول ومن الله نستمد العون :

تقديم البشر ذبيحة فداء للخطيئة،كان شائعا فى الأزمنة القديمة لدى الرومان واليونان والمصريين وهى فى نفس ملابساتها وأشكالها لا تخرج عما يعتقده النصارى فى شأن عيسى -عليه السلام - وفى ذلك يقول :

" كان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة ،والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة ، وليس هذا فقط ، بل ونفس أولادهم ،وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها . وكانوا فى مصر يقدمون من البشر ذبيحة . وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى إنهم صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات ذبيحة ، يأخذونه إلى هيكل ويضعون على رأسه إكليلا ، ثم يذبحونه قربانا للآلهة كما تذبح الأنعام ." (١)

وكتب النصارى وسائر أسفارهم تصرح بأن عيسى صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك .(٢)

ويقول " دوان " فى كتابه (خرافات التوراة ومايقابلها فى الديانات الأخرى)ما ترجمته ملخصا :

" إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم ،فالهنود يعتقدون أن "كرشنا

---

(١) محمد طاهر التنير /ص٣٧ .

(٢) انظر مثلا انجيل مرقس ١٥ : ١٧ .

المولود البكر الذى هو نفس الاله فشئو ،الذى لا ابتداء له ولا انتهاء -على رأيهم - تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها،فأتاها،وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه" (١)

ويؤكد ذلك المؤرخ الأوربى (هوك) فى المجلد الأول من رحلته فيذكر "أن الهنود الوثنيين يعتقدون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة " (٢)

وهذا يعنى أن الاعتقاد بالخطيئة الأصلية وتوارثها ليس قاصرا على الرومانيين واليونانيين والمصريين فحسب ،بل هو يمتد بجذور عميقة جدا لدى الهنود الوثنيين أيضا الذين يعتقدون بالخطيئة الأصلية " ومما يدل على ذلك ماجاء فى تضرعاتهم التى يتوسلون بها وهى : إنى مذنب ومرتكب الخطيئة ، وطبيعتي شريرة ، وحملتنى أمي بالاثم فخلصنى ياذا العين الحندقوقية (٣) يامخلص الخاطئين من الآثام والذنوب " (٤)

---

(١) ص١٨١ / ١٨٢ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٣٦ .

(٢) ص٢٢٦ نقلا عن المرجع السابق ص٣٧ .

(٣) الحِنْدقوق ، والحَنْدقوق ، والحَنْدقوقى . بقلة أو حشيشة مثلثة الورق تسمى أيضا الذُرَق . أنظر المنجد فى اللغة والاعلام ص١٥٧ ط٢٦ .

(٤) موريثور وليمس / كتاب الهنود ص٣٦ نقلا عن الأستاذ محمدطاهر التنير العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٣٨ .

وفى سياق كلامه عن الهنود وعقائدهم قال القس جورج كوكس فى كتابه (الديانات القديمة)إن الهنود " يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا،لأنه قدم شخصه ذبيحة "(١)

ويؤكد العالم المسيحي آرثر فندلاي هذه الحقيقة ،حقيقة موت الآلهة من أجل خطايا البشر فى كتابه صخرة الحق ،فيذكر ستة عشر إلٰها ملكا مخلصا عرفوا قبل مجئ المسيح ،وهؤلاء فى تواضعهم وحبهم لبني قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم ،وسمى كل واحد منهم الٰها مخلصا ،وأعطى لقب المسيح .(٢)

ونقل " هيجين "عن اندرادا الكريوس - وهو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت - ، وقال عند تكلمه عن الالٰه "اندرا" الذى يعبدونه : "إنه سفك دمه بالصلب ،وثقب بالمسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم ،وإن صورة الصلب موجودة فى كتبهم "(٣)

والنصارى فى اعتقادهم بصلب المسيح ، وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن البشر لا يختلفون عن كل هؤلاء بل صور مكررة ومنطبقة تماما .

---

(١) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٣٩ .

(٢) أنظر الدكتور رءوف شلبى المسيحية الرابعة ص٤٣/ ٤٤ .

(٣) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٤٠/ ٤١ .

وأما مايروى عن البوذيين في أمر بوذا فهو أكثر إنطباقا على مايرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه ، حتى إنهم يسمونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون : إنه انسان كامل وإله كامل ، تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ، ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات . وقد بيّن ذلك كثير من علماء الغرب منهم : (بيل) في كتابه / تاريخ بوذا ، و (هوك) في رحلته ، و (مولر) في كتابه / تاريخ الآداب السنسكريتية . . . وغيرهم.(١)

ومن أوجه الشبه بين البوذية والمسيحية أن البوذية تقول : "الانسان شرير بطبعه ، والخيرطارئ عليه ".

ومنها تسربت العدوى إلى النصرانية التي ترى أن الانسان منذ خطيئة آدم قد انقلب شريراً لا حيلة في إصلاحه إلّا بمنقذ ومخلص إلهي . وليس ذلك -كما يزعمون- الّا المسيح -عليه السلام-(٢)

هذا عند الهنود ، أما عند الصينيين فقد "كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص الهي قديم العهد جداً عندهم ".(٣)

ليس هذا فحسب بل إن فكرة الاله الفادي جاءت إلى آسيا -على أرجح الأقوال- من أرض فارس أو بابل ، حيث كان هناك اله النور واله الظلام في صراع دائم معا

---

(١) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٤١، ٤٣ .

(٢) ابراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص٨ .

(٣) دوان / خرافات التوراة ومايقابلها في الأديان الأخرى / نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٤٣ .

ثم يأتي في النهاية الاله المنقذ متراس ليحكم بين الناس ويقيم العدالة والسلام يقول في ذلك المؤرخ (ول ديورانت) :

" والراجح أن فكرة الاله المنقذ قد جاءت الى غربي آسية من بلاد فارس أو بابل ، فالتاريخ كله والحياة كلها قد صورا في الديانة الزرادشتية في صورة صراع بين قوى النور المقدسة وقوى الظلمة الشيطانية ، ثم يأتي في آخر الأمر المنقذ شوسيانت أو متراس ليحكم بين الناس ويقيم العدالة والسلام الدائمين ." (1)

وهذا - في حدّ ذاته - لا يختلف عما عليه المسيحيون من الاعتقاد بصلب المسيح فداء للبشر، ثم نزوله آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلا ونورا .

بل ويذكر الدكتور / كمال الدين خواجا "أن ديانة بمل إله البابليين كانت معينا للمسيحية في موضوع هام، من موضوعاتها العاطفية ، ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه . وقد وضع البابليون قصة محاكمة بمل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة ، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن ... وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصّر ، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض عند مطلع كل ربيع ، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم، ومؤثرة في حياتهم، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة ، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بمل، بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بمل ، وهذا الاسم هو المسيح ، حتى ليمكن القول : إن قصة صلب المسيح كما تورد ها الأناجيل هي قصة منتحلة تماما .

---

(1) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص١٨٠ .

وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين :

محاكمة بعـــــل	محاكمـــــة عيسى
١ - أخذ بعل أسيرا	أخذ عيسى أسيرا .
٢ - حوكم بعل عَلَناً	وكذلك حوكم عيسى .
٣ - جرح بعل بعد المحاكمة	اعتدي على عيسى بعد المحاكمة .
٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .
٥ - كان مع بعل مذنب حكم عليـــــه بالاعدام ، وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت . وقد طلب الشعب إعدام بعـــــل والعفو عن المذنب الآخر .	وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالاعدام ، ورشح بيلاطس عيســـــى ليعفى عنه كالعادة كل عام ، ولكـــــن اليهود طلبوا العفو عن باراباس واعدام عيسى .
٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل عمّ الظلام ، وانطلق الرعد ، واضطرب الناس .	عقب تنفيذ الحكم على عيسى ، زلزلت الأرض ، وغامت السماء .
٧ - حرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه .	وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه .
٨ - إلاهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه .	مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عنـــد مقبرة عيسى تنتحبان عليه .
٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء .	قام عيسى من مقبرته في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضا وصعد الى السماء .(١)

(١) نقلا عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٨٧ / ١٨٠ .

وهكذا نلاحظ أن مسيح بولس المحكوم عليه بالموت لمحو خطايا البشر، ليس إلّا بطلا من أبطال تلك الأساطير الذين أعدموا فداء لخطايا البشرية .

٢ - بطلان الأسس التي تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء :

بعد ما قدمناه من أوجه النقد والابطال التي وجهها ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء ، وما قدمناه كذلك بيانا للأصول التاريخية لهذه العقيدة نقدّم هذه الوجوه زيادة في بيان بطلانها ببطلان الأسس التي تقوم عليها :

أولا : عقيدة الصلب والفداء هذه باطلة لأنها تتنافى مع القول بالألوهية حيث تستلزم وقوع الاهانة والعذاب للاله ، والاله لا يجوز أن يعذب أو تلحقه الاهانات كما لا يجوز عليه الموت . والمسيح عند النصارى اله مطلق ، حيث إنه "اله حق من اله حق من جوهر أبيه" - كما يقولون - وحيث إن موت الاله محال . لذا فإن عقيدة الصلب محالة لما فيها من تناقض . و "لو كان ناسوت المسيح هو جزء من الله لكان ما وقع عليه من العذاب والاهانة والقتل قد وقع على الله . وهذا مستحيل . ولو كان ناسوت المسيح هو جزء من آدم الذي هو أصل بني الانسان لكان ما وقع عليه من عذاب واهانة وقتل وقع على الناسوت فقط . وهذا يبطل فكرة الفداء والتكفير - لديهما - اللذين يقتضيان أن يكون صاحبهما كفوءا لله وندا . . . وفي هذا بطلان للاهوت المسيح وزلزلة لفكرة الفداء . . ."(١)

وقد ناقشهم الباقلاني مناقشة علمية قيمة،وألزمهم بما يترتب على قولهم بصلب ذات المسيح فوجّه اليهم الكلام قائلا :

---

(١) أنظر الاستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ٣ ص١١٣/ ١١٤ بتصرف .

"أخبرونا عن اتحاد الابن بالجسد ، أكان باقيا موجودا في حال وقوع القتل والصلب أم لا ؟ فإن قالوا : كان باقيا موجودا . قيل لهم : فالذي مات مسيح من طبيعتين : لاهوت هو الابن ، وناسوت هو الجسد ، فيجب أن يكون ابن الله القديم مات كما قتل وصلب ، لأن جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت . وإذا صار الابن عند القتل ميتا لم يجز أن يكون في تلك الحال إلها ، لأن الاله لا يكون ميتا ولا ناقصا ، ولا ممن يجوز عليه الموت . ولو جاز ذلك عليه لجاز موت الاب والروح. وهذا ترك (خلاف) قولهم .

وإن قالوا : إن الاتحاد بطل عند القتل والصلب قيل لهم : فيجب انتقاض الاتحاد عند القتل والصلب . وهذا ترك قولهم . ويجب أيضا ألا يكون المقتول مسيحا ؛ لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد، ومفارقة المتحد به ليس بمسيح ، وإنما يكون الجسد وما اتحد به مسيحا مع ثبوت الاتحاد ووجوده . فإن بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن انسانا ، ولا معنى لقولهم : إن المسيح قتل وصلب" (1)

ولقد بلغ افتراء المسيحيين على الله وعلى نبيه مبلغا عظيما ، فهم يزعمون أن المسيح صلب نفسه اختياريا وبكامل ارادته ، تنفيذا لأمر الله . وقد كذبوا في ذلك ، حيث إن نصوص أناجيلهم ترد على زعمهم هذا فتبيّن أن المصلوب صلب قهرا بعد أن أشبعوه ضرباً ولكماً ، علاوة على ذلك فإنه كان يهرب ويدعو الله أن يخلصه من كيد اليهود ويجيز عنه كأس الموت ، وكان عرقه كقطرات دم نازلة وكان يهتف من أعماقه وهو على خشبة الصلب ، الهي الهي لماذا تركتني ؟ فهل إذا صح هذا يكون المسيح قد أقبل على الصلب فداء لخطيئة البشر معتقدا لذلك ؟ !

---

(1) التمهيد للباقلاني ص٩٧ نقلا عن / يونس توري/ عقيدتا التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما ص ٢٧٤ .

ثانيا : عقيدة الصلب والفداء باطلة، لأنها تستلزم نفي المسؤولية الفردية والغاء هذه المسؤولية باطل ، لأنه يتنافى مع التكليف ونظام الخلق فيلزم:

"أن يكون الشرير الذى يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ويفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل من أهل الملكوت الأعلى، لا يعذب على شروره وخطيئاته ، ولا يجازى عليها بشئ ، فله أن يفعل فى هذه الدنيا ماشاء هواه، وهو آمن من عذاب الله ، وإذا كان يعذب على شروره وخطيئاته كغيره من الصليبيين فما هي مزية هذه العقيدة ؟ وإذا كان لها امتياز عند الله تعالى فى نفس الجزاء فأين العدل الالهي"[1] حيث (لا تزر وازرة وزر أخرى)[2] (وأن ليس للانسان إلّا ماسعى)[3].

إن مؤاخذة برئ بجريرة مذنب ليس مخالفا للشريعة فحسب ، بل هو يتعارض مع الفكرة الأساسية للعدالة الانسانية (قال معاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده إنا اذاً لظالمون)[4] فأي عدل هذا الذى يتحقق بعقاب برئ لم تقترف يداه مايوجب له العقاب . وماذنب الأبناء فى إثم ارتكبه أبوهم؟

وماحجم هذا الذنب ياترى الذى ارتكبه آدم ، وكان الثمن له رأس المسيح .

إنه ذنب صغير جدا يتضاءل أمام مافعله بنو اسرائيل مع أنبياء الله ورسله على مدى تاريخهم الطويل ، اللهم إلّا إذا كان النصارى يعتقدون أن ماأكله آدم من

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص٢٧ .

(٢) سورة الأنعام / آية ١٦٤ .

(٣) سورة النجم / آية ٣٩ .

(٤) سورة يوسف / آية ٧٩ .

الشجرة أعظم قدرا عند الله من عيسى بن مريم عليهما السلام.

إن النصارى بذلك يخالفون ما جاء في كتابهم المقدس -عندهم- لأن نصوصه قد صرحت بعدم مؤاخذة أحد بذنب غيره وأن "النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والاب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون".(١)

كما جاء في سفر التثنية: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيئته يقتل".(٢)

"وإن أذنب رجل فليقتل وليصلب على خشبة ولا يبات جسده على الخشبة لكن يدفن من يومه من أجل أنه من الله ملعون كل مرفوع على خشبة".(٣)

فاللعنة على كل مذنب مصلوب، وعيسى لم يخطئ باعتراف النصارى وحاشا لله أن يلعن نبيا من أنبيائه بل ومن أولي العزم من الرسل. هذه النصوص وغيرها كثير تجتث جذور عقيدة صلب المسيح وفدائه، حيث لا يمكن الجمع بين دعواهم بصلب المسيح، وبين ما تثبته التوراة والانجيل من أن المسؤلية الدينية شخصية محضة، وأن (ومن يكسب اثما فإنما يكسبه على نفسه)(٤)

ثالثا: ثم إن القول بصلب المسيح بسبب خطيئة آدم على أنه مقتضى عدل الله

---

(١) سفر حزقيال ١٨: ٢٠.

(٢) ٢٤: ٦.

(٣) سفر التثنية ٢١: ٢٢-٢٣.

(٤) سورة النساء / آية ١١١.

ورحمته لبني البشر ـ هذا القول : "يستلزم الجهل والبداء* على البارئ عز وجـــل (وهما محالان في حقه تعالى) كأنه حين خلق آدم ماكان يعلم مايكون عليه أمره، وحين عصى ماكان يعلم مايقتضيه العدل والرحمة في شأنه ،حتى اهتدى الى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه، كان فيها جاهلا كيف يجمع بين تينـك الصفتين من صفاته وواقعا في ورطة التناقض بينهما ." (١)

رابعا : ولو صح وكان هناك فداء لكان من الأعدل والأحكم صلب بعلزبول (٢) رئيس الشياطين الذى أغوى آدم وحواء وسوّل لذئاب الرهبان في الكنائس اقتنـــــاص الغواني والغلمان . أو يطالب آدم بتقديم نفسه قربانا على الصليب تكفيرا عـــن خطيئته بدلا من تقديم عيسى ـ حسب زعمهم ـ قربانا بلا سبب وجيه (٣)

"أو أن يكون الفداء بولد الصُلب،حيث إنه أولى من ولد البنت،في كثير من الأحكام، فولد صلب آدم وهو هابيل،أولى في الفداء من ولد بنته،وهو المسيح لسببين :

١ = لأنه من جوهر أبيه،انسان حق من انسان حق ،أما المسيح فهو عند النصارى اله حق من اله حق من جوهر أبيه .

---

* الجهل هو عدم العلم بالشئ . أما البداء فهو ظهور الرأى بعد أن لم يكن . وهو مستلزم للعلم بعد الجهل ،والظهور بعد الخفاء ،وذلك مستحيل فـي حق الله تعالى . أنظر الجرجاني / التعريفات ص٤٤ .

(١) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص٢٦ .

(٢) أنظر انجيل متّى ١٢ : ٢٤ وانجيل لوقا ١١ : ١٥ .

(٣) انظر ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير ص٥٤ / ٥٥ . وكذلك الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة ص١٨٤ .

٢ = إن في ذلك مبادرة الى خلاص الخلايق من الجحيم ، وفي الفداء بالمسيح بقايا الخلايق وأبيهم آدم في العذاب خمسة آلاف عام - على حد تعبير التوراة - فكان الفداء بهابيل أولى .

أو أن يصلب اسرائيل ابن الله البكر - كما في توراتهم - حيث إن البكر أولى وأفضل عند أبيه . فهلا فداه به، ولم يدع الناس في عذاب إلى مجئ المسيح ." (١)

ثم إن الأحرى إن كان هناك خلاص للبشرية من وزرها الذي حملته هذه السنين - كما يدعي النصارى - أن يقوم به من امتازت رسالته على رسالة عيسى ، فنحن نعلم أن رسالة عيسى خاصة لبني اسرائيل وليست عامة لكافة الناس ، كما جاء ذلك على لسانه وفي أناجيلهم ، اللهم إلا اذا كان الورثة الحقيقيون لخطيئة آدم هم بنو اسرائيل فقط دون سائر الناس وهذا لا يعترفون هم به .

خامسا : وعقيدة الصلب والفداء على نحو ما يعتقدها النصارى عمل غير معقول، بل يتصف بالهمجية في نظر بعض المفكرين المسيحيين . وفي ذلك يقول المؤرخ (روى ديكسون سميث) مؤكدا هذه الحقيقة " لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد الى هذه البشرية التي لا توازي في مجموعها - منذ بدء الخلق الى نهايته - كوكبا من الكواكب المتناهية في الصغر ، لكي يعاني موتا وحشيا فوق الصليب . . . لكي يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي الذي لا يستسيغه عقل . . ." (٢)

---

(١) أنظر السعودي / المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الانجيل ص١٧٤ .

(٢) د . رؤوف شلبي / المسيحية الرابعة ص٩٢ .

ومن العجيب أن يعترف المسيحيون بغموض سرّ هذه العقيدة واستعصائها على الفهم، ومع ذلك يرون أنها هي حجر الزاوية في العقائد النصرانية، ويجب اعتقادها على أمل أن يأتي المستقبل بحل هذا اللغز المبهم. يقول (جون ستوت)[1]:

" على الرغم من أن الصليب هو ذلك الحدث التاريخي الذي تدور في فلكه سائر أحداث التاريخ، فإن عقولنا لتعجز عن إدراكه تمام الادراك. ومع ذلك فإن اليوم لا محالة آت ... حين ترفع الحجب، وتحل الألغاز، وتتكشف الأسرار... فنرى المسيح كما هو، ونعبده إلى أبد الآبدين من أجل صنيعه معنا ... أما الآن فإننا كمن ينظر في مرآة، في لغز، لكن حينئذ وجها لوجه ... "[2]

٣ - تناقض روايات الأناجيل لحادثة الصلب:*

والواقع أن عقيدة الصلب والفداء باطلة؛ لأنها مروية بطريقة متناقضة، ومتخالفة ولو كانت هذه العقيدة أساسا هاما من أساس دينهم لكانت أحداثها متوافقة في سائر الأناجيل، ولا دليل لديهم على إثبات هذه العقيدة سوى هذه الكتب التي يدّعون إلهاميتها. وقد علمنا " حالة أوّلها وأولاها وهو انجيل متّى، وحالة الأناجيل الثلاثة الأخرى إجمالا، حتى أقرّ العلماء منهم في المناظرات العلنية الرسمية، وغير الرسمية بفقدان السند المتصل بالمصنفين لها، وأنها مملوءة من الأغلاط والمناقضات - كما مرّ - وان دعوى التحريف بسائر أقسامه فيها دعوى مسلّمة

---

(١) المسيحية في جوهرها ص٨ ١٣ تعريب نجيب غالي .

(٢) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٣ : ١٢ .

* أنظر المهندس أحمد عبدالوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية. وكذلك سارة العبادي / التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة .

لا ينكرها أرباب العقول منهم ـ كما أوضحنا ـ[1] ولو لم يكن من دلائل تحريف الأناجيل إلاّ روايات حادثة صلب المسيح هذه ، وما فيها من إحالات ، وتناقضات ، لكفى دليلا على سقوطها بنفسها ، فيخجل العاقل من أن يقول فيما تضمنته تلك الأناجيل أنه كلام الله .

وقد اعتبر مؤلفو دائرة المعارف البريطانية الكبرى ، وعددهم حوالي خمسمائة من كبار العلماء والباحثين والمحققين الذين أكدوا على وقوع التحريف والتزوير في الأناجيل ـ اعتبروا قصة الصلب وما فيها من تناقض وتعارض أحد الأدلة على التحريف والتزوير الواقع في الأناجيل .[2]

وفيما يلي نورد أوجه التناقض بين روايات الأناجيل لحادثة الصلب لشخص المسيح ، الأمر الذى يدل على بطلانها بالنسبة له ، وان كانت قد وقعت بالفعل لمن شبه لهم انه المسيح ، كما جاء بذلك الكتاب العزيز .[3]

وتنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب والفداء إلى عناصر عدة تجري مناقشتها تباعا .

أولا : العاطفة المترددة :

ومن العجيب أن الأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) تتحدث عن هلع يسوع وخوفه من الموت ، وأنه عندما علم بدنو نهايته جثا على ركبتيه ، وأخذ يبتهل الى الله ، ويدعوه أن يصرف عنه كأس الحمام هذه . بينما نجد انجيل (يوحنا) قد خالف الأناجيل الثلاثة وناقضها في ذلك . حيث ذكر أن المسيح طلب من

---

(١) انظر عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٢/ ٢٨٣ .

(٢) أنظر الشيخ ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ٥٨ . وانظر كذلك ص ١٤٩ / ١٥٠ من هذه الرسالة .

(٣) راجع في تفصيل ذلك صفحة ٦٩٠ من هذه الرسالة .

يهوذا (الخائن) أن يعجل بخيانته ويدل اليهود عليه . فعبارة يوحنا صريحة في تكذيب الثلاثة . يقول يوحنا :

" . . . . فغمس اللقمة ، وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي ، فبعد اللقمة ، دخله الشيطان ، فقال له يسوع : ماأنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة . . . " (١)

فمقتضى هذه الرواية أن (يهوذا) انما فعل ذلك - إن صح - بأمر المسيح ، وأن المسيح استبشر بموته لخلاص العالم .

فكيف يصح على رواية الأناجيل الثلاثة أنه طلب من الله أن ينجيه من تلك الساعة . ويأمر التلاميذ بشراء السيوف مع أنه لم يأتِ إلى هذا العالم إلا ليصلب ويموت - كما هو نص الأناجيل الأربعة - فهل بعد هذا التناقض يقدر المسيحي أن يقول أن الوحي قد ألقى مضمون الانجيل في قلوب الانجيليين ، وهم أفرغوه بعبارات شتى لا تختلف في المعنى وان اختلفت في اللفظ . (٢)

أما نص (مرقس) فهو كما يلي - حكاية عن المسيح - :

" فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت ، امكثوا هنا واسهروا ، ثم تقدّم قليلا ، وخرّ على الأرض ، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن ، وقال : يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجزعني هذه الكأس ، ولكن ليكن ليس ما أريد أنا بل ماتريد أنت . " (٣)

وقد أتى متّى (٤) ولوقا (٥) بما يوافق هذا المعنى .

---

(١) يوحنا ١٣ : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) انظر : عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٢٢ .

(٣) ١٤ : ٣٤-٣٦ .

(٤) ٢٦ : ٣٦-٣٩ .

(٥) ٢٢ : ٤١-٤٤ .

وانه لأمر يدعو للعجب حقا ! إذ كيف يدّعى كتبة الأناجيل فيمن يرونه أنه اله وابن اله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - كيف يدّعي هؤلاء الكتبة أن المسيح - عليه السلام - قد وجل من دنو نهايته ، لدرجة أنه جثا على ركبتيه داعيا وملتمسا من الله أن ينجيه من الهلاك .

فما لزوم الهلع والحزن والكآبة المنافية لمقام الألوهية ، سيما وأنه كان على دراية تامة بهذه النهاية كما تذكر الأناجيل .(1)

بل إنه كان من أولي العزم من الرسل ، ولا يخفى ما في لفظ العزم من الشجاعة والثبات والصبر والاقدام .

إن حالة الفزع والحزن والاكتئاب ، التى ألمّت بالمسيح - كما يزعمون - لدرجة أن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض .(2)

هذه الحالة تخالف حالة الثبات ، ورباطة الجأش التى واجه بها الموت كثيرون من الشهداء على مرّ العصور التاريخية ، دون أن يظهر منهم أى تردد أو ندم فى سبيل المبدأ الذى يعتنقونه ، والعقيدة التى ينادون إليها . وهذا ما أكده عميد كلية اللاهوت المتحدة بكندا(3) من قوله :

---

(1) انظر على سبيل المثال : انجيل متّى ٢٠ : ١٨ ، ١٩ وكذلك انجيل لوقا ٢٤ : ٤٦ ، ٤٧ .

(2) لوقا ٢٢ : ٤٤ .

(3) هو الدكتور (جورج برد فورد كيرد) عمل أستاذا لدراسات العهد الجديد بجامعة (مكجيل) بكندا ، ثم عميدا لكلية اللاهوت . وكذلك عمل أستاذا بجامعة اكسفورد ، ورئيسا للجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس . أنظر : المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٧ .

" عندما نتذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان بكل أشكاله البربرية ، وماكان يصحب ذلك من تعذيب مفرط ، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله - في صلاته - أن يجيزها عنه؟ "[1] سيما وأنه كان عارفا بنهايته هذه .

إن واقعة تصبب العرق من المسيح لدرجة أنه كان كقطرات دم نازلة على الأرض هذه الواقعة ، لم يذكرها سوى لوقا على الرغم من أنه لم يشاهدها ، حيث إنه لم يكن بين الثلاثة المختارين (بطرس وابني زبدى) ، ولكنه دون ريب سمعها منهم ، أو من أحدهم .

والأعجب من ذلك أن نجد لهم تعليلا لذلك حيث أوضح الكاتب المسيحي (نصري سلهب) سبب انفراد لوقا دون الآخرين بذكر واقعة قطرات الدم . فقال :

" الواقع أن الانجيليين الآخرين لم يعيروا هذه الظاهرة الفيزيولوجية اهتماما أو هم لم يروها خليقة بالتدوين ، لأنهم ليسوا من ذوي خبرة وإلمام بمثل هذه الشؤون . فالثابت أن المرء يميل بصورة خاصة إلى الاهتمام بالشؤون التي تدخل في نطاق اختصاصه ، فيرى فيها مالا يراه سواه .

ولهذا السبب عندما انطلق الرسل يرددون على مسامع المؤمنين وقائع حياة يسوع وعظاته ، أتوا دون ريب ، على ذكر ذلك الحدث في سياق الكلام ، فسمعه لوقا ، وعلق في ذهنه - إذ كان لوقا طبيبا - بينما لم يتوقف عنده الآخرون ، وفيما بعد وعندما راح يدوّن انجيله حرص على إثبات ذلك الحدث . "[2]

---

(١) تفسير انجيل لوقا ص٢٤٣ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص١٤٢ .

(٢) في خطى المسيح ص٣٠٥ .

والواقع أن تصبّب العرق ليس ظاهرة غريبة تستدعي في الانتباه اليها تخصصا في الطبّ ، فهي ظاهرة عادية ، تعرض لكل من يقع في شدة ، ويلحظها كل انسان ، ويعرف منشأها فيمن يقع في تلك الشدة ، بحكم المشاركة بين الناس في الانفعالات النفسية ، وآثارها الجسمية .

ثانيا : دوافع الصلب في نظر المسيحيين :

إننا لم نجد في مناقضات الأناجيل أشدّ تناقضا وتباينا من روايات سبب الصلب ، فإنه لم يتفق على السبب اثنان .

هذا التباين والتضاد كان بين الأناجيل الثلاثة (متّى ، ومرقس ، ولوقا) من جهة ، وبين انجيل (يوحنا) من جهة أخرى . فقد ذكرت الأناجيل الثلاثة (متّى ، ومرقس ، ولوقا) أن السبب المباشر الذى حرّك رؤساء الكهنة والكتبة ضد المسيح - كما يزعمون - هو حادث الهيكل .

وقد جاء في مرقس : " ... ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة ، وكراسى باعة الحمام ، ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع . وكان يعلّم قائلا لهم : أليس مكتوبا بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ...

وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة ، فطلبوا كيف يهلكونه ، لأنهم خافوه ، إذ بهت الجمع كله من تعليمه ." (1)

ويقول مؤلف انجيل لوقا : " ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا

---

(1) ١١ : ١٥-١٨ .

يبيعون ويشترون فيه . قائلا لهم : " مكتوب أن بيتي بيت الصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . وكان يعلّم كلّ يوم في الهيكل ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه ولم يجدوا ما يفعلون ، لأن الشعب كله متعلقا به يسمع منه ".(١)

" فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادي عليه في تلك الساعة ، ولكنهم خافوا الشعب ...

" فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه ".(٢)

أمّا مؤلف انجيل متّى فبعد أن ذكر حادثة طرد الباعة والصيارفة قال : " ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبيّ ".(٣)

أمّا مفاد نص مؤلّف يوحنا : فإن السبب المباشر في القبض على من يزعمون أنه المسيح -عليه السلام- إنما هو إقامته لرجل يدعى لعازر من قبره وإحيائه.(٤) الأمر الذي كان سببا لتحرك اليهود ضده في تنفيذ مؤامرة القبض عليه ، وتسليمه لرجال السلطة ... ونص يوحنا كما يلي :

" فرفعوا الحجر - حيث كان الميت موضوعا - ورفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال : أيها الأب ، أشكرك ، لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن

---

(١) ١٩ : ٤٥-٤٨.

(٢) لوقا ٢٠ : ١٩ ، ٢٠.

(٣) ٢١ : ٤٥ ، ٤٦.

(٤) عجبا منهم ، كيف يقتلونه لأنه أحيا لعازر ، مع أن معجزاته إحياء الموتى .

لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلّم خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلّوه ، ودعوه يذهب .

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم[1] ، ونظروا ما فعل يسوع ، آمنوا به ، وأما قوم منهم فمضوا الى الفريسيين ، وقالوا لهم عما فعل يسوع ، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا ؛ ماذا نصنع ، فإن هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتي الرومانيون ، ويأخذون موضعنا وأمّتنا . . . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ."[2]

ويقول الدكتور محمد على زهران - معلقا على هذا التناقض بين هذه الأناجيل في هذا السبب - ما نصه :

" ولكن التناقض الذى لا يمكن رفعه هو: الخلاف في سبب القبض عليه ، فإنه عند الرابع قصة لعازر ، وعند الثلاثة حادث الهيكل !

وانما قاموا بعملية قبض واحدة ، أسلموا المقبوض عليه فيها للمحاكمة والصلب ، فامّا أن يكون السبب هذا أو ذاك ، أو يكون هناك مسيحيان ، للرابع واحد ، وللثلاثة الآخر ؛ لاختلاف السببين . أو يكون المقبوض عليه واحدا ، قبض عليه مرتين ."[3]

---

(١) مريم أخت لعازر .

(٢) ١١ : ١-٤٨ ، ٥٣ .

(٣) انجيل يوحنا (تاريخا وموضوعا) ص٥٢٠ (رسالة دكتوراه) .

بل ان بولس ينفي وجود سبب لصلب المسيح فيقول : "ان كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب"(١)

فبأيّ من هذه الروايات نأخذ ، وعلى أيها نعتمد ، وأيها نصدّق ؟ وكيف يسوغ للأساقفة مع وجود هذه الاختلافات والتناقضات كيف يسوغ لهم اسناد هذه الدعوى الباطلة الى الوحي والالهام ؟!

ثالثا : الصلاة في الليلة الأخيرة :

وتتناقض الأناجيل الأربعة كذلك أثناء روايتها للصلاة الأخيرة للمسيح ليلة القبض عليه - كما يزعمون - ويعترفون بأن تلك الصلاة جاءت في الأناجيل بأسلوب موجز يعتريه بعض الغموض(٢) - تتناقض الأناجيل في ذلك على ثلاثة آراء :

الرأي الأول :

لـ(متّى ومرقس) ، حيث اتفقا في انجيليهما على أن المسيح أخذ معه بطرس ، ويعقوب ويوحنا (ابني زبدي) ، وأمر بقية تلاميذه بالمكوث في مكانهم ، وذهب مع الثلاثة لأداء الصّلاة .

وها هو نص انجيل متّى :

" حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها : جثسيماني(٣)

---

(١) غلاطية ٢ : ٢١ .

(٢) أنظر : نصري سلهب / في خطى المسيح ص٣٤٧ .

(٣) جثسيماني "كلمة آرامية معناها (معصرة الزيت) وكان هذا الموضع بستانا فيه أشجار الزيتون ، ومعصرة لعصره ، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون .
كان المسيح يتردد اليه كثيرا طلبا للعزلة ، وترويح النفس . وهو الآن مكان مقدس ؛ لأنه كان مكان ألمه وتسليمه - كما يزعمون - والقبض عليه ."
أنظر قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص ص٢٤٩ .

فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا ، حتى أمضي وأصلي هناك . ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي ، وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت ، امكثوا هنا ، واسهروا معي ، ثم تقدّم قليلا وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلا : يا أبتاه ، أن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس." (١)

أمّا نص انجيل مرقس فقد جاء فيه ما يلي :

" وجاء (أي المسيح) الى ضيعة اسمها جثسيماني ، فقال لتلاميذه : اجلسوا ههنا حتى أصلي ، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش (٢) ويكتئب ، فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت ، امكثوا ههنا ، واسهروا ، ثم تقدّم قليلا ، وخرّ على الأرض ، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن ، وقال : أيها الأب ، كل شيء مستطاع لك فأجزعني هذه الكأس." (٣)

والشاهد في النصين السابقين اتفاق كل من (متّى ومرقس) على أن المسيح - عليه السلام - أمر تلاميذه بالجلوس ، ثم أخذ معه بطرس ، ويعقوب ويوحنا - ابني زبدي - ، ومضى للصلاة لله لكي يصرف عنه كأس الموت والهلاك ، وينجيه من كيد اليهود .

الرأي الثاني :

لمؤلف انجيل (لوقا) ، حيث جاء فيه ما نصه :

" وخرج ، ومضى كالعادة ، الى جبل الزيتون ، وتبعه أيضا تلاميذه ،

---

(١) ٢٦ : ٣٦-٣٩ .

(٢) دَهِشَ دَهَشاً : تحيّر ، وذهب عقله من ولهٍ أو فزع . أنظر المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٩٩ .

(٣) ١٤ : ٣٢-٣٦ .

ولما صار الى المكان ، قال لهم : صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه ، وصلى قائلا : يا أبتاه ، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتي بل ارادتك ." (١)

فنحن نرى في نص لوقا هذا أن المسيح أمر تلاميذه بالصلاة ، وابتعد عنهم نحو رمية حجر ، وكان منفردا في صلاته ، ولم يأخذ منهم أحدا .

أما الرأي الثالث فهو لمؤلف انجيل (يوحنا) ، ومؤداه :

أن المسيح -عليه السلام - دخل مع تلاميذه ، ولم ينفصل عنهم ، لا لصلاة ، ولا لغيرها . . . يقول النص :

" قال يسوع هذا ، وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون ، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه ، وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع ؛ لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند ، وخداما من عند رؤساء الكهنة الفريسيين الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع ، وهو عالم بكل ما يأتي عليه . . ." (٢)

فها نحن نرى أن (متّى) قد ذكر في انجيله أن المسيح قد أخذ معه بطرس وابني زبدى ، وابتدأ يحزن ويكتئب ووافقه (مرقس) .

أما لوقا فقد خالفهما ، حيث ذكر أنه انفصل عنهم نحو رمية حجر ، وصار يصلي . بينما نجد أن (يوحنا) قد أسقط هذه العبارة من انجيله .

---

(١) ٢٢ : ٣٩-٤٢ .

(٢) ١٨ : ١-٤ .

ويقول الدكتور محمد على زهران معلقا على هذا التناقض :

"ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أمر ذى بال ، وهو أنه على فرض صدق كل من مؤلفي (متّى ، ومرقس) في حضور (يوحنا) ابن زبدى هذه الصلاة التى صلى المسيح فيها، لكى يطلب منه أن ينقذه فيها ، كان المنتظر من (يوحنا) لو كان هو مؤلف الانجيل الرابع أن يتحدث عنها . وفي غيابها عن انجيله مايجعل انجيله محل شك في مواجهة هاتين الروايتين ، وكذلك في مواجهة رواية لوقا وهو من غير التلاميذ أيضا . . ."(1)

وأيضا فإننا نلحظ هنا (في هذه الروايات) أمراً آخر في تناقض هذه الأناجيل ، واختلاف عباراتها فيما بينها ، الأمر الذى يجعلنا نجزم بأن شهادة هذه الأناجيل لا تصلح أن تكون مستنداً يثبت به أمر له من الأهمية مثلما لمسألة الصلب التى يجعلها المسيحيون أساس ايمانهم ومعتقدهم . فقد ذكر (مرقس) أن يسوع جاء مع تلاميذه الى قرية جثسيماني ، ووافقه في ذلك (متّى) كما يتضح من النصين السابقين . لكن نجد (لوقا) قد خالفهما وقال : "الى جبل الزيتون" بينما ذكر يوحنا أن خروجه كان الى "عبر وادى قدرون" حيث كان بستان .

رابعا : وقت القبض :

وكما اختلفت الأناجيل في هذه الأحداث ، اختلفت أيضا في وقت القبض على من يزعمون أنه المسيح ، وتناقضت في ذلك تناقضا عظيما .

فذهبت الأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) الى أن اليهود خافوا القبض على المسيح وقت عيد الفصح حتى لايحدث شغب في الشعب . وقد جاء في مرقس:

---

(1) انجيل يوحنا تاريخا وموضوعا ص٥٤٠ (رسالة دكتوراه) .

" وكان الفصح (١) ، وأيام الفطير(٢) بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ، ويقتلونه . ولكنهم قالوا: ليس في العيد ، لئلا يكون شغب في الشعب ." (٣) وقد وافقه لوقا (٤) ومتى (٥) - .

أمّا رواية انجيل (يوحنا) فهي تخالف هذه الاناجيل الثلاثة مخالفة واضحة ، حيث تذكر أنّهم قبضوا على المسيح قبل أكل الفصح وليس بعده . تقول الرواية :

" ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا ، الى دار الولاية ، وكان صبح ولم يدخلوا دار الولاية ، لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح ." (٦)

---

(١) ، (٢) " الفصح ، والفطير عيدان ، منفصلان ، لا يصح الخلط بينهما فالفصح عيد كبير يحفظ سبتا للرب ، ويكون في يوم (١٤ نيسان) تقريبا . وهو أحد الاعياد الثلاثة " الفصح ، الخمسين ، المظال " التي فيها ينبغي على كل يهودي قد بلغ سنّ الرشد ، ويسكن حول أورشليم ، أن يعيّدها في أورشليم نفسها ...

أما عيد الفطير ، فهو عبارة عن سبعة أيام تلحق بعيد الفصح . وهو عيد صغير ، قد تعمل فيه الاعمال الهامة ، التي قد يسبب توقفها خسارة . " انظر : وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) ص ٣٧٤ بتصرف واختصار .

(٣) ١٤ : ١، ٢

(٤) ٢٢ : ١، ٢

(٥) ٢٦ : ٣-٥

(٦) ١٨ : ٢٨

خامسا : الثمن الذى وضعوه للامساك بالمسيح :

فقد تواطأت الأناجيل الأربعة على ذكر الافتراء على يهوذا الاسخريوطى أحد التلاميذ الاثنى عشر الذين تعهد لهم المسيح بالجنة ، بأنه طلب رشوة من رؤساء الكهنة ، مقابل تسليم يسوع المسيح لهم ،لكن اضطربت عباراتهم فى ذلك اضطرابا شديدا . فرواية (متّى) تقول :

" حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذى يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة ،وقال : ماذا تريدون أن تعطوني ، وأنا أسلمه اليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه ."(١)

أما رواية (مرقس) فلفظها :

" ثم ان يهوذا الاسخريوطي واحدا من الاثنى عشر،مضى إلى رؤساء الكهنة ،ليسلمه اليهم ،ولما سمعوا فرحوا ،ووعدوه أن يعطوه فضة ، وكان يطلب كيف يسلمه فى فرصة ."(٢)

فها نحن نلاحظ أن (مرقس) قد زاد على (متّى) " فرح الرؤساء "،ولم يعيّن مقدار الفضة ، وأسقط عبارة " ماذا تريدون أن تعطوني " الموجودة فى (متّى) وقد خالفهما (لوقا) في ذلك فقال :

" فدخل الشيطان في يهوذا الذى يدعى الاسخريوطى ،وهو من جملة الاثنى عشر ،فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة ، وقواد الجند ،كيف يسلمه اليهم ،ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة ،فواعدهم . وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلواً من جمع."(٣)

---

(١) ٢٦ : ١٤ .
(٢) ١٤ : ١٠ .
(٣) ٢٢ : ٣ .

إن (لوقا) لم يذكر الثلاثين فضة . وكذلك (متّى) و (مرقس) لم يذكـــــرا ماذكره (لوقا) بوجود "قواد الجند" مع رؤساء الكهنة .

واذا نظرنا الى انجيل يوحنا فى هذا الباب فنرى فيه العجب العجـــــاب حيث يقول :

" لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح ، وشهد وقال : الحق الحق أقول لكم : ان واحدا منكم سيسلمني . فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فى من قال عنه . وكان متكئا فى حضن يسوع ، واحد من تلاميذه كان يسوع يحبــــه ، فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل مَنْ عسى أن يكون الذى قال عنه . فاتكأ ذاك على صدر يسوع ، وقال له ياسيد ، من هو؟ أجاب يسوع : هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه . فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى ، فبعد اللقمة دخلـه الشيطان . فقال له يسوع : ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة . وأما هذا فلم يفهـــم أحد من المتكئين لماذا كلمه به ؛ لأن قوما إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له : اشتر ما نحتاج اليه للعيد . أو أن يعطى شيئا للفقراء . فذاك لما أخـــذ اللقمة خرج للوقت . . . "(1)

فـ(يوحنا) هنا صرح بأن إضلال (يهوذا) كان قصداً من المسيح ، وحاشاه من ذلك . فهو الذى جاء لهداية الضالة من بني اسرائيل ، فكيف يضل المهتـــدي منهم بعد أن يمنحه الحكمة ويشهد له بالجنة ؟(2)

---

(1) ١٣ : ٢١ : ٣٠ .

(2) أنظر (متّى) (١٩ : ٢٨) : قول المسيح لتلاميذه الاثنى عشر : "الحق أقـول لكم : انكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا" ويهوذا واحد من هؤلاء الاثنى عشر وقد ارتد على زعم النصارى فلابدّ أن تكون احدى الروايتين صادقة والأخرى كاذبة .

سادسا : حادث القبض :

وكذلك اختلفت الأناجيل في قصة القبض على من يزعمون أنه المسيح .

وملابساتها على روايات ثلاث :

الرواية الأولى : رواية (متّى ومرقس) . وفيها أن يهوذا الاسخريوطي قبّل المسيح .

أما الرواية الثانية : فهي رواية (لوقا) الذي يذكر أن يهوذا كان على وشك أن يقبّل المسيح .

بينما نجد (يوحنا) في الرواية الثالثة لا يعرف شيئا عن هذه القبلة .

ويذكر كل من (متّى ومرقس) أن تحية وكلاما جرى بين يهوذا والمسيح ويصمت (لوقا) عن تلك التحية بينما لا يذكر (يوحنا) عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التي جاءت للقبض عليه في البستان .

يقول مؤلّف انجيل (مرقس) :

وللوقت فيما هو يتكلم ، أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ، ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة ، والكتبة والشيوخ . وكان مسلّمه "يهوذا" قد أعطاهم علامة قائلا : الذي أقبّله هو هو أمسكوه ، وامضوا به بحرص . فجاء للوقت وتقدّم اليه قائلا : يا سيدي ، يا سيدي ، وقبّله ، فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه . فاستلّ واحد من الحاضرين السيف ، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فأجاب يسوع وقال لهم : كأنه على لصّ خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني . كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلّم ولم تمسكوني ، ولكن لكي تكمل الكتب . فتركه الجميع وهربوا . وتبعه شاب لابسا إزارا على عُرْيِهِ فأمسكه الشبان ، فترك الازار ، وهرب منهم عريانا ."(١)

---

(١) ١٤ : ٤٣-٥٢ .

وقد وافقه (متّى) فى ذلك .[1]

ورغم موافقة (متّى) لـ(مرقس) فى هذه الرواية إلّا أنه كانت هناك تغييرات أساسية أدخلها (متّى) الى رواية (مرقس) - باعتبار (مرقس) مصدرا لـ(متّى) .

يقول (جون فنتون) -عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا - فى هذا الصدد :

"أما التغييرات الأساسية التى أدخلها (متّى) الى رواية (مرقس) فهى إضافته الى قول يهوذا : "السلام ياسيدى" . وكذلك قول يسوع الى أحد تابعيه بعد أن قطع أذن عبد رئيس الكهنة : "ردّ سيفك الى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ، فكيف تكمل أنه هكذا ينبغى أن يكون "[2] ، كذلك حذف (متّى) قصة (مرقس) عن الشاب الذى هرب عريانا."* [3]

ويسير (لوقا) فى روايته بمحازاة (متّى) ، الّا أنه لايذكر لنا رواية الاثنى عشر جيشا من الملائكة كما لم يذكر رواية (مرقس) عن الشاب الذى هرب عريانا ، لكن نجد (لوقا) يذكر لنا شيئا مختلفا عن قبلة يهوذا حيث يقول :

"وبينما هو يتكلم إذا جمع ، والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يايهوذا أبقبلة تسلّم ابن الانسان ."[4]

---

(١) ٢٦ : ٤٧-٥٤ .

(٢) متّى ٢٦ : ٥٢-٥٤ .

* أنظر ص٦٨٠ من هذه الرسالة

(٣) تفسير انجيل (متّى) ص٤٢٤ ، ٤٢٦ نقلا عن المهندس احمد عبد الوهاب/ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) ٢٢ : ٤٧-٤٨ .

أما رواية (يوحنا) فانها تعطينا صورة مناقضة تماما لما روته الأناجيل الثلاثة عن حادث القبض . يقول يوحنا :

" فأخذ يهوذا الجند ، وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيون ، وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه . وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلّمه أيضا واقفا معهم . فلما قال لهم : إنى أنا هو رجعوا الى الوراء ، وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضا : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصري . أجاب يسوع : قد قلت لكم : إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ، ليتم القول الذى قاله : إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحدا .

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستلّه ، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ، وكان اسم العبد (مَلْخُس) . فقال يسوع لبطرس : اجعل سيفك فى الغمد ، الكأس التى أعطاني الآب ألا أشربها ." (1)

فلا قبلة ، ولا سلام ، وانما سقوط على الأرض ، واقامة . وهى غير موجودة فى الأناجيل الأخرى .

وهنا أمر ذو بال فى حادث القبض هذا ، حيث قد ذكرت الأناجيل على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ قول لتلاميذه :

" كلكم تشكّون فيّ فى هذه الليلة " (2) أى ليلة القبض عليه ـ كما يزعمون ـ فأين شك التلاميذ هنا ؟ !

---

(1) ١٨ : ٣-١١ .

(2) أنظر مثلا انجيل متّى ٢٦ : ٣١ ، وانجيل مرقس ١٤ : ٢٧ .

يقول المهندس (أحمد عبد الوهاب) اجابة على هذا السؤال :

" نحن هنا أمام احتمالين :

أحدهما : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه ، بأن مؤامرة ستدبر ضده . ورغم أنها ستسبب له ألما ومعاناة إلاّ أنها ستفشل ، وينقذه الله من القتل ، الذى ينتظره على أيدي مدبريها ." مدبرى المؤامرة ".

ثانيهما : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه ، بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألما ، ومعاناة ، وتنتهي بقتله .

فإن كانت الحالة الأولى ، ورأى التلاميذ - حسبما ترويه الأناجيل - بكل وضوح ، أن المسيح - على مايزعمون - قبض عليه فى تلك الليلة ، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه ، وتحقق ماتريد ، فعندئذ لابدّ أن يشك التلاميذ فى معلمهم الذى تنبأ لهم بنجاته ، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث . هنا فقط يحدث الشك والزلل ، والارتداد عن العقيدة .

ولمّا كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكّوا فى المسيح فى تلك الليلة ، فإن هذا لا يعني أن الأحداث سارت حسبما جاء فى تلك الحالة التى تنتهي بنجاة المسيح من القبض والقتل .

أمّا إن كانت الحالة الثانية ، وهى أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله ، فإن ماشاهده التلاميذ - حسب رواية الأناجيل أيضا - هو أن ذلك ماحدث . ولا محل للشك إذن فى هذه الحالة .

ولا ريب فى أن نفي الشك عن التلاميذ فى تلك الليلة يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبؤات خاطئة بالمسيح ، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يصدر عنه .

ان هذه النقطة وحدها تقطع بأحد أمرين :

إمّا التسليم بأن الأناجيل تنسب للمسيح أقوالا ، وتنبؤات خاطئة . وأمّا التصديق بفشل المؤامرة ضد المسيح ، وبالتالى نجاته من القبض عليه وقتله ." (١)

سابعا : فيمن تبع المقبوض عليه من التلاميذ :

ومن أمثلة تناقض الأناجيل الأربعة فيما بينها فى موضوعنا هذا ، تناقضها فيمن تبع المقبوض عليه (المسيح فى زعمهم) من تلاميذه ، حيث تخلى عنه معظم تلاميذه .

وقد اختلفت الأناجيل الأربعة فى هذا الموضوع على روايات ثلاث :

الرواية الأولى : وهى التى وردت فى انجيلي (متّى ولوقا) ومؤداها : أن بطرس وحده هو الذى تبع المسيح دون سواه .

وقد جاء فى انجيل (متّى) مايلي :

" . . . حينئذ تركه التلاميذ كلهم، وهربوا والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا (٢) رئيس الكهنة ، حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ، وأمّا بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل الى داخل ، وجلس بين الخدام لينظر النهاية" (٣)

أمّا نص (لوقا) فهو كما يلي :

" فأخذوه وساقوه ، وأدخلوه الى بيت رئيس الكهنة ، وأمّا بطرس فتبعه من بعيد ،

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) الرئيس الرسمى للكهنة .

(٣) ٢٦ : ٥٦-٥٨ .

ولما أضرموا ناراً في وسط الدار ، وجلسوا معاً ، جلس بطرس بينهم".(١)

ففي هذين النصين نجد أن الذي تبع المسيح هو (بطرس) ، وإن كان (لوقا) صرّح بالاصطلاء مما يدل على أن الوقت إذ ذاك برد . أمّا (متّى) فلم يوضّح ذلك .

أمّا الرواية الثانية فهي رواية مرقس . حيث ذكر أن بطرس لم يكن وحده هو الذي تبع المسيح ، وإنما هناك شاب آخر أيضا تبعه ، ولكنّ الجند أمسكوا به إلّا أنه تمكن من الإفلات منهم والفرار . وإليك ما جاء في نص (مرقس) :

" . . . فتركه الجميع ، وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عُرْيِهِ فأمسكه الشبان ، فترك الازار وهرب منهم عريانا . فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة ، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ، وكان بطرس قد تبعه من بعيد الى داخل دار رئيس الكهنة ، وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار ".(٢)

إن التجرد عن الثياب يعني شدة الحرة والاصطلاء يعني شدة البرد ، وكلا الأمرين كانا في يوم واحد ، بل وفي آن واحد ، وهو أمر موجب للعجب حقا ، لمابين الأمرين من البون الشاسع .

" ومعلوم أن هذه الحادثة كانت في عيد الفصح - وهو يبتدئ في نصف شهر نيسان تقريبا - وهذا الشهر في أورشليم يُعدّ من فصل الصيف .

لكن ماذا نقول لهذه الكتب (الالهامية !) - بزعمهم - إذ حكمت عن

---

(١) ٢٢ : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) ١٤ : ٥٠ - ٥٤ .

بطرس أنه كان يستدفئ على النار من شدة البرد ، وعن الشاب الهارب أنه كان عريانا من شدة الحر . كل ذلك في يوم واحد ...

والحق أن فرار هؤلاء الرسل عن عيسى -عليه السلام- في ساعة العسرة، وتركهم إياه في أيدي أعدائه يعبثون فيه ، ويحقّرونه ، ويعذبونه عذابا أليما ، ثم يصلبونه ، وهم ينظرون اليه في هذه الحالة ، ولا ينصرونه ، فهو دليل على ردّتهم . إلّا أنه يبعد عن العقل صحة وقوعه من حواريّ عيسى -عليه السلام- ؛ لأنهم موعودون بنص الانجيل بأنهم يجلسون على كراسي في ملكوت الله ." (١)

أمّا الرواية الثالثة : فهي ماجاء في انجيل (يوحنا) ، حيث ذكر لنا هذا الانجيل وجود تلميذ آخر مع بطرس تبعا المسيح ، لكن هذا التلميذ لم يهرب ، كما هرب الشاب -حسب رواية مرقس السابقة- بل كان معروفا لدى رئيس الكهنة بحيث استطاع التوسط لبطرس في الدخول . والنص كمايلي :

" وكان سمعان بطرس ، والتلميذ الآخر يتبعان يسوع ، وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة ، فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة ، وأمّا بطرس، فكان واقفا عند الباب خارجا ، فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفا عند رئيس الكهنة ، وكلّم البوابة ، فأدخل بطرس." (٢)

والروايات الثلاث -كما نرى- متباينة ، ومتضاربة ، بحيث لا يمكن الجمع بينها إطلاقا .

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٢٩ .

(٢) ١٨ : ١٥-١٧ .

ثامنا : محاكمة المسيح - في زعمهم - :

ومن الحوادث التاريخية غير الصحيحة أيضا - والتي تدور حول حادثة الصلب والتي اختلفت الأناجيل فيها عند روايتها اختلافا بينا ، محاكمة من يزعمون أنه المسيح ، وخاصة ماقيل عن مثوله أمام الوالي الروماني ، وأمام اليهود، حيث نقرأ في انجيل (متّى) عن ذلك مانصه :

" فوقف يسوع أمام الوالي فسأله قائلا أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب عليه بشيء . فقال له بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جدا ." (١)

وفي انجيل (مرقس) نقرأ عن نفس الواقعة مايلي :

" فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟ فأجاب وقال : أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً . فسأله بيلاطس أيضا قائلا : أما تجيب بشيء ؟ انظر ، كم يشهدون عليك ، فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجّب بيلاطس." (٢)

فنحن نقرأ في هذين النصين أن المسيح لم يزد على قوله : "أنت تقول " ردّاً على سؤال الوالي له ، رغم أن الوالي حاول التحدّث معه ، ومناقشته ، إلّا أنه لم ينبت ببنت شفة بعد قوله "أنت تقول". وقد وافقهما (لوقا) في ذلك أيضا مع بعض الاختلاف . (٣)

---

(١) ٢٧ : ١١-١٤ .

(٢) ١٥ : ٢-٥ .

(٣) ٢٣ : ١-٣ .

أما انجيل (يوحنا) فيشير إلى نفس الواقعة ، لكن باختلاف كبير عن النصين السابقين،يتعذر معه الوصول إلى الحقيقة بين كتبة هذه الأناجيل ، حيث نجد فيه أن المسيح لم يكتفِ في الجواب على الوالي بما اكتفى به في الانجيلين السابقين ، بل نجده يجادل ، ويناقش الوالي ، ويأخذ ويعطي معه في حديث طويل لا ينتهي إلاّ بخروج الوالي الى اليهود تاركاً المسيح . واليك النص:

"ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعا يسوع ، وقال له : أنت ملك اليهود ؟ أجابه يسوع : أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنّي ؟ أجابه بيلاطس : ألعلّي أنا يهودي ، أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ، ماذا فعلت؟ أجاب يسوع : مملكتي ليست من هذا العالم . لوكانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم الى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا . فقال بيلاطس : أفأنت إذن ملك ؟ أجاب يسوع : أنت تقول إني ملك لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتي . قال له بيلاطس : ما هو الحق ؟ ...."(1)

ويقول الأستاذ / منصور حسين عبد العزيز القاضي معلقا على ما ورد في هذه النصوص الثلاثة من هذه الأناجيل :

والمرء إذ يطالع كل ذلك في الأناجيل الثلاثة يأخذه العجب، فها هما ذا انجيلان (متّى ، ولوقا) يؤكدان أن كل ما قاله هذا الذي يحاكم على أنه المسيح لبيلاطس "أنت تقول" ، ويحاول بيلاطس بعد ذلك أن يتحدث معه ، فلا يجيبه ، ولا عن كلمة واحدة ، ويؤكد الانجيلان سكوته على هذا النحو بأن يضيفا أن الوالي

---

(1) ١٨ : ٣٣-٣٨ .

تعجّب لذلك جداً ، ولكن الانجيل الأخير (يوحنا) لا يقول بذلك ، بل يقول : إنه أخذ يردّ على بيلاطس ويناقشه في كل ما يقول، ويدور بينهما حديث لا ينتهي إلّا بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركاً المسيح ، فهل يمكن أن يكون كل ذلك صحيحاً ، هل يمكن أن يكون هذا الذي يحاكم ويحسبونه المسيح قد سكت، ولم يجب الوالي عن كلمة واحدة حتى أثار ذلك السكوت منه عجب الوالي جداً ، وأن يكون في نفس الوقت لم يسكت على الاطلاق ، بل أخذ يناقش الوالي في كل ما يقوله، إن هذا هو المستحيل عينه ، وإن هذا ليقطع على الأقل بأن إحدى الروايتين غير صحيحة على الاطلاق . "(١)

تاسعا : إذا كان النصارى يستدلون بنصوص الأناجيل على وقوع الصلب على ذات المسيح - طبقا للروايات السابقة - فإن هذه الأناجيل تجمع بين النقيضين بالنسبة لهذه القضية ، فإذا كان فيها ما يدل على صلب المسيح ، ففيها كذلك ما يدل على نجاة الله له من أعدائه ، وحفظه من كيدهم ، ورفعه - كما هي عقيدتنا - كما تنص على ما وهب له من القدرة على التخفي من أعدائه .

يحكي لنا (لوقا) في ذلك ما حدث للمسيح حين جاء إلى الناصرة ، ودخل المجمع يوم السبت ، وأخذ يعظ الناس الموجودين هناك " فقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل ، أما هو فجاز في وسطهم ، ومضى . "(٢)

---

(١) دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ص ٣٢٨ ط ٢ .

(٢) ٤ : ٢٩ ، ٣٠ .

وقد صرّحت الأناجيل بأن عيسى -عليه السلام- قال للكهنة : " ستطلبونني ولا تجدونــــــــني ، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ." (١)

وهذا أمر واضح،حيث إن اليهود بعدما قال لهم المسيح : " من نفســـي لم آتِ بل الذى أرسلني هو حق الذى لستم أنتم تعرفونه ، أنا أعرفه ، لأني منــه، وهو أرسلني ." (٢) -بعد هذا طلبوا أن يقبضوا عليه ويقتلوه ، فلم يجدوه .

وإذا أصرّت النصارى على أن اليهود طلبوه وأمسكوه ، وصلبوه ، فحينئذ يلزم تكذيب عيسى إذا صح مانقلوه عنه مما ذكرناه آنفا .

وورد في انجيل يوحنا) مانصه :

" فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة ، وجاءوا بمشاعـــل ومصابيح، وسلاح ، فخرج يسوع إليهم وهو عالم ما يأتي عليه ، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري . فقال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا أيضا واقفـــاً معهم ، فلما قال لهم : إني أنا هو ، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض..." (٣)

ويستخلص من هذه القصة مايلي :

(١) أن الله تعالى أمسك أعينهم ، ومن ضمنهم يهوذا عن معرفة السيد المسيح .

(٢) أن المسيح لما قال لهم أنه هو ، سقطوا على الأرض دون أن يكـــون هناك سبب لهذا السقوط . مما يفهم منه أن هذا السقوط منهم على الأرض ، ماجرى

---

(١) يوحنا ٧ : ٣٤ .

(٢) يوحنا ٧ : ٢٨، ٢٩ .

(٣) ١٨ : ٣-٨ .

وماكان إلا لأمر قضاه الله في تلك الساعة ، وهو نجاة المسيح من كيدهم تصديقا لما كتب عنه في المزامير.

" يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ." (١)

أليس من حق القائل أن يقول : إن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة التي كادت تزيغ فيها القلوب . . . أليس هذا ما تنطق به الأناجيل ؟ حيث يصف لنا (لوقا) حالة المسيح في وقت الصلب - كما يزعمون - ويذكر أثناء وصفه هذا أن ملاكا ظهر للمسيح من السماء يعضده ويسنده . فيقول :

" وخرج (أي المسيح) ، ومضى كالعادة الى جبل الزيتون ، وتبعه أيضا تلاميذه ، ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه ، وصلى قائلا : يا أبتاه ، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتي ، بل إرادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . . . ." (٢)

---

(١) ٩١ : ١١ وقد أشار (لوقا) الى ذلك في الاصحاح الرابع من انجيله فقرة ١٠ ، ١١ حيث قال :

" لأنه مكتوب : أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك ، وانهم على أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك .

(٢) ٢٢ : ٣٩-٤٣ .

فلعلّ الملاك الذى جاء ليقويه هو الموكل بحفظه من أعدائه ،كما أراد الله ، سيما وأن بولس نفسه قد صرّح فى رسالته الى العبرانيين أن الله قد استجـــاب إلى تضرعات المسيح ، وسمع له وأنقذه من الموت . يقول فى ذلك :

" ... الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد، ودموع طلبات تضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ." (١)

فكيف نوفّق بين هذه النصوص التى تدل على نجاة المسيح والروايات المطولة فى صلبه .

لذا يجب ضرورة تأويل الآيات التى فيها أثر من التشويه -على زعمهـــم- بصلب ذات المسيح -عليه السلام- بناء على ذلك .

عاشرا: وبغض النظر عن التناقضات الموجودة بين الأناجيل فى روايـــة حادثة الصلب -على نحو ما قدمنا- فإن ما ذكرته هذه الأناجيل يدل على أن الصلب لم يقع على المسيح نفسه، وإنما وقع على غيره . يقول صاحب الفارق -موجها كلامـــه للنصارى ، وملزماً لهم بهذه الحقيقة -:

" قد جاء فى أناجيلكم قول المصلوب : "الهى ، الهي لم تركتني (٢) وهذا كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء ، وعدم التسليم لأمر الله ، خالق الأرض والسمــاء . والمسيح منزّه عن ذلك بالنسبة لمرتبة النبوة فقط ، فكيف وأنتم تزعمون أنه الالـــه، وأنه ارتاح الى الصلب بنفسه ، أليس فى هذا دليل على أنه شبّه لهم؟

---

(١) رسالة بولس الى العبرانيين ٥ : ٧ .

(٢) مرقس ١٥ : ٣٤ .

على أنكم رويتم أن ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وهارون عليهم السلام . حينما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم ، لم يجزعوا من الموت ، ولم يستثقلوا منه ، ولم يهابوا مذاقه ، مع أنهم عبيده . والمسيح بزعمكم - ربهم - ، فكان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس . ولمّا لم يكن كذلك ، دلّ على أن المصلوب غيره ، فلذلك كان يجزع ، ويصرخ ألبتة ، لأنه من آحاد الناس." (١)

وبعد . . . فهذه مجرد أمثلة عشرة لتناقضات الأناجيل في قصة صلب المسيح ، وهي كافية في الدلالة على بطلانها ، بل وعلى بطلان الأناجيل التي تضمنتها . وما أصدق قول الناقد الجرئ (فاستس) - من أعظم علماء فرقة مانى كيز في القرن الرابع الميلادى -:

"ان هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، نسبه الى الحواريين ، ورفقاء الحواريين ؛ ليعتبر الناس، وقد آذى بذلك المريدين لعيسى ايذاء بليغا ، فقد ألّف الكتب التى تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات ." (٢)

ولعل أكبر وثيقة فضحت زيف النصرانية المحرفة ، وأثبتت بطلان معتقدات أتباعها، هي انجيل (برنابا) الذى فصّل القول في مسألة صلب من يزعم النصارى أنه المسيح ، حيث نفى القول بصلب المسيح - عليه السلام - ، وأثبت أن الله ألقى شبهه على غيره . وقد جاء فيه على لسان المسيح مخاطبا برنابا قوله :

---

(١) ص٢٨٨ .

(٢) نقلا عن الدكتور رءوف شلبى / يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ص١٦٨ .

" . . . فاعلم يابرنابا ، أنه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود . وعليه فإني على يقين من أن مَنْ يبيعني يقتل باسمي ، لأن الله سيصعدني من الأرض ، وسيغيّر منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك لما يموت شرّ ميتة ، أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة ." (١)

" فقادوه الى جبل الجمجمة ، حيث اعتادوا شنق المجرمين ، وهنالك صلبوه عريانا مبالغة في تحقيره ، ولم يفعل يهوذا شيئا سوى الصراخ : " يا الله لماذا تركتني ؟ فإن المجرم قد نجا أمّا أنا فأموت ظلما .

الحق أقول : إن صوت يهوذا ، ووجهه ، وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه ، والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع ؛ لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع ، معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وأنه إنما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر . . ." (٢)

وما أثبته برنابا في انجيله هو مايقرره القرآن في شأن المسيح عليه السلام . على نحو ماسنشرحه في الفقرة التالية .

---

(١) ترجمة الدكتور خليل سعادة / الفصل الثاني عشر بعد المائة عدد ١٣ : ١٧ .

(٢) انجيل برنابا / ترجمة الدكتور خليل سعادة / الفصل السابع عشر بعد المائتين عدد ٧٨ : ٨١ .

٤ - موقف الاسلام من قضية الصلب والفـــــداء: *

نحن - كمسلمين - لا نكتفي بما أوردته أناجيل النصارى عن حادثـة صلب من يزعمون أنه - المسيح ، وذلك لما ثبت لدينا بالدليل القاطع ، والحجـــة الساطعة عند الحديث عن الأناجيل من كثرة الشكوك، والاختلافات حول تاريـــخ تدوينها ، وترجمتها ، ومدى صحة نسبتها إلى مؤلفيها . هذا بالاضافة إلـــى انقطاع السند في هذه الأناجيل ، وانعدام شرط التواتر فيها ، وهما شرطـــان ضروريان لكل كتاب سماوي يستحق التقديس . وقد سبق أن فصّلنا القول في ذلــك في الباب الأول من هذه الرسالة .

نقول : لا نكتفي بما أوردته تلك الأناجيل عن عقيدة الصلب والفداء التـــي زج بها مؤلفو الأناجيل في كتبهم زجا ، بل علينا أن نحتكم إلى القرآن الكريـــم، ذلك الكتاب المهيمن على ماسبقه من الكتب ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ، المحفوظ في الصدور والسطور ، والذي تولّى الله عز وجل حفظـــه من التغيير والتبديل (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون)(١) - لنحتكم إلـــى هذا الكتاب الكريم ، ونرى ماذا قال في شأن مسألة الصلب بالنسبة للمسيـــح عليه السلام ؟

ولكن قبل ذلك لابدّ لنا من تبيان رأي الاسلام في توارث الخطيئـــة التي يدعيها النصارى ، ويجعلونها الأساس لعقيدتهم في الصلب والفداء . فنقول : لقد فصّلنا القول سابقا في هذه العقيدة ، وكيف أن النصارى بنوا اعتقادهم

---

* انظر / يونس توري / عقيدتا التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما .

(١) سورة الحجر / آية ٩ .

بصلب المسيح فداءً للبشرية على أساس قولهم بوراثة البشرية لخطيئة أبيهم آدم .
وبينّا كيف أن آدم -على زعمهم- بسبب هذه الخطيئة، قد اكتسب لعنة أبدية، ورثتها ذريته من بعده ، ولا سبيل إلى رفع عقوبة هذه الخطيئة عنه وعن ذريته إلّا بسفك دم غير مدنس بخطيئة أبداً .

من أجل ذلك أرسل الله ابنه الوحيد، ليحل في جسد العذراء مريم ، ثم يولد بالجسد إنسانا ، لكنه الإله نفسه، ليقدّم نفسه وسيطا بين الله والناس، ولهذا تجسّد، وتألم، ومات -صلبا- تخليصا لهم من خطيئة آدم التي ورثوها ، وتضحية من أجلهم، حتى تتم المصالحة بين الله والناس فينالون رضوان الله تعالى .
ولولا معصية آدم ، وخطيئته وتوارثها في ذريته ، لما كان هناك موجب لصلب المسيح، وسفك دمه حسبما يعتقدون .

والواقع أن هذا الأساس باطل، في حكم القرآن الكريم ، سواء فيما يتعلق بخطيئة آدم نفسها ، أو فيما يتعلق بقضية وراثة الخطيئة .

ففيما يتعلق بخطيئة آدم : نرى أن القرآن الكريم قد ذكر لنا هذه الخطيئة وتوبة الله عليه منها . فلنمعن النظر في آيات القرآن الكريم لنرى ماذا أخبرنا الله عن هذه الخطيئة فنجد أن :

الله قد أخبرنا في كتابه العزيز عن نهيه لآدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، كما أخبرنا عن غواية الشيطان لهما ، حتى أكلا منها ، وندمهما على ما فعلاه واستغفارهما ربهما ، وتوبته عليهما . يقول تعالى :

(وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مما كانا فيه. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين. فتلقى آدم من

ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)(١)

وقال أصدق القائلين - مبيناً إصرار الشيطان على غواية آدم وحواء بتزيين الأكل لهما من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ، وذلك بمختلف أساليب القسم والاغراء -:

(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(٢)

وقال تعالى - مبينا لآدم وزوجه أن الشيطان لهما عدو ، وعليهما أن يحذرا منه ، ومن غوايته لهما . كما يبيّن لنا في هذه الآيات أن الله تاب على آدم من خطيئته ، وغفر له وزوجه - قال تعالى :

(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألّا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك

---

(١) سورة البقرة / آية ٣٥-٣٧ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٩-٢٣ .

لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى .)(١)

فهذه الآيات جميعها تدل على أن آدم وحواء قد عصيا ربهما وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ، لكنهما ندما على فعلهما ، واستغفرا الله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . فسمع الله نداءهما ، واستجاب لهما ، وقبل توبتهما (فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) ، (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) *.

أما فيما يتعلق بوراثة البشرية لخطيئة آدم هذه ، فلو فرض أن آدم وحواء لم يستغفرا الله من ذنبهما ، وأنه لم يتب عليهما ، فما كان ذلك ليقتضي وراثة أبنائهما اللعنة بخطيئتهما ، حيث إن كل امرئ مسؤول يوم القيامة عما عمل ، ومجزيّ بأعماله (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم)(٢)

(من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)(٣)

---

(١) سورة طه / آية ١١٥-١٢٢ .

(*) وكما طوى الله ذكر النساء في القرآن والسنة لأنهن تبعا للرجال ، كذلك اكتفى هنا بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له . أنظر : الفخر الرازي / التفسير الكبير المجلد الثاني جـ٣ ص٢٧ .

(٢) سورة غافر / آية ١٧ .

(٣) سورة الاسراء / آية ١٥ .

(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)[١]

وتقرير المسؤولية الشخصية ليس قاصراً على القرآن الكريم بل كتبهم صريحة بذلك "كل إنسان بخطيئته يقتل"[٢]

وجاء على لسان بولس أن الله "سيجازي كل واحد حسب أعماله"[٣]

فلن يعاقب الله إنسانا بجريرة آخر، مهما بلغت صلة القرابة بينهما من القوة ، فكل إنسان مسؤول عما جنت يداه ، ومحاسب على عمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر . ونزول آدم -عليه السلام- من الجنة ليس لأجل الخطيئة ، فقد تاب الله عليه وغفر له ، وإنما نزوله كان مقررا في قدر الله قبل خلقه ، كما قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .)[٤] وذلك لعمارتها ، وتحقيقا لما قدره الله من استمرار نسل آدم وحواء على هذه الأرض ، وتكليفهم بعبادة الله، وإرسال رسله إليهم بما أوحاه إليهم من شريعته .

وإذا بطل القول ببقاء خطيئة آدم وحواء دون توبة ، وبطل القول بوراثتها في أبنائه ، بطل ما يبنيه النصارى على ذلك الزعم من فداء المسيح للبشرية عن طريق التضحية بنفسه مرفوعا على الصليب .

---

(١) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٢) سفر التثنية ٢٤ : ٦ .

(٣) رسالة بولس الى أهل رومية : ٢ : ٦ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٠ .

فماذا حكى لنا القرآن عن قصة الصلب هذه ؟

إننا بتصفحنا لآيات الكتاب الحكيم نجد الباري تعالى قد ذكر لنا ثلاث آيات في هذا الشأن :

احداها : ينفي فيها نفيا قاطعا وقوع الصلب على المسيح ، ويؤكد أن الصلب والقتل قد وقعا فعلا لكن على آخر شبيه للمسيح وليس هو المسيح .

أمّا الآيتان الأخريان،فيذكر لنا فيهما أنه رفعه اليه ونجّاه من كيد قومه دون أن يمسّه سوء منهم .

فأمّا الآية التي ينفي فيها صلب المسيح – عليه السلام – فهي قوله تعالى :

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلّا اتباع الظن وماقتلوه يقينا .)[1]

فقوله تعالى : (وماقتلوه) نص في عدم قتله مصلوبا ، أو غيرمصلوب .

وقوله تعالى : (وماصلبوه) نص في عدم صلبه حيا أو ميتا .

وأما الآيتان اللتان أخبر القرآن فيهما بنجاة المسيح – عليه السلام – منهم ورفعه اليه . ففي قوله تعالى :

(إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)[2]

---

(١) سورة النساء / آية ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران / آية ٥٥ .

وقوله تعالى : (... بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما)[١]

ولما كان موضوع رفع المسيح والاختلاف حوله ليس موضوعنا .

لذا فسوف نقتصر على الآية الأولى التى تنفي صلب المسيح وقتله ، وتؤكد وقوع القتل والصلب على آخر شبيه له .

ولنر أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الآية :

يقول الامام الرازي في تفسيره لهذه الآية :

(واعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى ـ عليه السلام ـ فالله تعالى كذبهم في هذه الدعوى ، وقال : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)[٢]

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تفسيره لنفس الآية مايلي :

(وقولهم (أى اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فإنه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل، والضراوة بارتكاب الجرائم، والاستهزاء بآيات الله ورسله ، ووصفهم هنا المسيح بصفة الرسالة للايذان بتهكمهم به ـ عليه السلام ـ واستهزائهم بدعوته ...

(وما قتلوه وما صلبوه) أى والحال أنهم ما قتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة ، وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس .

(ولكن شبه لهم) أى وقع لهم الشبهة أو الشبه ، فظنوا أنهم صلبوا عيسى وانما صلبوا غيره ...

---

(١) سورة النساء / آية ١٥٨ .

(٢) التفسير الكبير / المجلد السادس ج ١١ ص ١٠١ .
وانظر كذلك تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٧٤ .

فاذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة بأنه أخبر أن تلاميذه ، وأعرف الناس به يشكون في ذلك الوقت ، وخبره صادق قطعا، فهل يستغرب اشتباه غيرهم، وشك من دونهم في أمره ...

(وما قتلوه يقينا) أي وما قتلوا عيسى بن مريم قتلا يقينا أو متيقن أنه هو بعينه ، لأن الجند لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة . وهذه الأناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذي أسلمه الى الجند هو يهوذا الاسخريوطي ، وأنه جعل لهم علامة أن مَنْ قبّله يكون هو يسوع المسيح فلما قبّله قبضوا عليه .

وأما انجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الاسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح ، لأنه ألقى عليه شبهه . فالذي لا خلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية ..."[1]

فآيات الصلب هذه يؤخذ منها الدلالة على انتفاء حدوث الموت نتيجة الصلب لا انتفاء حدوث الصلب نفسه ، فالصلب واقع لا نزاع فيه ، وانما النزاع في وقوع الصلب على ذات المسيح " والمسلمون ينفون الصلب عن المسيح لا لكونه مستحيلا في حقه ، بل لأن القرآن ينفي عنه ذلك . والدليل على قابلية المسيح عليه السلام ـ كغيره ـ للموت والهلاك قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا)[2]

---

(١) المنار ج٦ ص١٨ ٢١ ٩ ، باختصار . وانظر كذلك تفسير القرطبي ج٦ ص٩ ١٠ ، وكذلك تفسير البيضاوي ص١٤١ . وانظر كذلك ابن كثير ج١ ص٥٧٤ .

(٢) سورة المائدة / آية ١٧ . وانظر ردّ رسالة أبحاث المجتهدين الموجودة في ذيل كتاب الفارق ص٤٧ .

هذا عن الصلب ، أما عن الفداء والخلاص فيقول دعاة النصرانية - واهمين - في محاولة منهم للتقريب بين الاسلام والمسيحية - يقولون :

"إن الاسلام مبني على أن النجاة في الآخرة ، والسعادة الأبدية فيها، إنما تكون بمثل ما يسمى الفداء في عقيدة الصلب . وإن الفرق بين الاسلام والمسيحية إنما هو في الفادي . . ." [1] ذلك أنها تكون (أي النجاة) بشفاعة النبي عند ربه تخليصا للناس من عذابه ولعنته .

والواقع "أن مدار نجاة الانسان في الآخرة من العقاب وفوزه بالنعيم ، والسعادة الأبدية إنما هو - كما قلنا من قبل - على تزكية نفسه وتطهيرها من العقائد الوثنية الباطلة، والأخلاق الفاسدة، حتى تكون متخلية عن الأباطيل والشرور ، متحلية بالفضائل وعمل البرّ والخير ، ومدار الهلاك على ضد ذلك ... قال تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) [2]

فمن أخلص لله في تزكية نفسه، وإصلاحها بالايمان والعمل الصالح، بقدر استطاعته كان مقبولا مرضيا عند الله تعالى . ومن لم يكن كذلك غضب الله عليه ، وكان محروما من رضوانه الأكبر ، فلا يقبل منه فداء لو ملك الفداء" [3]

أما الشفاعة التي يقررها الكتاب والسنة في الآخرة ، فالفرق بينها وبين

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص٢٨ .

(٢) سورة الشمس / آية ٧-١٠ .

(٣) محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص٢٩ ، ٣٠ باختصار .

عقيدة الخلاص والفداء في المسيحية ، فرق واضح في حقيقتهما ، والأساس الذى يقوم عليه كل منهما ، فالفداء في المسيحية إنما يكون بتضحية المسيح بنفسه فداء للبشرية من الخطيئة الموروثة . وقد بيّنا أنه لا خطيئة ولا وراثة للخطيئة ، ولا علاقة بين قتل المسيح ، وبين هذه الأمور الموهومة ، حتى ولو لم تكن أوهاما .

أما الشفاعة فهي مجرد دعاء لله سبحانه وتعالى بالمغفرة لمن يشاء من عباده ، وذلك ممن يأذن الله له بالشفاعة من نبي وغيره ، ولكن لها حدودٌ لا تتجاوزها ، فلا يستطيع أحد من أهل السموات والأرض أن يشفع لأحد لم يرضِ الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ...)[1] الآية .

(وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[2]

فالمسلمون والمسيحيون عليهم أن يعملوا ولا يتواكلوا ، وفكرة الشفاعة أو فكرة الخلاص لن تغني عنهم من الله شيئا إن هم اجترحوا السيئات ، وأصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .[3]

والواقع أن الخلاص من ربقة الآثام والذنوب لا علاقة له بالصلب والفداء اطلاقا ، بل الخلاص الحق هو تقوى الله والعمل الصالح (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[4] ، حيث لا يكفي من المؤمن أن يكون مؤمنا بالاعتقاد فقط ، بل عليه أن يترجم هذا الاعتقاد إلى سلوك عملي ، وواقع ملموس ابتغاء

---

(١) سورة البقرة / آية ١٢٣ .
(٢) سورة النجم / آية ٢٦ .
(٣) أنظر / فتحي عثمان / مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص ٤٣٩ .
(٤) سورة الأعراف / آية ٣٥ .

رضوان الله ، وله جزاء الضعف عند ربه . وهذا هو ما تنطق به كتب النصارى في عبارات واضحة صريحة، وهو مما قد يكون أبقاه الله ، وحفظه من التحريف ، وذلك لموافقته لما جاء به كتابنا العزيز . ففي محاورة جرت مع عيسى -عليه السلام - وأحد أتباعه الذى طلب من المسيح أن يرشده إلى عمل ما يصلح به دنياه وأخراه . قال له المسيح :

" لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك "(١)

و "كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت "(٢)

وجاء في رسالة يعقوب الحوارى قوله :

" ما المنفعة يا إخوتي ، إن قال أحد إن له ايمانا ، ولكن ليس له أعمال ، هل يقدر الايمان أن يخلصه ."(٣)

لقد نطق حقا وقال صدقا ، فلا خلاص للانسان إلا بالايمان بالله الواحد مقرونا بالعمل الصالح ...

---

(١) متى ١٩ : ١٨، ١٩ .
(٢) رسالة يعقوب ٢ : ٢٦ .
(٣) رسالة يعقوب ٢ : ١٤ .

والآن . . . . وبعد هذه الأدلة على بطلان صلب المسيح ، لا أجـــــد ما أختم به هذا الفصل خيراً مما هو مثبت في أناجيلهم من قول المسيح - عليـــه السلام - لتلاميذه : " فاذهبوا ، وتعلموا ما هو ، إني أريد رحمة لا ذبيحة "(١)

أين هم من هذا ؟ والأولى بالنصارى أن يتركوا التعصب والاعتســـاف ويؤمنوا بقوله تعالى في القرآن الكريم : (ولكن شبه لهم) .



---

(١) متى ٩ : ١٣ .

الباب الثالث
في
العبادات والشرائع النصرانية
وإبطال ابن تيمية لها

الفصل الأول: إنحراف النصارى عن شريعة التوراة.

الفصل الثاني: الصلاة.

الفصل الثالث: الصوم.

الفصل الرابع: التعميد.

الفصل الخامس: العشاء الرباني.

الفصل السادس: الرهبانية.

الفصل السابع: تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير.

الفصل الثامن: عدم إيجاب النصارى للختان.

الفصل التاسع: تقديس النصارى للصور والتماثيل.

الفصل العاشر: إبطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية.

الفصل الأول

انحراف النصارى عن شريعة التوراة

((الفصـــــل الأول))

◊

" انحراف النصارى عن شريعة التـــوراة "

◊◊

يدعى النصارى أن العهد القديم خال من الشرائع والعبادات الآ ماندر ، وأن أغلب التعاليم التى يحتويها العهد القديم ماهى الآ مبادئ عامة يستنيـــر بها الانسان ، ويسترشد بها فى حياته . فيقولون :

" فى العهد القديم نجد قليلا من الشرائع والنظم المحددة ، ولغالـب التعاليم التى تضمنها كانت مبادئ عامة يأخذها الانسان ، ويسترشد بهـــا ، ويطبقها فى حياته الشخصية،تحت ارشاد الله فى الظروف المختلفة .

والوصايا العشر(1) ليست شرائع محددة ، ولكن كل وصية من هذه الوصايـــا تشير الى مبدأ هام يتخذه الانسان ، ويستنبط منه القوانين التى ينظم بها حياته ."(2)

ويقولون أيضا : "كانت بعض النظم والمسائل تتغير أحيانا على أيـــدي رجال الله لتتناسب مع ظروفهم الجديدة ، وكان هذا -كما يدّعون -بارشـــاد من الله أيضا ....."(3)

---

(1) أنظر سفر الخروج ٣٤ : ١١-٢٨ وكذلك ٢٠ : ٣-١٧ ، وانظر كذلـــك سفر التثنية ٥ : ٦-٢٢ .

(2) وليم باركلى / تفسير انجيل متّى جـ١ ص١٢٥ .

(3) الارشيد باكون / نجيب جرجس / تفسير الكتاب المقدس (سفر الخـــروج ، ص٤٢ .

والحقيقة أن شريعة موسى -عليه السلام- جاءت مفصلة تفصيلا تاما لكل شيء ، كما قال تعالى : (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)[(١)]

يقول صاحب المنار فى تفسيره لهذه الآية :-

" المعنى : أى آتينا موسى الكتاب تماما للنعمة والكرامة على من أحسن فى اتباعه واهتدى به . كما قال فى أواخر مانزل من القرآن : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[(٢)]

وقيل : إن المعنى : آتيناه الكتاب تماما كاملا جامعا لما يحتاج اليه من الشريعة ، كقوله تعالى : (وكتبنا له فى الألواح من كل شيء . . .) الآية[(٣)]

(وتفصيلا لكل شيء) أى مفصلا لكل شيء من أحكام الشريعة كالعبادات والمعاملات المدنية والعقوبات والحرب .

(وهدى ورحمة) أى علما من أعلام الهداية ، وسببا من أسباب الرحمة لمن اهتدى به . . . "[(٤)]

وقال تعالى : (وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها .)[(٥)]

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٥ .

(٤) تفسير المنار جـ٨ ص٢٠٣/ ٢٠٤ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٥ .

وجاء في تفسير هذه الآية مانصه :

"أي أننا أعطيناه ألواحا كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهداية، وموعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيبا وترهيبا . وتفصيلا لكل نوع من أصول التشريع ، وهي أصول العقائد والآداب وأحكام الحلال والحرام . وتفصيلها : ذكرها معدودة مفصولا بعضها من بعض .)[1]

وقد انحرف اليهود عن شريعة موسى -عليه السلام- المنزلة من عند الله انحرافا ظاهرا ،فأفرطوا في الماديات ، وفرّطوا في الروحانيات ، وتمادوا في ذلك. فاقتضت ارادة الله ارسال رسول اليهم ليردّهم عن غيهم وضلالهم ويصلح ما فسد من أحوالهم ، كما هو الحال مع من سبقهم من الأمم ، فأرسل في هذا الوسط رسوله ، وكلمته : عيسى بن مريم اليهم ، يدعوهم الى عبادة الله الواحد ، وأن عليهم أن يسعوا في طلب رضوان الله بدل التكالب على الماديات والافراط فيها .

فهل ياترى جاءهم بشريعة جديدة أم كان متبعا للتوراة الصحيحة المنزلة من عند الله ؟

الواقع أن الشرائع السماوية لا تختلف في مجملها . واذا كانت تتعدد وتختلف في بعض تفاصيلها بين نبي ونبي . فما ذلك الا رعاية من الله - تعالى - لمقتضيات العصور والأمم . (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[2]

---

(١) محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ٩ ص١٨٩ .

(٢) سورة الشورى آية ١٣ .

وعيسى -عليه السلام- كان مصدقا للتوراة التي تقدمته ، جاريا على سنن من كان قبله من أنبياء بني اسرائيل . وقد جاء في أناجيلهم : أنه خاطب اليهود وتلاميذه قائلا : (على كرسي موسى جلس الكتبة والفرّيسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . . "(1)

فشريعة موسى -عليه السلام- التي وجدها المسيح بين يديه هي التي سار على هداها ، ودعا قومه اليها . قال تعالى : (ومصدقا لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم)(2)

ومعنى ذلك : أن المسيح سيحلّ لهم بعض ما كان محرما على اليهود بسبب ذنوبهم .

فأثبت القرآن تصديق عيسى -عليه السلام- للتوراة وما فيها .

والتصديق معناه عند المفسرين :

الاقرار بأنه كتاب منزل من عند الله ، وأنه كان حقا واجب العمل به الا ما ورد النسخ له من أحكام .(3) ويقول صاحب المنار في ذلك :

"إن عيسى -عليه السلام- لم يأتِ ناسخا للتوراة ، بل مصدقا لها ، عاملا بها ، ولكنه نسخ بعض أحكامها ، كما قال تعالى : (ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم) . فقد كان حرّم على بني اسرائيل بعض الطيبات بظلمهم وكثرة سؤالهم ، فأحلها عيسى ."(4)

---

(1) انجيل متّى ٢٣ : ١ .

(2) سورة آل عمران / آية ٥٠ .

(3) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٦ جـ ١٢ ص ١٠ .

(4) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣١٢ .

ويقول (ابن كثير) عند تفسيره لقوله تعالى : (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) : " فيه دلالة على أن عيسى -عليه السلام- نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح ."(١)

والحقيقة أن عيسى -عليه السلام- وإن كان قد أحل لهم أشياء مما حرّمت عليهم عقوبة لهم كأكل الشحوم . . . ونحوها ، فانه لم يحل لهم الخبائث ولا الموبقات التى يعملونها اليوم .

وقد يقال : كيف يكون عيسى مصدقا للتوراة فى الوقت الذى يحلّ لهم بعض الذى حرم عليهم ، أليس فى ذلك تناقض ؟

الواقع أن "كونه مصدقا لا يناقض ولا يخالف كونه أحل لهم بعض الذى حرّم عليهم ؛ لأن التصديق بالتوراة لا معنى له الا الاعتقاد أن كل ما فيها فهو حق وصواب .

أمّا قوله تعالى بعد ذلك : (ولأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم) فقد فسّروه بأمرين :

أحدهما : أن الأحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ، ونسبوها الى موسى ، فجاء عيسى -عليه السلام- ورفعها وأبطلها ، وأعاد الأمر الى ما كان فى زمن موسى -عليه السلام-.

والثانى : أن الله تعالى كان قد حرّم بعض الأشياء على اليهود عقوبة لهم على بعض ما صدر عنهم من الجنايات . كما قال تعالى : (فبظلم من الذين

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٣٦٥ .

هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم ‌﴾[1] ثم بقي بعد ذلك التحريم مستمرا على اليهود ، فجاء عيسى -عليه السلام- ورفع تلك التشديدات عنهم .

وقيل : إن عيسى -عليه السلام- رفع كثيرا من أحكام التوراة ، ولم يكن ذلك قادحا في كونه مصدقا بالتوراة ؛ لأن الناسخ والمنسوخ كلاهما حق وصدق"[2]

أيّا كان الأمر فإن عيسى -عليه السلام- جاء متبعا للتوراة ، كما جاء مكملا لبعض أحكامها ، وقد أثبتت ذلك أناجيلهم ، حيث ذكرت على لسانه قوله : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ."[3]

وقد جاء في تفسير هذا النص : "ان عيسى جاء ليوضّح المعنى الحقيقي للناموس ، فان وراء النواميس الكثيرة المتواترة كانت هناك حقيقة هامة ، لم يفهمها الكتبة والفريسيون فهماً صحيحاً ، وأساءوا ادراكها . هذه الحقيقة هي : ان واجب الانسان أن يبحث عن ارادة الله ، ومتى عرفها ينبغي عليه أن يكرس حياته لطاعتها ..."[4]

ويقول مفسر آخر لانجيل (متّى) : " لا تظنوا أني جئت لأنقض وأبطل وألغي الناموس الأدبي ، والناموس الذي نجده مكتوبا ومنحوتا على الحجارة ، " بل لأكمل" أي ليثبته ، ويوضّحه ، ويفسّره بأعلى معنى بحياته وتعليمه ....

---

(١) سورة النساء / آية ١٦٠ .

(٢) الفخر الرازي / التفسير الكبير المجلد ٤ جـ٨ ص٦٥/٦٦ بتصرف قليل .

(٣) انجيل متّى ٥ : ١٧ .

(٤) وليم باركلي / تفسير انجيل متّى ص١٢٨ .

الى أن تزول السماء والأرض " الى نهاية وجود هذا العالم لا يزول أصغر حرف من الحروف العبرية من الناموس الى أن يتم كل الغرض من الناموس ؛ لأن الناموس له قوته طالما يرافقه القصاص لعصيانه ، والمكافأة لطاعته ... "[1]

ويقسم النصارى الناموس الموسوي الى قسمين هما :

(١) الناموس الأدبي : وهو ماتحتويه الوصايا العشر ، التي تشتمل على المبادئ الروحية والأخلاقية النافعة للمؤمنين في كل الأجيال في العهدين. وقد اعتبرها الرب يسوع وكملها واعتمدها رسله . هذا بالاضافة الى الوصايا الروحية والأخلاقية الأخرى التي تعتبر منبثقة من الوصايا العشر.

(٢) الناموس الطقسي : وهو مجموعة الشعائر التي دعا موسى الى اتباعها في التقرب الى الله .... وقصد منها تنظيم العبادات والذبائح والتقدمات والمواسم والأعياد والصلوات والصيام والتطهير . وهو (أي الناموس الطقسي) بجملته رمز واشارة الى عمل المسيح الكفاري . وعندما يأتي المرموز اليه ، ويتم عمله ، يسقط الرمز ، ولا يبقى له معنى ، ولهذا انتهى ، وانتفى عمل هذا الناموس ، ولا يمكن ممارسته واستمراره . ولهذا فالذبائح والاغتسال ، وتناول أطعمة معينة ، أو أي طقوس أو فرائض جاءت في العهد القديم لم يعد لها محل ، وأصبحت غير ذات موضوع . "[2]

---

(١) مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس / تفسير انجيل متّى ص٤٣ / ٤٤ .

(٢) الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر الخروج ص٢٠٤ .
وأنظر أيضا : القس الياس مقار / ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص٤٠٩ .
وأنظر كذلك : نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٩٧٩ .

وبناء عليه ، فانّ العهد القديم بممارساته - كما يرون - كان ظلا ورمزا للعهد الجديد ، وقد عبّر الوحي عنه - كما يزعمون - بأنه كان " ظلا للامور العتيدة ، لا نفس صورة الاشياء . "(١)

فالفرائض والرسوم التي قام عليها الناموس الاول ، كانت موضوعة بسبب تعديّات البشر على شريعة الله الادبية .

أمّا الفرائض في العهد الجديد ، (عهد النعمة) فليست أشباها وظلالا ، وانما هي حقائق ، تستمد فاعليتها من ذبيحة الربّ يسوع . (٢)

فالختان في العهد القديم لم يعد له مكان في العهد الجديد ، بل حلت المعمودية والميرون (٣) محله ، وجميع ذبائح العهد القديم كانت تشير الى ذبيحة المسيح الواحد على عود الصليب ، وهي نفس ذبيحة العشاء الرباني التي يتناول فيها المؤمنون جسد الربّ ودمه مدى الاجيال .

ويقولون : وبناء عليه ، فقد كان الناموس لليهود فقط ، وكان التبرير في عهد الناموس مبنيا على أعمال الناموس ، أما في العهد الجديد ، حيث انتهى عمل الناموس ،

---

(١) انظر رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٧ . وكذلك : الرسالة الى العبرانيين ١٠ : ١

(٢) انظر رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٣ - ١٧

(٣) الميرون هو مزيج من العقاقير ، عليه بقايا تحدّرت - كما يدّعي رجال الكهنوت - من الدهن الذى صنعه الرسل . ولا يمسح بالميرون الّا الكهنة ، حيث يرى المسيحيون أنّ روح القدس تحل على المسيحي الذى نال نعمة المعمودية المقدسة - عندهم - هذه النعمة غير المنظورة ، تمنحها الكنيسة على يد كهنتها ، بمسح المؤمن بدهن الميرون المقدّس ، تشبّها بالحنوط

فان التبرير بدم المسيح[1] وأساسه الايمان بالمسيح ، وهذا التبرير لا يعتمد على أعمال الناموس.[2]

وفي كلامهم هذا دلالة على ما اتجه اليه النصارى فيما بعد ، من انحراف عن الناموس الطقسي على ما سنرى .

ولقائل أن يقول : إن القول بأن شريعة عيسى -عليه السلام- هي امتداد

= والطيب الذى دهن به جسد المسيح عند دفنه -بزعمهم- ، وقد اقتبسها الرسل بعد قيامة المسيح -كما يقولون- وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل . انظر المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٦٦ .

وانظر كذلك : الدكتور القس أندراوس واطسون ، والدكتور القس ابراهيم سعيد في / شرح أصول الايمان جـ٢ ص٤٧٩ ومابعدها .

(١) أنظر رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٨ .

(٢) أنظر في ذلك الكتب الآتية :

١ - الدكتور القس اندراوس واطسون ، والدكتور القس ابراهيم سعيد / شرح أصول الايمان ص٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩ ، ٢٩٣، ٤١٩ .

٢ - الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٣٢، ٣٣٥ .

٣ - الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر الخروج ص٤٢١، ٤٢٢ ، ٤٢٥ .

لشريعة موسى -عليه السلام - يتعارض مع قوله تعالى - في شأن الملل الثلاث (اليهودية والمسيحية والاسلام) - : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)(١)

ويرد عليه بأن لا تعارض ألبتة ؛ لأن معنى الآية ، وإن كان يقتضي التغاير بين الشرائع الثلاث إلا أن الله جل جلاله قد أخبرنا عن المسيح أنه علمه التوراة والانجيل بقوله : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل)(٢).

ومن المعلوم أنه لولا أن عيسى متبع لبعض ما في التوراة ، لم يكن تعلمها له منّة .(٣)

أضف إلى ذلك أن تحليل المسيح لبعض ما حرّم على اليهود كافٍ في وجود الاختلاف بين الشرعتين والمنهجين ، وإن كان هذا لا يمنع من الوحدة بينهما في مجمل الشريعة ، ومن اتباع المسيح لما سلف في الشريعة اليهودية باعتباره مصدقاً لها ومبعوثاً بين أهلها (التوراة) شأنه في ذلك شأن بقيّة أنبياء اليهود .

وفي مقام العلاقة بين الشرائع السماوية بعضها مع بعض ، يقول الدكتور (محمد عبد الله دراز) - رحمه الله - :

" يعلمنا القرآن الكريم أن كل رسول يرسل ، وكل كتاب ينزل ، قد جاء مصدقاً ومؤكدا لما قبله ، فالانجيل مصدّق ومؤيّد للتوراة ، والقرآن مصدّق ومؤيّد للانجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب ، وقد أخذ الله الميثاق على كل نبي إذا جاءه

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٨ .

(٣) ابن تيمية / مجموع الفتاوى الجزء الثالث من التفسير المجلد ١٦ ص٤٣/ ٤٤ .

رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .... غير أن هاهنا سؤالاً يحق للسائل أن يسأله :

أليست قضية هذا التصادق الكلي بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة انما هي تجديد للمتقدمة وتذكير بها ، فلا تبدّل فيها معنى ، ولا تغيير حكما ، وإلا كيف يقال : إنها تصدّق ... الخ بينما هي تبدّل وتعدّل ، وإذا كان من قضية التصادق الكلي بين الكتب ألا يغيّر المتأخر منها شيئا من المتقدم ، فهل الواقع هو ذلك ؟

الجواب : ليس الواقع ذلك ، فقد جاء الانجيل بتعديل بعض أحكام التوراة ، اذ أعلن عيسى أنه جاء ليحلّ لبني اسرائيل بعض الذى حرم عليهم ، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة إذ أعلن أن محمدا جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .(1)

ولكن يجب أن يفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ، ولا انكارا لحكمة أحكامه في ابّانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب ، وأجلها المقدّر ... مثل ذلك مثل : ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم الى الطفل فى الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن ، وجاء الثاني الى الطفل في مرحلته التالية فقرر له طعاما ليناً وطعاما نشوياً خفيفا ، وجاء الثالث فى المرحلة التى بعدها فأذن له بغذاء قويّ كامل .

ولا ريب أن هاهنا اعترافا ضمنيا من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقا

---

(1) أنظر سورة الأعراف آية ١٥٧ .

كل التوفيق في علاج الحال التي عرضت عليه .... نعم إن هناك قواعد صحية في النظافة والتهوية والتدفئة، ونحوها لا تختلف باختلاف الانسان، فهذه لا تعديل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين .

هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها ...."[1]

ومهما يكن من أمر طبيعة الاختلاف بين الشرائع الثلاث، فقد قلنا سابقا إن الشريعة اليهودية تعتبر شريعة لعيسى -عليه السلام- فيما لم ينسخ من الأحكام. وهكذا "كان المسيحيون الأوائل يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبته أسفار العهد القديم، ويحرمون على أنفسهم جميع ما حرمته. أى يعتبرون شريعة موسى -عليه السلام- شريعة لهم، ويعتبرون أسفارها أسفاراً مقدسة، ولا يستثنون من ذلك إلا ماصرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله. واستمروا على ذلك حتى رفع المسيح.

لكن بعد رفع المسيح -عليه السلام- بفترة قصيرة أخذ دعاة المسيحية يغيّرون ويبدّلون في التشريع حسب أهوائهم وكانت حجتهم في ذلك -كما يذكر مؤرخو الأديان- جذب أكبر عدد ممكن من الأميين الى الدخول في المسيحية، الذين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الكتب المقدسة أو الطقوس اليهودية، وكان يشق عليهم تطبيق بعض أحكام الشريعة المسيحية، فيرغبون عنها بسبب ذلك، وإن على دعاة المسيحية لقاء ذلك أن يواجهوا الظروف بنهج ملائم لها، ولو كان ذلك على

---

(١) أنظر كتاب الدين ص١٧٧/١٧٨.

حساب إلغاء الشريعة ."[1]

من أبرز هؤلاء الدعاة يعقوب بن حلفي الحواري ، أكبر الدعاة الى المسيحية في حياة المسيح ، وبطرس الرسول خليفة المسيح الذى أعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض - كما يقولون - ، وبولس اليهودي الرسول الملهم - حسب زعمهم - وعدد كبير من الحواريين والتلاميذ ، وكثير من السابقين الأولين الى المسيحية فعقدوا مجمعا في أورشليم ، - وهو أول مجمع يعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة ، للنظر في أمر الشريعة . وانتهت قراراته بعدم وجوب الختان الذى أوجبته التوراة على كل ذكر ، لأن الختان يشقّ على بعض من يدعونهم إلى المسيحية فيرغبون عنها بسببه . وزعم بطرس في هذا الاجتماع أنه كان نائما " فرأى السماء مفتوحة، وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة على الأرض، وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات ، وطيور السماء ، وصار اليه صوت : قم يابطرس . اذبح وكل . فقال بطرس : كلا يارب ، لأني لم آكل شيئا دنسا أو نجسا ، فصار اليه أيضا صوت ثانية : ماطهره الله لا تدنسه أنت ."[2]

يعني ماكان من الأطعمة محرما في شريعة موسى -عليه السلام- أصبح حلالا فأصدروا قرارا يقضي بامتناع المسيحيين والراغبين في المسيحية "عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا".[3]

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة ص٨٥ .
وأنظر كذلك فتحي عثمان / مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص١٩٤ .
وأنظر كذلك المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٢٨٢ / ٢٨٣ .
وأنظر كذلك سفر أعمال الرسل ١٥ : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) أعمال الرسل ١٠ : ١١-١٥ .

(٣) أعمال الرسل ١٥ : ٢٩ .

ومعنى ذلك : أن كل ماحرمته التوراة مثل : شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير والربا ... الخ كل ذلك أصبح مباحا ماعدا هذه الأربعة التي حددها المؤتمر فهي التي تدخل في دائرة التحريم ، وماعداها حلال تعاطيه وتناوله واستعماله .

وصادق على هذه القرارات كل الأطراف ، وضمنوه رسالة موجهة الى جميع الكنائس ، حصرت فيها المحرم على الأمم في أربعة . وهذا هو نصها :

"الرسل والمشايخ والأخوة يهدون سلاما الى الأخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية ، اذ قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين : إن تختتنوا وتحفظوا الناموس من الذين نحن لم نأمرهم ، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا وبولس : رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها ، لأنهما قد رأيا الروح القدس ، ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة : أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا ، التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ، كونوا معافين ." (١) ويدعون أن ذلك كان بإلهام من روح القدس وتجليه ونزوله عليهم تماما كما ينزل على الانبياء والرسل من غير فرق بينهم ، حيث افتتح بطرس هذا المؤتمر بقوله : "أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون ، والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس ، كما لنا أيضا ولم يميز بيننا وبينهم بشيء اذ طهر بالايمان قلوبهم ..." (٢)

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ٢٣-٢٩ .

(٢) " " ١٥ : ٦-٩ .

ونقول فيما يتعلق بهذا المؤتمر - :

امّا أن تصح الروايات السابقة عنهم أو لا تصح . فإن كانت غير صحيحة فمعنى ذلك أن هؤلاء الأوائل بريئون من هذا الانحراف في الشريعة .

أمّا إن صح ماذكر عنهم ، فلا غرابة في أن يصدر عنهم هذا التحريف ، فلم يكونوا ممن يشهد لهم بالصلاح والتقى ، وذلك لأن أحدهم هو بولس ، - اليهودى المتمسيح - الذى سنّ نظما وشرائع من تلقاء نفسه ، مدّعيا أن الله أرسله من بعد المسيح الى الأمم ، ومبتدعا في المسيحية ماتمليه عليه أهواءه ونفسيته الحاقدة على المسيح وعلى المسيحيين .

أما الثاني ، فهو بطرس الذى وصفه المسيح بأنه شيطان ، وأنه عثرة للرب .

أما الثالث ، فهو يعقوب ، وقد أثبت صاحب قاموس الكتاب المقدس أنه ليس من الحواريين ، ولم يؤمن بالمسيح أثناء حياته على الأرض .(١)

واذا جئنا الى تلك القصة الملفقة (قصة الملاءة النازلة من السماء) ، التى رآها بطرس في منامه ، وفيها كل دواب الأرض وطيور السماء ، وأمره الله - حسب زعمهم - بالأكل منها ، ومنها استخلصوا إباحة لحم الخنزير ، وسائر ماحرمته التوراة - هذه الرؤيا كما يقول صاحب الفارق : "لا يصح الاستدلال بها على تحليل لحم الخنزير وغيره من الحيوانات الخبيثة المحرمة بالتوراة ، لعدم التصريح بشئ منها ، مع أن بطرس جعل ذلك إشارة الى طهارة الانسان ، كما قال في مجلس (كرنيليوس) :

" وأما أنا فقد أراني الله ألا أقول عن انسان ما أنه دنس أو نجس"(٢)

---

(١) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٦٧٠١ .

(٢) سفر أعمال الرسل ١٠ : ٢٨ .

يضاف إلى ذلك : أن الرؤيا من غير الأنبياء لا تكون شريعة ناسخة لناموس منزل من عند الله ." (١)

وتأكيداً لدور بولس في تحريف التشريع نقول : إنه منذ أن دخل المسيحية مافتئ يعمل على تقويضها وهدمها بما أوتي من أساليب في المكر والدهاء ، حيث قام بدور فعّال وكبير في تحريف الديانة المسيحية المنزلة ، عقيدة - كما رأينا - وشريعة - كما سنرى - وسنّ نظما وشرائع ما أنزل الله بها من سلطان ، والمسيح - عليه السلام - بريء منها . وكثيرا ماصرّح بولس أنه يشرع من عندياته ، وذلك واضح من رسائله وفي كلامه ، كما جاء في أكثر من مناسبة . من ذلك قوله : " وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب . . . وأما الباقون ، فأقول لهم أنا لا الرب... وأما العذارى ، فليس عندي أمر من الرب فيهنّ ، ولكنني أعطي رأيا . . ." (٢)

والأدهى من ذلك أنه أنكر تحريم الأشياء الأربعة التي حرّمها المسيحيون ، وقال : لا شيء محرم على الاطلاق ، ويذكر أن المسيح بموته على الصليب أمات الناموس ، لكي يحرر الانسان من رباطاته ، ومن حكمه ، فيقول عنه إنه " محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدا لنا ." (٣)

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده ص٦٠٣ .

(٢) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ .

(٣) رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٤ .

ويكاد يتخصص بولس في تكرار القول بأن رسالة المسيح قد ألغت الناموس، وأن الناموس قد استنفد أغراضه ، وصار غير ذي موضوع . يقول في رسالته الى أهل غلاطيه : "الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس ؛ بل بايمان يسوع المسيح ، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بايمان يسوع لا بأعمال الناموس ، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما . "[1] أي لا طاعة لأحكام التوراة بعد الايمان بعيسى . وكثيرا ما كان يصرّح بأن ناموس موسى كان وضعا مؤقتا وضع حتى مجيء المسيح ؛ لأن "غاية الناموس هي المسيح "[2] ، وأنه (أي ناموس موسى) وضع بسبب تعديات البشر حتى يأتي النسل الذى وعد الله به ابراهيم - لتتبارك أمم الأرض - : الذى هو المسيح .[3]

وطالما صرّح بأن من يتمسك بالتوراة ، وشريعة موسى هو ملعون . فيقول :

" . . . لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة "[4]

وطالما صرخ : مانفع الناموس وجدواه ؟ ولماذا الناموس؟ [5]

ويعتبر بولس أن إعادة بناء الناموس بالنسبة للمسيحي إنما هو انتحار روحي فهو يقول : "انه بالناموس مات عن الناموس ليحيا لله"[6]

---

(١) ٢ : ١٦ .

(٢) أنظر رسالة بولس الى أهل رومية ١٠ : ٤ .

(٣) أنظر رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ١٦

(٤) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ١٠ .

(٥) أنظر رسالته الى أهل غلاطية ٣ : ١٩ .

(٦) الرسالة الى أهل غلاطية ٢ : ١٩ .

ويمكن القول دون تردد ان رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية المحرفة ، وان التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكرارا وصدى لآراء بولس وتشريعاته .(١)

ولم يكتفِ بولس بأن يضع مبادئ المسيحية وشعائرها ، بل شرّع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة. فهو الذي أوصى بما نراه اليوم في الكنائس من التسابيح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل .(٢) "امتلئوا بالروح مكلّمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح ، وأغاني روحية ، مترنمين في قلوبكم للرب."(٣)

ثم جاء دور المجامع في التشريع ، وأصبح هذا الانحراف منهجا مقررا ، فلم تكتفِ هذه المجامع بصنع الآلهة في قراراتها ، وفساد العقائد ، بل أخذت تشرّع حسبما تمليه عليها أهواءها ورغباتها ، فقررت عصمة البابا في مجمع رومة سنة (١٨٦٩م) ، كما قررت حق غفران الذنوب ، وهذا انتقل حقّ التشريع الى البابا كرأس للكنيسة ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في التشريع .(٤)

وعندما أثبت المسيحيون عصمة البابا، انتقلت كل السلطة في اصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام، الى حبر رومة الأعظم الجالس على كرسي الخلافة ، وأصبح حكمه قطعيا ، واجب الطاعة ، لا يقبل المناقشة ، لأنه قد وهب من عند الله تعالى صفة العصمة على زعمهم .(٥)

---

(١) أنظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٢٢ .
(٢) " " " " " ص١٢٢ .
(٣) رسالة بولس الى أهل افسس ٥ : ١٩ : ٢٠ .
(٤) انظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص٢٣٢ / ٢٣٣ .
وانظر كذلك : الدكتور أحمد حجازى السقا / أقانيم النصارى ص١٣٧ / ١٣٨
(٥) عبد الاحد داود / الانجيل والصليب ص ٢٣

واذا تركنا دور الأحبار ورجال الكنيسة ـ قدامى ومحدثين ـ في تحريف الشريعة المسيحية ، والانحراف بها عن خط التوراة . فإنّا نجد للوثنيات القديمة التي انتشرت المسيحية في بلادها دورا كبيرا أيضا في هذا التحريف والانحراف، حيث كان لهذه الوثنيات تأثيرها الواضح في الطقوس والعبادات ، والشرائع المسيحية ، بحيث لا يخطئ الدارس للوثنية والمسيحية ـ دراسة مقارنة ـ مظاهر تأثير الأولى في الثانية . فقد "كان الموقف المتهاون الذي وقفه المبشرون المسيحيون إزاء الوثنيين وعاداتهم هو السبب في تغلّب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها .

فحين حاول المبشرون المسيحيون نقل الدعوة المسيحية من أرض اليهود لعدم قبولهم لها إلى الشعوب المحيطة بهم كالرومان واليونان وغيرهم ، لعلهم يجدون لديهم قبولا للدعوة المسيحية ـ حين حاولوا ذلك اضطروا الى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية ، وأغلب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية ، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين ، وظنوا أنهم مع مرور الوقت فإن المسيحية ستتطهّر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها ، ولقد تحول فعلا كثير من الوثنيين الى المسيحية ، لكنهم نقلوا إليها أيضا مزيدا من العادات والشعائر الوثنية . . . وتغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام" (١)

ويكفينا في هذا المقام شهادة اثنين من كبار مؤرخي الحضارة المسيحيين

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص٢٨٢/ ٢٨٣، ٢٨٦.

هما : (ول ديورانت) و (شارل جنيبير) ، حيث يسجّل كل منهما رؤيته لتأثر المسيحية بالوثنية في عقائدها وعباداتها وشرائعها وانحرافها بذلك عن خط المسيحية الأولى . يقول (ول ديورانت) :

"إن المسيحية لم تقضي على الوثنية بل تبنتها . ذلك أن العقل اليوناني المحتضر، عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة - أداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ...."(1)

ويقول شارل جينبير:

" ... وهناك عامل آخر يجب البحث عنه في تأثير البيئة اليونانية الرومانية على المسيحية الأولى : وهو تأثير نزع إلى ادخال الطقوس الوثنية ، بعضها أو جميعها ، في عبادة كلها " روح وحق " بعد أن هجر أصحابها المعابد اليهودية ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع العقيدة وبنفس الأساليب : فبدأت بتلك العادات الأولى المبسطة الوافدة من اليهودية : التعميد ، كسرة الخبز ، وضع الأيدي على الرأس ، الصلاة ، الصيام : وحملت هذه العادات معاني لم تنفك تزداد عمقا و " سرية " ، ونمت وأضيفت إليها حركات شائعة لدى الوثنيين ، ثم قرنت بالمفاهيم المتسعة الأبعاد التي كانت تدخل مثلا في طقوس "الأسرار" اليونانية والشرقية ، ونفخ فيها - إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير - بتلك القوة الرهيبة التي كانت للسحر قديما . وبدأ هذا التفاعل منذ انتقال ايمان

(1) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٧٦/٢٧ .

الحواريين من فلسطين الى العالم اليوناني ، وقد لاقيناه وهو في طور متقدم لدى بولس وأتباعه ، ثم واصل تأثيره طوال تلك الفترة التي كان الدين الجديد يكافح فيها ضد منافسيه من الأديان .

ولعله من العسير أحيانا أن نرجع في كل تأكيد لونا من ألوان الطقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه . الا أنه لا مجال للشك في أن الروح الوثنية ، فيما يختص بمظاهر العبادة العملية ، قد فرضت على المسيحية شيئا فشيئا ، حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها . وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع ، عندما دعت الضرورة الى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة . وكانت سلطة رجال الكنيسة ، من ناحية أخرى ، تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ فترة طويلة والذى انتهت الى التفرّد به رغم بعض التردد ألا وهو : التصرف في القوة السحرية للطقوس التي سميت بـ " الأسرار القدسيّة "* (1)

---

* تكلمنا فيما يأتي عن سرى التعميد والعشاء الرباني وهما اللذان تعرض ابن تيمية لذكرهما ونقدهما سواء على سبيل الاجمال أو التفصيل وهناك أسرار أخرى لدى المسيحيين ابتدعتها الكنيسة لهم على مرّ العصور ، وتسمى الأسرار القدسية . وهذه الأسرار هي :

(1) سر تثبيت العماد . ويعني : الخدمة المرافقة لادخال المعتمدين في طفولتهم الى شركة الكنيسة . . . وان الذين يعمّدون في طفولتهم يحسبون من الكنيسة بناء على تصريح والديهم بايمانهم وتكلفهم بواجباتهم ، ومتى بلغوا سنّ التمييز ، كان الفحص يجري على معرفتهم وسلوكهم ، واذ وجدوا متعلمين جيدا وخالين من اللوم يتخذون على أنفسهم واجبات تعهدهم في المعمودية ، وحينئذ تثبت عضويتهم في الكنيسة . =

= ويتم التثبيت على يد أحد الأساقفة ، حيث يتلو دعاء مبتهلا أن يحل الروح القدس في جسم من يراد تثبيت تعميده ، ثم تمسح جبهته بزيت الميرون المقدس - في زعمهم - ويلطم لطمة خفيفة على خده .

(٢) سر التوبة والتكفير ويسمى سر الاعتراف . وما ترتب عليه من بدعة غفران الذنوب - على يد البابوات - بموجب صكوك سميت بصكوك الغفران .

(٣) سر الرسامة . ويسمى رتبة الكهنوت أو سر الكهنوت . وهو السر الذي يُختار به رجال الدين ويُعيَّنون في مناصبهم الكهنوتية .

(٤) سر الزواج (الزيجة) : ويسمى بالرباط المقدس الدائم الذي لا ينفصم ولا يتم الزواج الا بمعرفة الكنيسة أي بحضور القسيس الذي يضفي الشرعية على الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة . أما الزواج الذي يتم خارج الكنيسة فهو علاقة آثمة ولا تعترف به الكنيسة .

(٥) سر المسح بالزيت قبيل الوفاة (المسحة المقدسة) :
حيث يدهن الكاهن المريض حواسه بالزيت الذي يسمى الميرون . وهذا السر يمدّ المحتضر بالشجاعة لاحتمال الآلام فيمحو ما تبقى عليه من خطايا ، ويمسح على جراحه بالتعزيات المسيحية . فيثق المريض برحمة ربه ، ويطمئن الى حسن المصير .

وهناك سر ثامن تنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه الاثم أو الخطيئة .

ولا يخفى ما جره هذا السر من ويلات أصابت الديانة النصرانية في صميمها .
راجع هذه الأسرار في الكتب الآتية :

١ - قصة الحضارة (ول ديورانت) الجزء الخامس من المجلد الرابع ص ١٣ وما بعدها .
٢ - علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١٣٩ وما بعدها .
٣ - شرح أصول الايمان للدكتور القس اندرا وسرواطسون . والدكتور القس ابراهيم سعيد ج ٢ ص ٤٧٧ وما بعدها .
٤ - المسيحية للدكتور أحمد شلبي .
٥ - الديانات والعقائد في مختلف العصور / للأستاذ احمد عبد الغفور عطار ج ٣ ص ٢١٧ وما بعدها .

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٥/١٢٦ .

وسوف نرى في الفصول التالية التي نعرض فيها للعبادات والشرائع النصرانية بالدراسة ـ سوف نرى مدى تأثير هذه العوامل في انحراف النصرانية عن خط التشريع الديني الصحيح وتحريف أهلها لها وذلك قبل أن نعرض في نهاية هذا الباب لابطال ابن تيمية لتلك العبادات والشرائع النصرانية ومايقدمه لهذا الابطال من مبررات موضوعية وتاريخية .

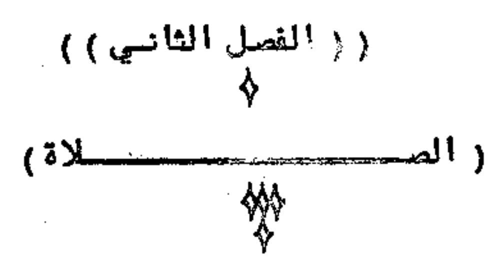
ومما يجدر ذكره هنا أن العبادات والشعائر والطقوس والأسرار المسيحية كثيرة ، وكذلك الفروع التشريعية ، ولكننا سوف نقتصر في الفصول التالية على ما تناوله شيخ الاسلام ابن تيمية من كل ذلك بالابطال سواء ماتناوله من ذلك على سبيل الاجمال أو على سبيل التفصيل . هذا أولاً .

وثانيا : فإننا سوف نضم الى عرضنا الآتي للعبادات والشعائر والشرائع النصرانية مانراه لازما من تعليقات تدل على بطلان هذه الأمور تاريخيا وموضوعيا تأكيدا وتعزيزا لما سنذكره عن شيخ الاسلام من ذلك في الفصل الأخير .

۞

الفصل الثاني





((الفصل الثانـي))

(الصـــــــــــــــــلاة)

الصلاة صلة بين العبد وربه ، ولا تخلو كافة الأديان من الأمر بهـــا ، والحث عليها ، بغض النظر عن الكيفية التي تتم عليها . وجاءت الديانـــة المسيحية - كغيرها - آمرة بالصلاة ، حاثة على أدائها .

والصلاة عند النصارى تقربهم الى الله عن طريق المسيح - كمـــا يزعمون - ولقد جنــــاء في كتاب الأصول والفروع:* " أنّ الدين قلـــب مقتنع بوجود الله الخالق ، والحافظ ، والقادي . فتكون الصــــلاة ترجمان ذلك القلب ، يعبّر بها عمّا يخالجه من الأشواق ، والعواطـــف. فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح لـــــه ، وبالنسبة لاقتناعه بجوده واحسانه ، تكون الصلاة عبارات الشكر والحمـــد ، وبالنسبة لوقوعنا في الخطية ، تكون الصلاة كلمات التذلل ، والتواضـــع والاستغفار ، وبالنسبة للاحتياج اليه تعالى تكون الصلاة طلبـــــا ودعــــاء ."(1)

والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان (2) هما منها بمنزلة الدعامة :

<u>الشرط الأول :</u>

أن تقدم باسم المسيح . ومستندهم في ذلك ما جاء في انجيـــل (يوحنا) من قول المسيح - كما يزعمون - لتلاميذه :

" الحقّ أقول لكم : انّ كـــلّ مـا طلبـــــتم مـــــن الأب باســـمي يعطيكـم ،الـــــى الآن لـــــم

---

* لم يذكر الشيخ (محمد أبو زهرة) اسم مؤلف هذا الكتاب ، ولعلـــه القسّ (بوطر) كما أشار الى ذلك الدكتور أحمد شلبي في كتابـــه المسيحية ص ١٣٧ طه

(1) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١١ ط ٣

(2) انظر هذان الشرطان لدى الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فـــي النصرانيـــة ص ١١١ / ١١٢

تطلبوا شيئا باسمي . أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا"[1]. ويعللون ذلك بأن الانسان بسبب خطاياه أبعد عن رضا الله ، ولكن بعم المسيح زال هذا البعد ، وأصبح قريبا اليه.[2] وقد جاء في رسالة بولس الى أهل أفسس ما يشير إلى ذلك ، حيث يقول : "لكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين ، صرتم قريبين بدم المسيح . لأنه سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط ."[3]

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع : "للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك ، وهو أن الاسم يمثّل دائما المسمى ، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا ، بحيث تكون طلباتنا طلباته ، وصلاحنا صالحه ، وحياتنا حياته . وبالجملة كأنّه يحيا فينا ، ولأجلنا ."[4]

الشرط الثاني :

أن يسبق الصلاة الايمان الكامل عندهم ، فقد جاء في الاصحاح الحادي عشر من انجيل (مرقس) مانصه : "لذلك أقول لكم : كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه ، فيكون لكم ."[5] ، وجاء في رسالة يعقوب : "وليكن الطلب بإيمان غير مرتاب ألبتة . لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح ، وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من الرب."[6]

---

(١) ١٦ : ٢٣-٢٤ .

(٢) أنظر هلال أمين موسى / تفسير انجيل يوحنا ص٢٣٧ .
وانظر كذلك لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٤ .

(٣) ٢ : ١٣، ١٤ .

(٤) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص١١٢ ط٣ .

(٥) فقرة / ٢٤ .

(٦) ١ : ٦، ٧ .

وهناك شرط ثالث للصلاة لدى النصارى وهو: "أن توجّه لله كثالوث قدوس ، كما توجّه أصلاً للأب باسم الابن، وبواسطة الروح القدس، كما ترسل لكل من الأقانيم الثلاثة ، لمساواة الابن والروح فى الجوهر، والأزلية مع الأب ." (١)

والصلاة -عند النصارى- ارتجالية ، فليس لها عبارات خاصة معلومة يجب أن يتلوها ، بل ترك لهم أن يتلوا العبارات التى يختارونها ...

وأشهر الأسفار المشتملة على نماذج للأدعية والصلوات "سفر المزامير" الذى يعتبر -كما يقول القس بوطر- : "خزانة ذهبية لصلوات داود النبى ، وغيره من الأنبياء فى أحوالهم الخاصة ، مسوقين من الروح القدس ..." (٢)

وتستعمل بعض الكنائس المسيحية كتبا للصلاة ، تجمع فيها الطلبات والابتهالات والاعترافات التى نطق بها القديسون فى كثير من أجيال الكنيسة ... (٣)

كما أنه ليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم ، وليس لها مواقيت معلومة ، بل كل ذلك قد وكل الى نشاط المصلين ورغبتهم فى العبادة . (٤) ومع ذلك يرى النصارى أنه يليق حفظ أوقات معينة فى الصلاة ، وحيث إن اليهود -الذين يعبدون الله فى هياكلهم- كانوا يصلون فى صباح كل يوم ومسائه ، استنبط النصارى أنه تلزم الصلاة مرتين : إحداهما فى الصباح ، والأخرى فى المساء.
ويقولون فى حكمة ذلك :

فى الصباح "نطلب بركة الرب علينا سحابة اليوم ، وأن يهدينا الى عمل

---

(١) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٤ .

(٢) كتاب الأصول والفروع / نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص١١٢ / ١١٣ .

(٣) انظر لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٤ .

(٤) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص١١٤ ط٣ .

ما فيه رضائه ، وأن يحفظنا من السوء ."

وفي المساء " نشكره على احسانه علينا ، كما أننا نعترف بما فرط منّا في اليوم من الزلات ، ونطلب منه المغفرة ، ودوام نعمته علينا ، وفوق ذلك لا نفتأ نذكر فضله ، ونشعر بجميله دائما ."

وهم مع ذلك يخالفون اليهود في زعمهم أن الإكثار من الصلاة يجعل الله يملّ ، بل المستحسن عند النصارى الاكثار منها . جاء في انجيل (لوقا) مانصه : " قال لهم مثلا في أنه ينبغي أن يصلي في كل حين ولا يملّ . . ."(1) وجاء في رسالة بولس الأولى الى أهل تسالونيكي : " صلوا بلا انقطاع"(2)

ومعنى هذا - كما يقول صاحب كتاب الأصول والفروع - : "أن نستحضر في أذهاننا روح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته، نرفع قلوبنا اليه ، سواء أكان بالقول أو بالتوجيهات القلبية بدون كلام . والله يعلم ما في القلوب ."(3)

والصلاة عند النصارى - كما يذكر الدكتور أحمد شلبي - " سبع صلوات في اليوم والليلة وهي :

صلاة البكور ، وصلاة الساعة الثالثة ، والسادسة ، والتاسعة ، والحادية عشر ، والثانية عشرة ، ومنتصف الليل . . .

وليس للصلاة عندهم ترتيب خاص - كما ذكرنا آنفا - وانما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان . وغاية ما يلزم أن تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية *

---

(1) ١٨ : ١ .
(2) ٥ : ١٧ .
(3) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص١١٤ ط٣ .
(*) يقولون في تعريفها : " هي الصلاة التي علمها الرب (أي المسيح) لتلاميذه ، ولذلك سميت بالربانية. وهي صلاة الصلوات ، كما أن الكتاب المقدس كتاب الكتب . . . . انها ملخص الديانة المسيحية ."
أنظر قاموس الكتاب المقدس ص٥٥١ .

التى قدمها المسيح لهم "(1) وهى كما وردت فى انجيل متّى - :

"أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، وأغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين ." (2)

أما انجيل لوقا فقد وردت فيه صيغة الصلاة على النحو الآتي :

" واذا كان (أى المسيح) يصلي فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يا رب ، علمنا أن نصلى ، كما علّم يوحنا أيضا تلاميذه .

فقال لهم : متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ." (3)

ويعلّق (صاحب الفارق) على هذين النصين ، ذاكرا التناقضات الحاصلة بينهما فيقول :

" انجيل (متّى) أثبت تعليمهم للصلاة أثناء الخطبة ، ولوقا ذكرها بعد ذلك بزمن بعيد ، وأفاد : أنه لم يعلمهم المسيح ذلك إلّا بعد سؤال التلميذ له ، ومنه يفهم أن التلاميذ فى هذا الزمن الطويل لم يعلموا الصلاة ، وهو من أبعد البعيد .

---

(1) المسيحية ص ٢٣٤/ ٢٣٥ ط ٥ .

(2) ٦ : ٩-١٣ .

(3) انجيل لوقا ١١ : ١-٤ .

و(متى) قال : "اعطنا كفافنا اليوم" ، و (لوقا) يقول : كل يوم .

و (متّى) قال : "لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين"، و(لوقا) لم يذكر ذلك أبدا ."[1]

ثم يتساءل موجها كلامه للمسيحيين :

" فهل تتوهمون أيها المسيحيون أن الوحي يصح فيه هذا الاختلاف ؟! حاشا . وليس لنا أن نقول : الاّ أن الوحي الذي نزل على مترجم انجيل (متّى) هو خلاف الوحي النازل على لوقا ."[2]

وقد ذكر لنا القرافي أن للنصارى ثمان صلوات في اليوم والليلة - وليست سبعا كما ذكر الدكتور (أحمد شلبي) - حسبما أخذه عن كتبهم الفقهية - كما يقول - ، وذكر لنا كذلك صيغ هذه الصلوات معلقاً عليها ، ناقداً لها .

وقد ذكرنا من قبل أن النصارى لا يلتزمون في صلواتهم بصيغ معينة ، ومن ثَم فإنه يبدو أن الصيغ التي يذكرها (القرافي) هنا من الصيغ التي اطلع عليها ، والتي كانوا يصلون بها ، وان كانت ليست هي الصيغ الوحيدة لهذه الصلوات كما ذكرنا من قبل .

والصلوات التي ذكرها الامام القرافي هي :

" الصلاة الأولى : صلاة السَّحر ، وصلاة الفجر . ويقولون فيها :

تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح الهنا أيها الرب خروف الله ، ارحمنا أنت وحدك القدوس المتعالي .

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٩٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥٠٥ .

الصلاة الثانية : صلاة الساعة الاولى ، ويقرؤون فيها :

المسيح الاله الصالح ، الطويل الروح ، الكثير الرحمة ، الداعي الكل الى الخلاص .

الصلاة الثالثة : صلاة الساعة الثانية ، ويقرؤون فيها :

ياوالدة الاله السماوي ، أنت هي الكرامة الحقانية ، الحاملة ثمرة الحياة ، اليك نتضرع ، لترحمي نفوسنا ، ياوالدة الاله السماوي ، افتحي لنا أبواب رحمتك .

الصلاة الرابعة : صلاة الساعة السادسة ، ويقرؤون فيها :

يامن سمّرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التي تجرأ عليها آدم ، خرق العهد المكتوب فيها خطايانا ، وخلّصنا يامن سمّر على الصليب ، وبقي حتى لصق على الخشبة بدمه ، قد أحببنا الممات لموتك . أسألك بالمسامير التي سمّرت بها ، نجني ياالله .

الصلاة الخامسة : صلاة الساعة التاسعة ، ويقرؤون فيها :

يامن ذاق الموت من أجلنا ، في الساعة التاسعة اليك ابتهالنا ، يامن سلّم نفسه الى الأب لما علّق على الصليب . لاتغفل عنّا ، يامَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء ، واحتمل الموت ، لاتخيّب من خلقت بيدك ، واقبل من والدتك الشفاعة فينا ، ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه ابراهيم واسحاق ويعقوب . ويقرؤون في هذه الصلاة أيضا :

لما رأت الوالدة الحمل والداعي ، ومخلص العالم على الصليب ، قالت وهي باكية أما العالم ففرح بقبوله الخلاص ، وأما أحشائي فتلتهب عندما انظر الى صلبوتك بعيني .

الصلاة السادسة : صلاة المغرب ، ويقرؤون فيها :

ياوالدة الاله العذراء ، اسعي في خلاصنا ، وافرحي ياوالدة الاله ، مباركة أنت في السماء ، ومباركة ثمرة بطنك ، لأنك ولدت لنا مخلصنا ، ياوالدة الاله ، مباركة ، لاتغفلي عن وسائلنا ، ونحن من

المعاطيب . وفى هذه الصلاة يقرؤون أيضا :

ياصانع المسيح يوحنا ، اذكر جماعتنا ونجنا من المعاطيب .

الصلاة السابعة : صلاة النوم . ويقرؤون فيها : الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة ، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب ، وابنك نظيرك فى الابتداء ، وروح القدس مساويك فى الكرامة ، ثالوث واحد .

الصلاة الثامنة : صلاة نصف الليل . ويقرؤون فيها تبارك الرب اله آبائنا ، وفوق المتعالى الى الدهر ، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح ، وفوق المتعالي الى الدهر ، مبارك أنت فوق المسيح ، وفوق المتعالي الى الدهر . ويكررون هذه الفوقية فى هذه الصلاة دفعات ."(١)

هذه هى صلاتهم ، وهذه هى قراءتهم فيها ، وهى صلاة وقراءات فيها من الافتراء المحض على المسيح ومن التدليس ما فيها . وهى صلوات "مشتملة على البهت والكفر ، وسوء الأدب على الله تعالى ، وعلى المسيح -عليه السلام- ، وهم فيها متضمخون بالعذرات ، ملابسون للقاذورات . ولو أن فيهم رجلا رشيدا ناصحا لأشار عليهم بترك هذه الصلوات ، والإعراض عن باب القربات ، لكن ليس للقوم أهلية للعبادات ، ولا آداب تصلح للمناجاة بين يدىّ رب الأرض والسموات ."(٢)

ففى صلاة الفجر مثلا : سموا المسيح فى تضرعهم : الها أولا ، ثم ربا ثانيا ، ثم خروفا ثالثا .

---

(١) الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص١٩٧ / ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص٢٠٢ / ٢٠٣ .

ويتساءل القرافي مستنكرا :

" ليت شعري ، ما مناسبة الخروف للربوبية ؟ حتى يسمى الـه العالم خروفا . " (١)

" أما دعاؤهم في صلاة الساعة الاولى ، فقد جمعوا فيه بين كون المسيح الها ، وبين كونه طويل الروح . وطول الروح : الصبر على المؤلمات ، وهو مناف للوصف بالالهية ؛ لأنّ الآلام والصبر عليها من خواصّ البشرية .

وفي صلاة الساعة الثانية التي يتضرعون فيها الى مريم العذراء باعتبارها والدة الاله بزعمهم ، طالبين منها الرحمة لأنفسهم .... هذه الصلاة تقتضي عبادة مريم - رضي الله عنها - لتصريحهم بالتضرع لها ؛ لترحم نفوسهم ؛ وتفتح لهم أبواب الرحمة . ولا معنى للعبادة والربوبية الّا هذا ، مع اعترافهم بأنّ جسد مريم - رضي الله عنها - لم يتحد به (أى المسيح) كله ، ولا غيرها ، بل هي كسائر بنات آدم صلوات الله عليه ...

أما صلاة الساعة السادسة - عندهم - فانهم يجمعون في مناجاتهم فيها بين وصف الربوبية ، وبين ما يناقضها من القهر لها أقبح القهر ، من أقبح الناس وهم اليهود . ولو اعترفوا لليهود بالربوبية ، وأدانوا لهم بالعبودية لكان أولى بهم في هذه الحالة .

أما قراءتهم في صلاة الساعة التاسعة ، فهي - مع سخافتها - متناقضة ، فاذا كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا ، فأىّ شيء يحوجهم الى شفاعة أمّه فيهم ؟ وأىّ حاجة بهم الى هذا التضرع والسؤال ...

---

(١) الاجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة . بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق صفحة ١٩٧

ولو أمعنا النظر في قراءتهم في صلاة المغرب لوجدنا أن آلهتهم قد أصبحت ستة من حيث لا يشعرون : الأب ، والابن ، وروح القدس ، ومريم ، والمسيح -عليهما السلام- ، ويوحنا . ولو طال بهم الزمان لصارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى ...

ونفس الأمر ينطبق في صلاة النوم -لديهم- ، حيث لم يكتفوا ماكفروا به من التثليث والاشراك مع الله غيره ، حتى أشركوا معه الملائكة . وان التوراة ، والانجيل ، والمزامير ، لتكذبهم في دعواهم هذه على الملائكة ، وتشهد بتوحيد الله تعالى .

ثم إن وصفهم "الأب" في هذه الصلاة بأنه "قبل الكل" يقتضي حدوث المسيح -عليه السلام- ؛ لأنه لو كان في زمان أبيه لم يكن الله تعالى "قبل الكل" ، واذا تأخر عنه بالزمان ، ثبت عدمه في زمان أبيه ، والمسبوق بالعدم محدث ، فالمسيح -عليه السلام- محدث . واذا كان المسيح -عليه السلام- محدثاً بطلت ربوبيته ، وتعينت عبوديته ... .

أما صلاة نصف الليل ، وهي الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها ، فهم يكررون فوقية الله فيها على المسيح ، ونسوا أنهم قرأوا في صلاة النوم أن المسيح نظير الاله في الابتداء ، وروح القدس مساوية في الكرامة . فإن صدقوا في الأولى كذبوا في الثانية ، وان صدقوا في الثانية كذبوا في الأولى ."[1]

---

(١) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة . بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص١٩٧ -٢٠٢ .

وهكذا يتبيّن لنا التناقضات الموجودة في صلواتهم بغض النظر عن مدى صحة عددها ، ومواقيتها .

وجليّ أنها مجموعة من الأدعية بلا رسوم معينة ، ولا حركات خاصة . وشأن المؤمن كثرة الدعاء الى الله دون التزام بوقت معيّن ، وانما عليه أن يلتزم فقط بألّا يتناقض دعاؤه مع العقيدة الصحيحة في الله ، لا كما يفعل النصارى في هذه الدعوات .

⁂

الفصل الثالث



((الفصل الثالث))

" الصوم "

الصوم عبادة قديمة أصيلة ، ليس عند أرباب الأديان فقط ، بل حتى في الأمم الوثنية . فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنيتهم ، وانتقل منهم الى اليونان ، فكانوا يفرضونه لا سيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعتنون بالصيام ، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن ... ويقول الامام محمد عبده :

"إن الوثنيين كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم إذا عملوا مايغضبهم ، أو لا رضائها واستمالتها الى مساعدتهم في بعض الشؤون والأغراض ، وكانوا يعتقدون أن ارضاء الآلهة والتزلّف إليها ، يكون بتعذيب النفس واماتة حظوظ الجسد ، وانتشر هذا الاعتقاد في أهل الكتاب ، حتى جاء الاسلام يعلمنا أن الصوم ونحوه إنما فرض ، لأنه يعدّنا للسعادة بالتقوى ، وأن الله غنيّ عنا وعن عملنا ، وما كتب علينا الصيام إلّا لمنفعتنا ."(1)

فلم يخلِ الله أمة من افتراضه عليها ، وإن لم يقتضِ ذلك اتحاد طريقة الصيام بين مختلف الأمم . قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)(2)

وبالرجوع إلى كتب التفاسير حول آية الصيام المذكورة ، نجد أن ابن كثير في تفسيره يروي لنا عن معاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك بن مزاحم : إن الصيام كان أولاً كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام . لم يزل هذا

---

(1) أنظر تفسير المنار جـ٢ ص١٤٥ .

(2) سورة البقرة / آية ١٨٣ .

مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان .

وروي عن الحسن البصري قوله : " لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت، كما كتبه علينا شهرا كاملا ، وأياما معدودات : عددا معلوما .

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن الوليد عن أبي الربيع ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم)

قال عطاء الخراساني عن ابن عباس : (كما كتب على الذين من قبلكم) يعني بذلك : أهل الكتاب ، وروي ذلك أيضا عن الشعبي والسدي وغيرهما ." (١)

ويقول الزمخشري عند تفسيره لنفس الآية :

(كما كتب على الذين من قبلكم) أى على الأنبياء والأمم من لدن آدم الى عهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : (كما كتب على الذين من قبلكم) أى كصومهم فى عدد الأيام ، وهو شهر رمضان ، كتب على أهل الانجيل ، فأصابهم موتان : فزادوا عشراً قبله ، وعشراً بعده ، فجعلوه خمسين يوما . وقيل :

كان وقوعه فى البرد الشديد ، والحر الشديد ، فشق عليهم فى أسفارهم ، ومعايشهم ، فجعلوه بين الشتاء والربيع ، وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته" (٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم / جـ ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤

(٢) الكشاف / جـ ١ ص ٣٣٤

ويقول القرطبي - رواية عن الشعبي وقتادة وغيرهما -:

"إن الله تعالى كتب على موسى وعيسى - عليهما السلام - صوم رمضان ، فغيروا ، وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم ، فنذر إن شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام ، ففعل ، فصار صوم النصارى خمسين يوما ، فصعب عليهم في الحرّ ، فنقلوه الى الربيع ، واختار هذا القول النّحاس، وقال : وهو الأشبه بما في الآية ، وفيه حديث يدلّ على صحته ، أسنده دَغْفَل بن حنظلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كان على النصارى صوم شهر ، فمرض واحد منهم ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدنّ عشرة ، ثم كان آخر فأكل لحما ، فأوجع فاه . فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدنّ سبعة ، ثم كان ملك ، فقال : لنتمنّ هذه السبعة ، ونجعل صومنا في الربيع . قال : فصار خمسين .)(1)

وليس من قصدنا هنا أن نحقّق القول في زمان وكيفية الصيام الصحيح في اليهودية والنصرانية الأولى ، ولكننا نعرض لصيام النصارى كما هو اليوم . فالصوم عندهم يعني : "الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ، ثم تناول طعام خالٍ من الدسم"(2)

ويلاحظ صاحب المنار "أن الأناجيل تخلو من فرضية الصوم ، وكل الذى تحويه عن الصوم إنما هو ذكره ومدحه ، واعتباره عبادة .

وتأمر الأناجيل الصائم بدهن الرأس ، وغسل الوجه ، حتى لا تظهر عليه أمارة الصيام فيكون مرائيا كالفريسيين .

(1) الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٢٧٤ . والقول بأن شهر رمضان كان مفروضا على أهل الكتاب كما فرض علينا ، هو ما استظهره الطبرى في تفسيره جـ٢ص٧٦ ، وعلل ذلك بقوله :" لأن مَنْ بعد ابراهيم عليه السلام - كان مأموراً باتباع ابراهيم ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه كان جعله للناس إماما . وقد أخبرنا الله - عزّ وجلّ - أنّ دينه كان الحنيفية المسلمة ، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذى أمر به مَنْ قبله من الأنبياء . وأما التشبيه ، فإنما وقع على الوقت، وذلك أن مَنْ كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذى فرض علينا سواء . . ." هذا إلى جانب ما ورد في ذلك من الأحاديث .

(2) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ٢٣٤ ط ٥ .

وأشهر صومهم وأقدمه : الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى ، وكان يصومه عيسى -عليهما السلام - ، والحواريون -رضى الله عنهم - . ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام منها : صوم عن اللحم ، وصوم عن البيض ، واللبن .

وكان الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود ، يأكلون فى اليوم والليلة مرة واحدة ، فغيروه ، وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار ..."(١)

إن مفهوم الصوم عند النصارى بهذا المعنى ، ابتدعه لهم رؤساؤهم فى مجامعهم التى كانوا يقررون فيها كل مايناسب ظروفهم وأحوالهم ، ويتمشى مع أهوائهم دون الالتفات إلى ماأراده الله ، وأنزله على رسله ، فقد "اخترع رؤساء النصارى فى مجامعهم "البهريز" وهوعبارة عن ترك أكل اللحوم الآ السمك بسائر أنواعه ، وأكل الزيت مع كافة المأكولات ، وشرب الماء والدخان والقهوة والخمرة ."(٢)

ولا نعلم أهمية التعبد بالبهريز وغيره من العبادات بعد أن صلب المسيح نفسه وصار لعنة لأجل غفران خطايا العالم كما يزعمون .

ويقول (صاحب الفارق) عند تعليقه على مفهوم الصوم هذا عند النصارى موجهاً كلامه لهم ، نافياً أن يكون مفهوم الصوم بهذا المعنى لديهم قد جاء ذكره فى التوراة والأناجيل لا تلميحا ولا تصريحا - يقول :

" والبهريز محض تلاعب وعبث بالدين ، وخروج عن امتثال أوامر ربّ العالمين

---

(١) تفسير المنار جـ٢ ص١٤٤ .

(٢) انظر / عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٤٦ .

الصريحة بالتوراة . ولم نر فى الأناجيل الأربعة لا صراحة، ولا إشارة أن الصوم بهذا المعنى الذى تعتاد ونه أيها المسيحيون ."(١)

ثم يقول ـ مدللا على أنهم متبعون فى شرائعهم لأهوائهم ، وظروفهم، ومايتمشى مع مصالحهم الشخصية دون مراعاة لشرع أنزل كما هو ديدنهم فى العقائد ـ يقول :

" قد جعل النصارى هذا البهريز فى زمن غلاء اللحم ، فكانوا أضحوكة العالم ."(٢)

ويشمل الصوم عند النصارى مايأتي :

صوم يوم الأربعاء : وهو يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على عيسى .

صوم يوم الجمعة : لأن المسيح صلب ـ فى زعمهم ـ يوم الجمعة .

صوم الميلاد : وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوما تنتهي بعيد الميلاد .

الصوم المقدس: وعدد أيامه خمسة وخمسون يوما هى عبارة عن الأربعين يوما التى صامها المسيح ، مضافا اليها اسبوعان : الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين، ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس.

الأسبوع الثانى : أسبوع الآلام ، ويأتي بعد الأربعين ، وينتهي بأحد القيامة.

صيام الرسل : وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف ، وتتراوح مدته بين خمسة عشر ، وتسعة وأربعين يوما .

صوم العذراء : ومدته خمسة عشر يوما تبدأ من أول شهر "مسرى"*(٣)

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص٤٦ .

* من الشهور القبطية القديمة وهو أول شهور فيضان النيل .

(٣) الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص٢٣ .

إن الصيام -كما ذكرنا - هو فرض عين على كل فرد ، وقد تعبّدت به كافة بنو اسرائيل وأنبياؤها ، وتعبّد به المسيح -عليه السلام - ، وسائر تلاميذه ، كما صرحت بذلك الأناجيل .(١)

والمسيح -عليه السلام - يعلم أن نفوس تلاميذه -كأي نفس بشرية - تأنف من صعوبة الصوم ، تلك الرياضة النورانية ، وأن أخلاقهم -بفعل الحرمان من الأكل والشرب واتيان النساء - تتحوّل من البشاشة الى العبوسة ؛ لذا قال لهم : " متى صمتم فلا تكونوا عابسين " (٢)

ويفهم من قول المسيح هذا ، أن الصيام كان على طبق ما هو محرر في التوراة ، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في مدة محدودة ، كما هو عند المسلمين .(٣)

ويقول (صاحب الفارق) :

" ولو كان الصوم عبارة عن ترك أكل اللحوم إلاّ السمك بسائر أنواعه ، وأكل الزيت مع كافة المأكولات ، وشرب الماء والدخان والقهوة والخمرة ، لم يكن هناك لزوم لأن يقول لهم : " لا تكونوا عابسين " ، لأن تلك الحالة لا تسمى صوما ، وليس فيها صعوبة تقضي عليهم بتغيير أخلاقهم ." (٤)

---

(١) أنظر انجيل متّى الاصحاح الرابع ، وانجيل لوقا : الاصحاح الرابع أيضا .

(٢) انجيل متّى ٦ : ١٦ .

(٣) أنظر عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٦ .

وماذكره (صاحب الفارق) آنفا من أن صوم اليهود كان امتناعا عن الأكل والشرب طوال الليل والنهار ، وماذكرناه سابقا عن (صاحب المنار) من أن اليهود كانوا لا يتناولون إلا وجبة واحدة في اليوم والليلة ، مطابق لما يذكره قاموس الكتاب المقدس عن صوم اليهود وأوائل المسيحيين قبل أن ينحرف النصارى عن ذلك الى تقرير أنواع من الصيام ، ليس فيها حرمان ولا انقطاع الا عن بعض أنواع الطعام والشراب .

يقول قاموس الكتاب المقدس - مقارنا بين صوم اليهود ، ومبيّنا مبتدعات النصارى وتحريفاتهم في هذا المقام - :

" لم يَرِدْ الصوم لفظاً في أسفار موسى الخمسة ، ولكن كان يوم واحد معيّن للصوم ، وهو يوم الكفارة [1] والى جانب هذا الصوم المفروض كان الصوم التطوعي ... وكان ينادى أحيانا بالصوم في أيام الشدة . وكان الغرض منه : إذلال النفس، والابتهال إلى الله . وأما صوم الجماعة فكان يعني أن وزر الخطيئة ملقى على كاهل الشعب كله ، وأنه يجب أن يذلل نفسه أمام الله .

وأما الصوم الحقيقي فلم يكن صوما خارجياً فحسب ، بل الإعراض عن الإثم ، واللذات المحرمة ، والاقبال على عمل الرحمة . [2] ....

وكان اليهود يحفظون أصوامهم بتقشف ، فكانوا ينقطعون عن الطعام غالبا من غروب الشمس الى الغروب التالي ، وكانوا يلبسون المسح على أجسادهم ، وينثرون الرماد على رؤوسهم ، ويتركون أيديهم غير مغسولة ، ورؤوسهم غير مدهونة .

---

(١) أنظر سفر اللاويين ١٦ : ٢٩ و ٢٣ : ٢٧ . وكذلك سفر العدد ٢٩ : ٧ . حيث قصد بتذليل النفس في هذه الفقرات : الصوم ، كما ذهب الى ذلك الكثيرون .

(٢) أنظر سفر اشعياء ، الاصحاح ٥٨ .

وكانوا يصرخون ويتضرعون ويبكون ، وكانت (حنّة) النبيّة تخدم الله في الصوم[١].

وكان الصوم في أيام ربنا (أي المسيح عليه السلام) مجاهدة روحية معتبرة . وكان الفريسيون يصومون يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع[٢] وكان في صومهم كبرياء ورياء، فوبخهم يسوع على ذلك[٣].

وما كان اليهود يصومون السبت ، ولا الأهلة ، ولا الأعياد الرئيسية . ولا شك أن ربنا (أي المسيح) حفظ الصوم بحسب الشريعة .

ولم يأتِ الكتاب (أي العهد الجديد) على ذكر تقيده (أي المسيح) بالأصوام التي سار عليها اليهود بعد السبي ، وأخبر عنها (زكريا)[٤] ولم يقل إنه أهملها ، ولكن تلاميذه لم يصوموا ما دام العريس معهم[٥] وإن كانوا أخذوا يصومون فيما بعد في مناسبات خاصة[٦].

وفي أعمال الرسل في الاصحاح الثالث عشر نرى البارزين في كنيسة أنطاكية من أنبياء ومعلمين ، يقررون لأنفسهم صوماً مشتركاً ، ويضعون بذلك أساس الصوم الجماعي ....."[٧]

---

(١) أنظر انجيل لوقا ٢ : ٣٧ .
(٢) " " " ١٨ : ١٢ .
(٣) " " متّى ٦ : ١٦-١٨ .
(٤) سفر زكريا ٨ : ١٩ .
(٥) انظر انجيل متّى ٩ : ١٤، ١٥ ، وانجيل مرقس ٢ : ١٨-٢٠ ، وانجيل لوقا ٥ : ٣٣-٣٥ .
(٦) أنظر أعمال الرسل ١٣ : ١ و ١٤ : ٢٣ .
(٧) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٥٦٣ .

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس في موضع آخر - ذاكرين الصوم الكبير عند النصارى ، ومعللين له -:

" صام موسى أربعين نهارا وأربعين ليلة على جبل سيناء ، كان خلالها يفاوض الله ، ويستعد لاقتبال الكلمات العشر . وبأمر الملاك سار ايليا الى جبل حوريب ، لا يأكل ولا يشرب أربعين نهارا وأربعين ليلة ، حتى تراءى الله له . ولما أصعد ربنا (أى عيسى عليه السلام) إلى البرية من الروح ليجرب من ابليس ، واجه تجربته بعد صوم أربعين نهارا ، وأربعين ليلة ، وبعده بدء اعلان بشارة الانجيل .

وقد أخذت بعض الكنائس من حياة السيد ورفيقيه في التجلي هذه الفترة الأربعينية ، وجعلت الصوم الأربعيني السابق لعيد الفصح قانونا ، وذلك في المجمع الخامس ثم في السادس المنعقد سنة (٦٨٢م) ."(١)

وسوف نرى إبطال ابن تيمية فيما بعد لمبتدعات النصارى في صيامهم .



(١) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٥٦٢ / ٥٦٣ .

الفصل الرابع



((الفصل الرابع))

◊

التعميد

◊◊

التعميد هو شعيرة من شعائر الديانة المسيحية ، وطقس من طقوسها ، وسرّ من أسرارها ، لا يقبل ايمان مسيحي مالم يأتِ بهذه الشعيرة .

وهو "لدى اليهود لا يعني أكثر من مجرد كونه غسل للجسد ، وكان النبي يحيى -عليه السلام- يعمّد الناس في نهر الأردن ، أي يغسّل أجسادهم ، ولذلك سمي يحيى المعمدان . أي يحيى المغسّل ."[1]

أما عند النصارى ، فإن مفهوم التعميد يختلف بعد أن أحلّوه محل الختان ، حيث أصبح مفهوم التعميد لديهم هو أنه ختم عهد النعمة ، وأنه يمحو الخطيئة الأصلية في النفس[2] ويمنحها الولادة الروحية الثانية الجديدة[3] . بمعنى أن الشخص قد مات عن الخطيئة ، وقام بحياة جديدة في المسيح يسوع .

---

(1) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص ١٦١ بتصرف .

(2) أنظر أعمال الرسل (٢ : ٣٨) قول بطرس : "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا . . ." .

(3) سأل (نيقوديموس) -أحد علماء الناموس في اسرائيل- المسيح قائلا له : "كيف يمكن للانسان أن يولد وهو شيخ . ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ فأجاب يسوع المسيح : الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ."
أنظر انجيل يوحنا ٣ : ٤-٥ .

ويقول (لويس برخوف) : "كان الختان يمارس بين الشعوب الأخرى كاجراء صحي ، لكنه أضحى بين الاسرائيليين فريضة عهد النعمة التي ترمز إلى نزع الخطيئة ..."(١) أي خطيئة آدم الأصلية .

ف"المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم ، وكلاهما علامة على العهد ."(٢) حيث إن "الختان الحقيقي (في رأي بولس) ليس بنزع جزء من جسد الانسان ، ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها ، وبالامتلاء بجدة الحياة وبقداسة الله ."(٣)

وللماء دوره الجوهري في المعمودية ، حيث إنه يرمز الى حقيقة الغسل أو التطهير من الخطيئة .(٤) وهو (أي الماء) مثل القبر ، ما يدفن فيه يجب أن يموت ، ولكن ما يطفو ويظهر يجب أن يكون حيا في القيامة .

وعليه فالمعمودية هي غمر من جانب ، وخروج من جانب آخر .(٥)

يؤكد ذلك (وليم باركلي) مفسر العهد الجديد حيث يقول :

"كان المعتمد يدفن في الماء دفنا كاملا ، اعلانا عن أنه قد قبر ومات مع المسيح ، ثم يخرج من الماء وقد قام مع المسيح ، وأصبح فيه خليقة جديدة ، وميلاداً

---

(١) قانون العقيدة المسيحية ص٣١ / ٣٢٣ نقلا عن د . دونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص١٤١ .

(٢) نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٣ .

(٣) وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص١٦٨ .

(٤) د . رونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص١٤٣ .

(٥) واتشمان ني / الذبيحة الحية / ترجمة وليم جندي ج١ص٢٣ / ٢٥ .

جديدا ."(١)

ويمارس التعميد باسم الثالوث كما جاء في وصية المسيح لتلاميذه :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس."(٢)

وللعماد من الناحية التاريخية ثلاث طرق هي : السكب والرش ، والتغطيس.(٣)

ورغم أن المسيحيين متفقون على أن المعنى الحقيقي للتعميد ليس في الطريقة التي يمارس بها ، بل في قبولهم في شركة الكنيسة ، واتحادهم بالمسيح (بالايمان والتوبة) مع مغفرة الخطايا والقيامة الروحية .(٤) إلا أن الأغلبية من المسيحيين يرون أن التغطيس هو الطريقة الوحيدة المواتمة للمعمودية ، ويستدلون على ذلك بما ورد في رسالة (بولس) إلى أهل رومية من الكلام عن الموت والقيامة بواسطة المعمودية :

" أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب ، هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة ؛ لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته ."(٥)

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص١٧٦ .

(٢) انجيل متّى ٢٨ : ١٩ .

(٣) د . رونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص١٤٥ .

(٤) علم اللاهوت النظامي / ج٣ ص١٠٧٤ .

(٥) ٦ : ٣-٥ .

وهذا القول ـ كما يذكرون ـ لا يكون له معنى حقيقي واضح إلا إذا مورست المعمودية بالتغطيس .

ومما يدل على أن التغطيس هو الطريقة الملائمة للمعمودية ما تعنيه كلمة التعميد (baptizo) فمعناها حرفيا : أن تنزل الى أسفل (أن تغوص) ، وعلى هذا الأساس فالتعميد بالتغطيس هو المستحسن .(١)

ويؤكد ذلك (حبيب جرجس) حيث يرى أن التعميد لا يكون إلا بالتغطيس أخذاً من أصل معنى الكلمة . فيقول :

" يتم (أي التعميد) بواسطة التغطيس في الماء ولا يمكن أن يتمّ بالرش، بل بانغمار الجسم كله في الماء ، اذ أن كلمة معمودية معناها في الأصل " صبغة " ، وصبغ الشيء لا يتم إلا بوضعه في السائل وغمره به ."(٢)

ويجري سرّ المعمودية على النحو الآتي :

" إن الذى يريد أن يدخل في دينهم أو يتوب منهم تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياما ، ثم يعلمونه ايمانهم ، ثم يغطسونه في ماء يغمره ـ مع الاختلاف في عدد الغطسات ، هل يغمس مرة واحدة أو اثنين أو ثلاثا ـ ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء ، ويضع يده على رأسه قائلا : أنا أعمدك يا فلان باسم الأب والابن والروح القدس . ومن لم يقبل هذه القاعدة يكون كافرا عندهم ."(٣)

---

(١) د . رونالد ديمارى / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) ترجمة شاكر سعيد ص٦٤ ، بتصرف .

(٢) المبادئ المسيحية جـ٢ ص١٠٦ ، ١٠٧ نقلا عن / عبدالله الترجمان الأندلسى / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . تقديم وتحقيق وتعليق . د.محمود على حماية ص٧٤ .

(٣) الامام القرافى / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص٢٢٣ =

" وحين خروج المعمّد من الماء يكون كما لوكان قد قام إلى حياة جديدة ، وأصبحت حياته القديمة ميتة ، وامتدت أمامه الحياة الجديدة . فطبيعته القديمة مضت وولّت ، وصار انسانا جديدا يحيا حياة جديدة .

وعلى الانسان المعمّد حينئذ أن يعتقد اعتقادا قويا بحياة وموت وقيامة يسوع المسيح ، حيث إن المعمودية للمسيحي بمثابة موت وقيامة ؛ لأنه آمن أن المسيح مات وقام ، ويجب أن يشترك هذا المسيحي المعمّد مع سيده وربه في هذا الاختبار ." (1)

وتأويل الغطسات - لمن قال بأنها يجب أن تكون ثلاث - اشارة الى مدة مكث المسيح - عليه السلام - في قبره ثلاثة أيام ، والخروج من الماء هو الخروج من القبر .

ومنهم من يقول : بل الغطسات الثلاث ، إشارة الى التثليث الذى يعتقدون. (2)

= بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق .
وأنظر كذلك الامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا جـ٤ص٤٠٣ .
وأنظر كذلك عبدالله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . تقديم وتحقيق وتعليق د . محمود على حماية ص٧٤-٧٦ .

(1) وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص١٦٨ بتصرف .

(2) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص٢٢٣ .
وانظر كذلك : الامام القرطبي : الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا جـ٤ ص٤٠٣ .

ورغم أن التعميد ليس له أصل في التوراة إلا أن النصارى يعتقدون بأنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتعميد في الماء، بل ويبالغون في ذلك فيقولون :

"إن كل من يموت بغير تعميد - حتى الرضّع من الأطفال - مصيره جهنم حيث يصلىٰ عذاباً لا ينتهي ."(١)

ومستندهم في هذه الشعيرة ماكتب في الانجيل، وكافة أسفار العهد الجديد من أن (يوحنا) عمد المسيح - عليه السلام - بوادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء.(٢)

ورؤساء الكنائس جعلوا التعميد من أهم وظائفهم الملية تقليداً لتعميد المسيح - عليه السلام - ويقولون إن المسيح - عليه السلام - قال للحواريين :

"إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس"(٣) وزعموا أن بطرس عمّد ثلاثة آلاف رجل، وقال لهم : "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا"(٤) وقول (مرقس) : "من آمن واعتمد خلص"(٥)

فالتعميد لا يقصد منه لدى المسيحيين سوى التطهير، ونوال عهد النعمة، لكن بولس قصد به معنى آخر ألا وهو الاتحاد بالمسيح، حيث يقول : "أما أنتم الذين عمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح ."(٦)

---

(١) أنظر الأستاذ / احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ٣ ص١٩٠.
(٢) أنظر انجيل متّى ٣ : ١٣-١٧، وانجيل مرقس ١ : ٩-١١، وانجيل لوقا ٣ : ٢١-٢٢، وانجيل يوحنا ١ : ٣٢.
(٣) انجيل متّى ٢٨ : ١٩.
(٤) سفر أعمال الرسل ٢ : ٣٨.
(٥) ١٦ : ١٦.
(٦) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ٢٧.

" فبالتعميد يرتدي المسيحي المسيح ،كما يرتدي اللباس المقدس المنجي ، وهو ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر ،أو في الماء التعميد ، فـإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث - تماما كما يخرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاثة - أيقن بأنه سوف يمجد يوماً ،إن أراد الله له ذلك ،كما مجد المسيح ."[1]

" والمسيحي الذي قبل سر المعمودية عليه أن يكون أمينا على نعمة الله التي اقتبلها ،وأن يقوم بموجبات المعمودية ، ومقتضياتها ،وأن يكون رسولا في المجتمع الانساني ، يقيه الفساد ،ويبث فيه ذوق وطعم الحياة الأبدية ."[2]

و "إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جداً ، فقد كـان شائعا في آسيا وأمريكا ، وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث في الهيكل المدعو " هيكل الصليب " بصب الماء من إبريق ، وكانوا يدعون مـاء العمادة : ماء الولادة الثانية ."[3]

والواقع أن التعميد المسيحي - في جوهره - بكل حقائقه وطقوسه ، مأخـوذ عن الديانات الوثنية ، وليس منه شئ إلا وهو في هذه الديانات .[4]

ولو تتبعنا شعيرة العمادة في الديانات الوثنية القديمة ،لوجدناها هـي بعينها العمادة في الديانة المسيحية الحالية من حيث المفهوم . فهي لدى الرومان

---

(١) شارل جنيبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص١١٠ .

(٢) الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه)ص٣٠٦ .

(٣) الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٢٨ .

(٤) الأستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ٣ ص١٩٥ .

تعني إزالة الخطايا كما تعنيه عند المسيحيين الآن[1] " حيث كان الرومان الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء، ويعتقدون أن المعادة واسطة لإزالة الخطايا ."[2]

وهي كذلك عند المكسيكيين تعني : غفران الذنوب ، كما تعني الولادة الثانية، وهي نفس ما تعنيه لدى النصارى اليوم . قال (بريسكويت) :

" كان المسيكيون يعمدون أولادهم بدهن أفواههم ، وصدورهم ، بمـــاء، ويتوسلون بآلهتهم كي تسمح وتأذن لنقط الماء أن تزيل الخطيئة التي لحقت بالطفل قبل تكوين العالم لكي يولد الولادة الثانية بالمعادة ، وعند المعادة يدعـــون أهل الطفل ، وأقاربه ، وأصدقائهم لحضورها ."[3]

كما " كان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينيـة الابتدائية ، ويرسمون على جبين المعمّد علامة الصليب المقدس."[4]

وقد عقد مؤلف كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) مقارنـــة بين تعميد (بوذا) حسبما جاء في كتب اتباعه ، وبين تعميد المسيح حسبمـــا صرحت به الأناجيل ، فكان التشابه واضحا بينهما حتى إنهما يتطابقان تمـــام

---

(١) يقول حنانيا لبولس : " قم واعتمد ، وأغسل خطاياك داعيا باسم الرب " انظـر أعمال الرسل ٢٢ : ١٦ .

(٢) دوان / خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ص٣٢٠ نقلاً عـــن الأستاذ محمد طاهر التنير العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٢٧ .

(٣) تاريخ فتح المكسيك . نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائـــد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٢٨ دون أن يشير الى الصفحة التي أخـــذ منها النص .

(٤) المرجع السابق ص١٢٦-١٢٧ .

تمام التطابق .[1]

ليس هذا فحسب بل نجد "عند البرهميين ، عادة دينية قديمة تشابه ما يعمله الفرس والمصريون واليونانيون والرومانيون القدماء ، وهذه هي العمادة بعينها ، وحين إجرائها يصلّون ويتوسلون للشمس ، ومن بعد قَسَم الأيمان المغلظة والنظافة على جسده ، يرشونه بالماء ثلاث مرات ، ويخاطبونه بما يوافق المقام ، ويعدون الرش بالماء (الخَلْق الجديد) ويلبسونه ثوبا خصوصيا وإكليلا ، ويرسمون على جبينه صليبا ، ويضعون على صدره صليبا من شكل صلبان (تَوْ) ، ويسلمونه السرّ وهو كلمة (أوم) .

وأما إذا كان المعمّد طفلا فيأخذه الكاهن البرهمي ويدعونه : (كورو) أي راعي ، ويلطّخه بالوحل ، ثم يغمسه بالماء ثلاث مرات وعند تغطيسه يقول : "يا أيها الرب العظيم ، إن هذا الطفل خاطئ تلطّخ بالخطيئة ، كتلطّخه من وحل هذه القناة ، فكما أن الماء ينظفه من الوحل ، طهره وخلصه من الخطيئة . ويعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا مهما تكن ، ويسمون الكهنة الذين يقومون على حافتيْ الأنهار لأجل عمادة الطالبين : أبناء الشمس ."[2]

وكان "الفرس القدماء يأخذون أولادهم الى الهياكل بعد الولادة ببضع أيام ، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس . والنار هي الرمز عن الشمس . فيغمسه بإناء مملوء ماء ، ثم يسمونه بما يودون من الأسماء ."[3]

---

(١) الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٥٣ .
وقد ذكرت هذه المقارنة في فصل روح القدس ص ٤٧٥ من هذه الرسالة مما لا حاجة لاعادتها هنا .

(٢) أنظر المرجع السابق ص١٢٥ / ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص١٢٦ .

ويظهر أن المعمودية بمفهوم المسيحية جاءت إليها من أهل فارس الذين قبل الرومانيون تعاليمهم قبل المسيح بمقدار (٦٨ سنة) بواسطة بعض لصوص البحر . . . فنشروا أفكارهم في سائر أنحاء الامبراطورية .(١)

وكانت أول معمودية مسيحية في يوم الخمسين بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح القدس والنار .* (٢)

هذه هي أصول شعيرة التعميد لدى النصارى . وقد سبق منا القول : إن المعمودية ـ عند النصارى ـ ظاهرة المستند ، حيث أسندوها للنبيين ، بتعميد (يوحنا) المعمدان ـ وهو نبي ـ لعيسى عليه السلام ـ ، كما أسندوها للحواريين ، حيث كلّف المسيح الحواريين ـ على زعمهم أن يعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس .

نقلنا أدلتهم ونحن نعلم ما نعلمه من عدم صحة الاستشهاد بكتبهم ، لما ثبت من تحريفها ، وتبديلها حسبما تمليه عليهم أهواؤهم ، ورغباتهم ، لكن مع ذلك نقول لهم :

إن تعميد (يوحنا) للمسيح ـ حسب روايات الأناجيل ـ هو من أقوى الأدلة

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص٦٣ .

* أنظر انجيل متّى ٣ : ١١ ، وانجيل مرقس ١ : ٧-٨ ، وانجيل لوقا ٣ : ١٦ ، وانجيل يوحنا ١ : ٣٢ .

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٦٣٧ .

على " إقرار المسيح بالعبودية لمولاه ، فلو كان إلهاً -كما يزعمون - لما تعمّد من يوحنا ، وهو الخالق ليوحنا وفعله ، فهل يعقل أن يستكمل البر الذى هو التعميد من رسوله ومخلوقه (يوحنا) ؟ ! فالقول بهذا من سفه الرأي ." (١)

ونسأل النصارى :

هل كان عيسى -عليه السلام- قبل التعميد مقدسا أم لا ؟

فإن قلتم : كان مقدسا ، فلا أثر لتعميده ، ولأي شئ لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد ؟ وأنتم تقولون : لما عمده يوحنا نزل عليه روح القدس مثل حمامة بيضاء .

وان قلتم : إنه كان غير مقدس ، فكيف تعتقدون أن من ليس بمقدس إلها ، أو ابن إله؟ وأنتم تزعمون بجهلكم وعلى اختلاف فرقكم أن لاهوته اتحد بناسوته وهو في بطن أمه . فكيف يتحد اللاهوت بمن ليس بمقدس؟ وهل هذا كله إلا هذيان وضرب من الخذلان ؟ . (٢)

وحول الوصية التى بلغها عيسى لتلاميذه -على زعمهم- "عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس" - هذه الوصية جاءت فى حق عيسى -عليه السلام- بعد قتله وصلبه -كما يزعمون -أى أنها رؤيا عنه ، ولم ترد عنه وقت حياته إلى تلاميذه ، فهى من قبيل الرؤى والأحلام ، مما يدعو الى الشك وعدم الاطمئنان

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٤ .

(٢) الامام القرافى / الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة ص٢٢٣/٢٢٤ وانظر كذلك الامام القرطبى / الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا ج٤ ص٤٠٤/٤٠٥ .

إليها فضلاً عن عدم الثقة بصحة كتبهم [1] -كما ذكرنا من قبل .

أما النصوص التي استشهدوا بها من رسائل بولس على فريضة المعمودية ، فنقول لهم : وهل غير بولس أبدل المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله بالمسيحية البولسية الهلينيستية . ورغم ذلك فقد قال بولس مرة : "أشكر الله اني لم أعمد أحدا منكم إلا كريسبس وغايس ." [2] وقال أيضا : إن "المسيح لم يرسلني لأعمّد بل لأبشر ". [3]

" فلو كان التعميد فريضة وشعيرة دينية صحيحة لما شكر الله على عدم اجرائه العماد فيما بين الكورنثيين ، ولما فضّل المسيح التبشير على العماد ." [4]

ويرى الامام القرطبي في إعلامه يلزم النصارى في اعتقادهم بفرضية التعميد بإلزامات لا يجد النصارى لأنفسهم منها مخرجا إلا الإقرار بالتحريف،واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير . فيقول :

" لو سلمنا -جدلا -صحة مانقلتموه من نصوص بشأن المعمودية ، وسلمنا لكم بالتالي عموم مشروعيتها -كما تزعمون - فلِمَ زدتم العدد ، ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه ، ولم ينقل ذلك عن من تقدّم ،ولِمَ تكفّرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره .

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٦٢ .

(٢) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ١٤ .

(٣) " " " " " ١ : ١٧ .

(٤) علم اللاهوت النظامى جـ٣ ص١٠٨٤ .

ثم إن هذا الماء الذى تعمدون فيه ، هل هو مقدس أم لا ؟ فإن قلتم : مقدس فمن قدسه ؟ وإن ادعيتم أن الله قدسه ، فما الدليل على ذلك ؟ فلعله نجّسه .

أما إن قلتم : نحن قدسناه ، قلنا لكم : من أنتم حتى تقدسون المياه؟ وما الدليل على أهليتكم لذلك ، " فليت الفجل يهضم نفسه "*

ثم نقول لكم : لِمَ خصصتم المعمودية بالماء ، ولم تجعلوها بالبول ، فإنه ليس بنجس عندكم ، وهو والماء سواء؟ (١)

ولم يكتفِ المرجفون والذين فى قلوبهم مرض مما ادعوه من أدلة على وجود التعميد كفريضة مقدسة فى العهد الجديد ، مستبدلة بالختان المقرر فى العهد القديم ، وأنه ـ أى التعميد ـ وسيلة للخلاص ـ لم يكتفوا بذلك ، بل قرروه فى مجامعهم أيضا ، حيث جاء فى عقيدة إيمانهم مانصه :

" ... ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا ... "

---

* كان أحد الظرفاء يشكو عسر هضم مستديم ، فوصف له أحد الأطباء الفجل يأكله بعد كل وجبة ، فأكل كمية كبيرة منه فأصيب بتلبك فى المعدة ، وانتفاخ فى الأمعاء ، فذهب الى الطبيب وهو يتلوى من الألم ، فقال له الطبيب : ألم أنصحك بتناول الفجل بعد كل وجبة . فقال له : ليت الفجل يهضم نفسه . أنظر ابراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص٦٦ .

(١) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام / تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا جـ٤ ص٤٠ .

وأنظر كذلك الامام القرافى / الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة ص٢٢٣ / ٢٢٤ . بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق .

وهذا معناه : أن أساس التعميد عندهم هو : غفران الذنوب . وهو مناقضة عظيمة لأصولهم . وذلك لأن اعتقاد النصارى أنه لا تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح ! ولذلك سموه "حَمَل الله" الذى يحمل الخطايا ، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة .

فإذا آمنوا بأن المعمودية (الواحدة) هى التى تغفر خطاياهم ، وتخلصهم من ذنوبهم ، فقد صرّحوا بأنه لا حاجة الى قتل المسيح ، لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة .

وان كان التعميد كافياً فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث . وان كانت لا تحصل إلّا بقتله فقد تناقضت الأمانة ، وكذبت دعوى المغفرة بالتعميد إذ كان لا بدّ من القتل .)[1]

أمّا من ناحية ادعاؤهم أن التعميد هو وسيلة للخلاص والتجديد . فليس هذا محل اتفاق بينهم ، بل أنّا رأينا من المسيحيين أنفسهم من يقرّ بأن المعمودية لا تتجاوز الرسوم الخارجية لها من غسل الجسد وتطهيره فقط . وينكرون أن تكون هى سبيل للخلاص ، أو أنها واسطة فى الميلاد الثانى والتجديد .

ف"الانجيليون ينكرون أن تكون المعمودية واسطة فعّالة فى إيصال النعمة الإلٰهية الى قلب المعمود ، ويقولون : ان المعمودية علامة خارجية مستقلة ، وانها مطلوبة أبداً عند دخول المعمود البالغ جهاراً فى كنيسة المسيح . على أنه لا بدّ من الأدلة الكافية على دخوله روحيا بالتجديد والايمان الى شركة تلك الكنيسة ."[2]

---

(١) الامام المسعودى / المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ص٩٣ (مخطوطة) .

(٢) علم اللاهوت النظامى / جـ٣ ص١٠٧٨ .

ونحن نقول : لم تخلُ كافة الأديان من هذه الطقوس ،بل إن الاسلام الذى جاء بعد المسيحية بقرون عدة تضمنت أحكامه الكثير عن الطهارة من وضوء وغسل .. الى آخره ، ولكنها لا تغني بمجردذاتها في مغفرة الخطايا ، وخروج الانسان من الكفر إلى الايمان ،بل لابدّ فيها من النيّة والاعتقاد والعمل .

وقد قام مؤلّف كتاب (علم اللاهوت النظامى) - وهو مؤلّف مسيحي - بسرد عدة أدلة على بطلان القول بأن التجديد والخلاص يتم بالمعمودية . من هذه الأدلة :

" (١) إن الكتاب يعلّم فى كل موضع أن الشرط الوحيد الضرورى للخلاص هو الايمان بالمسيح . وهذا برهان واضح على نقض التعليم بلزوم المعمودية لأجل التجديد والخلاص . قال المسيح : " وكما رفع موسى الحيّة فى البرية ، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية ؛ لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ." (١)

وقال : " هذه هي مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" (٢)

وقال : " مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت الى الأبد ." (٣) وغيرها كثير .

فهذه هى أقوال المسيح ، وأقوال الانجيل الذى بشر به الرسل حيثما ذهبوا يقولهم لكل خاطئ صادفوه : "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص" (٤)

---

(١) انجيل يوحنا ٣ : ١٤-١٦ .
(٢) انجيل يوحنا ٦ : ٤٠ .
(٣) انجيل يوحنا ١١ : ٢٥، ٢٦ .
(٤) سفر أعمال الرسل ١٦ : ٣١ .

"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله ... من هو الذى يغلب العالم الا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله ." (١)

(٢) إنه يشترط فى عماد البالغين : الايمان والتوبة . وعلى ذلك لا يمكن أن تكون المعمودية واسطة للخلاص أو لايصال فوائد الفداء الروحية الى نفوس البشر ، لأن الايمان والتوبة هما بموجب الكتاب : أثمار التجديد .

فمن تاب الى الله مؤمنا بالرب يسوع فهو فى حالة الخلاص وان لم يعتمد فى الحال ، ولذلك هو فى حالة التجديد . ويلزم من ذلك أن التجديد يجب أن يسبق المعمودية ولا يصح بموجب ترتيب الله أن ينشأ عنها .

(٣) إن البابويين ومن جاراهم قد ضلّوا حين علموا أنه لا يمكن أن يخلص أحد بدون معمودية طفلاً كان أو بالغا ولا يخفى أن تعليم التجديد بالمعمودية الذى يعلمه البابويون وغيرهم يغيّر كل صورة الديانة ؛ لأنه يجعل الطقوس الخارجية شروطا للخلاص ومجاري تجري فيها فوائد الفداء الى نفوس البشر ويقطع رجاء السماء عن الذين هم خارج الكنيسة البابوية - وان كانوا من أهل الايمان الانجيلي والمعيشة المقدسة - وعن الأطفال غير المعتمدين مطلقا .

(٤) إذا صحب المعمودية فى كل الأحوال تجديد النفس ينتج أن جميع المعتمدين يخلصون ، لكن ليس فى المعتمدين جميعا علامات الخلاص. فإن العماد والخلاص ليسا بمعنى واحد ، ولذلك التجديد ليس بالمعمودية .

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٥ ، ١ .

(٥) إن جمهوراً من المعتمدين لا يظهر فرق بينهم وبين غير المعتمدين، فسكان أوربا وأصحاب الديانة النصرانية بالاجمال معتمدون ، ولكنهم ليسوا جميعا متجددين ....

فتعليق التجديد بالمعمودية يناقضه الواقع ؛ لأن المعتمدين اعتمادا جسديا فقط يبقون بدون تغيير في قلوبهم وحياتهم .

(٦) وإن صح أن الولادة الروحية تتوقف على المعمودية عجبنا من قلة ايضاح هذا الأمر المهم الجوهري في الأسفار المقدسة ؛ لأن الاشارات إلى المعمودية نادرة في رسائل العهد الجديد حتى إنه لم تذكر المعمودية قط في ثلاث عشرة من الرسائل ...

والحق - كما يقول مؤلف الكتاب - أن المعمودية رسم خارجي والتجديد ولادة روحية لا يتم إلا بروح الله الذي يعمل حيث يشاء ولم يربط عمله الشريف في الميلاد الثاني بعمل عرضي خارجي مثل وضع الماء في المعاد الذي إنما يتم بيد بشرية أو لم يتم قط لحدوث مانع من الموانع."(١)

وسوف نرى في الفصل الأخير من هذا الباب موقف ابن تيمية من شعيرة المعمودية .



---

(١) المؤلف مجهول الاسم / جـ ٣ ص ١٠٧٨ / ١٠٨٤ بتصرف .

الفصل الخامس



((الفصل الخامس))

◊

" العشاء الربانـــــــي "

◊◊

كان لدى اليهود عيد يسمى عيد الفصح[1] ، وذلك بسبب خروجهم من مصر ، وخلاصهم من نير العبودية لفرعون . وقد أمرهم الرب بذلك كفريضة أبدية بنـــص التوراة ، فجاء في سفر التثنية - خطاباً من الله لموسى -:

" احفظ شهر أبيب[2] واعمل فصحا للرب الهك ؛ لأنه في شهر أبيب أخرجــك الرب الهك من مصر ليلا ، فتذبح الفصح للرب إلهك غنما وبقرا في المكان الـــذي يختاره الرب ليحل اسمه فيه . . . . تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس في ميعـاد خروجك من مصر . "[3] و " تحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية . "[4]

وكانت أمنية كل يهودي أن يأكل الفصح ولو مرة واحدة في أورشليم قبـــل أن يموت .

وكان اليهود يهتمون كثيرا بعيد الفصح " حيث يرتفع فيه الاحساس بالقومية وبالنجاة في آن واحد ، إذ يذكر اليهود كيف أن الرب خلّص آباءهم من يد فرعـــون ، وكانوا يودون أن يتخلصوا من ظلم الرومان ، لكن الحاكم الروماني يأتي من قيصريـــة عاصمة حكمه الى أورشليم ، ومعه بضعة كتائب من الجيش الروماني ، ويعسكـــرون في قلعة انطونيو المشرفة على الهيكل ، وبذلك يستطيع أن يحفظ صمام الأمـــن

---

(١) معنى الفصح : الاجتياز والعبور . أنظر ص ٦٧٢ من هذه الرسالة .

(٢) هو شهر نيسان (أبريل) .

(٣) الاصحاح السادس عشر / الفقرات ١ ، ٢ ، ٦ .

(٤) سفر الخروج ١٢ : ١٧ .

من الافلات ." (١)

ولم يكن يتجاوز الفصح تقديم خروف أو جدي ذبيحة للرب ، لكن وكعادة اليهود في التحريف والتبديل لشرائع الله تطور الأمر لديهم في ذلك ، فـ "أضافوا الى فريضة الفصح أربعة من كؤوس الخمر ،يديرها رأس العائلة بالتتابع ممزوجة بالماء . . ." (٢)

ثم صار الفصح ـ كما جاء في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ـ هو "الذبيحة عيسى بن مريم "عليه السلام . يقول بولس :

"إذاً نقّوا منكم الخميرة العتيقة ، لكي تكونوا عجينا جديدا ،كما أنتم فطير ؛ لأن فصحنا أيضا المسيح ،قد ذبح لأجلنا ." (٣) فلا غنم ولا بقر بل المسيح هو الذبيحة وهو القربان المقدس .

وكنتيجة طبيعية لصلب المسيح ـ كما يزعمون ـ وتقديمه نفسه ذبيحة كفارة عن البشر وأوزارهم استعاضوا عن عشاء الفصح بما يسمونه (العشاء الرباني) وهو عبارة عن الخبز والخمر ، حيث يستحيل كل منهما الى دم المسيح ولحمه ـ كما يزعمون ـ فيتحد المسيحي بالمسيح ، ولعل ذلك لغلاء الأنعام وارتفاع أثمانها ولا شك أنهم ضموا الى جرأتهم على الله ، وافترائهم على رسله صفة البخل .

ويرمز العشاء الرباني لدى النصارى الى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه ، حيث اقتسم معهم الخبز والخمر،وهو أهم عمل في الطقوس المسيحية ، ويسمى

---

(١) وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) ص٣٢٦ .

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٩ .

(٣) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ٥ : ٧ .

القربان المقدس . " وقد أجمعت الكنائس على أن هذا السر فريضة الهية واجبة على الدوام . . . . كما أجمعت على أن المؤمنين يتحدون في العشاء الرباني بالمسيح . . . "(١)

ويزعم النصارى أن المسيح قد فرض لهم هذه الفريضة في ليلة صلبه - كما يدعون - ، وهو يشير الى موته كما يشير الى مجيئه وعودته .

وفي ذلك يقول صاحب كتاب (الأصول والفروع) :

" هو (أي العشاء الرباني) فريضة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها ، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر ، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز ، وقليلا من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكارا لموته . "(٢)

ويقول أيضا : " وكما يشير العشاء الرباني الى موت المسيح يشير الى مجيئه الثاني أيضا ، فيكون تذكارا للماضي والمستقبل "(٣) وذلك استنادا الى ما جاء في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس من قوله :

"إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر ، فكسّر وقال: خذوا وكلوا ، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى . وكذلك أعطاهم قليلا من الخمر ، وقال : خذوا واشربوا هذا هو دمي المسفوك لأجلكم ، وانكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذا الكأس ، تخبرون بموت الرب حتى يعود" .(٤)

---

(١) علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١٠٩٠ ، ص ١٠٩٦ .

(٢) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٥ ط ٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ٢٣ : ٢٦ .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذه الشعيرة ما يأتي :

"عشاء الرب : ويقصد به الفريضة التي أسسها السيد يسوع ليلة آلامه قبيل ذهابه الى بستان جثسيماني، حيث أسلم ليصلب ، وتسمى هذه الفريضة بالافخارستيا ، وهي كلمة يونانية معناها : شكر ،أو الشكر، أو الشركة ،أو شركة جسد الرب ودمه أو العشاء الرباني أو مائدة الرب أو وليمة ..." (1)

ويستند المسيحيون في شعيرة العشاء الرباني الى روايات شتى وردت في العهد القديم والجديد والى فعل الحواريين .

أمّا أدلتهم من العهد القديم فهي مافعله (ملكي صادق)*، حيث إنه أول من قرب القربان من الخبز والخمر، كما جاء في سفر التكوين :

" وملكي صادق ، ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العليّ ." (2)

وحكى (داود) في مزاميره من خبر (ملكي صادق) ، إذ بشر بالمسيح، وأنزله منزلته ، وأحله محله ، وجعله قسا الى الأبد . فقال :

"أقسم الرب ولن يندم ، أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكي صادق" (3)

واذا جئنا الى العهد الجديد ، نجدهم يستدلون على فرضية العشاء الرباني بما جاء في انجيل (متّى ، ومرقس ، ولوقا) ، مما يدل على اقرار المسيح لهذه الشعيرة ، وتقريره لها كما يزعمون .

وممّا جاء في انجيل (متّى) حول هذه الشعيرة قوله :

" وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ ، وقال :

---

(1) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٣٩٦ .

* ملكي صادق : اسم سامي ، معناه : ملك البر، وهو ملك شاليم أي أورشليم . أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص٩٢٢ .

(2) ١٤ : ١٨ .

(3) مزمور ١١٠ : ٤ . وجاء في الرسالة الى العبرانيين : "حيثما دخل يسوع كسابق لأجلنا ، صائرا على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة الى الأبد ." ٦ : ٢٠
وجاء فيها أيضا : " ... لأنه يشهد أنك كاهن الى الأبد على رتبة ملكي صادق" ٧ : ١٧ .

خذوا ،كلوا ،هذا هوجسدي . وأخذ الكأس ،وشكر، وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ؛ لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد ،الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . . . "(١)

ولمفسري انجيل (متّى) تعليق على هذا النص ، حيث يقولون :

" . . . هكذا المسيح هنا أبدل شركة خروف الفصح فى العهد القديم برمزها بالشركة المقدسة كما رسمها هو مستعملا نفس العبارات التى كان اليهود يستعملونها عند أكلهم خروف الفصح .

إن سيدنا لم يأخذ لحم خروف الفصح ويستعمله كأنه بديل عنه ،أو رمزله . هذا كان يؤكل أولاً حسب الناموس ، إذ قد جاء "ليكمل كل بر" ، بل كان مدققاً فى الأمر ،وإلاّ كان يلزم استخدام ذبائح الفصح حرفيا تحت نظام العهد الجديد ، لكن ذبيحة شخصه أبطلت هذا إلى الأبد .

ولذا هوأخذ خبزا دعاه جسده ،أي إشارة الى جسده المقدم من أجلنا ، معطيا لنا بصراحة الفكرة الأساسية عن طبيعة الذبيحة التى قدمها بموته ، كأنه لحم حمل الفصح ،الرمز الذى أتمّه بشخصه فى موته مرة واحدة ."(٢)

أمّا رواية انجيل (مرقس) عن العشاء الرباني فهى كمايلى :

" وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك ، وكسّر وأعطاهم ، وقال : خذوا ، كلوا ،هذا هوجسدي . ثم أخذ الكأس ، وشكر ، وأعطاهم فشربوا منها كلهم ، وقال لهم : هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين ..."(٣)

ويتساءل مفسر انجيل (مرقس) -عند تفسيره لهذه الآيات - فيقول :

" ماذا كان يقصد عيسى عندما ذكرأن الكأس هوللعهد الجديد بدمه؟"

---

(١) ٢٦ : ٢٦-٢٨ .
(٢) لمجموعة من أشهر مفسرى الكتاب المقدس ص٢٧٢/ ٢٧٣ .
(٣) ١٤ : ٢٢-٢٤ .

ويجيب : إن العهد عنصر مهم من عناصر الديانة اليهودية . فأســـاس هذه الديانة هو أن الله دخل في عهد مع هذا الشعب عند جبل سيناء ، أي دخل في صلة وعلاقة معهم (١)، ولقد كان جوهر هذا العهد مبنيا على الشريعة وحفظها ، فإن حفظ الاسرائيليون الشريعة ، فانهم يبقون في عهدهم مع الرب ، أمـــا إذا كسروها ، فهم قد نقضوا العهود ، ولم يأتِ يوم فيه أتم اليهود شريعة إلههـــم فأدانهم الرب . . . إنهم شعب صلب الرقبة . وهنا يأتي يسوع ، ويقول لتلاميذه : " اني أدخل معكم في عهد آخر . . . عهد جديد ، صلة جديدة ، لا تبنى علـــى الشريعة ، ولكن على دمي . . . ولأن دمي يعبّر عن المحبة فهذا العهد هـــو عهد الحب . "

فهذه الصلة الجديدة هي صلة الحب لا الناموس ، وأضحى الناس أحرارا من الناموس ، وصاروا في حماية محبة الله العميقة . هذا هو الجوهر الذي لا يخطئه العقل في عمل يسوع . " (٢)

أما (لوقا) فقد روى في انجيله عن العشاء الرباني مانصه :

" ثم تناول كأسا ، وشكر ، وقال : خذوا هذه واقتسموها بينكم ، لأنـــي أقول لكم : اني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ، وأخذ خبزا ، وشكر ، وكسّر ، وأعطاهم قائلا : هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ، اصنعوا هذا لذكرى . وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء ، قائلا : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمـــي الذي يسفك عنكم . . " (٣)

---

(١) سفر الخروج ٢٤ : ٣-٨ .
(٢) وليم باركلـــي / ص ٣٩٤
(٣) ٢٢ : ١٧ - ٢١

ويقول مفسّر انجيل (لوقا) تعليقا على هذا النص:

"إن الفصح لم يكن إلاّ مجرد رمز يشير الى حقيقة موته على الصليب."(١) ثم يقول :

" والتعبير "بعد العشاء " يرينا أن الرب رسم شيئا جديدا يختلف عما كان في عشاء الفصح ، وليس له علاقة بكأس الفصح . وهذا التحديد الذى نراه في انجيل (لوقا) ، لا نراه في الأناجيل الأخرى ، إذ يوضح البشير هنا أن هذا الشيء الجديد ينبغي عمله لذكرى الرب ."(٢)

والعجيب أن يوحنا قد أهمل ذكر بدعة "العشاء الرباني" وهو الحواري الحبيب ، وكان حاضرا ليلة العشاء الأخير مع عيسى -عليه السلام- كما تذكر ذلك كتبهم . ويعلل ذلك مفسر (تحفة الجيل) الدكتور / يوسف الدبس الخورى : بأن يوحنا قد فعل ذلك "اكتفاء بذكر باقي الانجليين له ."(٣)

أما المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد ، فإنهم يقدمون تبريراً آخر لعدم سرد (يوحنا) لتأسيس القربان المقدس ، فيقولون :

"إن (يوحنا) عموما ، لا يكنّ أى اهتمام ازاء تقاليد ومؤسسات اسرائيل القديمة ، وربما كان هذا هو الذى جعله يحيد عن الاشارة إلي تأصّل القربان المقدس في طقوس عيد الفصح ."(٤)

ويقول (موريس بوكاى) تعليقا على هذا التبرير :

"كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية

---

(١) هلال أمين موسى ص٣٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص٣٢٥ .

(٣) نقلا عن عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٠٩ .

(٤) نقلا عن / موريس بوكاى / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٢٠ .

هو الذى قاد (يوحنا) إلى أن لا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسي في طقوس الدين الجديد ؟ ! " [(١)].

وهى مشكلة تحرج المفسرين اللاهوتيين . . . وستظل [(٢)].

والواقع أننا أمام فرضين :

إمّا أن تكون قصة العشاء الرباني صحيحة ،كما ترويها الأناجيل الأخرى فيكون كاتب انجيل (يوحنا) ليس هو (يوحنا) الحواري . وإما أن يكون كاتب الانجيل هو (يوحنا) الحواري فيكون عدم كتابته لقصة العشاء الرباني دليلا على أنها قصة غير حقيقية ، بل أمراً ابتدعه الانجيليون الآخرون ،وإلاّ فكيف لا يذكر حواري عيسى أمرا خطيرا كهذا شهده مع بقية الحواريين كما يقولون .

وهذا يتأكد لنا عند الحديث عن الجذور الحقيقية لهذه الشعيرة وبيان فسادها ومناقضاتها -كما سيأتي-:

أمّا ما يستدل به النصارى من فعل الحواريين لفريضة العشاء الرباني فهو - زعمهم -أن الحواريين فرضوا هذا القربان ، لأجل فعل ملكي صادق ،ولأن عيسى قال : " من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيه" [(٣)]

وقد كان هناك اختلاف بين الفرق المسيحية حول هذه الشعيرة ، وهل يجب أن تكون بالخبز دون ماسواه أو أن يستبدل الخبز بالفطائر فنرى أن " الكنيسة الشرقية توجب استخدام الخبز في العشاء الرباني تقيداً بحرفية النص [(٤)] الوارد في

---

(١) موريس بوكاى / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٢٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انجيل يوحنا ٦ : ٥٦ .

(٤) المراد ما ورد في انجيل (متّى) ٢٦ : ٢٦-٢٨ ، وانجيل مرقس١٤ : ٢٢-٢٤ وانجيل لوقا ٢٢ : ١٧-٢١ . انظر ص ٧٦٥-٧٦٧ من هذه الرسالة ؛ حيث أتينا بها كأدلة لهم .

انجيل (متّى) ، والتى أقرها مجمعي (ترنت) المنعقدين سنة ١٥٤٥ ، ١٥٦٣م أما الكنيسة الغربية فتبيح استبدال الفطائر بالخبز."(١)

وينص قرار مجمعي (ترنت) المذكورين على مايأتى :

" قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولا هوته تحت أعراض الخبز والخمر . . . ؛ لأن يسوع المسيح هو بكاله تحت شكل الخبز ، وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ،كما أنه هو أيضا تحت شكل الخمر ، وجميع أجزائه .

وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا جازما بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا ،وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه . . ."(٢)

والواقع أن "العشاء الرباني هو عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية، ويطلق عليه : التناول ."(٣)

" وقد عرفها الوثنيون من قبل فقد كانوا فى عيد الحصاد يأكلون الكعك المصنوع من البرّ ،صائحين : هذا هو لحم الاله . ويحتسون الخمر، هاتفين : هذا هو دم الاله . . ."(٤)

وفى مقارنة يعقدها الدكتور (أحمد شلبى) للديانة المسيحية الحالية مع ماسبقها من ديانات فى عقائدها وشرائعها يذكر لنا أن ديانة (متراس) تتطابق

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى الأسفار المقدسة ص١١٦ .
وأنظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص١٠٦ ط٣ .

(٢) المرجع السابق وارجع الى أول مذكور .

(٣) عمر عنايت / العقائد ص٥٠ ، نقلاً عن الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص١٦٩ ط٥ .

(٤) عصام الدين حفنى ناصف / المسيح فى مفهوم معاصر ص١٢٧ .

تمام التطابق مع الديانة المسيحية الحالية فى شتى المناحي والاتجاهات ، ومن بينها فريضة "العشاء الرباني" ، حيث يبيّن لنا أن أتباع متراس" يقيمون فى ذكراه كل عام عشاء مقدسا "[1] وهو نفس مايحصل من أتباع المسيح فى الديانة المسيحية المحرفة ، ويؤكد ذلك Justin Martyr فيقول :

"أمّا حادثة العشاء الرباني فهى بتفاصيلها الدقيقة واردة فى ديانة (متراس) حذو النَعْل بالنَعْل ـكما يقولون ـ."[2]

ويرى (غوستاف لوبون) ـكغيره من النقاد العقليين ـ: "أن شعائر النصرانية ، ومنها العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية ."[3]

ويؤيد هذا الرأي "أن بولس كان مثرائيا ، أو على الأقل متأثرا بالمثرائية التى كان من شعائرها التضحية بالعجل المقدس ."[4]

ولقد بلغ التشابه بين الطقوس المثرائية فى القربان المقدس ، وبين الطقوس المسيحية مبلغا كبيرا ، لدرجة أن آباء الكنيسة اعتبروا هذه المشابهة مكيدة شيطانية لإضلال المؤمنين . وفى ذلك يقول (ول ديورانت) :

"لقد بلغ التشابه بين الطقوس المثرائية ، والقربان المقدس حدا جعل الآباء المسيحيين يتهمون ابليس بأنه هو الذى ابتدعه ؛ ليضل به ضعاف العقول."[5]

---

(١) المسيحية ص١٧٨ .

(٢) نقلا عن المسيحية ص١٨٤ .

(٣) جبلة الحقائق ص٥٦ نقلا عن سفر عبدالرحمن الحوالى / العلمانية ص٩٨ .

(٤) هـ . ج . ولز / معالم تاريخ الانسانية / جـ٣ ص٧٠٦ / ٧٠٩ فصل مبادئ أضيفت الى تعاليم يسوع .

(٥) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص٢٧٦ .

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن شعيرة العشاء الرباني ، ليست من ضمن شعائر المسيحية الصحيحة المنزّلة من عند الله ، وانما هي تحريف لها . ويدلنا أيضا على مدى تأثر الديانة المسيحية الحالية بمعتقدات وشرائع الأديان الوثنية السابقة عليها .

على أن علماء الاجتماع يرجعون فكرة العشاء الرباني الى أصل قديم ، هو النظام الذى يعرف فى اصطلاحهم باسم "الطوطمية ".(١)

" وهو نظام معقد غامض يحوي فيما يحوي قيام علاقة قرابة وصلة ، بين القبيلة والطوطم ، الذى يكون حيوانا أو نباتا ، يحرم بموجبها صيده وتناوله إلا فى مناسبات شعائرية معينة ؛ لكي يكتسب الآكلون صفات مرغوبة يتوهمونها فى الطوطم ، ويعتقدون أنه يجري دمه فى عروقهم بتناوله فى هذه المناسبات ."(٢)

ويشير (ول ديورانت) الى ذلك بقوله :

" وبهذه الطريقة تعظّم الحضارة الأوروبية ، والأمريكية اليوم ، شعيرة من أقدم الشعائر فى الأديان البدائية وهى : أكل الاله ."(٣)

وكعادة المسيحيين فى التحريف والتبديل ، فكما استبدلوا الختان فى العهد القديم بالعمودية فى العهد الجديد ، كذلك حلّ العشاء الرباني فى العهد الجديد محل الفصح فى العهد القديم ، حيث إن عيد الفصح كان مفروضا على

---

(١) الطوطمية : مشتقّة من كلمة : طوطم ، وهو شعار لطائفة من الناس يلتفون حوله ، ويحتمون به ، ويعتقدون بأن رابطة قدسية تربطهم به . والطوطم إما أن يكون حيوانا أو نباتا أو - فى النادر - جمادا . أنظر العميد ركن طه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسفتها ص٨١ .

(٢) جيمس فريزر / الغصن الذهبى ترجمة أحمد أبو زيد ص١٢٣ ، ١٣٦ .
نقلا عن / سفر عبدالرحمن الحوالى / العلمانية ص٩٨ .

(٣) قصة الحضارة الجزء الخامس من المجلد الرابع رقم ١٦ ص١٨ .

المسيحيين طبق أحكام التوراة (١) ، وكان اليهود يحتفلون به في ذلك اليوم بنجاتهم من فرعون ، ودخولهم الى الارض المقدسة . كما ذكرنا (٢)

ومما يروى في ذلك اليوم : أنه " في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى (وهو اليوم الثالث من شهر ابريل) من العام الثلاثين - في أرجح الاقوال - أكل عيسى ورسله عشاء عيد الفصح ، في دار صديق له في أورشليم . . . وقد جرى يسوع على السنن اليهودية ، فبارك الخمر الذى قدّمه للرسل ليشربوه ، ثم غنّوا جميعا أغنية هاليل اليهودية ." (٣) ويقول يوحنا :

انه (اى المسيح) قال لهم : " ياأولادى ، أنا معكم زمانا قليلا بعد . . . وصية جديدة أنا أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا ، لا تضطرب قلوبكم ، أنتم تؤمنون بالله ، فآمنوا بي ، في بيت أبي منازل كثيرة . . . أنا أمضي لأعدّ لكم مكانا ." (٤)

ويخمّن (ول ديورانت) أن يكون المسيح قد طلب من تلاميذه أن يكرروا هذا العشاء كل عام ، احياء لذكراه . وهو في نفس الوقت لا يستبعد أن يكون عيسى قد طلب منهم أن يتصوروا أنّ الخبز الذى يأكلونه هو جسمه ، وأنّ الخمر التي يشربونها هي دمه . يقول (ول ديورانت) في ذلك :

" ويبدو أنه من المعقول جدا أن يطلب المسيح اليهم في هذه الساعة الرهيبة أن يكرروا هذا العشاء في مواسم خاصة - كما تتطلّب ذلك عادة اليهود - احياء لذكراه ، وليس ببعيد أنه وهو ذو الاحساس الشرقي المرهف ، والخيال الشرقي

---

(١) اشارة الى النص الوارد في سفر الخروج من قول الله لبني اسرائيل على لسان موسى -عليه السلام - " فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية . " ١٢ : ١٧ .

(٢) انظر صفحة ٧٦٢ من هذه الرسالة .

(٣) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٢٣٥

(٤) انجيل يوحنا ١٣ : ٣٣ ، ٣٤ وكذلك ١٤ : ١ ، ٢

الوثاب، قد سألهم أن يتصوروا أن العيش الذى يأكلونه هو جسمه وأن الخمر الذى يشربونها هى دمه ."(١)

ويقول (شارل جنيبير) :

" وكان الاثنا عشر ، وهم اليهود الاتقياء عندما يلتقون فى دار أحدهم يطعمون الخبز جماعة ، وكان عيسى يفعل هذا معهم ، وكان هذا الأكل مجرد رمز للوحدة بين الحواريين ، وبين عيسى عندما كان موجودا بينهم ، وكانوا بعد موته يقيمون وليمة تذكارية فى عيد الفصح ، قوامها الخبز والخمر اللذان يرمزان الى جسد المسيح ودمه احياء لذكراه ، كما أوصى بذلك "(٢) حسب زعمهم .

وقد كان كافيا أن تقف بدعة العشاء الرباني عند هذا الحدّ لولا أن المسيحيين - جريا على عادتهم فى التحريف ، وسوء الفهم والخلط بين الحقيقة والمجاز - أضافوا الى ذلك الفريضة المعروفة باستحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ، وضرورة الاعتقاد بأن مايقدم من الخبز فى ذلك اليوم هو لحم المسيح ذاته ، وأن مايقدم من الخمر هو دم المسيح ذاته أيضا ، وأن ذلك يستحيل فى جسد من يتناوله ، حيث يتحد به المسيح .(٣)

" وكانت البطولة فى ذلك تنسب الى بولس - صانع المسيحية البولونية - الذى شعر بضرورة وضع مغزى لتقليد تناول الخبز جماعة فربطه بالتضحية من أجل التكفير ، ومن أجل التقرب ، ومن أجل المشاركة فى الذات الالهية (أى ذات المسيح)، فجعل تناول الطعام الذى لا يشكل شعيرة مقدسة ، جعله غاية لسرّ رفيع ، وتذكرة ورمزاً حيا أرادهما عيسى نفسه - على زعم بولس - لما لقيه من عذاب الصليب .

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٣/٢٣٦ .

(٢) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ١٠٩ .

(٣) أنظر / سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩٨ .

ونرى بولس يكثر في رسائله من الحديث عن جسد المسيح ، وحلوله في أتباعه ، ويورد في الاصحاح الحادي عشر من رسالته الأولى الى أهل كورنثوس مايفيد ذلك ، حيث يقول :

في الليلة التي أسلم فيها (الى الرومان) ، أخذ السيد عيسى خبزا ، وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز ، وقال : هذا جسدي وهو لكم ، فلتفعلوا ذلك دائما تذكرة لي . وبعد أن تناول الكأس بعد العشاء ، قال : هذه الكأس هي العهد الجديد في دمي ، فلتفعلوا ذلك كلما شربتم تذكرة لي . ذلك أنكم كلما أكلتم من هذا الخبز ، وشربتم من الكأس ، كأنما تعلنون موت السيد حتى يأتي اليكم ."(1)

فغاية بولس بهذه الأسرار الوثنية ، إنها أسرار نابعة من الطقوس الهيلينستية الوثنية ، ولا علاقة لها بالطقوس اليهودية ."(2)

يقول بولس : "كأس البركة التي نباركها ، أليست هي شركة دم المسيح ، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ."(3)

هكذا يقرر بولس منذ البداية حقيقة الاستحالة ، أعني استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني الى جسد المسيح ودمه استحالة حقيقية مختلطا بجسد من يأكله ودمه .

---

(1) الفقرات من ٢٣-٢٦ .

(2) شارل جنيبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص١٠٩ / ١١٠ .

(3) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٠ : ١٦ .

ولكن مؤلف (علم اللاهوت النظامى) يقرر أن تعليم الاستحالة لم تعترف به الكنيسة الأ بعد ذلك بوقت طويل ، فيقول :

" وإذا نظرنا الى القرون الأولى من تاريخ الكنيسة نرى فى مؤلفات الآباء القدماء مايحقّق لنا عدم تصديق الكنيسة لتعليم الاستحالة ، فإنه فيالقرون الثلاثة الأولى بعد رفع المسيح لم نر له ذكرا ." (١)

وقال (دنس سكوتس) ـ اللاهوتى الشهير سنة ١٣٠٠ م - :

" إن تعليم الاستحالة لم يكن من الايمان قبل المجمع اللاتراني الرابع (١٢١٥ م) تحت رئاسة البابا (انوسينتوس الثالث) ، ومن ثمّ حسب من تعاليم الكنيسة البابوية المقررة ." (٢)

وأيّا كان الاختلاف فى بدء ظهور الاعتقاد بتعليم الاستحالة ، فإن شعيرة العشاء الربانى كانت تمارس منذ السنوات الأولى فى المسيحية ، وأصبح المسيحيون بعد ذلك يعتقدون بأن متناولي العشاء الربانى يأكلون جسد المسيح بعينه على الحقيقة ، ويشربون دمه نفسه على الحقيقة كذلك . "أمّا كيف يتحوّل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ، فإن ذلك " سرّ " ، لا يجوز لأحد أن يسأل أو يشكك فيه ، وإلاّ عوقب بالحرمان والطرد من الملكوت ." (٣)

وهذا السر الذى قصرت الأفهام عن إدراكه هو عندهم من قبيل ما وقع الاجماع عليه ، فلايكمل ايمان النصرانى مالم يأكل جسد المسيح ، ويشرب دمه .

ويقول صاحب الفارق :

" لقد مكثت زمنا أتأمل فى هذا السر " الأفخارستيا " ، وألتمس له معنى

---

(١) جـ ٣ ص ١١٠٩ .

(٢) علم اللاهوت النظامى جـ ٣ ص ١١١٠ / ١١١١ .

(٣) سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص ٩٩ .

أو نظيرا في الأديان المتقدمة ، والملل المنتحلة ، فلم أجد نظيرا له ، ولا أصلا يرجع اليه على اختلاف مذاهب العالم من آدم الى عيسى . . . حتى فيما انتحله المشركون .»(١)

ولنا على أدلتهم التي استدلوا بها ، في وجوب أداء هذه الفريضة ردود نلخّصها فيما يلي :

أولا :

إن استدلالهم بفعل (ملكي صادق) ، وأنه أول من قرّب القربان من الخبز والخمر كما جاء في التوراة ، وتأسي المسيح به في ذلك ، لأنه كاهن الى الأبد على رتبة (ملكي صادق) ، فهذا باطل . وذلك لأن (ملكي صادق) "لم يكن نبيا يجب اتباعه ، ولو ادعوا نبوته احتاجوا الى دليل عليها ، وأن شرعه شرع لهم ، ولن يقدروا على ذلك أبدا ."(٢)

ولو سلّم أن شرعه شرع لهم لكان ينبغي أن يعلموا أن التوراة قد نسخت ذلك الشرع . إذ قد استقرّ أن موسى عمل بخلافه ، وكذلك الأنبياء بعده . ولو كان ذلك الحكم باقياً صحيحاً لما كان ينبغي لموسى أن يعدل عنه ، ولما جاء بغيره . فتركهم التوراة التي هم مخاطبون بأحكامها وشرعها إلى مالم يخاطبوا به ، ولا شرع لهم ، استهانة بشرع التوراة وأحكامها ، بل استخفاف بالذى أنزلها ، وبالذى أنزلها ، وبالذى أنزلت عليه ، فقد بطل استدلالهم بفعل (ملكي صادق) .(٣)

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢١٢ .
(٢) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص٢٣٠ .
(٣) الامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام/تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور / أحمد حجازى السقا جـ٤ ص٤٢٨ .

ثانيـــا :

أمّا روايات الأناجيل الثلاثة التي ذكرناها في (متّى ومرقس ولوقـــــا) والتي يتخذها المسيحيون أساسا لشعيرة العشاء الرباني أو الاستحالة ، فقـــد علمنا في الباب الأول من هذه الرسالة عدم استيفاء هذه الأناجيل للشـــــروط الواجب توفرها في الكتاب الديني ليكون حجة يجب الأخذ به ، مما لا داعـــي لاعادته هنا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن في هذه الروايات الثلاث من التناقض البيّن ما يجعلنا نقطع بعدم اقرار المسيح لهذه الشعيرة ، وانما هـي أقرّت عن طريق قسيسيهم المغيّرين للدين ، والمحرّفين لكتاب ربّ العالميـــن ، وعلى رأسهم (بولس اليهودي) ، وان في التسابها للمسيح من الزور والبهتـان عليه ما ينتصف الله له به منهم يوم القيامة . من هذه التناقضات :

ماجاء في انجيل (لوقا) حيث ذكر أنها كأسين ، بينما اقتصر (مـتّى) على كأس واحدة فقط .

" ثم إن رواية مترجم انجيل (متّى) تفيد أن جسد عيسى غير مبذول عـــن أحد ، وانما المبذول هو العهد الجديد الذى يراق عن كثيرين لمغفرة الخطايـا ، وهل العهد الجديد إلاّ دين النصرانية ، وهو لا يراق ولا يريق .

ورواية (مرقس) تذكر أن الدم هو الذى يراق عن كثيرين ، وعبارة (لوقـا) تفيد أن جسد المسيح يبذل عن التلاميذ فقط .

و (يوحنا) في انجيله لم يذكر شيئا ولا حرفا من هذه الخرافات ، وهـــو الحق ." (1)

---

(1) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢١٤ .

فكيف وهو الحواري المقرّب يغفل ذكر حادثة مشهودة كهذه ، حضرها هـو وزملاؤه كما يقال .

ثالثـا :

أمّا استدلالهم بفعل الحواريين ، فهو من الكذب البيّن عليهم ، ولم يصح للنصارى النقل عنهم ، ولو صح لما كان في فعلهم حجة !! . وليس لغير الأنبيـاء -عليهم السلام- أن ينسخوا ، بل لا بدّ للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلـم بالله تعالى وبرسله وأحكامه ، ولم يحصل ههنا ....."(1)

رابعـا :

وأمّا قول المسيح : " من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيـه ، وأنا الخبز النازل من السماء فمن أكلني يحيا حياتي "، فقد " حمله النصـارى على ظاهره ، وكانوا على المسيح أشد من اليهود ، فإن اليهود قتلوه وتركـوه ، والنصارى يأكلون لحمه ويشربون دمه .

ومعلوم أن هذا في العداوة أشد نكاية ، وانما ينبغي لهم أن ينظـروا في صحة النقل أولا ، فإذا صحّ ، حمل على ما يليق بمنصبه وهو أنه -عليه السـلام- عبّر عن المعنى المعقول بمثال محسوس ، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجسـاد ، وهذه استعارة حسنة مستعملة ، وكثيرا ما يقال في الكلام : "العلم والمعانـي الشريفة : خبز الأرواح ، كما أن الطعام المعروف خبز الأشباح ."

---

(1) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص١٢٣ بتصرف قليل .
وانظر كذلك الامام القرطبي / الإعلام بما في دين النصارى من الفسـاد والأوهام جـ٤ ص٤٢٩ .

وهو -عليه السلام- أتى بأنواع الهدايات ، وتفاصيل الحكم ، وأحيا ما أماته بنو اسرائيل من ذلك فمن اتبعه اغتذت روحه ، وتوفرت قواها ، وحصلت لها مسراتها ونماها ، وأشبعها من المعارف وروّاها . . . وليس المراد الخبز المحسوس ، ولا الدم المشاهد ؛ لأن ذلك كفر اتفاقا . . . "(١)

ومن العجيب أن في الانجيل أن عيسى -عليه السلام- قال للمبروص الذى شفاه : امضِ واعرض نفسك على القسيسين ، وقدم قربانك الذى أمر به موسى -عليه السلام- في عهده .(٢)

فأين مايزعمونه من ذبيحة المسيح ؟ !

وقد أدلى (صاحب الفارق) بدلوه فى هذا المجال ، فكان مما قاله -بشأن ماجاء فى الأناجيل -عن الاستحالة ، مايلى :-

" . . . أمّا ماورد من ذلك فى الأناجيل -إن صح- فله محامل وتأويلات حسنة لا تأباها العقول كما تأبى الاستحالة ، من ذلك : ماذكره (يوحنا) فى انجيله فى الاصحاح السادس حكاية عن المسيح ، عندما تذمرت عليه اليهود بقوله : "أنا هو الخبز النازل من السماء"(٣)، وهذا كناية عن كونه سببا لحياة الأرواح التى تحيا بالايمان ، وتتغذى بالتقوى ، وتهلك وتموت بالكفر ، وتمرض بالعصيان . كما أن الخبز الحقيقي يغذي الأجسام ، ويكون لها وقاية من الهلاك ، وهو تقرير لقوله السابق فى فقرة (٣٥) : "أنا هو خبز الحياة" ، وقوله فى فقرة

---

(١) الامام القرافى / الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٣٠ / ٢٣١ وانظر كذلك الامام القرطبى / الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام جـ ٤ ص ٤٢٩ .

(٢) إشارة الى النص الوارد فى انجيل متى ٨ : ٤ .

(٣) فقرة / ٤١ .

(٥٤) : " من يأكل جسدى ، ويشرب دمى ، فله حياة أبدية " ، وقوله فى فقرة (٦٠) : " فقال كثيرون من تلاميذه ، اذ سمعوا أن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه ، فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم : أهذا يعثركم ، فإن رأيتم أن ابن الانسان صاعدا الى حيث كان أولاً الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئا ، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ، ولكن منكم قوم لا يؤمنون ." (١)

يعلم من هذا أنه لم يرد الجسد المركب من لحم ودم ، بل يريد الروح التى هى الكلمة ، أى الايمان بأنه كلمة الله وروح منه ، ومنه نتج أن ماذهبوا اليه فى المعنى الظاهر باطل لا يصح القول به ، اذ لا يدخل تحت قاعدة عقلية ولا يندرج ضمن قانون الهي . وما أراد المسيح بذلك إلاّ الذى حكيناه من تفسيره بأن يؤمنوا به وبالذى أرسل به ، ويتبعوا أوامره ووصاياه فهو تفسير لكلامه الأول ، وليس المراد جسده ودمه الحقيقي كما تزعم الأساقفة الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين ." (٢)

ومما يؤيّد ماذكره صاحب الفارق ، قول صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) (٣) فى الفصل الثالث عشر من الجزء الثانى من كتابه المذكور ، الذى عقده لوجوب تأويل ما ورد من الكلام فى العهدين على سبيل المجاز والاستعارة ، فقال ـ بعد أن ذكر الأسباب الموجبة لاستعمال المجاز ـ مانصه :

" ... واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعارى جدا ، وخاصة

---

(١) انجيل يوحنا ٦ : ٦٠-٦٤ .
(٢) عبد الرحمن بك باجه جى زاده الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٦/٢١ .
(٣) هو محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة (٥٠٥ هـ) .

مسامرات مخلصنا ، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحا حرفيا . . . .

ثم ذكر لذلك أمثلة من جملتها بحثنا الذى نحن بصدده ، وهذا النص عبارة (يوحنا) بالاصحاح السادس قال : "أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدي الذى أبذله من أجل حياة العالم "(١)

ثم قال : " فمنذ الدهر الثاني عشر جعلت الرومانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوسا ومغايرا لشواهد أخرى فى الكتب المقدسة ، وللدليل الصحيح ، وحتّموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة ، أى تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم ، مع أنه يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما ولم يتغيرا ."(٢)

ويؤكد مؤلف علم اللاهوت النظامي بأن التفسير الحرفي لقول المسيح " هذا هو جسدى " باطل عقلا وطبعا ولا بدّ من المجاز - كما هو موجود فى الكتاب المقدس - مبينّا أن الاستحالة لم تكن تدور بخلد المسيحيين الأوائل ، فيقول :

"إن تفسير البابويين قول المسيح : " هذا هو جسدى " بمعنى حرفي غير صحيح ، وانما هو بمعنى مجازي ؛ لأن قصد المسيح فى هذا الكلام البسيط إنما هو أن الخبز اشارة أو رمز الى جسده . وقد ورد المجاز كثيرا فى الكتاب

---

(١) فقرة / ٥١ .
(٢) نقلا عن عبد الرحمن بك باجه جى زاده الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٦ .

على هذا الأسلوب ، وهو يبيّن لنا أن المسيح قصد أن الخبز انما يمثل جسده . وهذا الاصطلاح المجاز جار في جميع لغات البشر . . .

ومن أمثلته في الكتاب المقدس ما جاء في العهد القديم من أن " يوسف غصن شجرة مثمرة "[١]، " والرب صخرتي "[٢]، " وكلامك سراج "[٣].

فجميع هذه الأمثلة وأشباهها تبرهن أن هذه العبارات في الكتاب المقدس تدل على الاشارة والتمثيل على سبيل الاستعارة ، وتوجب هذا المعنى ، وهذا التفسير في قول المسيح " هذا هو جسدى " واصطلاح الروح القدس في كل عبارة تشبه هذه العبارة يؤكد أن هذا هو معناها ، ولذلك بقي تلاميذ المسيح قرونا يقرأون هذا القول ويمارسون هذا السر ، والاستحالة لم تخطر لهم في بال .

ثم إذا فسرنا كلام المسيح على الخبز حرفيا ، فلماذا لا نفسر كلامه على الكأس كذلك ، وهذا يفضي الى استحالة الكأس نفسها الى دم المسيح بل الى العهد الجديد ، لأنه قال : " هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي[٤]"[٥]

وقال (أوغسطينوس سنة ٤٢٠م) :

" إن قول المسيح انه يعطينا جسده لنأكله ، لا يجوز فهمه جسديا ؛ لأن نعمته لا تقبل بالأسنان ."[٦]

---

(١) سفر التكوين ٤٩ : ٢٢ .
(٢) مزامير داود مزمور ١٨ : ٢ .
(٣) مزامير داود مزمور ١١٩ : ١٠٥ .
(٤) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١١ : ٢٥ .
(٥) جـ٣ ص١١١٧/١١١٨ بتصرف قليل . (المؤلف مجهول الاسم) .
(٦) نقلا عن كتاب علم اللاهوت النظامي جـ٣ ص١١١٠ .

وهناك أستاذ كبير حصل على اجازة الدكتوراه في اللاهوت وراعي كنيسة "لوتروورث" هو الدكتور (وكلف سنة ١٣٢٠م - ١٣٨٤م) ، هذا الراعي يهاجم السلطة الكهنوتية في مسألة الخبز والخمر ، وينكر تحوّلهما الى لحم المسيح ودمه ، حتى قال عن هذا التحوّل : "إنه خداع وحماقة كافرة ".(١)

وقال (اثناسيوس سنة ٣٧٠م) - في شرحه انجيل (يوحنا) الاصحاح السادس - ما معناه :

"إن مناولة جسد المسيح ودمه حقيقة ، أمر لا يقبل ، وأن معنى المسيح في هذه الآيات لا يفهم إلّا روحيا ".(٢)

ومفسّر عصري آخر لانجيل (يوحنا) يقول - عند تعليقه على نص (يوحنا)(٣) -:

" والذى يعنيه الرب بأكل جسده وشرب دمه هو قبوله بالايمان ... ، وعندما نتغذى بالايمان على جسده ودمه ، فإننا نقطع عن كل ما هو غير مقدس ".(٤)

" وفرقة البروتستانت تخالف الكاثوليك وغيرهم من المسيحيين الذين يرون رأيهم ، وترى في العشاء الرباني أو في الخبز والخمر باعثا على الذكرى الصالحة ، ذكرى ما قام به المسيح الذى وهب نفسه راضيا للفداء ، وقبل العذاب والصلب تخليصا للانسانية من الخطيئة الأزلية ، وتكفيرا عن خطايا البشر ، وتنكر أشد الانكار تحوّل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ".(٥)

---

(١) نقلا عن الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطار / العقائد والديانات في مختلف العصور جـ ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) أنظر كتاب / علم اللاهوت النظامي جـ ٣ ص ١١١٠ .

(٣) ٦ : ٥٤-٥٦ .

(٤) هو هلال أمين موسى ص ٩٨ .

(٥) الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ ٣ ص ٢٠٢ .

خامسا :

يقول مؤلف علم اللاهوت النظامي :

"إن تعليم الاستحالة هذا من القضايا الخاصة الجوهرية ، في النظام البابوي على أنه مخالف لشهادة الحواس وللعقل وللوحي ، وقد جعلته الكنيسة البابوية أساس أضاليل أخرى مضرة جداً ، ومصدر عوائد خرافية يغش بها شعبها ... وتأسيس آمال الشعب على تعليم واهن وتوجيه أفكارهم من الذبيحة الحقيقية الى ذبيحة صناعية اخترعها البشر ألاً وهو تحويل عشاء الرب البسيط الى سوق تجارة لنوال فوائد ذبيحة المسيح بالبيع والشراء وهي أعظم خداع ديني جرئ في تاريخ بني جنسنا ."(1)

وجاء في قرار الايمان لمجمع (وستلمستر) مانصه :

"إن التعليم بتغير جوهر الخبز والخمر الى جوهر المسيح ودمه المعروف بالاستحالة بواسطة تقديسها على يد مَنْ دعي كاهنا ، أو على طريقة أخرى مناقض للكتاب المقدس ، وليس للكتاب المقدس فقط ، بل للعقل السليم ، وللطبيعة وهو يفسد حقيقة هذا السر ، وقد صار فيما مضى ولا يزال الآن سببا لأنواع كثيرة من الخرافات ، بل لعبادات وثنية شنيعة ."(2)

ويقول صاحب كتاب الفارق موجها كلامه للنصارى ، ومبينا لهم فساد شعيرة الاستحالة هذه ، وتناقضها مع العقل ، بل إن التناقض نابع منها - يقول :

---

(1) علم اللاهوت النظامي جـ ٣ ص ١١٠٧ / ١١٠٨ باختصار وتصرف قليل .
وانظر كذلك : عبد الرحمن بك باجه جي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١١ .

(2) فصل ٢٩ رقم ٦ نقلا عن كتاب علم اللاهوت النظامي جـ ٣ ص ١١١٢ .

" دعواكم هذه يناقض بعضها بعضا ، ولا سند عندكم لترجيح شيء منها مع عدم امكان تطبيق أصل الدعوى على القانون العقلي . فظهر فساد أساس دعواكم كما لا يخفى ذلك على من له أدنى ادراك . والعرف والعادة محكمة بين الخليقة كافة على اختلاف مذاهبهم وهو : أن من يدّعي بأمر خلاف العقل والظاهر والمحسوس لا تسمع دعواه ، لأنها تكون فاسدة في كل شريعة ."(١)

ويقول أيضا :

" ولو تعقلت النصارى - وأنّى لهم - لوجدوا دعواهم هذه شبيهة بما يروى عن مشركي العرب ، فانهم كانوا يتخذون آلهة من تمر ، وعندما يحسّون بألم الجوع يلجأون إلى تلك الآلهة فيأكلونها الى أن أتى الاسلام ، وهداهم الله تعالى اليه فكانوا يتذكرون ذلك العهد ويضحكون منه على أنفسهم ."(٢)

وحيث إن النصارى مقرّون بأن الله حرم عليهم أكل الدم أو شربه في العهد القديم(٣) وكان ذلك بمثابة وصية تعمّ بمعنى خاص شرب دم البشر . فهل أجاز الله أكل لحم البشر في زمن المحرفين ، وأعلن جواز شرب دم بشري حقيقة؟ وهل يعقل أن يؤكل لحم الانسان ، ويشرب دمه ؟!

ويجيبنا على هذا التساؤل مؤلف كتاب الفارق فيقول :

" نعم ، لو تأمّلنا في حالة بعض الأمم المتوحشة ومنهم "النمنم" وهم قوم من الزنوج ، توغّلوا في التوحش حتى أخرجهم عن الطور الانساني ، فهم يأكلون لحم الآدمي ويستلذونه حيا وميتا ."(٤)

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢١٥ .

(٣) أنظر سفر اللاويين ٣:١٧ ، ٧: ٢٧ ، ١٧: ١٠ ، ١٤ .

(٤) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢١٥ .

لكن أن يتحول الخبز والخمر الى ذات الجسد والدم ؛ فهذا من المحال ، واعتقاده باطل وضلال .

والنصارى يعتقدون أن كل جزء من أجزاء فطيرة كل قسيس هو عيسى -عليه السلام - بجميع جسده فى طوله وعرضه وعمقه هو هو ، ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكان كل جزء منها عيسى .(١)

فيقال لهم : "إن جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلا ، وعرضه شبرين ، وعمقه شبرا ، والفطيرة التي يقرأ عليها القسيس لا يمكن أن تكون ثلاثة أشبار ، فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار ، وعرضه شبران ، وعمقه شبر ، فى شئ طوله ثلث شبر؟ هذا محال فى كل عقل سليم .

وهم يجيبون عن هذا بأن المرآة تكون قدر الدرهم والانسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية اذا قابلها بذلك ، وهى أكبر منها بأزيد من ألف مرة .

فيقال لهم : إن الذى يرى فى المرآة عرض لا جوهر . وأنتم تعتقدون أن جوهر عيسى وعرضه جميعا فى تلك الفطيرة ، وهذا محال فى العقل .

ثم إنكم أجمعتم على أن عيسى -عليه السلام - صعد الى السماء ، وهو جالس فيها عن يمين الله -تعالى الله عن قولكم - فمن الذى أنزل لكم جسده الى تلك الفطيرة ؟ !

ثم إن عيسى رجل واحد ، وأنتم تعتقدون أن فى كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى ، ولو انقسمت على مائة ألف جزء فلزمكم أن يكون فى كل فطيرة مائة ألف عيسى ، ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة عدد الفطائر ، وبعدد الكنائس

---

(١) أنظر عبد الله الترجمان الأندلسى /تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . تقديم وتحقيق وتعليق د . محمود على حماية ص٨٨

عندكم ، فيصير عيسى أعدادا لا تكاد تتناهى . وكل من قال هذا ، أو اعتقده ، فقد جعل الله أضحوكة للعالمين ، ومسخرة للشياطين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل".(١)

وإذا أكلنا جسد المسيح ، وشربنا دمه بموجب تعليم الاستحالة ، فماذا يا ترى يحدث بعد ذلك . لأنّا إذا أخذنا المسيح في أجسادنا حقيقة (أي العظام والأعضاء والعروق والمفاصل وما شاكلها) فهل تتصرف الطبيعة بحسب عادتها ؟ أو يتخلص المسيح من هذا النصيب بعجيبة خاصة ؟ وهذا مشكل صحيح ، غير أن العقل البشري ينفر من التأمل فيه ."(٢)

وكان (وكلف) و (حناهس) ينكرون التحول المادي في قداس العشاء الرباني . ويؤكدان بأنه تحول روحي .(٣) وجاء في عقائد الدين التسع والثلاثين لكنيسة انكلترا مانصه :

" فأما استحالة جوهري الخبز والخمر في عشاء الرب فلايمكن إثباتها من الكتب المقدسة ، بل هي مغايرة لكلماتها الصريحة ، وسالبة لماهية السرّ وسببت وساوس كثيرة ، وانما يتناول جسد المسيح ويؤخذ ويؤكل في العشاء بنوع روحي سماوي فقط . والوسيلة التي يؤخذ بها جسد المسيح ، ويؤكل في العشاء انما هي الايمان ..."(٤)

---

(١) عبدالله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. تقديم وتحقيق وتعليق د . محمود علي حماية ص٨٨/٨٩ .

(٢) أنظر علم اللاهوت النظامي جـ٣ ص١١١ .
وانظر كذلك عبدالرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٢١٤/٢١٥ .

(٣) أنظر الدكتور / رؤوف شلبي / المسيحية الرابعة ص١٤٨ .

(٤) عقيدة ٢٨ نقلا عن علم اللاهوت النظامي جـ٣ ص١١٢ .

ونتساءل : لماذا ادّخر المسيح سر الاستحالة الى ليلة صلبه ، ولم يدعُ إليه قبل ذلك ؟

ويجيبنا على هذا التساؤل الأب (بولس الياس اليسوعى) قائلا :

" لقد ادّخر المسيح تأسيس هذا السر الى ليلة صلبه لسببين :

(١) لكى يربطه بسر الفداء ، ويجعله يتخذ نفاذه وفاعليته من آلامه وموته ، فيكون فيما بعد تجديدا رمزيا لذبيحته على الصليب .

(٢) ثم لكى يمنح صلبه طابع الذبيحة الاختيارية المقدسة ، بدلا من طابع الجريمة اللاحقة به من قبل اليهود ." (١)

وقد حاول بعض علماء المسيحية أن يدللوا على أن المسيحيين يقولون : بأن فاعلية سرّ الافخارستيا لا تتوقف على حضور المسيح حضورا حقيقيا ، تحت أعراض الخبز والخمر ، بهدف أن يفلتوا من النقد الموجّه لهذه الشعيرة ، ولكن هيهات لهم ذلك ، وماعساهم أن يقولوا حين يسمعوا رأى أحد المسيحيين فى هذه الشعيرة ، وتأكيده بأن سر العشاء المقدس لا يعني الا حضور المسيح حضورا حقيقيا بلحمه وشحمه . إذن فليصغوا السمع معنا فيما يورده الأب (بولس الياس اليسوعى) بهذا الشأن حيث يقول :

" سر القربان المقدس (الافخارستيا) هو سر حضور ربنا يسوع المسيح حضورا حقيقيا بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر ، أنشأه السيد المسيح ليلة موته على الصليب لما أخذ خبزا وباركه ، وأعطاه للرسل قائلا :

---

(١) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٠٧ .

" خذوا وكلوا هذا هو جسدي الذي يبذل لأجلكم ، ثم أخذ كأسا فيها خمرا وأعطاهم قائلا : خذوا واشربوا من هذا كلكم . هذا هو دمي ، العهد الجديد الذي يهراق عنكم ، وعن كثيرين لمغفرة الخطايا . اصنعوا هذا لذكرى(١) . "

ثم يتابع قوله فيقول : " وقد أحال الخبز بهذه الكلمات الى جسده والخمر الى دمه ، وبكلمته هذه " اصنعوا ذلك لذكرى " أعطى الرسل والأساقفة ولكهنة من بعدهم سلطانا ليحوّلوا مثله الخبز الى جسده والخمر الى دمه . "(٢)

وبنفس المعنى يدلي الكاتب المسيحي (نصرى سلهب) في كتابه (في خطى المسيح) :

" بهذه الكلمات أنشأ يسوع سر القربان المقدس وهي كلمات واقعية حسّية لا أثر فيها للبس أو غموض ، ولا يراد بها التعبير عن رمز أو فكرة مجردة ، بل تدل دلالة صريحة على حدث يلمس ويرى . " هذا هو جسدي " . و " هذا هو دمي " .

إن الخبز الذي تناوله يسوع بيده ، وشكره ، هو عينا وفعلا جسده ، وكذلك الخمر هو عينا وفعلا دمه . . . ولم يكتفِ بتقديم جسده ودمه للرسل ليأكلوه في ذلك العشاء السري ، بل أضاف قائلا : " افعلوا هذا لذكرى "(٣)

ويقول (حبيب جرجس) :

" إن الخبز والخمر بعد التقديس يستحيلان استحالة سرية - لا تدرك بالحواس -

---

(١) انجيل متّى ٢٦ : ٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ ، ورسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١١ : ٢٣ ومايليه .

(٢) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(٣) ص ٣٣٤/٣٣٥ .

الى جسد ودم المسيح ، فإن كنّا نأكل خبزا ونشرب خمراً ، إلاّ أننا نأكل ونشرب تحت هذين الشكلين ، جسد المسيح ودمه الأقدسين ."[1]

ونقول : إن تعليم الاستحالة - باقرار المسيحيين اللاهوتيين - على صورته هذه لديهم ، هو تعليم ينفر العقل منه ، ولا يمكنه تصديقه . ليس هذا فحسب ، بل يستبعدون أن يكون المسيح قد عمل هذا العمل الغريب العجيب ، وفي ذلك يقولون :

"إذا نظرنا إلى كلام الانجيل في وضع العشاء الرباني ، رأينا أن المسيح أخذ خبزاً ، وبارك ، وكسّر ، وأعطى تلاميذه ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي ".

فماذا صار يا ترى حينئذ ؟ أأخذ المسيح جسده في يده ، ووزعه على التلاميذ ، وهل كان جالساً في كمال جسده ، ومع ذلك مسك جسده الحقيقي في ذلك الوقت عينه . وهل فهم التلاميذ كلامه على هذا المعنى ، وحسبوا الخبز جسده الحقيقي الجالس قدام عيونهم ؟ فإذا تأملنا في هذا التعليم نفر العقل منه ، ولم يقدر أن يصدقه . ولو فرضنا أن المسيح عمل هذا العمل الغريب ، فمن أين لنا الدليل على أن جميع الكهنة في كل القرون في أوقات عديدة ، قدروا على عمل معجزات لا تحصى عددا ، بتحويل دقائق مادة بسيطة إلى جسد المسيح ، بل إلى أجساد لا تعدّ ؛ لأن المسحاء في خبز ذلك السرّ ، وخمره على قدر الدقائق المادية فيهما . وكل ذلك حمل ثقيل على العقل السليم ، بل هو مخالف لكل

---

(١) المبادئ المسيحية جـ٢ ص١١٧/١١٨ .

أحكامه .[1]

ولهذا فقد كان الفهم المادى لكلمات المسيح ، سببا فى ردّة بعض تلاميذه عنه . حيث إنه قبل العشاء الأخير ، تروى الأناجيل أن المسيح عندما أطعم بخمسة أرغفة خمسة آلاف غير نفسه وتلاميذه ، وطلب إليه اليهود أن يعطيهم هذا الخبز دائما ، " فقال لهم يسوع :

الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ؛ لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ...... الحق الحق أقول لكم : أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المنّ فى البرية ، وماتوا ، هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان ولا يموت ، أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطي هو جسدي الذى أبذله من أجل حياة العالم .

فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل ؟ فقال لهم يسوع : الحق ، الحق أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان ، وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ؛ لأن جسدي مأكل حق ، ودمي مشرب حق . من يأكل جسدي ، ويشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيه .... من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد . قال هذا فى المجمع وهو يعلّم فى كفر ناحوم .

---

(1) علم اللاهوت النظامى ج٣ ص١١١١-١١١٦ .

ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ، ولم يعودوا يمشـون معه ...".[1]

وأظن رجوع الكثيرين من تلاميذه وانفضاضهم عنه بعدما سمعوا منه ما سمعوا لا يخلو من الحق والعذر*؛ لأنهم فهموا من كلامه المعنى الحسي المادي، ولم يفهموه على حقيقته التي تنبثق من كلامه المبني على الاستعارة والمجـاز. فلم تسغ عقولهم أكل جسده ، وشرب دمه ، بل أنكروا ذلك منه انكارا يبرزه تخاصم اليهود وسؤالهم : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟!

فجاءت كنيسة روما لتفهم فهم هؤلاء التلاميذ الكثيرين المنفضّين عـن المسيح ، بل تذهب الى أبعد من هذا ، وتدعي أن جوهر الخبز يستحيـل الى جوهر جسد ربهم ، وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه .

وبذلك انتهوا بهذا الرمز الى أعمال مخصوصة بمفاهيم خاصة لا تتفـق مع منطق العقل والشعور ، فصار الخبز رمزا على جسد المسيح ، وما فى الكـأس رمزا على دمه ، وجعلوا ذلك الرمز فريضة يجب اتيانها .[2]

وسوف نرى فى نهاية هذا الباب موقف ابن تيمية من شعيرة العشاء الربانى وابطاله لمزاعم النصارى حول تصديق القرآن لهذه الشعيرة بما حكاه من طلـب الحواريين للمائدة ، وابطاله لزعمهم أن هذه المائدة هى العشاء الربانى .

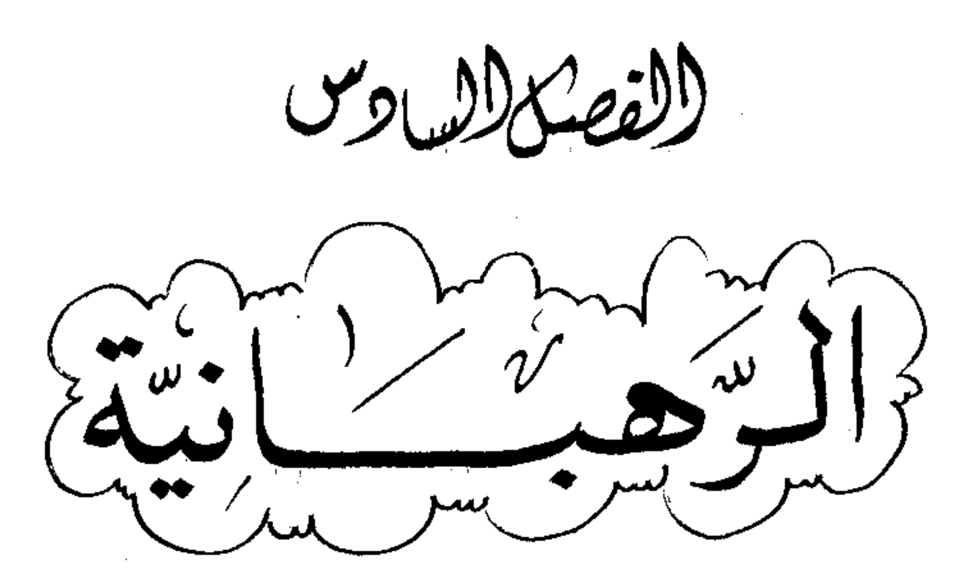
❖

(١) أنظر انجيل يوحنا ٦ : ٣٢-٣٤ ثم من ٤٨-٥٦ ثم من فقرة ٥٨-٥٩ ثم فقرة ٦٦ .

(٢) أنظر الأستاذ احمد عبدالغفور عطار الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ ٣ ص ١٩٦ / ٢٠٠ .

* طبقا لرواية يوحنا السابقة لحادثة العشاء الرباني .

الفصل السادس



((الفصل السادس))

◊

" الرهبانيـــــــــــــــــة "

◊◊

لقد تصدت النصرانية المحرفة للفطرة البشرية ، التي بعث الله الأنبيـــاء بتكميلها وتقريرها[1] ، وذلك بتغييرها وازالتها ، فجاءت بنظام تأباه الفطرة البشرية ولا تستسيغه ، وحمّلت النفوس مالا طاقة لها به ، حيث حرمت الزواج على الرهبان والراهبات ، وألزمتهم بضروب من التقشف والحرمان من طيبات الحياة ، وتعذيـب الجسد بمختلف ألوان التعذيب . لكنها لم تفلح في محاولتها تلك ؛ لأن ما فرضته على الرهبان من الغلو في الزهد ترفضه الفطرة الانسانية وتمجه ، فكان الفســاد الأخلاقي من الرهبان ، وأصبحت الأديرة تعجّ بالمجون والخلاعة والدعارة .

وكانت " الرهبنة في أصلها فرارا من الاضطهاد الروماني ، حيث عانـــى المسيحيون في عهد الاضطهاد صنوفا من التعسف والقسوة -كما ذكرنا *- وكـــان ذلك -كما يقول الكتّاب المسيحيون - تدريبا للمسيحيين على التضحية وحب الفداء . ثم بعد أن توقف الاضطهاد أصبحت الرهبنة طريقا لتحقيق الرغبة في التضحيـــة والفداء ، فقرر الذين فاتهم أن يضحوا بدمائهم ، التضحية بمتعهم ، فلجئوا إلـى التفرد بالجبال ، والابتعاد عن ضجيج الحياة والحرمان من متعها وتعذيب الجسـم بالجوع والعطش وخشن الثياب ، والتبتل ، وعدم الزواج ، والعكوف على العبادة (المتواصلة) تقديرا للسيد المسيح الذى بذل نفسه من أجل البشر . ثم مالبثـت أن صارت جزءا من الدين وأصلا من أصوله ، وركن ركين في الديانة المسيحية "[2] حيث

---

(1) ابن تيمية / النبوات ص ٤٣٠

* انظر ص ١٤٧ من هذه الرسالة .

(2) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ٢٤٤/ ٢٤٥ ط ٥ .
وانظر كذلك الشيخ ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية في التبشير ص ٧٢ .

أخذوا ينسبون إلى المسيح أقوالا تدل -كما يزعمون -على أن المسيح هو الواضع الحقيقي لأسس الرهبنة وأصولها . من هذه النصوص قوله :

"إذا أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ، واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعني . . .

. . . ومن أضاع حياته من أجلي سوف يجدها . . .

من ترك بيوتا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية ."(١)

وورد في الاصحاح التاسع عشر من انجيل متّى قول المسيح :

"لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل ."(٢)

ولقد " وجّه كثير من المسيحيين همهم كله الى العمل على أن يستقبلوا يوم الحساب الرهيب طاهرين من الدنس ، فكانوا لذلك يرون في كل لذة من ملذات الحواس غواية من غوايات الشيطان ، ولهذا أخذوا يندءون بمعالم الجسم ويعملون لكبت الشهوات بكثير من أنواع التعذيب البدني . . ."(٣) كما سيأتي .

هذه هي أسسهم التي يستندون اليها في شريعة الرهبانية. وقبل مناقشتها نقول :

إن هذه الروايات المروية عن المسيح ، والتي فيها حثّ على الزهد في الدنيا وذمّها ، ليس المقصود منها -على فرض صحة نسبتها إليه - ذما عاما مطلقا للدنيا

---

(١) انجيل متّى ١٩ : ١٦-٢١ .

(٢) فقرة ١٢ .

(٣) ول ديورانت / قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٨٢ .

وخيراتها ـ كما فعل الصوفية في الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا ـ وانما هي واردة في ذمّ الدنيا حين تصد عن الايمان بالله، أو تصد عن الجهاد في سبيله . وذلك بسبب قسوة قلوب بني اسرائيل ، وخلو نفوسهم من طراوة الحب ونداوته ، وعلو أرواحهم الجفاف ، وغلبة الطبيعة المادية عليهم ، وحب الحياة الدنيا ، فكانت دعوة عيسى هي الزهد والترفع عن الشهوات والدنايا ، والقرب من الله .

أما اعتزال الحياة الواقعية بكل مافيها ، واللجوء الى الأديرة ، والانقطاع عن تيار الحياة ، والتخلي عن عمارتها بالنسل والانتاج ، فذلك أمر مضاد لدفعة الحياة السوية كما خلقها الله .(١)

ولا يمكن أن تأتي بها رسالة من رسالات الله على لسان المسيح أو غيره من الأنبياء .

والآن لنمضِ في مناقشة أسسهم الدينية التي يستندون اليها في الرهبانية ونصحب معنا في هذه المناقشة علما من أعلامهم هو (الأنبا باسيليوس) ـ مطران أبي تيج ـ ، حيث يبيّن لنا أن الرهبنة بمعناها الحالي إنما هي من مخترعات البشر وتدليساتهم ، وان معناها الحقيقي هو التبشير بالمسيحية قولا وعملا ، لا الانفراد والعزلة في الصوامع . فيقول :

" إن الرهبنة ليس لها سند ، أى أن الكتاب لم يوصِ بها . وأمامنا سيرة المخلص وتعاليمه المقدسة، وهي الدستور الوحيد الذى يجب أن تسير عليه الكنيسة في سائر الأجيال ، فإنه ـ له المجد ـ لم يذكر مسألة التبتل إلاّ مرة واحدة(٢) وكان كلامه

---

(١) الأستاذ محمد قطب / مذاهب فكرية معاصرة ص٦٠ / ٦٢ بتصرف قليل .

(٢) انجيل متّى ١٩ : ١٢ .

عن الخصيان الذين ولدوا من بطون أمهاتهم ، والذين خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، إذ قال : "ان هذا الأمر ليس لكل الناس ، بل للذين أعطي لهم".

والفرق بعيد بين الوصية أو الأمر ، وبين المواهب الخاصة التي تعطى من السماء لأشخاص معينين ، كما في أمر الأنبياء والرسل .

ثم إن السيد - له المجد - لما تلمذ رسله وزودهم بوصاياه وعلمهم ما يجب عليهم أن يعملوه لم يقل لهم من كان منكم متهللاً فليسكن الجبال ، بل أمرهم جميعا قائلا : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .

إذن فالرهبنة وسكنى الجبال إنما هما من اختراعات البشر ، وهي اختراعات أهلكت ولا تزال تهلك أنفسا كثيرين ، لأنه قل من الرهبان من وصلت سفينته الى الميناء سالمة ، بل إن أكثرهم سقطوا سقوطا مريعا حتى في وسط الجبال والبراري التي تحصنوا فيها ...

ثم إن هؤلاء الذين هربوا الى الجبال خوفا على حياتهم الاضطهاد الذي حصل في حكم الرومان في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع قد عارضهم آباء كثيرون في ذلك ، كما قال (ترتليانوس) : "إن الله لم يخلقنا لنعيش في الجبال" ، و (يوحنا فم الذهب) قال : "إن التوبة ليست في لبسنا المسوح ، وحبس أنفسنا والعيشة في الخفاء بل علينا أن نشعر شعورا عميقا بالخطية ونقيس مسافة الطريق الذي يفصلنا من السماء"....

ثم يقول : من أهمّ ما نوجّه اليه الأنظار في هذا الباب أمران : الأول : اننا لم نسمع قط إن الله سرّ بالذين اكتفوا بخلاص نفوسهم دون غيرهم ، بل إن سروره كان ولا يزال بالذين يسعون إلى خلاص النفوس . أما الذين انتهت حياتهم بعيدين عن العالم ولم يتجندوا ليسوع فسوف يسألهم عن تهاونهم .

الثاني : إن الظن بأن المعيشة فى الجبال والبرارى ترفع الانسان الى مستوى القداسة الكاملة التى تنحط دونها درجة الموجودين فى وسط العالم، انما هو ظن باطل ، ولا محل له فى تعليم الرب (أ) ؛ لأنه لم يطلب من أبيه (أ) تقديس مستوطنى الجبال فقط ،بل طلب تقديس الموجودين فى العالم بقوله لأبيه فى صلاته "الذين أعطيتني اياهم ، قدسهم فى حقك ليكونوا هم أيضا مقدسين فى الحق ، ولست بعد أنا فى العالم ، أما هؤلاء فهم فى العالم احفظهم فى اسمك ليكونوا واحدا كما نحن ".[1] وماجرى فى حادثة التجلي على الجبل[2] أكبر دليل على أن السيد المسيح لا يريد أن يكون رسله ، وخدام كلمته ، وحملة بشارته من سكان الجبال ، فإنه لما قال بطرس انه خير لنا أن نبقى هنا ، كان الجواب على ذلك سقوطه هو وزميله ،فأغمى عليهما من الخوف، ويصفهما الوحي هنا بأنهما ماكانا يعلمان مايقولان ."[3]

وبغض النظر عمّا فى هذا الكلام من أمور باطلة تتضمنها ألفاظ الربوبية بالنسبة للمسيح -عليه السلام - ، وألفاظ الأبوة بالنسبة لله -عز وجل - بغض النظر عن ذلك فإننا نأخذ من هذه المناقشة إبطال الأنبا (باسيليوس) للرهبنة كأساس من أسس المسيحية ،وابطال القول باتخاذ المسيح لها ، وكذلك إبطال كونها طريقا للخلاص.

---

(١) انجيل يوحنا ١٧ : ٦-١١ .

(٢) انجيل مرقس ١٤ : ٣٢-٤٢ ، وكذلك انجيل متى ٢٦ : ٣٦-٤٥ .

(٣) صوت الحق فى البتولية فى العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان ج ١ ص ١٠-١٤ بتلخيص .

وقد وجدنا من الرهبان من يدّعي أن ترهّبهم إنما هو تشبّه ببولس الذى عاش بتولا ، وحثه للمتبتلين على عدم الزواج[1]. فما هو قولهم عندما أردف بولس وقال : "التزوّج أصلح من التحرّق"[2] ؟

وما قولهم حين يوجب "أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة "[3] ؟ ليس بعل امرأة فحسب ،بل و" له أولاد مؤمنون ليسوا فى شكاية الخلاعة، ولا متمردين ..."[4]

هذا هو كلام بولس. فأين منه تلك الرهبانية المدعاة؟ !

ثم نتساءل : هل اختيار رجال الدين من فئة الرهبان مطابق لماجاء فى الأسفار المقدسة لديهم؟

الواقع ليس كذلك ،فقد أعلن بولس فى الاصحاح الأول من رسالته الى أهل رومية بوقوع الفحشاء ، وصدورها عن الأمة النصرانية وماذلك الا لأسباب عدة منها :

---

(١) اشارة الى ماجاء فى الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس (٧ : ١-٨) .
" وأما من جهة الأمور التى كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحدا امرأته وليكن لكل واحدة رجلها .... ولكن أقول هذا على سبيل الأذن لا على سبيل الأمر ،لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا . لكن كل واحد له موهبته الخاصّة من الله ،الواحد هكذا والآخر هكذا . ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا"

(٢) الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ٩ .

(٣) الرسالة الأولى الى تيموثاوس ٣ : ٢ .

(٤) الرسالة الى تيطس ١ : ٦ .

منع الزواج على الرؤساء ، حيث يقول :

" ... لذلك أسلمهم الله الى أهواء الهوان ؛ لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضا ، تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض ، فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور ، ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق ." (١)

كما وان من مبادئ النصرانية - حسبما جاء فى أسفارهم - أن رجال الدين عليهم أن ينشغلوا فى الوعظ والارشاد ، ولا ينشغلوا بالمال واقتنائه وتكديسه. وفى ذلك يقولون :

" لا يحسن أن نترك كلمة الله ، ونخدم الموائد ، فاختاروا أيها الأخوة سبعة رجال منكم يشهد لهم بالفضل ، قد ملأهم الروح والحكمة ، فنقيمهم على هذه الحاجة ، ونحن نواظب على الصلاة ، وخدمة الكلمة " (٢)

ومانراه اليوم عكس ذلك تماما ، حيث أصبح همّ الرهبانية الوحيد هو جمع المال من الشعب لافقاره دائما حتى يكونوا مسيطرين عليه ، كما أصبح همهم أن تكون لهم الرئاسة ، وأصبحت فئة الرهبان هى الفئة التى حرمت المسكين والفقير من حقوقه . (٣)

وانه لتتضح لنا مجافاة الرهبانية للفطرة الانسانية ، وتعطيلها للملكات البشرية أن تنطلق فى الدعوة الى الحق ، وعمل الخير . وشاعتها كسلوك غير كريم فى الحياة - إنه ليتضح لنا ذلك كله ، إذا عرفنا ما هو واجب على الرهبان أن يفعلوه،

---

(١) فقرة / ٢٦ .

(٢) سفر أعمال الرسل ٦ : ١-٦ .

(٣) انظر مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى العدد الحادى عشر ص ١٩٤ / ١٩٥ .

وعرفنا نماذج من سلوك بعض هؤلاء الرهبان .

فعلى الرهبان أن يلتزموا في رهبانيتهم بما يأتي :

(١) الغلو في الزهد في الدنيا : وفي ذلك يقول صاحب كتاب "المشكلة الأخلاقية - والفلاسفة".

"لنقرأ هذا السفر الطريف "محاكاة المسيح" للراهب (أوغسطين) انه سفر من أكبر أسفار التبتل المسيحي ، ولنطلب بين صحائفه مظاهر الحياة المسيحية بمعناها الصحيح ، وان ماتجده لمعبّر عن الحال أبلغ عبارة :

احتقار أساسي لكل علم حتى ليشمل ذلك علم الالهيات ، واحتقار أصيل لكل مانسميه خيرات هذا العالم : الثراء ، والشرف الاجتماعي ، حتى المركز الوسط . وانه لحتم علينا أن نستشعر دائما التواضع والندم ، وأن نمارس عمليا على الدوام التضحية وكل مظهر تمليه الرحمة ، وأن نجمع حواسنا في صمت وذهول تام ، وتأمل ديني ينسى المرء فيه كيانه . يجب أن نقتل فينا كل ميل دنيوي ، يجب أن يموت عالم الرغبة ، يجب أن نبدأ من هذا العالم الزائل ، ماسوف يكون لنا الوجود الأبدي ."(١)

ثم يعلّق على هذه التعاليم قائلا :

"عظمة وعلاء ، ولكنه قضاء قاس على الانسانية ، وان التطبيق الكامل لمثل تلك المبادئ ليمكن أن يملأ الأرض بأديرة فيها الرجال من جهة ، والنساء من جهة أخرى ينتظرون في طهارة وتأمل الزوال النهائي للنوع الانساني "(٢)

---

(١) ص ١١٥ نقلا عن سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩١ .

(٢) أنظر : كرسون / المشكلة الأخلاقية والفلاسفة / ترجمة عبد الحليم محمود ص ١١٥

نقلا عن سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩١

(٢) الابتعاد عن النساء وعدم التزوّج : يقول (ول ديورانت) في ذلك :

"كانت الكنيسة منذ زمن بعيد تعارض زواج رجال الدين بحجة أن القس المتزوج يضع ولاءه لزوجه وأبنائه في منزلة أعلى من إخلاصه للكنيسة . . . وأنه سيحاول أن ينقل كرسيه أو مرتبته لأحد أبنائه . . . يضاف الى هذا أن القس يجب أن يكرس حياته لله ، والكنيسة ، وبني الانسان . وأن مستواه الأخلاقي يجب أن يعلو على مستوى أخلاق الشعب ، وأن يضفي عليه مستواه هذا المكانة التي لا بدّ منها لاكتساب ثقة الناس واجلالهم اياه ." (١) "بوجوب التبتل على رجال الدين ، وتطليق زوجات المتزوجين منهم ، وكان لهذا آثار امتدت الى القرن السادس عشر ، وانتهت بانتصار الكنيسة ." (٢)

وأساس ذلك أن المسيح لم يتزوج ، وقد جاء على لسانه ـ حسب زعمهم ـ :

" يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يقبل ، فليقبل ." (٣)

(٣) ضرورة الافراط في العبادة وعقوبات الاخلال بها :

" يفرض نظام الحياة الرهبانية على الراهب أن يكون في حالة عبادة مستمرة ، وعليه أن يجهد نفسه ويرهقها ، ويكلفها مالا تطيقه من الصلوات والصيام والتراتيل والترانيم وسائر الطقوس" (٤)

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص٣٨٣/ ٣٨٤ .

(٢) تاريخ أوربا في العصور الوسطى / أ . هـ . فشر / ترجمة مصطفى زيادة جـ٢ ص٥٢ ، نقلا عن العلمانية / سفر عبد الرحمن الحوالي ص٩٠ .

(٣) انجيل متّى ١٩ : ١٢ .

(٤) سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص٩٢ .

ومن أمثلة ذلك : تعاليم التقديس (كولمبان) الذى أسس الأديرة فى جبال الفوج بفرنسا ، حيث كان من تعاليمه :

" يجب أن تصوم كل يوم ، وتصلي كل يوم ، وتعمل كل يوم ، وتقرأ كل يوم . وعلى الراهب أن يعيش تحت حكم أب واحد ، ويجب أن يأوي الى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر فى الطريق ." [1]

وأقام (كولمبان) - كما يذكر (ول ديورانت) - " نظام الحمد الذى لا ينقطع ، فقد كانت الأوراد يتلوها بلا انقطاع ليلا ونهارا طائفة بعد طائفة من الرهبان يوجهونها الى عيسى ومريم والقديسين ." [2]

" وكانت العقوبات صارمة أكثر ماتكون بالجلد :

ستة سياط إذا سعل وهو يبدأ ترنيمة أو نسي أن يدرم أظافره قبل تلاوة القداس ، أو تبسم أثناء الصلاة ، أو قرع القدح بأسنانه أثناء العشاء الرباني .

وكانت اثنا عشر سوطا عقاب الراهب إذا نسي أن يدعو الله قبل الطعام ، وخمسون سوطا عقاب المتأخر عن الصلاة ، ومائة سوط لمن يشترك فى نزاع ، ومائتا سوط لمن يتحدث من غير احتشام مع امرأة ." [3]

والطاعة التامة هذه التى يدين بها الرهبان لرؤسائهم إنما يرجعونها الى ماجاء فى الانجيل عن المسيح : " مع كونه ابنا تعلم الطاعة " [4]

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص٣٦٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الرسالة الى العبرانيين ٥ : ٨ .

هذا وان صور التعذيب الذى يمارسه الرهبان إنما يعبرون به عن قسوة ايمانهم ف " هناك راهب منعزل ، اخترع درجة جديدة من الورع يربط بها نفسه بسلسلة الى صخرة فى غار ضيق " (1)

أما القديس (كولمبان) فقد " كانت السناجب تجثم - فى اطمئنان - على كتفيه ، وتدخل فى قلنسوته ، وتخرج منها " (2) وهو ساكن لا يبدي حراكا .

وروى المؤرخون من ذلك عجائب : فحدثوا عن الراهب (مكاريوس) " أنه نام ستة أشهر فى مستنقع ليقرض جسمه العاري ذباب سام ، وكان يحمل نحو قنطار من حديد . وكان صاحبه الراهب (يوسيبس) يحمل نحو قنطارين من حديد ، وقد أقام ثلاثة أعوام فى بئر نزح .

وقد عَبد الراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائما على رجل واحدة ، ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة ، فاذا تعب جداً أسند ظهره الى صخرة .

وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائما ، وانما يتسترون بشعرهم الطويل ، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ، وكان أكثرهم يسكنون فى مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ، ويأكل كثيراً من الكلأ والحشيش ، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ، ويتأثمون عن غسل الأعضاء .

وأزهد الناس عندهم ، وأتقاهم ، أبعدهم عن الطهارة ، وأوغلهم فى النجاسات والدنس . يقول الراهب (اتهيمنس) :

إن الراهب (أنتونى) لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره .

وكان الراهب (ابراهام) لم يمسّ وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة . وقد

---

(1) هـ . ج . ولز / معالم تاريخ الانسانية جـ ٣ ص ٧٣٢ .

(2) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ٤ ص١٦٦ ٣ .

قال الراهب الاسكندرى بعد زمن متلهفا :

وا أسفاه ! لقد كنا في زمن نعدّ غسل الوجه حراما ، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات . . "[1]

وقد أرجع المسيحيون هذا التعذيب البدني (الجنوني) الى الاقتداء بالسيد المسيح في زهده واحتماله الآلام ، وبما جاء في أعمال الرسل :

" إنه بمضايقات كثيرة ينبغي أن تدخل ملكوت الله . "[2]

ولعل الباحث في تاريخ مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين يتبعون في ترهبهم هذا الاتجاه الهندي القائم على " الزهادة المفرطة بالصوم ، وأرق الليل ، وتعذيب النفس "[3] والحافل بالبؤس ومحاربة الملاذ ، حيث إن من ضمن تعاليم الهندوس في هذا الشأن قولهم :

عوّد نفسك على تقلبات الموسم ، فاجلس تحت الشمس المحرقة ، وعش أيام المطر تحت السماء ، وارتد الرداء المبلل في الشتاء ، لا تفكر في الراحة البدنية ، اجتنب سائر الملذات . . . ماقيمة الجسد والأفراح والثروة والجاه والملك ان كان محتما علينا أن نموت . . . "[4]

هذا المنحى هو عينه منحى المسيحيين في ترهبهم وانقطاعهم للعبادة ، ولعلهم أخذوه عنهم . والكاتب المسيحي (هـ . ج . ولز) يؤكد لنا تأثر المسيحيين

---

(١) أنظر أبو الحسن الندوى / ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٨٧ ط ٤ دار الانصار .

(٢) ١٤ : ٢٣ .

(٣) الدكتور أحمد شلبى / الهندوسية ص٦٩ ط٣ .

(٤) المرجع السابق ص(٧١ ، ٧٢) .

بمن سبقهم من البوذيين واليهود والمصريين في الترهب والانعزال . ويذكر أن الأديرة كانت منتشرة في العالم قبل مجيء المسيحية فيقول :

" كانت الأديرة موجودة في العالم قبل ظهور المسيحية ، وفي الفترة التي ألمّ فيها الشقاء الاجتماعي باليهود قبل زمان يسوع الناصري ، كانت طائفة من النساك الاسّينيين * تعيش منعزلة في مجتمعات ، وقد وهبت نفسها لحياة تقشفية من الوحدة والطهر ، وانكار الذات . كذلك أنشأت البوذية لنفسها مجتمعات من رجال اعتزلوا الجهود العامة والتجارة في العالم ؛ ليعيشوا عيشة التقشف والتأمل . . . ونشأت في زمن مبكر جدا من تاريخ المسيحية حركة متشابهة لهذه تتنكب مايغمر حياة الناس اليومية من منافسة وحمية وشدائد . وفي مصر على وجه الخصوص ، خرجت حشود كبيرة من الرجال والنساء الى الصحراء ، وهناك عاشوا عيشة عزلة تامة ، قوامها الصلوات والتأملات ، وظلوا يعيشون في فقر مدقع في الكهوف أو تحت الصخور على الصدقات التي تقذفها اليهم الصدفة من أولئك

---

* الأسينيون : طائفة إخاء يهودية دينية،كانت تعيش عيشة شظف،وتقشف، وانعزالية. وقد نشأت -على الأغلب- في القرن الثاني قبل الميلاد، واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات السرية،وبعض المذاهب الفلسفية،كمذهب فيثاغورث الذي يحرم ذبح الحيوان،ويدعو الى التقشف، والقناعة بالقليل . أنظر عباس محمود العقاد في موسوعته توحيد وأنبياء المجلد الأول ص٥٧٨ -٥٨٠ .

الذين يتأثرون بقداستهم . "(١)

وتأكيدا لما قاله (ولز) ، يقول الانبا (باسيليوس) ـ مثبتـــا أنّ الرهبنة ليست من المسيحية ، وانما هي وثنية ـ :

" انّ الذين أسسوا الرهبنة في بلادنا المصرية ، وهم الآبـــاء (أنطونيوس ، ومكاريوس ، وباخوميوس) وغيرهم ، لم يقتبسوا هـــذه الطريقة من الكتب المقدسة ، بل اقتبسوها ممن كانوا متمسكين بهـــا منذ أجيال طويلة قبل ظهور الديانة المسيحية ؛ لأنّها كانت شائعـــة بين اليهود والوثنيين ، حيث يرجع تاريخها عند اليهود الى عصـــر (ايليا واليشع) اللذين عاشا في الجيل العاشر قبل الميلاد . وقـــد يكون تاريخها قبل ذلك . أمّا عند الوثنيين فتبتدئ من عصر بـــوذا معبود الصينيين ، الذى ولد في أوائل القرن الخامس قبل الميـــلاد. فمما عرف عن هذا الرجل ، أنّه بعد أن تزوّج مال فجأة لترك العالـــم، وممارسة عيشة النسك ، فهجر زوجته ، وذهب الى احدى الغابـــات، فسكنها سبع سنوات . وهكذا بعض طوائف اليهود تأمر كهنتهـــا بالبتولية ، ورياضة النفس على التقشف ، والزهد . "(٢)

ويرى آخرون : أنّ الرهبنة جاءت للمسيحية من ديانة الرومـــان (فستا) ، التي كانت قبل المسيح بألف عام ؛ لأنّ (رملس) الـــ الرومان كان ابن (ريا سلفيا) ، ابنة أحد الأمراء التي نـــذرت العفة ، وانخرطت في سلك العذارى ، المقيمات في هيكل الالـــه (فستا) للعبادة . "(٣)

---

(١) معالم تاريخ الانسانية / جـ ٣ ص ٧٣٠ / ٧٣١
وانظر كذلك عباس محمود العقاد في موسوعته (توحيد وأنبيـــاء) المجلد الأول ص ٥٧٨ / ٥٨١

(٢) صوت الحقّ في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفـــة الشبان جـ١ ص ١٠٢٩

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاســـلام صفحـــة ٧٣

"بدأت الرهبانية المسيحية إذن - كما قلنا آنفا - في مصر وفلسطين ، فعاش الرهبان المتوحدون في الصحراء ، وأشهرهم : القديس (انطونيوس) (في القرن الرابع الميلادي) ، ومعاصره القديس (باخوميوس) الذي أدخل نظام الرهبنة الجماعية في مصر .

وعرفت الرهبنة في (ايرلندا) في القرن السادس الميلادي . وظهر (البندكتيون) في الوقت نفسه بايطاليا ، وامتدوا منها الى بلاد أوروبية أخرى ، أصبح نظامهم شائعا في القرن العاشر ، وامتد الى جميع أنحاء أوروبا .

وفي القرن الثالث عشر ظهر (الدومينيكان والفرنسيسكان) الذين كان لهم أثر واضح في الحياة العقلية بمدن أوروبا الكبرى ، ونهضوا بالمدارس والجامعات ، وعنوا خاصة بالفلسفة الأرسطية .

ومن مميزاتهم : أن أصبحت الرهبنة عالمية ، فلا يرتبط الراهب بدير معين ، بل هو عضو في الجماعة بأسرها .

وضعفت الرهبنة في القرن الخامس عشر على أثر الاصلاح الديني ، وحاربتها البروتستانتية في البلاد التي سادت فيها .

ومنذ القرن السابع عشر ظهرت رهبنات أخرى جديدة للرجال والنساء في شتى أنحاء العالم ." (١)

ورغم أن المسيحيين قد ابتدعوا الرهبانية طلبا للتضحية والفداء ، فإنهم لم يرعوها حق رعايتها . قال تعالى :

---

(١) محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص٨٨٢ .

" ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . . . " الآية (١)؛ وذلك لتحميلهم النفوس مالا طاقة لها به، وكبتها، وتعذيبها من غير ضرورة ولا نص من كتاب. فكان أن اصطدمت مع الفطرة السوية التي خلق الله عليها الخلق ، وكان بالتالي أن تحولت الأديرة الى حانات للخمور ومواخير للفساد ، ومباءة للقذارة الحسية والمعنوية ، يتعفّف عنها الرجل العادي أو الفتاة العادية ، وتبعث على التقزز والنفور. بالاضافة إلى أنه قد أصبح حرص الرهبان على المراتب - التي تجعل الرهبانية سلما لارتقاء ذروتها - أكثر من حرصهم على الرهبانية ذاتها التي تحثّ على التفرغ للعبادة ، وعدم الانشغال بالدنيا . (٢)

" وقد وصل الحال بنصارى الشرق - وربما كانوا أكثر حياء وأشد تمسّكا - إلى حدّ أن المستهترين من الخلفاء والشعراء المجّان كانوا يرتادون الأديرة ، كما يرتاد رواد الدعارة اليوم بيوت العهر ، وألّفوا في ذلك كتبا، منها كتاب (الديارات) لأبي الحسن الشابشتي المعروف لدى دارسي الأدب العربي . " (٣)

" لقد استخفّ الرهبان - وهم يقسمون بأن يبقوا عزابا - بقوة الغريزة الجنسية ، وكثيرا مايعبرون عن رؤاهم القدسية الروحية بعبارات مستعارة من العشق الآدمي . " (٤)

---

(١) سورة الحديد / آية ٢٧ .

(٢) الأستاذ محمد قطب / مذاهب فكرية معاصرة ص٦٢ .

(٣) سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص٩٤/ ٩٥ .

(٤) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ٦ ص١٠٩ .

" وقد علمنا عن طريق كتابهم (المقدس!) أن الشيطان قد جاء إلى إلههم وأراد غوايته وتضليله بطلبه السجود له . فإذا كان هذا هو حال إلههم مع الشيطان ، فكيف هو حال الأساقفة والرهبان حين يختلون في مخادع الكنائس بالغانيات والغلمان المرد ، يجرونهم بوسيلة الغفران . "(١)

لقد تدهورت الأديرة ، وانحطت أخلاقيات رجال الدين والرهبان انحطاطا أوصلها الى الدرك الأسفل من الدعارة والمجون والفسق . " فالراهبات يجتمعن في خلوات المعابد مع فحول الرهبان الممنوعين من الزواج ليلا ونهارا بدون رقيب "(٢) ويبحن لهم أعراضهن رحمة بهم ، ومن تفعل هذا منهن تكون عندهم مشكورة محمودة ، ويدعى لها بالخير ، ويقال للفاعلة : لا ينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة . "(٣)

ويشرح (سانت أدو) رئيس دير (كلوني) حال الأديرة التي كان المفروض فيها أن تكون مكانا للعفة والطهارة بدلا من أن تصبح مأوى وملاذاً للدعارة والعهر والخلاعة ، مبينا أن هذه الحال التي وصلت اليها الأديرة رأس الفتنة فيها هم الذين يتسترون تحت شعار الدين ويتسمون باسمه، إنهم رجال الدين، والدين منهم بريء ، وابن العذراء بريء منهم أيضا . يقول في ذلك :

"إن بعض رجال الدين في الأديرة وفي خارجها يستهترون بابن العذراء

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص٣٣٤ .

(٣) انظر القاضي عبد الجبار الهمداني / تثبيت دلائل النبوة ص١٦٩ / ١٧١ نقلا عن الشيخ ابراهيم الجبهان معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص٧١ .

استهتارا يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها ، بل في تلك البيوت التي أنشأها المؤمنون الخاشعون ؛ لكي تكون ملاذا للعفة والطهارة في حرمها المسور .

لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكانا تضع فيه الطفل عيسى . . . "(١)

فلم تكن الأديرة حصنا حقيقيا من الفساد ، أو عاصما من السقوط في مخالب ابليس ، بل إن أوائل الرهبان سقطوا سقوطا مريعا نتيجة الكبت للجسد الانساني . والتاريخ الأوربي ملئ بالأخبار عن البابوات الذين ارتكبوا الفواحش والفجور ، وما ذلك الا بسبب حجر أنفسهم عن الزواج ، ومغالبة الطبع السوي والفطرة السليمة . ومما جاء في ذلك :

"أن راهبا متوحدا وصل الى سنّ الشيخوخة تمثل له الشيطان (!) بزي امرأة تائهة ، وقد أرخى الليل عليها سدوله ، وخوفا على حياتها لجأت اليه لتبيت عنده تلك الليلة حتى مطلع النهار ، ثم تنصرف الى حال سبيلها . فقبلها عنده ، وبوجودهما معا دار الحديث بينهما على عدم لزوم الرهبنة والوحدة ، الى أن مالت نفسه لفعل الخطيئة مع تلك المرأة ، وبذلك صرعه الشيطان ، فمات كما مات غيره في الفساد . "(٢)

وفي أحد الأخبار أيضا : "أن البابا (اكليمنضوس الخامس عشر) كان يتجول في فينا وليون لجمع المال ، ومعه عشيقته .

وان البابا (يوحنا الثاني عشر) قتل وهو معانق لامرأة ، وكان القاتل له زوجها .

---

(١) نقلا عن ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص٣٧٢ / ٣٧٣ .

(٢) الأنبا باسيليوس / صوت الحق في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان جـ١ ص١٦ .

وان البابا (يوحنا الثالث والعشرين) ذكر بأنه سمّ سلفه ، وباع الوظائف الكنائسية ، وأنه كان كافرا ولوطيا معا ." (١)

واذا كان هذا هو حال أوائلهم الذين ترهبوا حباً في العبادة والطهر فقط . وهذا هو حال باباواتهم . وهم رؤساء الرؤساء الدينية - الذين جعلوا أنفسهم عنوان العفة والفضيلة ، فما هو ياترى حال رهبان هذا الزمن الذى تفشت فيه الرذائل ، وتعددت فيه العثرات ، بل ما هو حال من هم أدنى منهم مرتبة .

جاء فى مجلة (رسالة الحياة) المسيحية مايدلنا على النتائج الوخيمة التى ترتبت على الرهبنة . تقول المجلة :

" تحتوي الأديرة على فساد عميق ، وهيهات أن يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ أنها تضمّ بين جدرانها أفّاقين أولى بهم غيابات السجون ." (٢)

ويقول الشيخ (ابراهيم الجبهان) - معلقا على ممارسة الرذيلة فى الأديرة، وساخرا من ذلك -:

" لعلّ سماحهم بممارسة الرذيلة فى الأديرة هو أحد أسرارهم المقدسة التى لا يبوحون بها إلاّ لمن ارتقى الدرجات العليا فى سلّم الكهانة ." (٣)

وعلماءُ المسيحية المصلحون يئنون الآن ويصرخون فى هلع من هذه البدع والمستنكرات والمفاسد ، ويطالبون باجتثاث هذه البدعة فيقولون :

" قد ثبت لدينا بالدليل القاطع أن الرهبنة أصل كل الشرور وأصبحت

---

(١) أنظر / عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص١٤١/١٤٢ .

(٢) السنة الأولى العدد الخامس ص٧٤ .

(٣) معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص٧١ .

الأديرة أوكارا للفساد ، فيجب علينا استئصالها من جذورها ومحوها من الوجــود ، والرجوع الى الحالة الأولى في انتخاب الرعاة[١] من خيار الشعب." [٢]

ويقول الدكتور (رمزى جرجس) في التدليل على فساد الأديرة :

"إن منشئ الرهبنة الأنبا (انطونيوس) قال لزميله (مكاريوس) : "قــم يامقارة ، اقفل الديارة ، لأن الرهبنة فسدت ".

فإذا كان هذا حكم منشئ الرهبنة على زملائه الذين ربّاهم وعلّمهم ، فكــم يكون حكمه على رهبان هذا الزمن المنكود ." [٣]

وبين يدىّ الآن كتاب (الديارات / لأبى الحسن الشابشتى) فلنقلــب صفحاته ، لنرى ماذا يحدثنا عن الأديرة ومفاسدها .

النموذج الأول : دير الجاثليق :

وهو لا يخلو من المتنزهين فيه ، والقاصدين له ، ومن يألفه من أهل الخلاعــة والبطالة . قال فيه أحد الشعراء :

تذكرت دير الجاثليق وفتية ∴ بهم تمّ لى فيه السرور وأسعفـــا
بهم طابت الدنيا وتم سرورها ∴ وسالمنى صرف الزمان وأنصفـــا
ألا ربّ يوم قد نعمت بظلـــه ∴ أبادر من لذات عيشى ماصفـــا
أغازل فيه أدعج الطرف أهيفا ∴ وأسقى به مسكيّة الريح قرقفـــا [٤]

---

(١) أى رعاة الكنيسة .

(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الأولى العدد الثانى ص١٩ .

(٣) المرجع السابق السنة الأولى العدد الخامس ص٤٧ .

(٤) القرقف اسم من أسماء الخمر . انظر الكتاب المذكور ص٢٨ .

النموذج الثاني : دير قوطـــا :

يجمع هذا الدير أحوالا كثيرة منها :

إن الشراب هناك مبذول ، والحانات كثيرة . ومنها :

إن في هذا الموضع مايطلبه أهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحســان .

ولعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع(١) فيه :

يا دير قوطا لقد هيجت لي طربـــا ∴ أزاح عن قلبي الأحزان والكربـــا

كم ليلة فيك واصلت السرور بهـــا ∴ لما وصلت لها الأدوار والنخبـــا

في فتية بذلوا في القصف ماملكـــوا ∴ وأنفقوا في التصابي المال والنشبـــا

أقمت بالدير حتى صار لي وطنـــا ∴ من أجله لبست المسح والصلبـــا

وصار شماسه لي صاحبا وأخـــا ∴ وصار قسيسه لي والداً وأبـــا

وكان عبد الله هذا صاحب غزل ومجون كثير التطرح في الديارات والحانات والاتباع لأهل اللهو والخلاعة .(٢)

النموذج الثالث : دير الكلب :

ويجتمع اليه أهل الرفث والمجّان ، وتسمع به الأغاني وأنواع الملاهـــي ، وتذبح به الذبائح وتشرب الخمور .(٣)

ومن أراد الاستزادة ، فليرجع الى الكتاب المذكور فهو مليء بالأخبار عـــن الديارات ومافيها من رذائل تقشعر لها الأبدان ، ويندى لها الجبين .

---

(١) شاعر أديب عاش في أيام المعتصم .

(٢) ص٦٢ / ٦٣ .

(٣) ص٥١٤ .

واذا كان لنا من كلمة نعقّب بها على الرهبانية ، ومافيها من الفساد ، فلنثبت هنا ماقاله الأستاذ محمد قطب في ذلك ، حيث يقول :

صحيح إن الله أحب لعباده أن يتخففوا من متاع الأرض ، ليفرغوا الى القيم العليا الجديرة بالانسان ، ووعدهم على ذلك بالجنة ، وجعل ذلك هو الابتلاء الذى يخوضه الانسان في الأرض .

(انا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا)[1] . ولكن الله لم يحرّم متاع الأرض .

وهناك أفراد - أفذاذ - يستطيعون أن يتخففوا من متاع الأرض الى أقصى حدّ دون أن يشغلهم الشعور بالحرمان عن الحركة والنشاط ، والعمل بايجابية كاملة ، أولئك هم الزهاد على بصيرة . وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم إمام الزاهدين ، وهو أكبر طاقة ايجابية حركية عرفتها البشرية .

ولكن الرهبانية ليست كذلك ... انها اعتزال للحياة الواقعية ، ولياذ بالأديرة ، وكبت للغرائز الجسدية .

لذا كانت مضادة للفطرة السوية التى خلق الله عليها الخلق . وصدق الله العظيم إذ يقول :

(ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون .)[2]

---

(١) سورة الكهف / آية ٧ .

(٢) سورة الحديد / آية ٢٧ . أنظر مذاهب فكرية معاصرة ص٦٠ / ٦٢ .

وسوف نذكر فى الفصل الأخير من هذا الباب مايوجهه ابن تيمية من نقـــد وابطال للرهبانية ، مبينا أنها ليست من المسيحية الصحيحة فى شئ .

◊◊

الفصل السابع

تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير

((الفصل السابع))

" تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير"

الخنزير هو من الحيوانات النجسة والقذرة ، ولم يكن مألوفاً أكله في الأمم المتقدمة لقذارته ونجاسته ، ولأن لحمه يولّد بعض الأمراض، وهو من الحيوانات المحرم أكل لحومها في اليهودية .

ففي التوراة ما جاء من قول الرب - محذراً بني اسرائيل ، وناهيا اياهم عن أكل لحوم بعض الحيوانات ومن بينها لحم الخنزير - من ذلك ما جاء في سفر اللاويين :

" وكلّم الرب موسى وهارون قائلا لهما : كلّما بني اسرائيل قائلين : هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض ، كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ، ويجترّ من البهائم ، فإياه تأكلون " (1)

ثم بعد ذلك سرد عليهما الأشياء المحرم أكلها على بني اسرائيل مبينا علة التحريم فيها فقال :

" الجمل ، لأنه يجترّ ، لكنه لا يشقّ ظلفا ، فهو نجس لكم . والوبر ، لأنه يجترّ ، لكنه لا يشق ظلفا ، فهو نجس لكم .

والأرنب ، لأنه يجتّر ، لكنه لا يشق ظلفا ، فهو نجس لكم .

والخنزير ، لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين ، لكنه لا يجترّ ، فهو نجس لكم ، من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا ، إنها نجسة لكم ". (2)

---

(1) ١١ : ١-٣ .

(2) سفر اللاويين ١١ : ٤-٨ .

ونفس التحريم والنهي جاء في سفر التثنية حيث قال :

" .... والخنزير ، لأنه يشق الظلف ، لكنه لا يجتر ، فهو نجس لكم ، فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا "(١)

وقد بقي اليهود ملتزمين بتحريم لحم الخنزير طاعة لهذه النصوص ، بل ظلوا ملتزمين بذلك حتى في عصور الاضطهاد مضحّين بأنفسهم في الالتزام بما تفرضه الشريعة الموسوية من واجبات .

ففي محاولة من أحد ملوك سوريا للقضاء على الديانة اليهودية في عصر ماقبل الميلاد ، يذكر لنا مؤلفو قاموس الكتاب المقدس أنه " في عصر (انتيخوس ابيفانيس)* كانوا يأمرون اليهود بأكل لحم الخنزير للتأكد من عدم بقائهم على دينهم القديم ، والولاء لدين غزاتهم وحكامهم "(٢)

ويسجل (وليم باركلى) ثبات اليهود على تحريم لحم الخنزير رغم مالاقوه من اضطهاد قائلا :

" ... ولكنهم (أي اليهود) بذلوا أنفسهم بالمئات للموت ، ولم يخضعوا لهذا الأمر . "(٣)

واستشهد بما جاء في سفر مكابيين الأول** مانصه :

---

(١) ١٤ : ٨ . وانظر كذلك سفر الأمثال ١١ : ٢٢ .

* هو انطيخوس الرابع أو (ابيفانيس) ملك سوريا من ١٧٥-١٦٣ ق .م . وقد أراد أن يمحق الديانة اليهودية فثار المكابيون ضده . انظر قاموس الكتاب المقدس ص١٢٦ .

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٣٥٠ .

(٣) تفسير انجيل مرقس ص٢١٤ .

** هو من الأسفار غير القانونية .

" ولكن كثيرين من اليهود تمسكوا بوصية الههم ، ولم يأكلوا نجسا ، إنهم فضلوا أن يموتوا على أن يأكلوا لحما نجسا فينقضوا العهد المقدس ، ولذلك ماتوا ".[١]

وأورد قصة مروعة عن سيدة يهودية عجوز كان لها سبعة أبناء (يهود) رفضوا جميعا أن يأكلوا لحم الخنزير رغم ما تعرضوا له من تعذيب على يد مضطهديهم ، ومات الواحد منهم تلو الآخر تحت عيني أمهم ، لكنها لم تحرك ساكنا ، ولما امتنعت هي الأخرى عن الأكل قتلوها آخر الكل.[٢]

وهذا يعني أنهم متمسكون بنصوص التوراة القاطعة بتحريم أكل لحم الخنزير حتى فضلوا الموت على مخالفة أحكامها .

وربما نجحت الاضطهادات في صرف بعض اليهود عن الالتزام بتحريم لحم الخنزير ، أو تهاون بعضهم في الالتزام بذلك ، وهو ما يسجله سفر أشعياء على لسان الرب في شأن اليهود قائلا :

" شعب يغيظني بوجهي دائما ، يذبح في الجنات ، ويبخر على الآجر ، يجلس في القبور ، ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير . . . ".[٣]

وأيضا : " الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معا يقول الرب ".[٤]

---

(١) ١١ : ٦١ ، ٦٢ .

(٢) وردت هذه القصة في سفر المكابيين الرابع وهو من الأسفار غير القانونية .

(٣) سفر أشعياء ٦٥ : ٣ ، ٤ .

(٤) سفر أشعياء ٦٦ : ١٧ .

غير أن ماورد في سفر اشعياء لا يعني تحليل اليهود للحم الخنزير بصفة عامة ، ولا أنهم وضعوا في ذلك نصوصا معينة ، بل الواقع أن استمرار تحريم لحم الخنزير قد ظل بين اليهود حتى عهد المسيح فلا يأكله الناس ، حتى ولو كانوا يربونه للتجارة .

ف " في عصر المسيح كان بعضهم يرعى قطعانا من الخنازير[1] في مستعمرة أغلب سكانها من اليونان ، وماكانوا يربونها ليأكلوا لحومها ، بل ليبيعوها الى اليونان أو للجيوش الرومانية "[2]

ولم يكن يسمح لرعاة الخنازير بدخول الهيكل . وذلك لمجرد رعيهم لقطعان الخنازير وان كانوا لا يأكلون منها ، الأمر الذى يدل على استمرار تحريم الخنزير بين اليهود حتى عهد المسيح .

وقد كان المسيح ملتزما بذلك هو وأتباعه الأولون .

ومن كلامه مايدل على حكمه على الخنازير بالنجاسة ، شأنها في ذلك شأن الكلاب ، فقال : " لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير "[3] فقرنها بالكلاب .

ولكن النصارى انحرفوا ، فأحلّوا لحم الخنزير بعد أن كان محرما في التوراة . فما هو مستندهم في ذلك ؟

---

(١) انجيل مرقس ٥ : ١١-١٣ .

(٢) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠ .

(٣) انجيل متّى ٧ : ٦ .

يدعى النصارى أن المسيح كان قد أباح لهم لحم الخنزير ، لذلك صارت مملوكة ولها رعاة ، ويستدلون على صحة ادعائهم بما ورد فى الأناجيل . من ذلك

١ = ماجاء فى انجيل (متّى) :

" ولما جاء الى العبر الى كوره الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق ، واذا هما قد صرخا قائلين : مالنا ولك يايسوع ابن الله . أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا ، وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . فالشياطين طلبوا اليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير . فقال لهم : امضوا ، فخرجوا ، ومضوا الى قطيع الخنازير ، واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه ، أما الرعاة ، فهربوا ، ومضوا الى المدينة ، وأخبروا عن كل شئ ، وعن أمر المجنونين ، فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم ." (١)

وليس فى هذه القصة مايدل على اباحة لحم الخنزير لا صراحة ولا ضمنا ، بل إن فيها أن المسيح قد حرّض على اتلاف الخنازير وأغرق منه فى البحر قطيعا كبيرا .

٢ = ومن خلال محاورة جرت مع يسوع وبعض الفريسيين وتلاميذ المسيح ، يستنتج المسيحيون منها اباحة لحم الخنزير . . وأمثاله . وشتان بين مايقصده المسيح فى هذه المحاورة وبين مايستنتجه منها أتباع المسيح .

من ذلك ماروا ه (مرقس) فى انجيله على لسان المسيح من قوله :

---

(١) انجيل متّى ٨ : ٢٨ - ٣٤ . وانظر كذلك انجيل مرقس ٥ : ١-١٧ ، ولوقا ٨ : ٢٦ -٣٧ . أما يوحنا فقد أهمل هذه الرواية ولم يذكرها .

" . . . ثم دعا كل الجمع وقال لهم : اسمعوا مني كلكم ، وافهموا ، ليس شيء من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ،لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الانسان إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع ، ولما دخل من عند الجمع إلى البيت سأله تلاميذه عن المثل ، فقال لهم : أفأنتم أيضا هكذا غير فاهمين . أما تفهمون أن كل مايدخل الانسان من خارج لا يقدر أن ينجسه ،لأنه لا يدخل إلى قلبه ، بل إلى الجوف ، ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يطهر كل الأطعمة . ثم قال : إن الذى يخرج من الانسان ذلك ينجس الانسان ؛ لأنه من الداخل من قلوب الناس ،تخرج الأفكار الشريرة : زنا ،فسق ، قتل ، سرقة ،طمع ، خبث ، مكر ،عهارة ،عين شريرة ،تجديف ، كبرياء ، جهل ، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان ."[1] والمسيحيون قاطبة ، قد اتخذوا هذا الهذيان دستورا للعمل وجزموا بطهارة البول والغائط ، وكل مايخرج من الانسان من القاذورات . . .[2]

ويعلّق شارح انجيل (مرقس) على هذه النصوص فيقول :

" وعلى هذا الأساس أعلن يسوع أن الأشياء لا يمكن أن تكون نجسة أو طاهرة بالمعنى الطقسي ، ولكن النجاسة الحقيقية والطهارة الحقيقية ،تكون فى الانسان . ونجاسة الانسان وطهارته لا تأتي لأسباب طقسية كأكل لحوم الخنزير مثلا ، ولكنها تتولد من أعماله . . من قلبه . . من تفكيره . . فالانسان لا الشيء هو المعرض للنجاسة والطهارة ، ولقد كان هذا التعليم جديدا ومزعجا لكل يهودى ."[3]

---

(١) ٧ : ١٤-٢٣ ونفس المحاورة وردت فى انجيل متّى ١٥ : ١٠-٢٠ .

(٢) انظر عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص١٠٧

(٣) وليم باركلي / تفسير انجيل مرقس ص١٢١ .

وواضح أنه ليس في كلام المسيح ما يبيح لهذا الشارح ولا للمسيحيين أكل لحم الخنزير ، فلم يذكره المسيح -لو صحّ نقل هذا الكلام عنه- لا صراحة ولا ضمنا ، ولا يمكن أن يدل كلام المسيح هذا على اباحة كل الأشياء التي يمكن تناولها بالفم ، وأنها غير نجسة ، ولا تنجس من يأكلها -لا يمكن أن يكون هذا هو مدلول كلام المسيح ، وإلاّ لكان ذلك متناقضا مع ما تقرر من تحريم الأربعة المعروفة (الدم ، والمخنوق ، وما ذبح للأصنام والزنا) المذكورة في مؤتمر أورشليم .

فكلام المسيح إذن لا يفهم الاّ على أنه من الوصايا الأخلاقية التي ينبّه أتباعه فيها الى خبث ما يخرج من الانسان من كذب وسفه ... الخ وليس حلّ أكل الخبائث المحرمة ، ومنها لحم الخنزير .

والنصارى يستندون أيضا في اباحة لحم الخنزير الى الرؤى والأحلام حيث يروون عن بطرس- ماسبق أن ذكرناه -من أنه رأى في المنام أن صحيفة تشبه الملاءة نزلت من السماء مملوءة بكل دواب الأرض وطيور السماء ، وأن صوتا من السماء قال له : قم يابطرس ، اذبح ، وكل ، ولا تدنس ما طهره الله .[1]

وهم يريدون بذلك أن يحللوا ما حرمه الله في التوراة ، وأن ما كان من الأطعمة دنسا ونجسا في شريعة موسى قد أصبح طاهرا ومباحا أكله . ومن ذلك لحم الخنزير .

ومن أدلتهم كذلك ما جاء على لسان بولس : "الانسان الذي يحرم طعاما على نفسه فله وحده هذا الطعام حرام ، ولكن ليس للناس جميعا ".[2]

(١) أنظر سفر أعمال الرسل ١٠ : ٩-١٦ .
(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢ : ١٦ .

ويعنون بذلك دلالة هذا الكلام على عدم تحريم أي طعام حتى ولو كان لحم الخنزير . وعلى كل حال فلا يخفى تحريف بولس وانحرافه . فمع أن مجمع أورشليم الأول قد اقتصر على تحريم الدم والمخنوق وما ذبح للأصنام والزنا خارجا بذلك على نصوص العهد القديم ، فإن بولس لم يكفه هذا بل صاح قائلا : "لا شيء محرم على الاطلاق ."(١)

وقد سبق أن ذكرنا هذا المجمع وما اتخذ فيه من قرارات يستند إليها النصارى في تحليل لحم الخنزير والخمر والاقتصار في التحريم على الأربعة المذكورة . وبيّنا حقيقة رؤسائه وما كانوا عليه من فساد وإفساد للعقيدة والشريعة النصرانية ، بحيث لا يكون غريبا منهم أن يتخذوا هذه القرارات الباطلة .

ولا يكتفي النصارى بهذا **التمحّل** في تصيّد الأسانيد لتحليل لحم الخنزير ، بل يعمدون الى النصوص الصريحة التي جاءت بها التوراة في تحريم لحم الخنزير - يعمدون الى هذه النصوص فيؤولونها تأويلا يخرجها عن دلالتها الظاهرة . من ذلك تأويلهم لما جاء في التوراة من النهي عن أكل بعض أنواع الحيوانات ومن بينها الخنزير - كما ذكرنا - ، حيث ذكروا أن مراد الله بلفظ خنزير في نصوص التوراة السابقة ، إنما هو : الزنا ، والكفر بالله . وعللوا السبب في ذلك التأويل فقالوا : لأن المعروف عن الخنزير الالتطاخ في المطائق* . فنهانا عن فعله .

---

(١) انظر الرسالة الى العبرانيين ٩ : ٢٢ .

* المَطَقُ : محركة ، داء يصيب النخل ، مطقة : ذاقة فتمطّق له اذا ضم شفتيه اليه ، وألصق لسانه بنطعه فيه مع صوت . قال الأعشى :
تريك القذى من دونها وهي دونه . . اذا ذاقها من ذاقها يتمطق
انظر الفيروز أبادى / القاموس المحيط فصل الميم باب القاف جـ ٣ ص ٢٨٣
وكذلك جار الله الزمخشرى / أساس البلاغة ص ٥٩٨ .

والالتطاخ في المطائق معناها هنا : الملازمة للقاذورات .

ثم قالوا : وأمّا أكله ، فما فيه منفعة ولا مضرة ، فمن شاء أكله ، ومن شاء تركه .[1]

وقد ردّ الامام القرطبي على تأويلهم هذا ، وفهمهم السقيم للنصوص فقال :

" لم صرتم الى التأويل ، ولم تضمكم اليه ضرورة عقل ، ولا معارضة قول رسول، فياللعجب ما أثقب أذهانكم ، وأصح أفهامكم ، إذ قد فهمتم من كتاب ربّ العالمين مالم يفهمه أحد من النبيين ، بل قد زاد فهمكم على فهم موسى بن عمران ، وعيسى -عليهما السلام - ، إذ كانا قد عملا على تحريم ما فهمتم أنتم تحليله من الأحكام ...

فلم يرو قط عن واحد منهم أنه أكل خنزيرا ، ولا ميتة ولا دما ، ولا شيئا مما ذكر تحريمه ، وأنتم تقولون هذا وتساعدون عليه ، فكيف يمتنعون من أكل ما يحلّ لهم ، ثم يصرحون بتحريمه ؟ فعلى هذا يلزمكم أنهم كذبوا على الله ولبّسوا في أحكام الله ، إذ كانوا علموا تحليل تلك الأشياء ، ثم صرحوا بتحريمها والنهي عنها . وان لم يعلموا شيئا مما علمتموه أنتم ، فمن أين علمتموه أنتم ؟ أشافهتكم بذلك الملائكة ؟ أم أرسل اليكم بذلك رسل أخر؟ أم خلق لكم بذلك علم ضروري ؟ وكل ذلك لا تقدرون على ادعائه . فلم يبق الا أنكم جاهلون بشرع الله ، محرفون كتاب الله ، متواقحون على الله ، كاذبون عليه ، ومتهاونون برسله . . . "[2]

---

(١) أنظر الامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام . تقديم وتحقيق وتعليق / الدكتور أحمد حجازي السقا ص٣٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص٣٩٨ / ٣٩٩ باختصار .

واذا جئنا الى قصة قطيع الخنازير - المذكورة في استدلالاتهم واستخلاصهم منها أن أكل لحم الخنازير مباح ، لأن لها رعاة ، ومملوكة كما في القصة - إذا جئنا الى هذه القصة فنجد أن صاحب كتاب الفارق قد أبطل استدلالهم بها على اباحة أكل لحم الخنزير ، وبيّن أن هذه الرواية ليست الآ كذبا وتدليسا ممن أحلوا لحم الخنزير بعد رفع المسيح ، وأدخلوا في النصرانية ماليس منها . حيث يقول في ذلك :

"إن بداهة العقل تكذب تلك الرواية ، إذ من المعلوم الثابت عند العموم ، أن تلك الأصقاع كانت مسكونة ببني اسرائيل ، فيستحيل وجود قطائع خنازير في بلادهم ، ولها رعاة ...

وعلى فرض وجود أحد في تلك الأصقاع ممن يقول بإباحة أكلها ، فيكون أمر المسيح باتلافها على سبيل الزجر لأهلها ، لاستعمالهم المحرم بنص التوراة ، فهو من النهي عن المنكر ؛ لأن ذلك من وظائفه عليه السلام ."[1] ثم يقول :

" واذا أصر المسيحيون (عنادا) أن المسيح كان قد أباح لهم لحم الخنزير من خلال هذه الرواية ، فلذلك صارت مملوكة ، ولها رعاة . فحينئذ يكون قوله - المجرد عن الدليل - مجروحا من ثلاثة أوجه :

الأول :

ان المسيح - عليه السلام - والتلاميذ إلى أن انقرضوا ما أحلوا لحم الخنزير ولا أكلوا دنسا من سائر ما حرمته التوراة ؛ لأن الأناجيل الأربعة ناطقة بالصراحة بوجوب تأييد أحكام التوراة ، وكان المسيح ومن اتبعه يعملون بأحكامها .

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٥٥ .

الثانـي :

لو سلمنا أن المسيح أباح لهم لحم الخنزير ، فكيف أمر الشياطين بإغراقها في البحر واتلافها ، مع كونه يعلم أنها مملوكة ، ومباحة الأكل . أتخرجونه من العدالة الى الجور بتلفه أموال الناس بدون حكم شرعي ولا سبب مرعي ، حال كونه كان قادرا أن يخرج الشياطين من المجانين بدون أن يضر الناس بأموالهم وحقوقهم ، فلا يصدر من المسيح - سلام الله عليه - مثل هذا وهو المرسل من عند الله تعالى لإرجاع الناس عن الظلم وهدايتهم بارشادهم الى الحق .

الثالـث :

إن قلنا بصحة هذا الاصحاح ، وجب أن نحكم على أهل تلك المدينة أنهم ليسوا من بني اسرائيل ، لكون التوراة صرّحت بتحريم الخنزير ، فلم يبق إلّا هذا الاحتمال الثالث ، وذلك بأن يكون أهل المدينة غير بني اسرائيل ، وغير المسيحيين . وهذا مفهوم عبارة المترجم (مترجم انجيل متّى) لتجاسرهم على طرد المسيح وإبعاده عن تخومهم . ولو كانوا مسيحيين لامتنع طردهم له ، وهو نبي لهم ، أو - على زعمكم - اله ، فاذا صح ذلك فلا وجه للاستدلال بوجود الخنازير عندهم ؛ لأنهم قوم غيركم ، وغير بني اسرائيل .

ومع هذا كله ، فان التاريخ لم ينقل لنا أن تلك الأصقاع في عهد المسيح - عليه السلام - كانت وطنا لغير بني اسرائيل . فلم يبق إلّا القول : بأن مثل هذه الرواية تدليس من المترجم ، وأمثاله ، الذين أحلوا لحم الخنزير بعد رفع المسيح ، وانقراض الحواريين ، ودسوا في النصرانية ماليس فيها ."[1]

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص٥٥/٥٦ .

وكما كان لحم الخنزير محرما في اليهودية والمسيحية ، فهو كذلك محرم في الاسلام . قال تعالى : (قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرما على طاعم يطعمه الآ أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم .)[1] الى غير ذلك من الآيات.[2] بل هو كذلك محرم في جميع الأديان كما ذكر المفسرون.[3]

وحول بيان الحكمة من تحريم لحم الخنزير في الأديان ، يقول (صاحب المنار) :

" وحكمة تحريمه مافيه من الضرر ، وكونه مما يستقذر أيضا ، وان كان استقذاره ليس لذاته كالميتة والدم ، بل هو خاص بمن يتذكر ملازمته للقاذورات ، ورغبته فيها ... " (٤)

ونجد آية (الأنعام) - التى ذكرناها آنفا - ، قد عللت تحريم أكل لحم الخنزير بكونه (رجسا) . ولسائل أن يسأل : هل معنى ذلك : تحريم أكله لما فيه من القذر ، أو لما فيه من الضرر ؟

وعن هذا التساؤل يجيبنا صاحب المنار بقوله :

" اعلم أن لفظ (الرجس) يطلق على كل ضار مستقبح حسّا أو معنى ،

---

(١) سورة الأنعام / آية ١٤٥ .
(٢) راجع سورة البقرة / آية ١٧٣ ، وكذلك سورة المائدة / آية ٣ وكذلك سورة النحل / آية ١١٥ .
(٣) راجع التفاسير الآتية : تفسير الرازى (التفسير الكبير) المجلد الثالث جـ٥ ص٢٢ .
وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)جـ٢ص٦-٨ .
وتفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)جـ٢ص٢٢٢ .
(٤) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٦ ص١٢ .

فيسمى النجس رجسا ، ويسمى الضار رجسا ، ومن الأخير قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ...)[1] الآية .

فتعليل آية (الأنعام) يشمل الأمرين اللذين ذكرناهما معا . فهي من إيجاز القرآن الذى لا يصل الناس الى شرحه وتفصيله الا باتساع دائرة علومهم وتجاربهم .[2]

وقد جاء في صحيح مسلم عن بريده بن الخصيب الأسلمي - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لعب بالنردشير* فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه .)[3]

وفي الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله حرّم بيع الخمر والميتة ، والخنزير والأصنام .) ... الحديث[4]

---

(١) سورة المائدة / آية ٩٠ .

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٦ ص١٣٦ .

* النردشير هو النرد ، فالنرد عجميّ معرب ، وشير معناه : حلو .

(٣) صحيح مسلم / كتاب الشعر / باب تحريم اللعب بالنردشير جـ ٤ ص١٧٧٠ الحديث رقم ٢٢٦٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٤) صحيح البخاري جـ٣ ص١١٠ كتاب البيوع .
وانظر كذلك صحيح مسلم جـ٣ ص١٢٠٧ كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام الحديث رقم (١٥٨١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

فاذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس - كما في الحديث الأول - وكان هذا التحريم لمجرد البيع - كما فى الحديث الثانى - ، فكيف بأكل لحمه والتغذي به ؟

وأمّا كون أكل لحم الخنزير ضارا ، فهو مما يثبته الطب الحديث ، وجلّ ضرره ناشئ من أكله للقاذورات ، وهو مصاب بدودة الخنزير الشريطية ، وغيرها من الديدان ، كما وان لحمه من أعسر اللحوم هضما .

وبين يديّ الآن كتاب فى الطب اسمه "الطب الوقائي فى الاسلام" ، استعرض فيه مؤلفه من بين ما استعرضه ، الأسباب الموجبة لتحريم أكل لحم الخنزير ، نوجزها فيما يلى :

السبب الأول :

يرجع الى كثرة اصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان . أهمها : دودة الخنزير الشريطية pig Tape - Warm

السبب الثاني :

إن لحم الخنزير أكثر قابلية لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية ، من كل اللحوم الأخرى . . . وقد جاء فى نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣م أن مختبراتها فى الدانمارك التى تقوم بفحص أنواع اللحوم الحيوانية ، قد وجدت أن لحم الخنزير هو أكثر قابلية للتلوّث ، ونقل الميكروبات .

كما جاء فى النشرة : أن الميكروبات الشديدة العدوى فى لحوم الغنم لا تزيد عن ٣٪ ، فى حين أن هذه النسبة فى لحم الخنزير ١٤٪ أى أكثر من أربعة أضعاف . وجاء فى تعليل ذلك : أن نسبة التعادل القلوي فى لحم الخنزير تكون عالية ، مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات فى عضلاته ، وسهولة معيشتها فيها ،

سواء كان حيا ، أم بعد ذبحه .

فاذا كانت هذه النسب فى خنازير الدانمارك أنظف بلدان العالم ، فمابالك بغيرها من البلدان ؟

السبب الثالث :

لأن الخنزير من الحيوانات آكلات اللحوم ، وهى تصيب آكلهـا بالضراوة ، والميل الى العنف . ورغم أن الخنزير الذى يباع فى الأسواق حاليـا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم للانسان استئناسها منذ آلاف السنين ، الا أن هذا الخنزير المستأنس لا تزال فيه ضراوة أجداده .

ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المنتشرة فى المجتمـع الأوربي والأمريكي والتى مازالوا فى حيرة من تعليل أسبابها .

السبب الرابـع :

إن لحم الخنزير قد يكون له تأثير سيئ على العفة والغيرة الجنسيـة وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والتحليل العلمى .

السبب الخامـس :

دهن الخنزير عَسِر الهضم ، ويزيد من احتمال الاصابة بالذبحة القلبيـة ، وتصلب الشرايين . ويحتوي لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميـع اللحوم .

وقد جاء فى الموسوعة العلمية الأمريكية : أن كل مائة رطل من لحم الخنزير تحتوي على خمسين رطلا من الدهن ، أى بنسبة ٥٠٪ .

وليست هذه هى المشكلة الوحيدة ، ولكن نوع الدهن أيضا يختلف إذ ثبت

بالتحليل ، أن دهن الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة . . . وتبلغ نسبة الكوليسترول في دهن الخنزير خمسة عشر ضعفا ، لما في البقر . . . ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة ؛ لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الانسان ، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدّل الطبيعي تترسب في الشرايين ، وخصوصا شرايين القلب . وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية ، والتي تسمى : القاتل رقم واحد في أوربا .(1)

ويقول الدكتور (محمود أحمد نجيب) :

"إن دراسة علم الطفيليات ، تبيّن أن هناك نوعا من الديدان يدعى دودة "التيناسوليم" ، وتسمى دودة الخنزير الشريطية ، وهي تعيش في الأمعاء الدقيقة للانسان ، ووجودها قد نتج عنه مرض غاية في الخطورة ، اسمه مرض "السيستوسريكوزس" ، وخطورة هذا المرض هي أنه قد ينتج عنه تلف في عضلة القلب أو العين أو المخ أو العضلات .

ومرض آخر يمكن أن يصيب الانسان من أكل لحم الخنزير يدعى "تركينوزس" ، وأعراضه هي : القيئ ، والاسهال ، وتقلصات الأمعاء . وتحدث الوفاة في الحالات الشديدة ، بسبب حدوث التهاب رئوي ، وهبوط حاد بالقلب ."(2)

وللمعترض أن يقول : بأن لحم الخنزير قد أصبح اليوم مستأنسا في أوربا ، وفي حظائر ، ومزارع نظيفة يعيش فيها على أكل البقول والنباتات . فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم . لذا فلا بأس من أكله .

---

(1) د . أحمد شوقي الفنجري ص٢١٤/٢٢٦ بايجاز وتلخيص .

(2) أنظر كتاب الطب الاسلامي شفاء بالهدي القرآني ص١٨ ، ١٩ بتلخيص .

ونردّ عليه بما يأتي :

(١) "ان العبرة هنا ليست بنوعية الأكل وحدها ، ولكن بنوعية الحيوان وطبيعته التي يتوارثها في دمه عن أجداده الأولين . . . ومهما استؤنس الحيوان ، وحاولنا تغيير طعامه ، وطباعه ، فستظل فيه بعض صفاته الأولى المتوارثة ، وسيظل الثعلب ثعلبا ، والخنزير خنزيرا ، ولو تربيا في البيوت أو الأقفاص آلاف السنين .

(٢) وبرغم أن معيشة الخنزير الآن في الحظائر النظيفة في أوربا ، فما أن يخرج إلى الغابة أو الحقل مع الرعاة ، حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرمم . وإذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير ، فإن القطيع يتجمع حول جثته ليلتهمها ، ويجد في ذلك لذة أكثر من البقول التي تقدم اليه .

(٣) وتذكر المراجع العلمية أن محاولة اطعام الخنزير للنباتات والخضروات وحدها قد فشلت في أوربا وأمريكا ، إذ وجد أنه لا ينمو النمو الكافي كغيره من الخنازير الطليقة ، وذلك لأن امعاءه ليست طويلة الطول الكافي للحياة النباتية مثل الغنم . وقد وجد أن الطعام المثالي له هو الذي يشمل وجبات من اللحم الى جانب النبات ، وغالبا يطعمونه لحم خنزير . . ." (١)

ولعل فيما قدمناه من الأضرار التي تلحق آكلي لحم الخنزير ما يكشف عن بعض الحكم في تحريمه ، وهو الأمر الذي حاد عنه النصارى فأحلوه مخالفين بذلك شريعة الله .



---

(١) الدكتور أحمد شوقي الفنجري / الطب الوقائي في الاسلام ص ٢٢٤ / ٢٢٥ .

الفصل الثامن

عدم إنجاب النصارى للختان

((الفصل الثامن))

◊

الختـــــــــان *

◊◊◊

"كان الختان معروفا قبل زمن ابراهيم ، فإن المصريين كانوا يختتنون منذ عهد قديم جدا وكذلك التروجلوس دتيس في أفريقية .

ويقول برتيشرد : إن الختان معروف عند "الاماكوسا" وهم عدد كبير من سكان جنوبي أفريقية ، وإنه كان (أي الختان) مستعملا بين الكفرة ، وشائعا بين سكان كنعان الأصليين ، حتى حين جاء الفلسطينيون البلاد من بعدهم سموهم غلفاً ، لأنهم كانوا لا يختتنون . . ."(1)

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس :

"إن الختان كان شائعا ومعروفا بين المصريين القدماء وغيرهم من الشعوب ، إلا أنه لم يكن معروفا لدى الفلسطينيين(2) ، لكنه في اليهودية كان فرضا دينيا للتمييز بين نسل ابراهيم وباقي الناس".(3)

وجاء في إنجيل برنابا مايدل على أن أصل فرضية الختان منذ ابتداء الخليقة .

يقول برنابا في ذلك :

---

* الختان لغة : مصدر ختن أي قطع ، وشرعا : الختن بفتح ثم سكون : قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص . فتح الباري جـ ١٠ ص٣٤٠ .

(1) نقلا عن مجلة رسالة الحياة / العدد الرابع / السنة الثانية ص٩٣ .

(2) "حيث كانت بعض المدن الفلسطينية تغلب عليها الصبغة اليونانية ، وكان الوثنيون هم الكثرة الغالبة في المدن الساحلية " جـ٣ ص١٧٠ . قصة الحضارة تأليف / ول ديورانت .

(3) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٣٢٧ .

" قال يسوع (لتلاميذه) وكانوا كلهم منصتين اليه : "إنه لما أكـــل آدم -الانسان الأول - الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس - مخدوعا من الشيطان - عصى جسده الروح ، فأقسم قائلا :

تالله لأقطعنك ، فكسر شظية من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية ، فوبخه الملاك جبريل على ذلك . فأجاب لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكـــون حانثا . حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها . فكما أن جسد كل إنسان مـــن جسد آدم ، وجب عليه أن يراعي كل عهد أقسم آدم ليقومن به ، وحافظ آدم علـــى فعل ذلك في أولاده . فتسلسلت سنة الختان من جيل إلى جيل ، إلا أنه لم يكـــن في زمن ابراهيم سوى النزر القليل من المختونين على الأرض ، لأن عبادة الأوثـــان تكاثرت على الأرض . وعليه فقد أخبر الله بحقيقة الختان . وأثبت هذا العهـــد قائلا : "النفس التي لا تختن جسدها إياها أبدد من بين شعبي إلى الأبد ".[1] فارتجف التلاميذ خوفـــا من كلمات يسوع ، لأنه تكلم باحترام الروح . ثم قـــال يسوع : دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته ، لأنه محروم من الفردوس . . . ".[2]

وقد كان الختان من الشعائر المعروفة في الديانة اليهودية وهو قطـــع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام . . .

وقد نصت التوراة على أن الله أمر ابراهيم الخليل - عليه السلام - بالختـــان هو ونسله من بعده وجعله علامة عهد بينه وبين ابراهيم ، وحذر من لم يختتـــن

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ١٤ .

(٢) انجيل برنابا الفصل ٢٣ عدد ٣-١٧ .

بالهلاك والاستئصال ، لأنه قد نكث العهد وقد أختتن إبراهيم -عليه السلام- وهو في التاسعة والتسعين من عمره ، واسماعيل ختن وهو في الثالثة عشرة. أما اسحاق فختن وهو ابن ثمانية أيام ، كما ختن ابراهيم سائر أهل بيته وعبيده من الذكور . واليك ماجاء في التوراة ما يؤكد ذلك :

" وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ، هذا هوعهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً .

وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه قد نكث عهدي ...

فأخذ ابراهيمُ اسماعيلَ ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته وكل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته ، وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته . في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم اسماعيل ابنه ، وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه" (١)

" وختن ابراهيمُ اسحاقَ ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله " (٢)

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ٩ - ١٤ ثم ٢٣-٢٦ من نفس الاصحاح .

(٢) سفر التكوين ٢١ : ٤ .

وهكذا جعل الختان عند الأمة اليهودية فرضا من فروضها الدينيــــة، كرمز وعلامة على أنهم شعب دخلوا مع الله في عهد مقدس وفي علاقة خاصة .

وبسبب انتشار الوثنية وبُعد الناس منذ عهد ابراهيم الى عهد موسى عن الشرائع السماوية تجددت سنة الختان لموسى -عليه السلام- كما جاء في سفر اللاويــين على لسان الرب :

" وكلم الرب موسى قائلا : كلم بني اسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة، وولـــدت ذكرا، تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة وفي اليوم الثامن يختتن لحم غرلته . . . "(١)

فحرص موسى على أداء هذه السُنة وأمر ألّا يأكل الفصح رجل أغرل ، " وكـــان اليهـــود يحافظون كل المحافظة على هذه السُنّة ، وكانوا يدعون أنفسهــم أهل الختان، ويدعون من عداهم أهل الغرلة . وكان مفروضا على كل الغربـــاء الذين يقبلون الدخول في اليهودية أن يخضعوا لهذا الفرض مهما تكن أعمارهم . ولا يزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه السنّة بكامل طقوسها . . "(٢)

فالختان شريعة ابراهيم وموسى -عليهما السلام- وحيث إن عيسى -عليه السلام- جاء مكملا لأحكام التوراة، وحافظا لها، فهو مختون، كموسى وغيره ممن سبقه . ولا خلاف بين المسيحيين أن عيسى -عليه السلام- لما تم له ثمانية أيام ختن ، وختانه مذكور في انجيل لوقا في فقرة ٢١ من الاصحاح الثاني ونصها كما يلي :

" ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي " يسوع " كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن " .

---

(١) سفر اللاويين ١٢ : ١-٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧، ٣٣٨ بتصرف واختصار .

وفي انجيل برنابا في الفصل الخامس : " فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب في كتاب موسى أخذا الطفل، واحتملاه، الى الهيكل ليختناه، فختنا الطفل وسمياه " يسوع " كما قال الملاك قبل أن حبل به في الرحم "[1]

" وفي المسيحيين إلى هذا الحين صلاة معينة يؤدونها في يوم ختان عيسى عليه السلام ، تذكرة لهذا اليوم "[2]

واذا جئنا إلى الاسلام فنجده قد صرّح باستحباب[3] إتيان الختان، وعدّه من السنن المأمور بها . من ذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، ونتف الابط ، وقص الشارب وتقليم الأظافر)[4]

ويقول الامام العسقلاني حين شرحه لهذا الحديث :

" ذهب أكثر العلماء الى أن المراد بالفطرة (هنا) السنة ، قالوا: والمعنى : أنها من سنن الأنبياء ، حيث وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة . فان في صحيح البخاري عن ابن عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من السنة قص الشارب ، ونتف الابط .... الخ)[5] .

---

(١) الفقرات ١، ٢ .

(٢) د . شعبان محمد اسماعيل / نظرية النسخ في الشرائع السماوية ص٥٠ .

(٣) أحمد بن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٠ ص٣٤٠ .

(٤) صحيح البخاري ج٨ ص٨١ (كتاب الاستئذان) .

(٥) أحمد بن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٠ ص٣٣٩ .

وكونه من سنن الفطرة
هذه هي الأدلة على استحباب الختان وهذا هو ما دعت إليه الكتب السماوية جميعها في الأديان الثلاثة . وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي ألغى هذه الفريضة لدى المسيحيين ، وكيف تم له ذلك ؟

يجيبنا عن هذا التساؤل مؤلف كتاب (لمحة عامة الى مصر) كلوت بك " تحت عنوان "الختان والطهارة وقدم هذه العادة والاحتفال بها " فيقول مفتخرا :

" كان الختان عند قدماء المصريين إحدى الوسائل الصحية التي تقضي بها القوانين المدنية ، وأول من استن هذه السنة ابراهيم عليه السلام، فصارت عند الأمة اليهودية فرضا من فروضها الدينية . وأعفى المسيحيين منها القديس بولس... "(1)

واستطاع بولس بما أوتي من دهاء وذكاء أن يصرف المسيحيين شيئا فشيئا عن دين المسيح الصحيح المنزّل من عند الله الى شرع أخذ يصرح أحيانا أنه يدلي فيه برأيه الشخصي . "(٢) وأحيانا أخرى ينسبه -زورا وبهتانا- إلى المسيح -عليه السلام- وكان الختان من أهم ما عنى بولس بايقافه وطالما قال صارخا : ما هو نفع الختان ؟(٣)

وقد اتخذ قرار ترك الختان في مجمع أورشليم الأول -الذي سبق الكلام عنه- والمنعقد بعد رفع المسيح -عليه السلام- باثنتين وعشرين عاما .

وحجتهم في ذلك -كما ذكرنا من قبل- : أن الختان يشق على بعض من يدعونهم الى المسيحية من الأمميين فيرغبون عنها بسببه فهو " لا يتمشى مع مشاعر

---

(١) تعريب وطبع الأمير يوسف كمال جـ٢ ص٥٥ نقلاً عن مجلة رسالة الحياة عدد ٤ سنة ٢ ص٩٣ .

(٢) رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٠، ١٢، ٢٥ .

(٣) رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ١ .

اليونانيين ، كما وان جانباً كبيراً من تعاليم الشرع اليهودي لا يتفق مع متطلبات الحياة اليونانية وعاداتها وتقاليدها ."[1]

فلضمان دخول عدد كبير من الوثنيين وغيرهم الذين لا يستطيعون الاتيان بهذه الشعيرة من أجل ذلك أجازوا ترك الختان .

ويشرح برنتن كيف أن بولس أزال هذه العقبة فأفتى بأن "الاغريق والمصريين والرومان الذين يدخلون المسيحية في حلّ من الختان وفي حلّ من التقيد بحرفية الناموس"[2] ، وأخذ يدعو اليه أينما حلّ ،فشرع للداخلين في المسيحية من أهل اليونان وغيرهم مسيحية جديدة لا ختان فيها ، وأعفاهم من كثير من الأحكام التي جاء بها موسى ، والتي لا تتمشى مع مبادئه الهدامة .

وهذا مايدلي به ويؤكده لنا الكاتب المسيحي شارل جنيبير ، حيث يقول :

" كان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم ، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل ان المسيح أتى خصيصا ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد ، وأذعن الاثنا عشر لبولس مرة أخرى ، فتقبلوا فكرة اعفاء الأتباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود ، وكان المعنى الضمني لهذا الاجراء : التفرقة بين المسيحية واليهودية ، ودفع الأولى إلى أن تصبح دينا متميزا "[3]

(١) د . رؤوف شلبي / المسيحية الرابعة ص٨١ .

(٢) سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص٣٠ .

(٣) د . شارل جنيبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص١٠٤ .

ليس هذا فحسب ،بل إنه في عام ١٣١م "أصدر الامبراطور الروماني هدريان مرسوما يقضي بتحريم الختان ،و (تحريم) تعليم الشريعة اليهودية علنا ،وأنذر من يخالف ذلك بالاعدام ، وأعدم بالفعل عدد من الأحبار الذين خالفوا ..."[1]

وحتى تتمشى آيات التوراة الموجبة للختان مع ما ذهب اليه هولاء المرجفون - والذين في قلوبهم مرض - من جواز ترك الختان ، أخذوا يتعسفون في تأويلهم لهذه الآيات تأويلا أتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان . حيث فسروا معنى الختان في التوراة تفسيرا يبعد كل البعد عما هو صريح وواضح من نصوصها ، فذكروا أن المراد بالختان المأمور به في الكتاب المقدس هو "نقاوة القلوب ، وصفاء النية وذهاب الغلوفة* ... وأن الله استقذر غلوفة القلب لا غلوفة اللحم عندما وصف اليهود بأن لهم "قلوب غلف" ، فما على الانسان أن يختتن لحمه ،اذ لا منفعة له في ذلك ، فمن شاء اختتن ومن شاء ترك ، والأحسن أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة كما بها خلقنا الله عز وجل ."[2]

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص١٩٤ / ١٩٥ بتصرف .

* الغلف كل شئ في غلاف ، يقال : سيف أغلف ،وقوس غلفاء ، ورجل أغلف اذا لم يكن مختونا .
أنظر / أحمد بن حجر العسقلاني / فتح الباري جـ٢ ص٣٤٣ .

(٢) الامام القرطبي / الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام ص ٤٢٠ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا .

ويكاد ينحصر الأمر بترك الختان في رسائل بولس وحدها دون كافة الأناجيل ، ففي الاصحاح الخامس من رسالة بولس الى أهل غلاطية نجده يحث أهل غلاطية على ترك الختان محذراً إياهم بأن لا يصغوا للذين يريدون تحويلهم عن الحق فقال :

" فاثبتوا اذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية . ها أنا بولس أقول لكم : " إنه إن ختنتم لا ينفعكم المسيح شيئا " [1]

وقال : " لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الايمان العامل بالمحبة ". [2]

أما في الاصحاح الثاني من الرسالة لأهل رومية فقد ذكر بولس فيها أن الختان في شريعة المسيح هو ختان القلب بالروح لا ختان الجسد . يقول في ذلك :

" إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة ، إذاً إنه كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تحسب غرلته ختانا وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس ، لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديا ، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا ، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله " [3]

---

(١) فقرة ١ ، ٢ .

(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٥ : ٦ .

(٣) ٢٥ : ٢٩ .

ويقول أبو اسحاق ابراهيم[1] عند تفسيره لهذه الفقرات من الاصحاح الثاني من رسالة بولس الى أهل رومية مايأتي :

" الختان أول من أُمر به أبونا ابراهيم ، للفرق بين بني اسرائيل والأمم ليعرف شعب الله من غيره ، واليهود كانوا يفتخرون باليهودية والختانة ، فأراد (بولس) أن يعرفهم أن الافتخار بذلك من دون العمل باطل ، وهؤلاء (اليهود) توهموا أن في الختان علامة حفظ التوراة والاختصاص بالله ، (ونسوا أن) التمسك بالعلامة من دون حفظ فرائض الله والطاعة له غير مفيد .

فأما طاعة الله ، فإذا كانت موجودة فهي المقصود ، ولا ضرورة حينئذ للعلامة . ولهذا يكون ذو الغرلة البار بأعماله أفضل من المختون غير البار بأعماله . . .

الى أن قال :

" لأن التوراة وصايا جسدية كانت رمزا على الوصايا الروحانية الواردة في المسيحية ، والختانة كانت رمزا على المعمودية التي هي الطهر الروحاني واليها أشار بالختانة القلبية . . .

ثم قال :

" وظاهر كلام الرسول بولس يؤذن بعدم جواز الختان . . . "[2]

---

(١) كاتب ومفسر مسيحي .

(٢) نقلاً من مجلة رسالة الحياة المسيحية / العدد الرابع السنة الثانية ص ٩٢ .

ويؤكد بولس هذا القول مدللا على قوله بعدم جواز الختان قائلا :

" دعي أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ، ودعي أحد في الغرلة فلا يختتن ، ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا ، بل حفظ وصايا الله ."[1]

وقال أيضا :

" لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة "[2]

لقد كان بولس الرسول يعتبر أن طريق النعمة، وطريق الناموس، متعارضان تماما ، والخطأ الأساسي الذي يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس هو أن يظن أن مايفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقي بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله . ولذلك يقول بولس :

" إن اختتن انسان فإنه يصبح ملتزما بالناموس كله، الذي يعتبر الختان مدخلا له[3]. فان سلك هذا السبيل فإنه بذلك يكون قد رفض تلقائيا سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنه لم يمت أبدا . وكل مايهم بولس هو ذلك الايمان العامل عن طريق المحبة . وهذا يعني بصورة أخرى : أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع . . .

ومايقوله بولس هو : إن هذه الحركة (أي الختان) الداعية للتمسك

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٨، ١٩ .
(٢) " " الى أهل غلاطية ٦ : ١٥ .
(٣) " " " " " ٥ : ٢، ٣ .

بالشرائع ربما لم تصل إلى مداها البعيد بعد ، ولكنها يجب أن تُقتلع من جذورها قبل أن تفسد وتحطم ديانتكم كلها ."(١)

ولو ذهبنا نستقصي كل الأدلة التى توجب ترك الختان لوجدنا رسائل بولس كلها تفضّ بها وتكاد لا تخلو رسالة من رسائله من القول بترك الختان ، وعدم تقليد اليهود فى ذلك .

ونكتفي بما أوردناه من أدلة خشية الاطالة ، ونحيل القارئ الى كافة رسائل بولس ففيها الكثير من ذلك الهراء والهرطقة .(٢)

وانا ليأخذنا العجب في تأويل النصارى لنصوص التوراة ، وجرأتهم على الله ، حيث يزعمون أن المراد بالختان ازالة غلوفة القلب فقط . ونقول لهم :

"إذا كان المراد بالختان إزالة غلوفة القلب ، فلماذا جاء به موسى ؟ ولماذا فعله سائر النبيين الذين حكموا بشريعة التوراة الى زمان المسيح ؟ ولماذا فعله المسيح نفسه ؟

ثم إن قولهم : " والأحسن أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة " فيه مبالغة في تسفيه موسى والنبيين وفى تسفيه المسيح ، فإنهم قد تركوا الأحسن وفعلوا الأسوأ والأفسد وهم منزهون عن ذلك صلوات الله عليهم .

إنهم بتأويلهم الفاسد هذا قد افتروا على الله وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل "(٣)

---

(١) أنظر وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسالة الى أهل غلاطية وأفسس) ص٧٣-٧٤ .

(٢) أنظر مثلا : رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الامام القرطبى / الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص٤٢٠-٤٢٢ بتصرف .

إن بولس يكرّز ويعلّم أن للمعمودية في العهد الجديد نفس المكانة التى كانت للختان في العهد القديم فيقول :

" وبه أيضا ختنتم ختانا غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التى فيها أقمتم أيضا معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الأموات "(١)

ويعني بولس بذلك أن الختان " ليس إجراء عملية في جسد الانسان ، وانما حدوث تغيير في قلبه وفي حياته كلها . فيقول :

إن أى كاهن يستطيع أن يقوم بعملية الختان ، لكن المسيح وحده هو القادر أن ينتزع من حياة الانسان أى شئ يعطله عن أن يكون ابنا مطيعا لله .

ويمضي بولس إلى أبعد من ذلك فيقول : إن هذا العمل ليس نظريا فحسب ، بل واقعيا ، إذ تم لكم في المعمودية . . . "(٢)

ويقول وليم باركلي -عند تعليقه على كلام بولس هذا - : " كأني ببولس يقول لهؤلاء المعلمين : " أنتم تتحدثون عن الختان ، ولكن الختان الحقيقي الوحيد هو عندما يموت الانسان ويقوم ثانية مع المسيح في المعمودية ، ليس بنزع جزء من جسده ، ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها ، وبالامتلاء بجدة الحياة وقداسة الله "(٣)

---

(١) رسالة بولس الى أهل كولوسى ٢ : ١١ ، ١٢ .

(٢) وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ترجمة القس جرجس هابيل ص٦٧ ، بتصرف .

(٣) المرجع السابق ص١٦٨ .

ولي كلمــة :

إن الختان كان معروفا قبل زمن ابراهيم -عليه السلام -كما ذكرنا ذلك في بداية الفصل عن علمائهم ومؤرخيهم .

فالزعم بأنه "مادامت طاعة الله موجودة -كما جاء على لسان ابى اسحاق ابراهيم - فهي المقصود، ولا ضرورة حينئذ للعلامة ، ولهذا يكون ذو الغرلة البار بأعماله أفضل من المختون غير البار بأعماله " زعم باطل .

فإذا كان لا ضرورة لتنفيذ شرائع الله مادمنا نعمل الطاعات ، فلنترك إذن كل الفرائض والشرائع ونكتفي بالأعمال .

وما هي ياترى هذه الأعمال التى توصلنا إلى رضوان الله دون أن نحافظ على شرائعه ؟

أليست الأعمال التى تقرب العبد من الله تكون فى أداء شعائره وشرائعه؟

أم أن هناك أعمالا أخرى لا نعلمها ؟

وانا لنعجب من بولس الذى أوجب -كما نقلنا عنه سابقا - حتمية العمل بالناموس والالتزام به .

ترى ما هو ردّ النصارى على قول بولس فى رسالته الى أهل رومية "الانسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس "[1]

فبأي القولين يأخذ النصارى وعلى أيهما يعتمدون .

وحول ختان المسيح ،يدعي النصارى أن ختانه "انما كان ليعتقهم من ثقل هذه الوصية ومن نير كل الوصايا الموسوية الطقسية "[2]

---

(١) ٣ : ٢٨ .

(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية العدد الرابع السنة الثانية ص٩٢ .

ما هذا الهراء ؟ !!! من قبل قالوا : إن المسيح صلب متحملاً عنهم الخطايا والأوزار ! والآن يدعون أنه ختن ليحمل عنهم ثقل هذه الفريضة .

ونسألهم ؛ عندما عُمّد لِمَ لم يعتقهم بمعموديته منها ؟ ولِمَ لا تكون المعمودية بالقاب أيضا كالختان عندهم - ولِمَ لا تعتمدون بمعموديته كما ختنتم بختانه ؟ ولِمَ لا تكون معموديته كافية عنهم كما كان ختانه كافيا عن ختانهم ، أم أن المعمودية شيء آخر يختلف عن الختان ، ويتمشى مع أهوائهم ويحقق لهم مأربا آخر لهدم المسيحية ألا وهو : الاعتقاد بقيامة المسيح من القبر.[1] فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .

وما رأيهم فى قول المسيح لتلاميذه : "الحق أقول لكم : إن الكلب أفضل من رجل غير مختون "[2]

وقوله عندما سأله التلاميذ عن سبب وجوب الختان على الانسان أجاب :

" يكفيكم أن الله أمر به ابراهيم قائلا : يا ابراهيم ، اقطع غرلتك ، وغرلة كل بيتك ، لأن هذا عهد بيني وبينك الى الأبد "[3]

وان قلتم إن هذا فى انجيل برنابا ونحن النصارى لا نعترف به ، فما رأيكم فى قول المسيح المثبت فى أناجيلكم :

" ماجئت لأنقض الناموس ، بل لأكمل الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل ." [4]

---

(١) رسالة بولس الى أهل كولوسى ٢ : ١١ ، ١٢ .
(٢) انجيل برنابا ٢٢ : ٢ .
(٣) انجيل برنابا ٢٢ : ٥ ، ١٦ .
(٤) انجيل متّى الاصحاح الخامس / فقرة ١٧

ويزعم المسيحيون أن اليهود يدّعون أن الختان الجسدى فى حد ذاته كاف ليصلح أمور الانسان مع الله ، وهو كل المطلوب . وانه لا يهم أن يكون الانسان صالحا أو شريرا طالما كان اسرائيليا مختونا .

يقولون : لهذا الفهم الخاطئ لمعنى الختان لدى اليهود أبطل بولس الختان الجسدى - تلك الفريضة الالهية وألغاها - واكتفى على حد تعبيره بالختان الحقيقي وهو الصلة بالله التى مظاهرها : محبة الله ، والاقرار بالذنب ، وخدمة الناس[1] .

نقول لكم : لا أنتم على حق ولا هم على حق ، فكلاكما على باطل .

واذا كان أداء سنن الله وشرائعه مع ارتكاب المعاصي والفواحش - كما يفعل اليهود - يؤدي الى غضب الله ، فإن إبطال شرائع الله وتعطيل سننه - كما يفعل النصارى - يؤدي بهم إلى جهنم وبئس القرار .

واذا كان هذا هو سعي بولس لابطال الختان ، فلماذا هو مختون[2] وممارس لكل الطقوس والشرائع اليهودية ، ومحافظ على الناموس ، لكن حتى يثبت قيامة المسيح من القبر ، تلك القيامة الكاذبة استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وزعم أن المعمودية لا تبقى نافذة المفعول فى المعتمد مالم يعتقد اعتقادا جازما بقيامة المسيح التى قد أثبتنا مافيها من التناقض والافتراء والتدليس .

وقد لجأت الآن كثير من الدول الى الختان ، حتى المسيحيين بدأوا يختتنون ، وفي جامعة هيوستن في تكساس بأمريكا يمرن الأطباء على عملية الختان ، وتجري الآن بأعداد وفيرة . (٣)

---

(١) أنظر وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص٧٥ ، ٧٦ ، ١٦٧ .

(٢) الرسالة الى أهل فيلبى / ٣ : ٣ - ٥

(٣) هذه المعلومة أخذت شفهيا من أحد أطباء المسالك البولية بمكة المكرمة .

الفصل التاسع

تقديس النصارى للصور والتماثيل

((الفصل التاسع))

◊

" تقديس النصارى للصور والتماثيل" *

◊◊
◊

من بين الشعائر الوثنية التي اقتبسها النصارى : شعيرة عبادة الصور والتماثيل ، فلا نكاد نجد ديرا أو كنيسة الا وهما ممتلئان بشتى الصور والتماثيل ، للمسيح ، ولمريم ، وللقديسين منهم . وهي موضع تقديسهم ، وعبادتهم .

ونتساءل : هل كان لتقديس الصور ، والتماثيل مكان في العهد القديم ؟

الواقع اننا لانجد في العهد القديم مايبرر للنصارى فعلتهم هذه ، بل على العكس من هذا ، لقد نهى العهد القديم في صراحة تامة المؤمنين عن اتخاذ الصور ، ونحت التماثيل ، وتوعّد بالهلاك ، والابادة من يخالف ذلك . من ذلك ما جاء في سفر التثنية :

" لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، ومافي الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ، ولا تعبدهنّ لأنّي أنا الربّ الهك غيور ... "(1)

وجاء فيه أيضا :

" فاحتفظوا جدا لأنفسكم ، فانّكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الربّ في حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا ، صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى ، شبه بهيمة ما مما على الأرض ، شبه طير ما ذى جناح مما يطير في السماء ، شبه دبيب ما على الأرض ، شبه سمك ما مما في الماء من تحت الأرض ، ولئلا ترفع عينيك الى السماء ، وتنظر الشمس والقمر والنجوم و كل جند السماء التي قسمها الربّ الهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء ، فتغترّ ، وتسجد لها ، وتعبدها ."(2)

---

* انظر : سفر بن عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ١٠٠-١٠٣

(1) ٥ : ٨ - ١٠

(2) ٤ : ١٥ - ١٩ . وانظر كذلك السفر نفسه ٤ : ٢٥

هذه هي نصوص التوراة التي وردت في النهي عن عمل الصور والتماثيل وعن عبادتها ، والسجود لها . ولا شك أن التوراة تعتبر كتاباً مقدساً لدى المسيحيين ، بالإضافة الى أن العهد الجديد خالٍ من هذه البدعة ، وبالتالي لم يبطل ماجاء في تحريمها ، لكن يأبى النصارى إلاّ مخالفة شريعة الله والجري وراء أهوائهم ورغباتهم ، فيدخلون شعيرة عبادة الصور والتماثيل - وهي شعيرة وثنية - ضمن شعائرهم ، شأنها في ذلك شأن كافة الشعائر والبدع التي اقتبسوها عن الوثنيين .

وبالتتبع التاريخي لهذه الشعيرة نجد أنها لم تكن في أول أمرها كما هي عليه الآن ، بل قد كانت نشأتها في البداية محدودة النطاق ، ثم مالبثت أن نمت تدريجيا ، وانتشرت انتشارا واسعا ، ثم أصبحت من ضمن شعائر النصرانية ، وذلك عن طريق مجامعهم كما سيأتي .

وايضاحاً لذلك يقول المؤرخ المسيحي (ول ديورانت) :

" كانت الكنيسة أوّل أمرها تكره الصور والتماثيل ، وتعدها بقايا من الوثنية ، وتنظر بعين المقت الى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة . ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين ، وماكان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر . . . كل هذا قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية . ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين ، نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم ؛ فظهرت لهم ولمريم العذراء كثير من الصور . ولم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب ، بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلسما ذا قوة سحرية عجيبة .

وأطلق الشعب العنان لفطرته ، فحوّل الآثار ، والصور ، والتماثيل

المقدسة الى معبودات ، يسجد الناس لها ، ويقبّلونها ، ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها ، ويتوجونها بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي .

وفي البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة اليونانية بنوع خاص ، كنت ترى الصور المقدسة ، في كل مكان - في الكنائس ، والأديرة ، والمنازل ، والحوانيت - وحتى أثاث المنزل ، والحلي ، والملابس نفسها لم تخلُ منها .

وأخذت المدن التي تتهددها أخطار الوباء ، أو المجاعة ، أو الحرب ، تعتمد على قوة مالديها من الآثار الدينية أو على مافيها من الأولياء والقديسين للنجاة من هذه الكوارث ." (١)

وما إن انتشر الاسلام ، وعمّ أرجاء المعمورة ، وخاصة في القرن الثامن الميلادي ، وعرفت تعاليمه لغير أهله - ومافيه من النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل فضلا عن تقديسها - حتى بدأ بعض المنصفين من المسيحيين ، وأرباب السلطان في نبذ هذه البدعة والعمل على إزالتها . من هؤلاء : الامبراطور (ليو الثالث) ، الذي تشبعت نفسه بفكرة سرت إليه من المسلمين وغيرهم، تندم عكوف جمهرة المسيحيين على عبادة الصور والتماثيل . فعقد مجلسا من الأساقفة وأصدر مرسوما عام (٧٢٦م) يطلب فيه ازالة جميع الصور والتماثيل الدينية من الكنائس، وحرّم تصوير المسيح والعذراء ، وأمر أن يغطى بالجص ماعلى جدران الكنائس من صور ، لكن لم يقابل هذا المرسوم بالموافقة الجماعية فكان أن عارضته الكنيسة ، وثار عليه الشعب . واتفقوا على عزل (ليو) وطرده من الحكم .

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ (عصر الايمان)ص٤٥١/ ١٥٥ .

واجتمع مجلس من أساقفة الغرب دعا إليه البابا (جريجوري الثاني) ، وصبّ اللعنة فيه على محطمي الصور والتماثيل . إلاّ أن أولاد (ليو الثالث) ساروا على نهجه ، منهم ابنه (قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) حيث جمع هذا الامبراطور مجلسا من أساقفة الشرق في القسطنطينية سنة (٧٥٤م) قرر فيه بصفة قاطعة: تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة ، ووصفها بأنها عمل ممقوت . وحرّم طلب الشفاعة من العذراء ، وأمر بأن يمحى أو يدمّر كل ما في الكنائس من صور وتماثيل . وكذلك أحفاده من بعده ساروا على نفس نهجه حتى كان عام (٧٨٧م) حيث دعت الامبراطورة (إيريني) -التي كانت معاصرة لهارون الرشيد- رجال الدين في العالم المسيحي إلى عقد مجمع عام للبحث في مسألة (الصور والتماثيل) ، واتخاذ قرار حاسم بشأنها . فاجتمع في مدينة نيقية عام (٧٨٧م) حوالي (٣٧٧) أسقفاً[1] ، وأصدروا قرارا بتعظيم صور المسيح وأمه والقديسين ، لا بعبادتها . وجاء في قرار هذا المجمع مايلي :

"إنّا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط ، بل في البيوت ، وعلى الجدران في الطرقات ؛ لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل ، وسائر القديسين في صورهم ، شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم ، والتكريم لهم . فيجب أن تؤدى التحية والاكرام لهذه الصور ، لا العبادة التي لا تليق إلاّ بالطبيعة الالهية ."[2]

---

(١) انظر ول ديورانت قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص١٥٤-١٥٧ .
وانظر كذلك السيرجون ١٠ . هاملتون / تاريخ العالم المجلد الرابع ص٤٥٩-٤٦٢ .

(٢) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص١٤٣/ ١٤٤ ط ٣ .

واستمر الحال هكذا، حتى قامت حركة الاصلاح الكنسي في القرن الخامس عشر الميلادي . وكان من مبادئها أن منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها . متأثرين في ذلك بما رأوه عن المسلمين عن طريق الحروب الصليبية .

ورغم ذلك نجد غالبية المسيحيين لا تزال تقدس الصور حتى الآن وتلعن محطميها . يقول الامام القرافي في ذلك :

" أكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس . وهو من كفرهم . وأيّ فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير .

ولو أن السجود للصور عقيدة ، لسجد التلاميذ للمسيح -عليه السلام - في حال حياته ، فإن صورته أفضل مما يصورونه في الكنائس ، وليس في كتبهم حرف من شرع التصوير ، ولا من السجود للتصاوير ، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد ، وكفّرت من يفعل مثل هذا . . . . "(١)

وسوف نرى في الفصل التالي بيان ابن تيمية لكون تقديس الصور والتماثيل أمراً مبتدعاً في المسيحية ، ليس منها ولا من فعل المسيح وتلاميذه في شئ . والزامه للنصارى ببطلان ما هم عليه ، حيث يفقد الاساس الديني الصحيح .

٭٭

---

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص١٨٨ .

الفصل العاشر

إبطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية

((الفصل العاشر))

◊

ابطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية

◊◊

في معرض تبيان ابن تيمية لما سبق وأن شرحناه في هذا الباب من العبادات والشرائع النصرانية - في معرض ذلك يذكر لنا أنّ هذه العبادات والطقوس والشرائع تفقد أساسها الديني الصحيح ، وانها لم ترد عن المسيح عليه السلام ، ولم ينزل بها كتاب ، وانما هي مبتدعات ابتدعها النصارى دون أن يكون لها أساس ديني صحيح عندهم .. وفي ذلك يقول :

" دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذى نقله الحواريون عن المسيح - عليه السلام - كذب ظاهر ، بل عامة ما هم عليه من الدين عقائده ، وشرائعه ، كالامانة ، والصلاة الى المشرق ، وتعظيم الصليب ، وتقديسه ، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس ، واتخاذها وسائط ، والاستشفاع بأصحابها ، وجعل الأعياد بأسمائهم ، وبناء الكنائس على أسمائهم ، واستحلال الخنزير ، وترك الختان ، والرهبانية ، وجعل الصيام في الربيع ، وجعله خمسين يوما ، والصلوات التي يصلونها ، والقرابين وعامة أعيادهم ، مثل عيد القلندس ، وعيد الميلاد ، وعيد الغطاس وعيد الصليب - الذى جعلوه وقت ظهور الصليب ، لما أظهرته (هيلانة) الحرانية الفندقانية ، أمّ قسطنطين ، بعد المسيح عليه السلام بمائتين من السنين - وعيد الخميس ، والجمعة ، والسبت ، التي في آخر صومهم .*

---

* عيد الميلاد : هو عيد ذكرى مولد السيد المسيح ، وهو يوم (٢٥) ديسمبر بالتقويم الغربي ، ويوم (٢٩) كيهك بالتقويم القبطي . احتفل به سنة (٢٠٠) ميلادية ، ثم انتشر ، واصبح شائعا ، وشعبيا في القرون الوسطى . التصقت به عادات ، وتقاليد قومية ، مثل : =

وغير ذلك من أعيادهم .التي رتّبوها على أحوال المسيح ، والاعياد التي ابتدعوها لكبرائهم ، وكذلك حجّهم لكنيسة القيامة ، وبيت لحم ، وكنيسة صيدنايا . فانّ ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها ، لم ينقله الحواريون عن المسيح ، ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الانجيل ..."(١)

=غناء الترانيم ، وتبادل الهدايا ، وارسال التهاني .

عيد الغطاس : عند المسيحيين احتفال ديني ، بمناسبة تغطيس (تعميد) المسيح في نهر الاردن عندما بلغ ثلاثين عاما ، ويقع في التاسع عشر من يناير كل عام .

عيد الخميس:(خميس الصعود) ، وهو عيد السلاق ، أو صعود المسيح للسماء ، بعد أربعين يوما من قيامته .

عيد الجمعة : وهو تذكار صلب المسيح - كما يزعمون - ، وفيه يظلّون كل اليوم يقرأون الانجيل ، والنبوات ، ويطوفون بالصليب ، ويدفنون صورة المسيح حسب الترتيب الموضوع .

عيد السبت : (سبت النور) وفيه يقوم بطريرك الروم أو نائبه ، بالطواف في كنيسة القيامة ، حول القبر ، حوالي ثلاثة أرباع الساعة ، ثم يدخل الى بناية القبر ، ويناول الارمن شمعة من يده ، من الطاقة الغربية ، ثم شمعة أخرى من الطاقة الشرقية . وينير منها القبط ، والسريان شموعهم . وبذلك ينتهي الاحتفال ، وينفضّ الزوّار ...

انظر عن الاعياد : مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى / العدد الرابع صفحة ٦٢ ، ٦٤ والعدد الخامس صفحة ٨٨ والعدد السادس صفحة ١٠٣ وانظر كذلك الموسوعة العربية الميسرة / صفحة ١٢٤٧

(١) انظر الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٠٤ وكذلك ص ١٢٥
وانظر كذلك المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٥ ، ٨٦ ، ٢٣٠
وكذلك جـ ٣ ص ٢٣٧ / ٢٣٨

ويعلل ابن تيمية هذا الانحراف الذى طرأ على المسيحية ، وأدى الى ابتداع كل ماذكره من العبادات والطقوس والشرائع - يعلل ذلك بالأسباب الآتية :

السبب الأول : ما أعطاه النصارى لرؤسائهم من حق النسخ فى التشريع، فخالفوا بذلك شرع الله الذى بعث به الأنبياء . فيقول :

إن النصارى يجوّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع، ويضعوا شرعا ؛ فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعا ،لم ينزل به كتاب ، ولا شرعه نبي .(1)

ويقول فى موضع آخر:

" إن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق ،فكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون. فيزعمون أن الله يمتنع عليه أن ينسخ ما شرعه ، أو يبعث رسولا بشريعة تخالف ما قبلها .

أما النصارى فمن شأنهم التصديق بالباطل ، حيث يصدقون بمحالات العقول والشرائع ، ويزعمون أن ما أمر الله به يجوز لأحبارهم ورهبانهم أن ينسخوه ، فيحللون ما حرم الله ،كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث ، حيث زعموا أن بعض أكابرهم(٢) رأى ملاءة ، صوّر له فيها صور الحيوان ، وقيل له : كل ما طابت نفسك ، ودع ماتكره ، وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ، ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك .

---

(1) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٦٦ .

(٢) هو بطرس كما تحكي ذلك أسفارهم . أنظر أعمال الرسل ١١ : ٥-٩ وانظر الفصل الأول من هذا الباب.

ويحرمون ما حلله الله كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها من الطيبات ما أحله الله . ويسقطون ما أوجب ،كما أسقطوا الختان وغيره ، وأنواع الطهارة من الغسل ، وإزالة النجاسة ،وغير ذلك . ويوجبون ما أسقط ،كما أوجبوا من القوانين مالم يوجبه الله وأنبيائه .

فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم والحرام عندهم ماكرهته أنفسهم ، واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات ،وتحريم الطيبات ، والنصارى استحلوا الخبائث وملابسة النجاسات . واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم . والنصارى يدّعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم ."(١)

واستشهد (ابن تيمية) بقوله تعالى :

(ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ،ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ،وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)(٢) فبيّن أن الله قد خاطب النصارى في هذه الآية ،حيث إنهم سوّغوا لأكابرهم أن يضعوا لهم شريعة ، وينسخوا بعض ماكانوا عليه ،ولا يتحاكمون في شرع الله إلى كتاب الله وإلى رسله، فيقول :

" هو سبحانه وتعالى خاطب النصارى بهذا ؛ لأن النصارى يعتمدون في دينهم على مايقوله كبراؤ هم الذين وضعوا لهم القوانين ، والنواميس ، ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة ،وينسخوا بعض ماكانوا عليه قبل ذلك ، لا يردّون مايتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله ، بحيث لا يمكّنون أحداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل ،وعن اتباع

---

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص٢٩٥ بتصرف قليل .

(٢) سورة المائدة / آية ٧٧ .

ماجاء به المسيح ، ومَنْ قبله مِن الأنبياء عليهم السلام . ولهذا قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم)[١] لا ما وضعه لهم أكابرهم من القوانين والنواميس الشرعية ...

وحين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)[٢] - قال عديّ بن حاتم : لم يعبدوهم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (إنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم)[٣] ولهذا قال تعالى : (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[٤]

فاتباع النصارى أهواء أكابرهم هو الذى أضلهم ، وأعماهم ، وجعلهم يحيدون عن شرع الله المنزل ... "[٥]

---

(١) سورة المائدة / آية ٦٨ .

(٢) سورة التوبة / آية ٣١ .

(٣) رواه الترمذى ، وغيره ، وحسنه . وفى رواية : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تفسيراً لهذه الآية : (أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه . "
أخرجه الترمذى بالرواية الثانية ، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى .
أنظر / محمد ناصر الدين الألبانى / غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام ص١٩ .

(٤) سورة المائدة / آية ٧٧ .

(٥) الجواب الصحيح جـ ٢ ص٨٦ / ٨٧ . وانظر كذلك المرجع نفسه جـ١ ص١١٤ / ١١٥ .
وكذلك للمؤلف نفسه / اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٦٨ / ٢٦٩ .

أما السبب الثاني عند ابن تيمية في انحراف النصارى في عباداتهم وشرائعهم فهو :

مقابلة النصارى لليهود ، باتخاذ مواقف مضادة لهم ، بعد أن أصبحت لهم الدولة في عهد (قسطنطين) رد فعل للمواقف التي وقفها اليهود منهم سابقا ، حيث اشتدت عداوة النصارى لليهود بعد أن أصبحت لهم الدولة ، فانتقموا من اليهود ، وأصبحت عداوتهم لهم ظاهرة حتى في العقائد والشرائع. فهم واليهود في هذا الباب على طرفي نقيض. وفي بيان ذلك يقول ابن تيمية :

" إن المسيح - عليه السلام - لما رفع إلى السماء ، وعاداه اليهود ، وعادوا أتباعه عداوة شديدة ، وبالغوا في أذاهم وإذلالهم ، وطلب قتلهم ونفيهم ، صار في قلوبهم من بغض اليهود ، وطلب الانتقام منهم مالا يوصف ، فلما صار لهم دولة وملك مثل ماصار لهم في دولة قسطنطين ، صاروا يريدون مقابلة اليهود ، كما جرت العادة في مثل ذلك بين الطوائف المتقابلة ، المتنازعين في الملك ، والمتنازعين في البدع ، ظهرت طائفة على الأخرى بعدما آذتها الأخرى ، وانتقمت منها تريد أن تأخذ بثأرها ، ولا تقف عند حدّ العدل ، بل تعتدي على تلك ، كما اعتدت تلك عليها . فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود ، فأحلوا مايحرمه اليهود كالخنزير وغيره ، وصاروا يمتحنون مَنْ دخل في دينهم بأكل الخنزير ، فإن أكله وإلا لم يجعلوه نصرانيا[1] وتركوا الختان ، وقالوا : إن المعمودية عوض عنه ، وصلّوا إلى قبلة غير قبلة اليهود . وكان اليهود قد أسرفوا في المسيح ، وزعموا أنه ولد زنا ، وأنه كذاب ، ساحر، فغالى هؤلاء في تعظيم المسيح ، وقالوا : إنه الله ، وابن الله ... وأمثال ذلك ..."[2]

---

(١) انظر الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٢٨ / ٢٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٨٦ - ٨٨ .

ويذكر (ابن تيمية) عن النصارى قولهم إن شريعتهم جاءت ناسخة لشريعة موسى - عليه السلام - ويستدلون على ذلك بما جاء في سفر اشعياء ، حيث يقولون :

قال اشعياء " قال الله : هكذا مقتت نفسي سبوتكم ، ورؤوس شهوركم صارت عندي مرذلة "(1)

وقال وفي ذلك اليوم يقول الله : " سأبطل السبوت والأعياد كلها ، وأعطيكم سُنّة جديدة مختارة لا كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي " يوم حوريب " ، يوم الجمع الكثير ، بل سنة جديدة مختارة أمر بها وأخرجها من صهيون ."(2)

ثم قالوا تعليقا على هذا النص :

" فصهيون هي أورشليم ، والسنة الجديدة المختارة هي السنة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الأطهار ، الذين خرجوا من أورشليم ، وداروا في سبعة أقاليم العالم ، وأنذروا بهذه السنة الجديدة .

فأيّ بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان ، إذ قد أوردناه من قول الله ، ولا سيما وأعداؤنا اليهود - المخالفون لديننا - شهدوا لنا بصحة ذلك جميعه ."(3)

ويدعي النصارى أنهم متبعون لهذه السنة فيما لديهم من العبادات والطقوس والشرائع .

---

(1) سفر اشعياء ١ : ١٤ ولفظه : " رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليّ ثقلا ، مللت حملها ".

(2) سفر اشعياء ٢ : ٣ .

(3) نقلا من ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٢٧ ، وانظر كذلك الجزء نفسه ص٦٩ / ٧٣ .

ويرد عليهم (ابن تيمية) فيؤكد عدم التزامهم بالسنّة التى أخذوها عن المسيح وعن الحواريين ، وأن مايزعمون أنهم أخذوه عنهم من العقائد والعبادات والشرائع لا يمكن أن يكون المسيح ولا حواريوه قد سنوه لهم ، بل على العكس من هذا غيّروا سنتهم وشريعتهم مابين مبعث المسيح ، ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وابتدعوا فيها ماليس منها من الأضاليل والأباطيل تماما كما فعل اليهود بتحريف شريعتهم مابين مبعث موسى ، ومبعث عيسى .

ومهما يكن من أمر ، فإن ماعليه اليهود والنصارى لا يجديهم نفعا فى باب الإيمان حتى ولو ثبتوا على شرائعهم الصحيحة التى تلقوها من أنبيائهم ، ماداموا لم يتبعوا شرعة النبي الأمي ، المبعوث إليهم وإلى الناس كافة . يقول ابن تيمية :

" أما قولكم : السنة الجديدة المختارة هى السنة التى تسلمناها من يدي الرسل الأطهار ، على ماتسلموها من المسيح - عليه السلام - ، فيقال : لو كنتم على تلك السنة ، ولم تغيّروها لم ينفعكم البقاء عليها ، إذ كذبتم الرسول النبي الأمي الذى بعث اليكم ، والى سائر الخلق بسنة أخرى ، أكمل من السنن التى كانت قبله ، كما لم ينفع اليهود ولو تمسكوا بسنة التوراة ، ولم يتبعوا سنة المسيح الذى أرسل إليهم ... لكن غيرتموها ، وبدلتموها قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فصرتم كفاراً بتبديل شريعة المسيح ، وتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة ، وتكذيب شريعة الانجيل ، ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى سائر رسل الله أجمعين فإن المسيح لم يسنّ لكم استحلال الخنزير ، وغيره من المحرمات ، ولا ترك الختان ، ولا الصلاة الى المشرق ، ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، ولا اتخاذ التماثيل

والصليب ، ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وسؤالهم الحوائج ، ولا الرهبانية ، وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها لم يسنّها لكم المسيح . فما أنتم عليه ليست هي السنة التي تسلمتوها من رسل المسيح ، بل عامة ما أنتم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريين . . .

فكيف تدّعون أنكم على السنة والشريعة التي كان عليها المسيح - عليه السلام - وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر أنه كذب بيّن ."(1)

فلو فرض صحة استدلال النصارى على استقلالهم التشريعي عن اليهودية ، وأن ذلك بأمر من الله - لو فرض صحة ذلك ، فإن الواقع أنهم لم يتبعوا شريعة المسيح ، وإنما حرفوها ، وانحرفوا عنها ، كما يدل على ذلك تتبع أحكام هذه الشريعة على نحو ما عرضها شيخ الاسلام آنفا .

ويخص شيخ الاسلام بالتعليق بعض الطقوس النصرانية ، مبطلاً إياها كالقرابين ، والرهبانية . . .

ففيما يتعلق بالقرابين يقول ابن تيمية :

" يدعي النصارى أن القرآن مدح قرابينهم ، وتوعدهم إن أهملوا ما معهم ، وكفروا بما أنزل اليهم أن يعذبهم عذابا لم يعذبه أحداً من العالمين . وذلك في قوله تعالى في سورة المائدة(2) : (إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين.

---

(1) الجواب الصحيح ج٢ ص٢٢٨-٢٣٠ بتصرف وتلخيص .

(2) آية ١١٢-١١٥ .

قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك . وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله : إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين .)

قالوا : فالمائدة هي القربان المقدس الذي يتقرب به في كل قداس."(١)

ويرد ابن تيمية على ادعائهم هذا مبطلاً إياه ، ومبيناً فساده فيقول :

" هذا كذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع ، كما كذبتم عليه في غير هذا الموضع . فإنه ليس في الآيات ذكر قرابينكم ألبتة ، وانما فيها ذكر المائدة التي أنزلها الله تعالى في عهد المسيح عليه السلام .

وقولهم : المائدة هي القربان الذي يتقرب به في كل قداس ، هو:

أولاً : قول لا دليل عليه .

وثانيا : هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين ، الذين نقلوا هذا القرآن* عن محمد صلى الله عليه وسلم ، لفظه ، ومعناه . فإنهم متفقون على أن المائدة مائدة أنزلها الله على عهد المسيح -عليه السلام- ، وقصتها مشهورة في عامة الكتب ، تعرفها العامة والخاصة ، ولم يقل أحد أنها قرابين النصارى ، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على خلاف ذلك . فإن الآية تبيّن أن المائدة منزلة من السماء ، وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء .

---

(١) أنظر الجواب الصحيح ص٦٤ ، ٦٥ الجزء الثاني .

* عن خبر المائدة انظر التفاسير الآتية :

١ - تفسير ابن كثير جـ٢ ص١١٦ ، ١١٩ .

٢ - تفسير الرازي المجلد السادس جـ١٢ ص١٣٦ / ١٤١ .

٣ - تفسير المنار جـ٧ ص٢٥٨ / ٢٦٠ .

وفي الآية أن عيسى -عليه السلام- قال : (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله : إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين .) ، وفي أول الكلام (إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين .)

فأين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم ؟ ! ."[1]

وفيما يتعلق بالرهبنة فإن ابن تيمية يذكر أنهم يحتجون على صحة ابتداعهم للرهبنة بأن القرآن قد امتدحها حيث يقولون :

إن القرآن مدح الرهبانية التي نحن متمسكون بها[2] بقوله تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز . ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ، فمنهم مهتدٍ ، وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه الانجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون .)[3]

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص٦٤ ، ٦٥ .

(٢) المرجع السابق جـ١ ص٢٣٠ ، ٢٥٨ .

(٣) سورة الحديد / آية ٢٥-٢٧ .

ويرد عليهم ابن تيمية مبيناً لهم خطأ فهمهم للآية ،وأن الرهبانية ابتداع وليست اتباعاً ،وأنهم مخالفون بذلك شريعة الأنبياء ، وشريعة المسيح . فيقول :

" قول الله تعالى هذا حق ،لكن ليس في ذلك مدح للرهبانية،ولا لمن بدل دين المسيح ، وانما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة ،حيث يقول : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) ثم قال : (ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم) أي وابتدعوا رهبانية ماكتبناها عليهم .وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم ، بل نفى جعله عنها . . .وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذى أثبته للمشروع بقوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[1] وقوله : (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه)[2]. فالرهبانية التى ابتدعوها لم يشرعها الله .

وللمفسرين في قوله تعالى : (ورهبانية) قولان :[3]

أحدهما : انها منصوبة . يعني ابتدعوها . إما بفعل مضمر، يفسره مابعده، أو يقال : هذا الفعل يعمل في المضمر والمظهر. ونظيره قوله تعالى : (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما .)[4]. وعلى هذا القول فلا

---

(١) سورة المائدة / آية ٤٨ .

(٢) سورة الحج / آية ٦٧ . والمنسك هو الشريعة والمنهاج على القول المختار. أنظر ابو السعود في تفسيره جـ٦ ص١١٨ .

(٣) انظر على سبيل المثال : الامام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ١٧ ص٢٦٣ . وانظر كذلك الزمخشري في كشافه جـ٤ ص٦٧، ٦٨ . وكذلك الامام الرازى في تفسيره الكبير المجلد ١٥ جـ٢٩ ص٢٤٦/٢٤٧ .

(٤) سورة الانسان / آية ٣١ .

تكون الرهبانية معطوفة علي الرأفة والرحمة .

أما القول الثاني: إنها معطوفة عليها ، فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة ، ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا . والجعل الكوني يتناول الخير والشر ،كقوله تعالى : (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار)[1]. وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية ؛ لأنها في القلوب . فثبت أنه على التقديرين ليس في القرآن مدح . ثم قال : (إلا ابتغاء رضوان الله) ،أي لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء رضوان الله بفعل ماأمر به لا بما يبتدع . وهذا يسمى استثناءً منقطعا كما في قوله تعالى : (مالهم به من علم إلا اتباع الظن ...)[2] وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية ،وما رعوها حق رعايتها ،وليس في ذلك مدح لهم ، بل هو ذم ...

هذا وان الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه ،بل الذين صحبوه كالحواريين، لم يكن فيهم راهب ،وانما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه كما وأن الرأفة والرحمة جعلها الله في القلوب. والرهبانية لا تختص بالقلوب، بل الرهبانية تتضمن ترك المباحات من النكاح ، واللحم ، وغير ذلك . وقد كان طائفة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ همّوا بالترّهب، فأنزل الله تعالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .)[3]

---

(١) سورة القصص آية ٤١ .

(٢) سورة النساء / آية ١٥٧ .

(٣) سورة المائدة / آية ٨٧ .

وثبت في الصحيحين أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتـــوا إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسألوها عن عبادة النبي صلى الله عليـــه وسلم فلما أخبروا عنها كأنهم تقالّوها . فقال أحدهم : أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر : أما أنا فأقوم لا أنام ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء ، وقال الرابع : أما أنا فلا آكل اللحم . فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : (ما بـــال رجال يقول أحدهم كذا وكذا . . . لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتـــزوج النساء ، وآكل اللحم . فمن رغب عن سنتي فليس مني .)(1)

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس، فقال : ما هذا ؟ قال : هذا أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظـل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال -صلى الله عليه وسلم -:

(مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه .)(2)

وثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته : (خير الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .)(3)

---

(1) صحيح البخاري جـ٦ ص١١٦ أول كتاب النكاح . وصحيح مسلم جـ٤ ص١٢٩ كتاب النكاح . والراوي للحديث في الصحيحين هو أنس بن مالك .

(2) جـ٧ ص٢٣٤ كتاب الايمان والنذر / باب النذر فيما لا يملك ، وفي معصية .

(3) جـ ٢ ص ٥٩٢ كتاب الجمعة / باب تخفيف الصلاة والخطبـــــة ، ولفظه : (خير الحديث كتاب الله . . .) الخ .

وفى السنن عن العرباض بن سارية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة .)(١)

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة ، وضلالة . وماكان بدعة وضلالة لم يكن هدى ، ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها . وقالت طائفة : معناها : مافعلوها إلا ابتغاء رضوان الله ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله .

وقالت طائفة : مافعلوها ، أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله . قيل: كلا القولين خطأ . والأول أظهر خطأ ، فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم ، بل لم يشرعها لا ايجابا ولا استحبابا ، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها ، وليس فى الآية مايدل على ذلك ، فإنه قال : (ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها .)(٢) فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية ، ولا إتمامها ، ولا رعايتها ، بل أخبر أنهم ابتدعوها بدعة ، وأن تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها . فإن قيل : قوله تعالى : (فمارعوها حق رعايتها) يدل على أنهم لورعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين . قيل : ليس فى الكلام مايدل على ذلك ، بل يدل على أنهم - مع عدم الرعاية - يستحقون من الذم مالا يستحقونه بدون ذلك ، فيكون ذم من ابتدع البدعة ، ولم يرعها حق رعايتها أعظم

---

(١) سنن أبى داود / جـ٥ ص١٣ كتاب السّنة / باب فى لزوم السنة رقم الحديث ٤٦٠٧ . وأخرجه الترمذى فى العلم / حديث رقم ٢٦٧٨ / باب فى الأخذ بالسنة ، واجتناب البدع . وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الحديد / آية ٢٧ .

من ذم من رعاها ، وإن لم يكن واحد منها محمودا ، بل مذموما . مثل نصارى بني تغلب* ونحوهم ممن دخل في النصرانية ، ولم يقوموا بواجباتها ، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم ، فكان كفرهم ، وذمهم أغلظ ممن هو أقل شراً منهم . فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها إبتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب . فإن ماكتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه ، فكيف بالرهبانية ؟ .

وأما قول من قال : مافعلوها إلّا ابتغاء رضوان الله . فهذا المعنى لو دلّ عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية ، فإن من فعل مالم يأمر الله به ، بل نهاه عنه مع حسن مقصده ، غايته أن يثاب على قصده لا يثاب على مانهى عنه ،

---

* هم بطن من العرب ، انتسبوا الى النصارى ، ولم يعرفوا من دينهم شيئا ، فنقل عن علي - كرم الله وجهه - أنه لم يجز أكل ذبائحهم ، ولا نكاح نسائهم معللا ذلك بأنهم لم يأخذوا من النصارى إلّا شرب الخمر . يعني أنهم على شركهم ، لم يصيروا أهل كتاب . واكتفى جمهور الصحابة بانتمائهم الى النصرانية . روى ابن جرير عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى بني تغلب ، فقرأ هذه الآية : (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم . . .) الآية . سورة المائدة / آية ٥١ .

وفي رواية له عنه أنه قال : كلوا من ذبائح بني تغلب ، وتزوجوا من نسائهم ، فان الله تعالى قال : - وقرأ الآية - . فلو لم يكونوا منهم إلّا بالولاية لكانوا منهم . أي يكفي في كونهم منهم : نصرهم لهم ، وتوليهم إياهم في الحرب . أنظر الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص١٨٩ .
وانظر كذلك خير الدين الزركلي / الأعلام المجلد الثامن ص٨٥ .
وانظر كذلك منجد الأعلام ص١٨٩ ط٢٦ .

ولا عن ماليس بواجب ، ولا مستحب ، فكيف والكلام لا يدل عليه ، فإنه قال : (ماكتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله) . لم يقل مافعلوها إلّا ابتغاء رضوان الله ، ولا قال : ماابتدعوها إلّا ابتغاء رضوان الله ، ولو كان المراد مافعلوها أو ماابتدعوها إلّا ابتغاء رضوان الله ، لكان منصوبا على المفعولية ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه . ولا نفى ابتداع ، بل أثبته لهم ، وإنما تقدم لفظ الكتابة . فعلم أن القول الذى ذكرناه هو الصواب ، وأنه استثنا منقطع ، فتقديره : وابتدعوا رهبانية ماكتبناها عليهم ، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ، فإن ارضاء الله واجب مكتوب على الخلق ، وذلك يكون بفعل المأمور ، وبترك المحظور ، لا بفعل مالم يأمر بفعله ، وبترك مالم ينه عن تركه ، والرهبانية فيها فعل مالم يأمر به وترك مالم ينه عنه .» (1)

وجماع القول : إن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ، ولا يتبعونه قولاً أو عملا ، أو لا قولا ولا عملا . وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم . فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله مالا يعلمون . ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة * وغيره يقولون : «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى» (2) وصدق الله

---

(1) أنظر الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٥٨ / ٢٦٤ باختصار وتلخيص .
وانظر كذلك المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨ .

* سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي (١٠٧-١٩٨ هـ) ، ولد بالكوفة ، وسكن مكة ، وتوفي بها . كان حافظا ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر . قال الشافعي عنه : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . أنظر خيرالدين الزركلي / الاعلام جـ ٣ ص ١٠٥ .

(2) ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم فى الرد على أهل الجحيم ص ٥ .

العظيم اذ يقول : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير .)[1]

وهكذا يبطل ابن تيمية شرائع النصارى إجمالا وتفصيلا - كما أبطل عقائدهم من قبل - وذلك لعدم صحة ماتقوم عليه من الأسس الدينية ؛ ولتناقضها مع العقل الصريح ، والدين الصحيح .

(١) سورة البقرة / آية ١٢٠ .


الخاتمة والنتائج

الخـــاتمـــــة

انتهيت من رسالتي هذه بحمد الله تعالى وتوفيقه الى أهم النتائـــج الآتيـــــــة :

(١) أثبت أنه كان هناك انجيل أصلي لعيسى - عليه السلام - ، وأن الأناجيل الموجودة حاليا بأيدى النصارى منقطعة السند تماماً عن واضعيهـا ، وتبطل بالتالي دعوى الالهام لكاتبيها. وأن التحريف اللفظي بأنواعه الثلاثـــة (بالتبديل اللفظي ، وبالنقصان ، وبالزيادة) واقع فيها . وفيها مـــن التناقض ما يكفي في القطع بعدم صحتها ، وقداستها ، كما دلت على ذلـك الدراسة المقارنة لها في مختلف فصول الرسالة .

(٢) انّ الديانة المسيحية الصحيحة ، المنزلة من عند الله ، هـــي ديانة توحيد ، وتنزيه للاله الخالق ، وليست ديانة تعدد ، وتثليـــث . شـأنها في ذلك شـأن سائر الأديـان السماوية الأخـرى .

أمّا المسيحية الحالية ، فليست هي مسيحية المسيح ، ولا تمـــتّ الى مسيحيته بصلة ، اللهم الاّ الصلة الاسمية فقط ، فما هي الاّ لبنات وثنية ، أعيد بناؤها ، فجاءت منه المسيحية الحالية ، وهي في حقيقة الأمـــر كذلك - كما بينت ذلك بوضوح خلال فصول الرسالة - من وضع بـولـــس ، الذي أدخل عليها مالم يكن في النصرانية الأولى ، من القول بالحلـــول والاتحاد ، وبنوة المسيح لله تعالى وألوهيته ، والقول بالتثليث ، والصلـــب والفداء ، وغير ذلك من ابتداعاته للشعائر ، وتحريفاته للشرائـع .

(٣) انّ عقيدة الحلول والاتحاد التي قال بها النصارى ، وزعمـــوا فيها حلول اللاهوت في الناسوت المسيحي ، واتحاده به - انّ هـــذه العقيدة عقيدة وثنية ، ظهرت في مختلف الأمم القديمة قبل المسيحيـــة ، بصور مختلفة ، وانتقلت الى المسيحية بعد ذلك ، فانحرفت بذلك عن خـــط التوحيد . وقد أبطلت هذه العقيدة بمختلف الأدلة العقلية والنقلية .

(٤) انّ النصارى غلوا في اعتقادهم ببنوة المسيح لله تعالى ، وأبـــوّة الله له على الحقيقة ، حيث ورد فيها ما يدل على خلاف ذلك ، وأنّ أبـــوّة الله انما هي بمعنى : الرعاية ، والاختصاص . وانها عامة للمؤمنين بـــه ، العارفين له ، المتمسكين بأوامره . وقد أبطلت هذه العقيدة بمختلـــف

الأدلة ، حتى من خلال أناجيلهم نفسها ، حيث ورد فيها ما يدل على خلاف ذلك .

(٥) أثبتّ بطلان تصورات النصارى لروح القدس ، وبينت أنّه في الحقيقة ليس الاّ جبريل - عليه السلام - ومن ثمّ فقد أبطلت تأليههم له ، واعتباره أحد الأقانيم الثلاثة ، وما يستندون اليه في هذه العقيدة من شبهات .

(٦) كشفت عن الجذور التاريخية لعقيدة التثليث عند النصارى ، بما يبيّن انحراف النصرانية الحالية بهذه العقيدة عن خط التوحيد ، في الرسالات السماوية . وبينت بطلانها عقلا ونقلا ، بل وبيّنت دلالة نصوص الأناجيل على التوحيد ، لو فهمت على وجهها الصحيح .

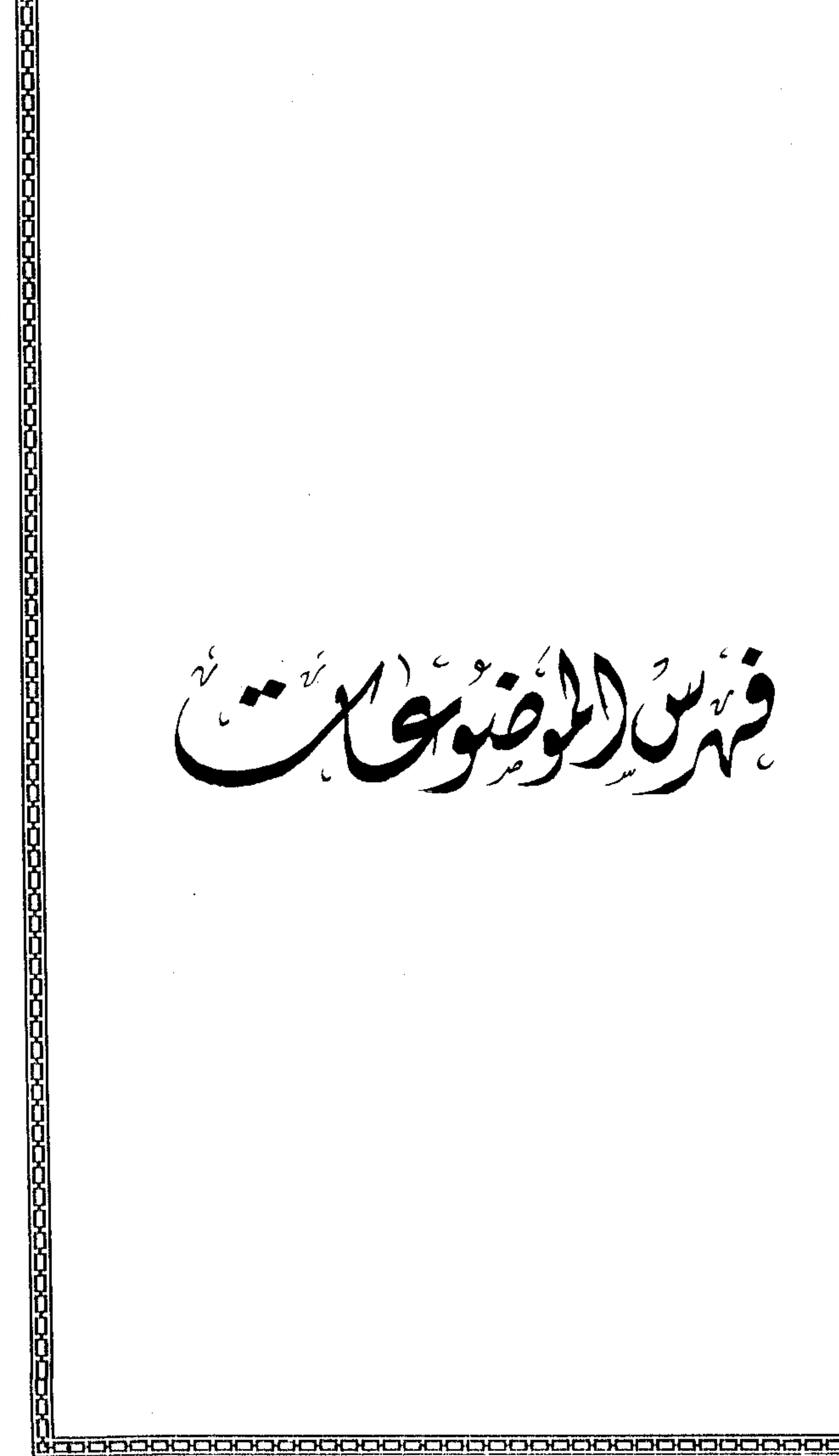
(٧) أثبت خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء ، وأنها طرأت على تلك الديانة ، تأثّرا بما في الوثنية ، وبادخال بولس لها في النصرانية ، ونتيجة لتقرير المجامع لها . وقد بيّنت بطلان عقيدة الصلب والفداء ؛ لما فيها من تناقضات عقلية ودينية ؛ ولعدم الوثاقة التاريخية لروايتها ، وتضارب الأناجيل بشأنها ، للقول بالمسؤولية الفردية ، وما قدمه القرآن من أدلة على بطلانها . وقد أثبت الى ذلك معارضة بعض النصارى لتلك العقيدة الباطلة .

(٨) انتهيت في دراستي بعد عرض مطوّل للعبادات ، والشعائر والشرائع النصرانية ، الى بيان أنها لا تستند الى أصول دينية صحيحة ، وأنها خلال تاريخها الطويل بعد رفع المسيح - عليه السلام - ليست الاّ تحريفا لشريعة التوراة ، وخروجا عليها ، وابتداعا لما لم يكن في النصرانية الأولى من العبادات ، والتشريعات ، على أيدى آباء الكنيسة ، الذين أصبح في أيديهم حقّ التشريع ، وقد أظهرت مافي هذه العبادات ، والتشريعات من أوجه الردّ ، والابطال ، وما فيها من مناقضة مع العقل والدين ، ومناواة للفطرة الانسانية السليمة .

هذه اشارة موجزة ، لأهمّ النتائج التي انتهيت اليها ، من

خلال عرضي للنصرانية في مختلف جوانبها ، عقيدة وعبادة وتشريعا . وعلى مختلف أحوالهم ، بدءا وتطورا . ومن خلال ماذكرته على هذه الديانة ، من أوجه الردّ والابطال في مختلف هذه الجوانب ، على لسان شيخ الاسلام ابن تيمية ، بيانا لموقفه منها ، ومن أسفارها المقدسة ، في عهديها : القديم والجديد ، وكذلك من خلال ماوجهته الى تلك الديانة ، وأسفارها من أوجه الرد والابطال ، التي تناولت بها الأصول الدينية لعقائد النصارى وعباداتهم ، وشرائعهم . اضافة لما قدمه شيخ الاسلام من ذلك .

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق . انه نعم المولى ونعم النصير . وآخر دعوانا أن الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ،،،



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس	
* عقيدة النصارى بالصلب والفداء* وابطال ابن تيمية لهما	
أ) عقيدة النصارى بالصلب والفداء وأدلتهم عليها :	
١ - خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء .	٥٩٩
٢ - ادخال بولس لعقيدة الصلب والفداء في النصرانية .	٦٠١
٣ - تقرير عقيدة الصلب والفداء في المجامع .	٦٠٥
٤ - معارضة بعض النصارى لعقيدة الصلب والفداء .	٦٠٦
٥ - آراء الفرق النصرانية في عقيدة الصلب والفداء .	٦٠٩
٦ - أدلة النصارى على عقيدة الصلب والفداء وبطلانها .	٦١٠
ب) ابطال ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى :	
أولا : بطلانها لعدم الوثاقة التاريخية لرواية حادثة الصلب.	٦٣١
ثانيا : تناقض النصارى في جمعهم بين عقيدة صلب المسيح وألوهيته .	٦٣٢
ثالثا : بطلان عقيدة الصلب والفداء لبطلان عقيدة الخطيئة الموروثة .	٦٣٣
رابعا : بطلان عقيدة الصلب والفداء لما فيها من تناقضات .	٦٣٧
جـ) تعقيب :	
١ - الجذور التاريخية لعقيدة الصلب والفداء .	٦٤٦
٢ - بطلان الأسس التي تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء .	٦٥٤
٣ - تناقض روايات الأناجيل لحادثة الصلب .	٦٦٠
٤ - موقف الاسلام من قضية الصلب والفداء .	٦٩٠


مراجع البحث

((مراجــع الرسالــة))

فيما يلي مراجع هذه الرسالة ، مرتبة حسب الأحرف الهجائيـــة لاسم الكتاب الذى اشتهر به . وهي التي المراجع التي أسهمت بطريـــق مباشر في مادة هذه الرسالة ، أمّا المراجع الأخرى والتي أسهمت بطريـــق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمـــة .

١) القرآن الكريـــم .

(أ)

٢) ابن تيمية بطل الاصلاح الديني . عرض وتقديم/محمود مهدى الاستانبولـــي .
الناشر : دار الحياة للطباعة والنشر .

٣) ابن تيمية (حياته وعصره ـآراؤه وفقهه) . تأليف/ الشيخ محمد أبو زهرة .
الناشر : دار الفكر العربي .

٤) أديان العالم . تأليف / حبيب سعيد .
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة .

٥) أديان الهند الكبرى . تأليف الدكتور / أحمد شلبي .
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية .

٦) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى .تأليف /أبي العباس شهاب الديـــن أحمد بن محمد القسطلاني .
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .

٧) أساس البلاغة . تأليف / الامام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمـر الزمخشرى . طبعة سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
الناشر : دار صادر / بيروت .

٨) استحالة تحريف الكتاب المقدس . تأليف / المهندس وهيب عزيز خليـــل
الطبعة الثانية . منقحة ومزيدة .
الناشر : كنيسة الشهيدة القديسة دميانة بالهرم .

٩) اسرائيل حرفت الأناجيل والاسفار المقدسة . تأليف / المهندس أحمد عبد الوهاب . الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م .
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة .
١٠) أضواء على المسيحية . بقلم الدكتور رؤوف شلبي . طبعة سنة ١٩٧٥م.
الناشر: المكتبة العصرية / صيدا - بيروت .
١١) اظهار الحق . تأليف / الامام العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني الكيرانوى . اخراج وتحقيق / عمر الدسوقي .
الناشر : طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر / مطابع الدوحة الحديثة .
١٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . تأليف/ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية . تحقيق وتصحيح وتعليق / محمد حامد الفقي .
الناشر / مكتبة الرياض الحديثة / الرياض .
١٣) أقانيم النصارى . تأليف الشيخ الدكتور أحمد حجازى السقا .
الناشر : دار الأنصار / القاهرة .
١٤) اقتضاء الصراط المستقيم (مخالفة أصحاب الجحيم) . تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .
صححه ودققه وعلق عليه / الاستاذ محمد على الصابوني .
طبعة سنة ١٣٩٠هـ .
الناشر : مطابع المجد التجارية .
١٥) الأجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة . تأليف / أحمد بن ادريس المالكي الشهير بالقرافي . مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق . لمؤلفه / الحاج عبد الرحمن بك افندى باجه جى زاده . الطبعة الأولى .
الناشر : مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ .
١٦) الأديان في القرآن . تأليف الدكتور محمود بن الشريف . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م .
الناشر : دار المعارف بمصر .

١٧) الأعـلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) تأليف / خير الدين الزِرِكْلي .
الناشـر : دار العلم للملايين / بيروت .
١٨) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية / الحافظ عمر بن على البزار .
تحقيق / زهير الشاويش . الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠هـ
الناشر : المكتب الاسلامـي / بيروت
١٩) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام . واظهار محاسـن دين الاسلام ، واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . تأليـف/ الامام القرطبي . تقديم وتحقيق وتعليق الدكتو أحمد حجازى السقـا .
الناشر : دار التراث العربي .
٢٠) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل . محمد السيد الجلفيـد .
طبعة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م
الناشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريـة / القاهرة .
٢١) الانجيل والصليب . تأليف / الأب عبد الأحد داود الآشورى العراقي .
نقله من التركية الى العربية مسلم عراقي .
طبع في القاهرة سنة ١٣٥١هـ .
٢٢) الله واحد أم ثالوث . محمد مجدى مرجان .
الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة .
٢٣) انجيل برنابا / ترجمه من الانكليزية الدكتور خليل سعاده .
الناشر : مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهـر .
٢٤) انجيل يوحنا (تاريخيا وموضوعيا) . الدكتور محمد علي زهران .
رسالة دكتوراه سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .
٢٥) ايماني . أو قضايا المسيحية الكبرى . بقلم القسّ / الياس مقار .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

(ب)

٢٦) باعث النهضة الاسلامية ابن تيمية السلفي . تأليف الأستاذ محمد خليل هرّاس . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
الناشر : دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان .

٢٧) بالحقيقة نؤمن باله واحد . تأليف القسّ / موسى وهبه مينا
الناشر : مطبعة مدارس الأحد / شبرا .

٢٨) البداية والنهاية . لأبي الفداء الحافظ ابن كثير . الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م - ١٤٠١هـ .
الناشر : مكتبة المعارف / بيروت .

٢٩) البراهين الانجيلية على أنّ عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية . بقلم الأستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي .
الناشر : مطابع دار الثقافة / مكة ١٣٩٣هـ .

٣٠) برهان يتطلب قراراً . تأليف / جوش مكدويل . ترجمة القسّ / منيس عبد النور .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

٣١) بنو اسرائيل في القرآن والسنة . تأليف الدكتور / محمد سيد طنطاوى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
الناشر : دار حراء .

(ت)

٣٢) تاج العروس من جواهر القاموس / . تأليف / الامام السيد محمد مرتضى الزبيدى . الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ .
الناشر : المطبعة الخيرية / مصر .

٣٣) تاريخ الأديان وفلسفتها . بقلم العميد الركن / طه الهاشمي .
الناشر : دار مكتبة الحياة / بيروت .

٣٤) تاريخ العالم . نشره بالانجليزية / السيرجون .أ. هامرتن .
أشرف على ترجمته / قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية .

٣٥) تاريخ الفلسفة اليونانية . يوسف كرم . طبعة جديدة .
الناشر : دار القلم / بيروت ـ لبنان .
٣٦) تجسد الكلمة للقديس / اثناسيوس الرسولي .
نقله الى العربية القمص / مرقس داود .
الناشر : كنيسة السيدة العذراء بالفجالة سنة ١٩٨٣م .
٣٧) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة . سارة العبادى (رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٣٨) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . تأليف عبد الله الترجمان الأندلسي . تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور / محمود علي حماية .
الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م
الناشر : مطبعة دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة .
٣٩) التعريفات . للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني .
الناشر : مكتبة لبنان .
٤٠) تنزيه الله تعالى في الفكر الاسلامي . الدكتور حسين جابر موسى .
(رسالة دكتوراه) عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
٤١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث . تأليف سعد بن منصور بن كمونة اليهودى .
الناشر : دار الأنصار / القاهرة .
٤٢) تفسير الآلوسي المسمى (روح المعاني) . تأليف محمود الآلوسي البغدادى .
الناشر : دار احياء التراث العربي . بيروت - لبنان .
٤٣) تفسير ابن عباس المسمى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) . صححه وحققه / محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الحفيظ محمد عيسى .
الناشر : دار الأنوار المحمدية / القاهرة .
٤٤) تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) للامام اسماعيل بن كثير.
الناشر : دار احياء الكتب العربية / مصر .
٤٥) تفسير أبي السعود المسمى (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم)
لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادى .
الناشر : دار احياء التراث العربي . بيروت - لبنان .

٤٦) تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) . تأليف/ الامام العلامة/علاء الدين علي بن محمد البغدادى المعروف بالخازن .
الناشر دار المعرفة / بيروت - لبنان .
٤٧) تفسير الرازى (التفسير الكبير) / فخر الدين الرازى .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
الناشر : دار الفكر / لبنان .
٤٨) تفسير الزمخشرى المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للامام ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى .
الناشر : آفتاب - تهران .
٤٩) تفسير الطبرى المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن) تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى .
الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان .
٥٠) تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم تأليف محمد رشيد رضا
الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان .
٥١) تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي . طبعة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
الناشر : دار الكتب العربية / القاهرة .
٥٢) تفسير النسفي . للامام أبي البركات عبدالله النسفي .
الناشر : دار احياء الكتب العربية / القاهرة .
٥٣) تفسير انجيل لوقا . جمع وتقديم /هلال أمين موسى . طبعةعام١٩٧٠م.
الناشر : مكتبة كنيسة الأخوة / مصر .
٥٤) تفسير انجيل متّى . لمجموعة من أشهر مفسرى الكتاب المقدّس .
الناشر : مكتبة النيل المسيحية .
٥٥) تفسير انجيل يوحنا . جمع وتقديم / هلال أمين موسى .
الناشر : المطبعة التجارية الحديثة .

٥٦) تفسير العهد الجديد (انجيل متّى) . تأليف وليم باركلي .
نقله الى العربية القسّ / فايز فارس . الطبعة الثانية .
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / بولاق ـ القاهرة .
٥٧) تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) . تأليف / وليم باركلي .
نقله الى العربية الدكتور القسّ / فهيم عزيز .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
٥٨) تفسير العهد الجديد (الرسالة الى العبرانيين) . وليم باركلي .
نقله الى العربية القسّ / جرجس هابيل .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
٥٩) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) . تأليف وليم باركلي .
نقلها الى العربية الدكتور القسّ / عبد المسيح اسطفانوس .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
٦٠) تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) .
تأليف وليم باركلي . نقلها الى العربية القسّ / جرجس هابيل .الطبعة الثانية .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
٦١) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) . تأليف/ وليم باركلي .
نقله الى العربية / جاد المنفلوطي .
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / بولاق ـ القاهرة .
٦٢) تفسير العهد الجديد (شرح بشارة يوحنا) . تأليف / وليم باركلي .
ترجمة الدكتور / عزت زكي .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

(جـ)

٦٣) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . تأليف شيخ الاسلام / احمد بن تيمية .
الناشر : مطابع المجد التجارية .
٦٤) جريدة الندوة .عدد (٧٢٩٦) . شركة مكة للطباعة والنشر .

(ح)

٦٥) حول أسطورة تجسّد الاله . عبد الصمد شرف الدين . (رسالة ماجستير) . طبعة جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٨ هـ .

٦٦) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية . تأليف العلامة / محمد بهجة البيطار. الطبعة الثانية .
الناشر : المكتب الاسلامي / دمشق - بيروت .

(د)

٦٧) دائرة المعارف الاسلامية . أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية/ أئمة المستشرقين في العالم . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م .
النسخة العربية اعداد وتحرير : ابراهيم زكي خورشيد ،أحمد الشنتناوى، الدكتور / عبد الحميد يونس .
الناشر : دار الشعب / القاهرة .

٦٨) دائرة المعارف البريطانية .

٦٩) دائرة المعارف . المعلم بطرس البستاني
الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان .

٧٠) دائرة معارف القرن العشرين . تأليف / محمد فريد وجدى .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م .
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان .

٧١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاى .
الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م .
الناشر : دار المعارف / لبنان .

٧٢) دعوة الحقّ أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام . تأليف/ منصرو حسين عبد العزيز القاضي . الطبعة الثانية .
الناشر : مكتبة علاء الدين / الاسكندرية .

٧٣) الديارات . لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي . تحقيق / كوركيس عوّاد . الطبعة الثانية سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
الناشر : مطبعة المعارف / بغداد .

٧٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور . تأليف الأستاذ / أحمد عبدالغفور عطار . الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م مكة المكرمـــة .
٧٥) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) تأليف الدكتور / محمد عبد الله دراز . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
الناشر : دار القلم / الكويت .
٧٦) ديوان ذى الرمة . شرح الامام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي .
حققه وقدّم له وعلّق عليه / عبد القدوس ابو صالح .طبعة عام ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م
الناشر : مؤسسة الايمان / بيروت - لبنان .

(ذ)

٧٧) الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية . عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم (رسالة ماجستير) عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
٧٨) الذبيحة الحية . تأليف / واتشمان ني .ترجمة وليم جندى .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

(ر)

٧٩) الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل . للامام أبي حامد محمد الغزالي .
حققه وقدّم له وعلّق عليه / عبد العزيز عبد الحقّ حلمي .
طبعة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
الناشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية / القاهرة .
٨٠) ردّ رسالة ابحاث المجتهدين المطبوعة بذيل كتاب الفارق بين المخلوق والخالق لمؤلفه عبد الرحمن بك باجه جى زاده . طبعة سنة ١٣٢٢هـ .
الناشر : مطبعة التقدم بمصر .
٨١) الرد الوافر . تأليف / الحافظ محمد بن أبي بكر الدمشقي . تحقيق / زهير الشاويش . الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣هـ .
الناشر : المكتب الاسلامي / دمشق / بيروت .

٨٢) رسالة في اللاهوت والسياسة . سبينوزا . ترجمة وتقديم الدكتــــــــور/
حسن حنفي . مراجعة الدكتور / فؤاد زكريا . طبعة سنة ١٩٧١م.
الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

(س)

٨٣) سنن أبي داود . للامام الحافظ / أبي داود سليمان السجستاني .
اعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
الناشر : دار الحديث / حمص - سورية .

٨٤) السيرة النبوية ... لابن هشام .
قدّم لها وعلّق عليها وضبطها / طـه عبد الرؤف سعد . طبعة جديدة .
الناشر : شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(ش)

٨٥) شرح المقاصد . للعلامة / سعد الدين عمر التفتازاني .
طبعة سنة ١٢٧٧هـ
الناشر : دار الطباعة العامرة .

٨٦) شرح أصول الايمـــــــان . تـــأليـــف :
الدكتور القسّ أندراوس واطسون والدكتور القسّ ابراهيم سعيد .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

(ص)

٨٧) صبح الأعشى في صناعة الانشا . تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندى .
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٨٨) صحيح البخارى . لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى .
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .

٨٩) صحيح مسلم . للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى .
تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .

٩٠) صحيح مسلم بشرح النووى .
الناشر : المطبعة المصرية ومكتبتها .
٩١) الصليب المقدس . للأب متى المسكين . الطبعة الثالثة ١٩٧٩م .
الناشر : مطبعة دير القديس / أنبا مقار .
٩٢) صوت الحقّ في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان . تأليف / الأنبا باسيليوس .
الناشر : مطبعة رعمسيس بالفجالة بمصر .

(ض)

٩٣) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة . تأليف / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
الناشر : دار القلم / دمشق - بيروت .

(ط)

٩٤) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون . تأليف / المهندس / أحمد عبد الوهاب . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة .
٩٥) الطب الاسلامي شفاء بالهدى القرآني . تأليف الدكتور / محمود أحمد نجيب . الطبعة الأولى . المحرم سنة ١٤٠٣هـ - اكتوبر ١٩٨٢م .
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة .
٩٦) الطبّ الوقائي في الاسلام . تأليف / الدكتور أحمد شوقي الفنجرى .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(ع)

٩٧) عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) . بقلم الدكتور / دونالد ديمارى ترجمة شاكر ابراهيم سعيد .
الناشر : مكتبة النيل المسيحية / القاهرة .

٩٨) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . / تأليف الأستاذ محمد طاهــر التنير . بيروت سنة ١٣٣٠هـ .
٩٩) العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية . تأليف / أبـــي عبد الله محمد حامد الفقي .
الناشر : دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان .
١٠٠)عقيد تا التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما . الأستاذ يونس توري .
(رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ .
١٠١)علامة الصليب . بقلم الدكتور / فؤاد بولس .
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
١٠٢)علم اللاهوت النظامي (المؤلف مجهول الاسم) .رقم الطبعــــة : ١/٢٠٠٠ - ١٩٧١م . الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة .
١٠٣)العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة) .
تأليف سفر بن عبد الرحمن الحوالي .
الناشر : دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع .
١٠٤)العهد الجديد والرسائل .اصدار : دار الكتاب المقدس في العالــم العربــي .

(غ)

١٠٥)غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام . تأليف / محمــد ناصر الدين الألبانــي . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
الناشر : المكتب الاسلامي / دمشق ـ بيروت .

(ف)

١٠٦) الفارق بين المخلوق والخالق . تأليف/ عبد الرحمن بك باجه جـــي زاده . الطبعة الأولى . سنة ١٣٢٢هـ .
الناشر : مطبعة التقدم بمصر .

١٠٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى . للامام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
صححه وحققه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .
طبعة سنة ١٣٨٠هـ
الناشر : المطبعة السلفية ومكتبتها / القاهرة .
١٠٨) فجر المسيحية . بقلم حبيب سعيد .
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة .
١٠٩) الفَرق بين الفِرق . تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادى الاسفرائيني .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
الناشر : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده / القاهرة .
١١٠) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية . الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ .
الناشر : المكتب الاسلامي / بيروت .
١١١) الفصل في الملل والأهواء والنحل . تصنيف الامام / أبي محمد علي بن حزم الأندلسي .
الناشر : مكتبة المثنى ببغداد .
١١٢) فهرس الكتاب المقدس . للدكتور جورج بوست . الطبعة الخامسة سنة ١٩٨١م .
الناشر : مكتبة المشعل / بيروت - لبنان .
١١٣) في خطى المسيح . تأليف / نصرى سلهب .
الناشر : دار الكتاب اللبناني - بيروت .

(ق)

١١٤) قاموس الكتاب المقدس . تأليف نخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين .
الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م .
الناشر : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى .

١١٥) القاموس المحيط . للفيروزآبادى .
الناشر : مكتبة النورى / دمشق .
١١٦) قصص الأنبياء . تأليف الشيخ عبد الوهاب النجار .
الناشر : دار الفكر / بيروت .
١١٧) قصة الحضارة . تأليف / ول ديورانت . ترجمة / محمد بدران .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م
الناشر : الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية / لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(ك)

١١٨) الكامل في التاريخ . للامام أبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير .
عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه / لجنة من العلماء .
الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت .
١١٩) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .
الناشر : جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى .
١٢٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . تأليف العلامة / حاجي خليفة . طبعة سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .
الناشر : دار الفكر .

(ل)

١٢١) لسان العرب . للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور .
الناشر : دار صادر / بيروت .

(م)

١٢٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . تأليف أبي الحسن علي الحسني الندوى . الطبعة الرابعة .
الناشر : دار الأنصار / القاهرة .

١٢٣) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير . تأليف/
ابراهيم السليمان الجبهان . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .
الناشر : المطابع الأهلية للأوفست / الرياض .
١٢٤) مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى والثانية .
١٢٥) مجموعة الرسائل الكبرى . تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية .
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .
١٢٦) مجموعة الرسائل والمسائل . تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية .
الطبعة الأولى . سنة ١٣٤١هـ
الناشر : مطبعة المنار بمصر .
١٢٧) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب / عبد الرحمن
ابن محمد الحنبلي . الطبعة الاولى .
١٢٨) محاضرات في النصرانية . تأليف الشيخ محمد أبو زهرة .
الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م .
الناشر : دار الكتاب العربي .
١٢٩) محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن . تأليف/ محمد عزت
اسماعيل الطهطاوى .
الناشر : مطبعة التقدم .
١٣٠) مختار الصحاح . تأليف /محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى .
طبعة عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان .
١٣١) مذاهب فكرية معاصرة . الأستاذ الشيخ محمد قطب .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
الناشر : دار الشروق .
١٣٢) مسند الامام أحمد بن حنبل .
الناشر : دار صادر / بيروت .
١٣٣) المسيح انسان أم اله . محمد مجدى مرجان .
الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة .

١٣٤) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب) . تأليف المهندس/ أحمد عبد الوهاب .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة .
١٣٥) المسيح في مفهوم معاصر . تأليف / عصام الدين حفني ناصف .
الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت .
١٣٦) المسيحية (مقارنة الأديان) تأليف الدكتور / أحمد شلبي .
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية/القاهرة .
١٣٧) المسيحية الرابعة . تأليف / الدكتور رؤوف شلبي .
الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م .
الناشر : مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٣٨) المسيحية في جوهرها . تأليف /جون ستوت . تعريب/نجيب غالي .
الناشر : دار يوسف كمال للطباعة .
١٣٩) المسيحية (نشأتها وتطورها) . تأليف / شارل جنيبير .
ترجمة الدكتور الشيخ / عبد الحليم محمود .
الناشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر / صيدا - بيروت .
١٤٠) معالم تاريخ الانسانية . هـ . ج . ولز
ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧م .
الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة .
١٤١) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير . تأليف / ابراهيم سليمان الجبهان . الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م .
الناشر : عالم الكتب .
١٤٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم . تأليف / عفيف عبد الفتاح طباره .
الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٨٢م .
دار العلم للملايين / بيروت - لبنان .

١٤٣) مع المسيح في آلامه حتى الصليب . تأليف / الأب متى المسكين .
الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م .
الناشر : مطبعة دير القديس أنبا مقار .
١٤٤) مع المسيح في الأناجيل الأربعة . تأليف / فتحي عثمان .
الطبعة الثانية .
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة .
١٤٥) معجم البلدان . ياقوت الحموى . طبعة سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .
الناشر : دار صادر / بيروت .
١٤٦) المعجم الفلسفي . مجمع اللغة العربية . طبعة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
الناشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية / القاهرة .
١٤٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى (عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل .)
رتّبه ونظمه لفيف من المستشرقين .
ونشره الدكتور أ . ى . وِنْسِنْكْ . أستاذ العربية بجامعة ليدن .
الناشر : مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م .
١٤٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . وضعه / محمد فؤاد عبد الباقي .
طبعة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
الناشر : دار الفكر .
١٤٩) معجم المؤلفين . تأليف عمر رضا كحالة .
الناشر : مكتبة المثنى / بيروت و دار احياء التراث العربي / بيروت .
١٥٠) المعجم الوسيط . الطبعة الثانية .
الناشر : دار الفكر .
١٥١) المغني في أبواب التوحيد والعدل . للقاضي أبي الحسن عبد الجبار الهمداني . تحقيق / ابو العلا عفيفي . اشراف الدكتور / طه حسين
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة .
١٥٢) مقامع الصلبان . لأبي عبيدة أحمد بن عبد الصمد الخزرجي
حققه وقدّم له / عبد المجيد الشرفي . وكذلك نفس الكتاب حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة وأسماه بين الاسلام والمسيحية

الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة .

١٥٣) الملل والنحل . للامام أبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني . بهامش كتاب الفصل لابن حزم .
الناشر : مكتبة المثنى ببغداد .

١٥٤) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل . لأبي الفضل المالكي المسعودى (مخطوطة)

١٥٥) المنجد في اللغة والأعلام . طبعة ٢٦ .
الناشر : دار المشرق / بيروت .

١٥٦) المؤامرة على الاسلام . تأليف / أنور الجندى . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .
الناشر : دار الاعتصام .

١٥٧) الموسوعة الأمريكية .

١٥٨) موسوعة عباس محمود العقاد (توحيد وأنبياء) .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت .

١٥٩) الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد شفيق غربال . الطبعة الثانية
الناشر : دار ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

١٦٠) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية . تأليف/ الدكتور عبدالمنعم الحفني
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م
الناشر : مكتبة مدبولي / القاهرة .

(ن)

١٦١) النبوات . تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية .
الناشر : دار القلم / بيروت - لبنان .

١٦٢) النصرانية والاسلام . تأليف المستشار محمد عزّت اسماعيل الطهطاوى .
الناشر : مكتبة دار الأنصار / القاهرة .

١٦٣) نظرية النسخ في الشرائع السماوية . تأليف / الدكتور شعبان محمد اسماعيل .
الناشر : مطابع الدجوى / القاهرة .

(هـ)

١٦٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . تأليف/ ابن قيم الجوزية من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ .

(ى)

١٦٥) يأأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء . تأليف الدكتور / رؤوف شلبي الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م . الناشر : دار الاعتصام/القاهرة .

١٦٦) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) . تأليف الأب بولس اليأس اليسوعي . الطبعة الثانية .
الناشر : المطبعة الكاثوليكية / بيروت ...

---

١٦٧) أسد الغابة في معرفة الصحابة . تأليف الشيخ العلّامة / عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير .
الناشر : المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ .

١٦٨) التعصّب والتسامح بين المسيحية والاسلام . تأليف محمد الغزالي
الناشر : دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر .

١٦٩) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية (رسالة ماجستير) سنة ١٣٩٨ هـ د . أحمد محمد البناني .



* التصـــويبـــــات *

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
ى	٨	تأثّر ولا شكّ	تأثّرت مشاعره ولا شكّ .
ك	٣	ضد اخوانهم المسلمين	ضد المسلمين .
م	٢١	التي أنزلها الله	التي أنزل الله كتابها .
٣	٧	تعسّف .	تعسّف . والقول بأعجمية الانجيل هو الصواب .
٢٢	٨	وكان قد تنصّر	وكان قد تظاهر بالنصرانية .
٢٣	١٣	التي توافق تلك العقيدة	التي تتضمن تلك العقيدة .
٢٤	٨، ٩	العالم العيسوى في الاقسام	العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور، ثم من الجماعات العيسوية في الأقسام . . .
٣٥	٦ هامش	استشهـــد	قُتـــل
٣٦	١٢	مرشد الطالبين	مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين .
٤٨	٣	ولا من الفهم .	ولا من الفهم حيث كتبه بعد أن تجاوز المائة عام طبقا لبعض الروايات .
٥٥	٥	البراهيم	البراهين
٦٢	الأخير	وذكرها .	وذكر منها الا القليل النادر كما سنذكر ذلك في ص/ ١٠٥، ١٢٩، ١٤١
٦٧	١	بالحديث النبوى الشريف	بما رواه الامام أحمد في مسنده دليلا على وقوع . . .
٧٢	٦	فلا حجة لهم في تصديق	فلا حجة لهم على ما يزعمون من تصديق .
٨٢	١٣، ١٤	(التحريف في الأناجيل)	التحريف اللفظي في الأناجيل .
٨٢	١٥	أنواع التحريف الواقع	أنواع التحريف اللفظي في الواقع .
٨٧	١، ٢	مايقال بالوحي أو الارشاد	مايقال من أن هذه الأسفار كتبت بالوحي أو الارشاد من الروح القدس الذى يقصدون به الاله لأنه . . .
٨٧	٣	أن يكون من الله	أن يكون من الالـه .
٨٧	١٠	قد ظهرا لم يتكلمان	قد ظهر أنهم يتكلمان
٩٩	٢	بوقوع التحريف في كتبهم	بوقوع التحريف اللفظي في كتبهم
٩٩	٨	المقدس باثنين وسبعين	المقدس المكتوب باثنين وسبعين
١٢٢	١٣	مسيحي آخر يذكر أن باركروهو من أشهر علماء البروتستانت قرر أن اختلاف	مسيحي آخر يذكر أن اختلاف
١٢٣	١٠	في زمان الأكابر	* يقصد أنهم حرفوا تاريخ القدماء
١٢٩	١	لأنواع التحريف عند ابن تيمية	لأنواع التحريف في نظر ابن تيمية
١٣٥	الاخير	لمثله	كمثله

* التصـــويبـــــــات *

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــــواب
١٤١	٦	بذلك ، أذن لبني اسرائيل	بذلك ، إذ أذن لبني اسرائيل .
١٤٣	١	لعوامل التحريف عند ابن تيمية	لعوامل التحريف في نظر ابن تيمية
١٥١	الأخير من الهامش	ص ٧٢٢	ص ٧٢٢ . ونأخذ على كلام العقاد أن هناك ما هو أوفى من الانجيل وأوثق في دراسة حياة المسيح وهو القرآن الكريم .
١٥٣	٨	في ترجمة الأناجيل	في ترجمة العهد الجديد
١٦٠	١٣	ولا تشتروا بآياته	ولا تشتروا بآياتي
١٨٣	٣	كحلول الورد في الورد	كحلول ماء الورد في الورد
١٨٧	٤ - ٦	ولكن هذه الفرقة انقرضت . . عمّا الكنائس المسيحية ومن هذه الفرق	وإذا كانت هذه الفرق قد انقرضت . . . عمّا الكنائس المسيحية ، فقد بقي تيار التوحيد عبر القرون عند قلة من المسيحيين كما سنفصّل ذلك فيما بعد ومن هذه الفرق الموحدة التي انقرضت .
١٩٩	٤ ، ٥	كلية تنتهي كل منها الى تصحيح	كلية يحاولون بها تصحيح
٢٠٩	١٣،١٤	سكونه في المسيح	سكونه هو ظهوره في المسيح
٢٣٠	٥	بياض اليد من برص	بياض اليد من غير برص
٢٤١	١ من هامش ؟	٢٢ : ٣٠	٣٣ : ٣٠
٢٤٢	٥	من الشجرة	من الشجرة بزعمهم
٢٤٩	٨	وما وراء الطبيعة	وما وراء الطبيعة . وإن كان يتجه أحيانا الى جانب الانكار أكثر من اتجاهه الى جانب الاثبات حيث سخر في بعض خطبه من الذين يقولون بوجود إله لا يرونه .
٢٦٧	هامش ١	موقف ابن تيمية من التصوف ص ١١٥ نقلا عن . . .	موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية / د . أحمد محمد بناني رسالة ماجستير عام ١٣٩٨ هـ ص ١١٥
٢٧٦	٦	ولد كما يولدون	ولد من أنثى كما يولدون
٢٨٢	٧	الاله الاصلي الواجب الوجود	الاله الواجب الوجود
٢٨٧	٥ ، ٦	من صفوفهم منكرين دعوى . . .	من صفوفهم معارضين تأليه . . .
٣٣٤	٩ ، ١٢	(وكلمته)	* أي في قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحقّ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . .) من سورة النساء آية / ١٧١ التي عقّب عليها شيخ الاسلام بهذا الكلام .
٣٣٩	١٦ ، ١٧	بنفسه فيقوم بمحل أو صفة قائمة بغيرها فلا بدّ له من محل -.	بنفسه أو صفة قائمة بغيرها .
٣٤٠	٤	أمر معروف في اللغات	أمر غير معروف في اللغات
٣٧١	١١	الى يوسف النجار	الى يوسف النجار كما كان شائعا بين الناس
٣٧٤	٤ ، ٥	البسيطة غاية البساطة	الواضحة غاية الوضوح
٣٨٥	الأخير	الله	الليل
٤١٠	١ - ٣	من اطلاق لفظ الله وأمثاله الألوهية ، فكيف يفهم من لفظ ابن الله وأمثاله . . .	من اطلاق لفظ الإله ومثله على البشر الألوهية الحقيقية فكيف يفهم من لفظ ابن الله ومثله البنوة الحقيقية لله تعالى . . .
٤١٣	٧	من عرف أن الإله ما هو	من عرف أنّ الإله ما هو أي مفهوم الاله وحقيقته . . .

* التصويبات *

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٠	١	ازالة التهمة عن الله	ازالة تهمة الأبوة عن الله
٤٢٠	٤	والعبادة لا تليق الا بالعبيد	والعبادة لا تكون الّا من العبيد
٤٢٨	هامش٢	آية ١٦	آية ١١٧
٤٣٨	١٢	مقرّ بمخلوقيته وبشريته	مقرّ بمخلوقيته
٤٤٩	١	نص التوراة	نص العد القديم
٤٤٩	٤	مسند في التوراة	مسند في العهد القديم
٤٤٩	٥	أى في التوراة	أى في العهد القديم
٤٤٩	٦	تسند اليه التوراة	يسند اليه العهد القديم
٤٨٤	٤	وفيها	وفي العهد القديم
٤٨٤	٥	وفيها	وفي التوراة أيضا
٤٩٦	٤	أولئك الذين كتب	أولئك كتب
٥٠٣	١١	تمثل فيها العقيدة النصرانية	تمثل فيه العقيدة النصرانية الصحيحة
٥٠٦	الأخير	خاتم الأنبياء والمرسلين	خاتم الأنبياء والمرسلين . ومع أنّ القرآن يعتبر أوثق مصدر لبيان عقيدة النصرانية الأولى كما جاء بها الانجيل وكما كان عليها المسيح ـ عليه السلام ـ والحواريون من أتباعه ـ مع ذلك ومع انحراف النصارى بعد ذلك عن التوحيد وقولهم بالتثليث ، فقد تضمنت أناجيلهم التي كتبوها جُملاً تدل على عقيدة التوحيد التي كان عليها عيسى وحواريوه وكذلك تضمن العهد القديم من دلائل التوحيد نصوصا كثيرة خلافاً لما حاوله النصارى من استشهادهم بنصوص العهد القديم أيضا على التثليث . وسوف نذكر بعض نصوص العهدين الدالة على التوحيد في أواخر هذا الفصل مما له دلالته على أن النصرانية في حقيقتها الأولى ديانة توحيد ، بل بقيت دلائل هذا التوحيد في كتبها ظاهرة حتى الآن .
٥٠٩	٤	وبشريته . يقول عيسى . . .	وبشريته حيث يروي عن عيسى ـ عليه السلام ـ قوله :
٥١٦	الأخير	وتقديس النفوس	وتقديس النفوس . . ونتساءل : ماذا يحدث لو طُلب من أحد الآلهة ما لا يدخل في اختصاصه ؟ ألا يقف عاجزاً أمام هذا الطلب ؟ فأيّ إله هذا ؟ ! ! !
٥٦١	٩	وأفريقية وجزيرة العرب حيث	وأفريقية حيث
٥٧٤	٣	إلّا ثلاثا	إلّا ثلاثة
٥٧٤	٣/هامش	المرتدين الى الاسلام	الذين دخلوا في الاسلام
٦٠١	٨	وانجيله الذى ذهب يبشر به	وانجيله ـ حسب تعبيره ـ الذى ذهب يبشر به
٦١٤	٢	كتّاب العهد الجديد	شرّاح العهد الجديد
٦١٤	١٢	وفدائه للبشرية ، حتى	وفدائه للبشرية . أما النص السابق الذى تضمن كتابة أسفار العهد القديم ـ صراحة ـ للبشارة بصلب المسيح وقيامته من الأموات بعد ثلاث . . الخ فالواقع أن لا وجود لهذا الكلام في أى سفر من تلك الأسفار ، فليس صحيحا ما أجرى على لسان ←

* التصـــويبـــــات *

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــــواب
			المسيح ، ولوفرضنا جدلا وجوده فيها فليس لهذه الأسفار من الصحة ما يستوجب وقوع تنبؤاتها .
٦٤٢	٥، ٩	عبد القاهر الاسفرائيني	عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرائيني
٦٥٦	قبل الأخير	ما فعله بني اسرائيل	ما فعله بنو اسرائيل
٦٦١	٩	لحادثة الصلب	لحادثة الصلب لشخص المسيح
٦٦١	١٠	على بطلانها	على بطلانها بالنسبة له ، وان كانت تقد وقعت بالفعل لمن شبه لهم أنه المسيح ، كما جاء بذلك الكتاب العزيز
٦٧٢	١/هامش	لا يجب	لا يصحّ
٦٩٢	٢	عدم اصرار الشيطان	اصرار الشيطان
٦٩٢	٦	ورى	وورى
الباب ٣	الفصل ٨	تحريم النصارى للختان	عدم ايجاب النصارى للختان
٧٢٣	٩	الشريعة	الشرعية
٧٢٦	٢	يوم المسيح	بدم المسيح
٧٣٨	هامش ١	ص ٢٧٤	ص ٢٧٤ . والقول بأن شهر رمضان كان مفروضا على أهل الكتاب كما فرض علينا هو ما استظهره الطبري في تفسيره (جـ ٢ ص ٧٦) وعلل ذلك بقوله : " لأن مَنْ بعد ابراهيم عليه السلام كان مأموراً باتباع ابراهيم ، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه كان جعله للناس اماما . وقد أخبرنا الله أنّ دينه كان الحنيفية المسلمة فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذي أمر به مَنْ قَبْله من الأنبياء وأما التشبيه فانما وقع على الوقت ، وذلك أنّ من كان قبلنا انما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء . . "هذا الى جانب ما ورد في ذلك من الأحاديث .
٧٧٧	١٤	يعمل عنه	يعدل عنه
٧٨٩	٢	ولم يدعو	ولم يدعُ
٧٩٣	٤	لا يخلو من الحقّ والعذر	* طبقا لرواية يوحنا السابقة لحادثة العشاء الرباني
٧٩٤	١٢، ١٣	فلجأوا ـ الحياة والحرمان	فلجؤا ـ الحياة والحرمان من متعها
٧٩٩	١	انما هو تشبيها	انا هو تشبه
٨٠٠	٧	ولا ينشغلون	ولا ينشغلوا
٨٠١	٥	للراهن	للراهب
٨١٢	١٦	وعلماء المسيحية المصلحين	وعلماء المسيحية المصلحون
٨٣٨	٦	صرح بوجوب	صرح باستحباب
٨٣٩	١	على وجوب الختان وهذا هو	على استحباب الختان وكونه من سنن الفطرة وهذا هو . . .
٨٤٠	٤	أوجبوا ترك الختان	أجازوا ترك الختان
٨٤١	٥	من ضرورة ترك الختان	من جواز ترك الختان
٨٥٩	٣	بل ما وضعه	لا ما وضعه
٨٦٠	٤	كرد	رد

* التصويبات *

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٧٢	هامش١	سورة آل عمران	سورة البقرة
الخاتمة١	٤	تما عن عن	تماما عن
"	٥	وان التحريف بأنواعه	وان التحريف اللفظي بأنواعه

ملحوظة :

أُلغيتْ الصفحتان ٨٥٠ ، ٨٥١ وأعيد ترقيم الصفحات التي بعدهما .


تم بحمد الله